المملكة العربية السعودية
جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا للتاريخ والحضارة

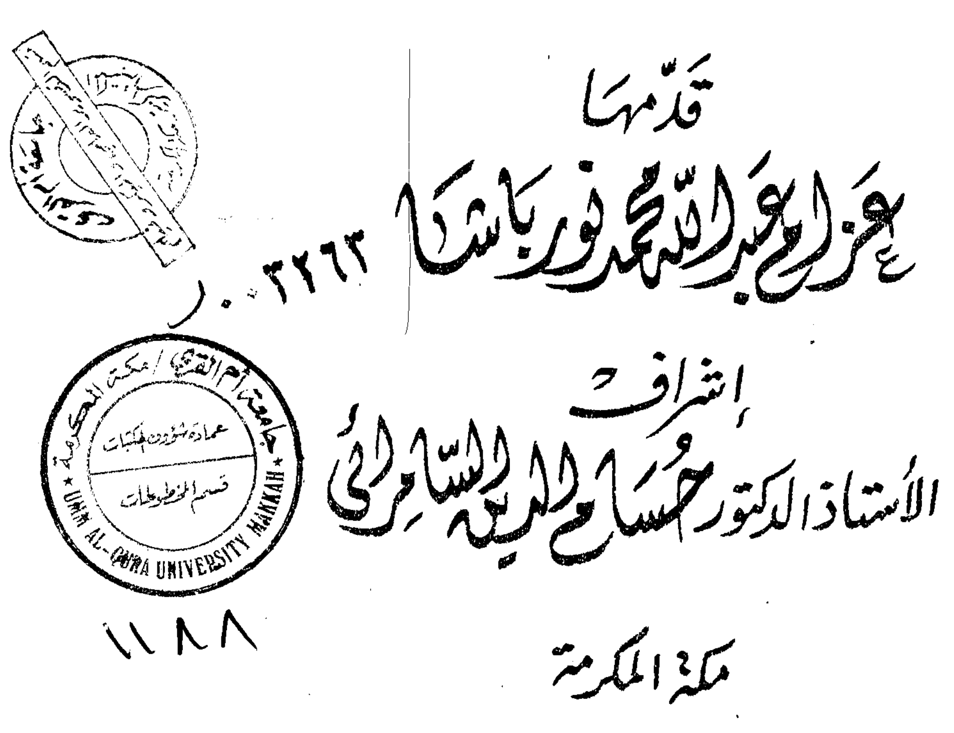
المناقش الخارجي
محمد مسفر الزهراني

الطالب
عزام باشا

النظام الإداري في الدولة العباسية في العصر السلجوقي

٤٣٢ - ٤٨٥هـ / ١٠٤٠ - ١٠٩٢م

رسالة مقدمة لمجلس الدراسات العليا للتاريخ والحضارة
للحصول على درجة الدكتوراه في التاريخ والحضارة



قدمها

عزام عبدالله محمد نور باشا

إشراف

الأستاذ الدكتور حسام الدين السامرائي

مكة المكرمة

١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م



محتويات الرسالة

النظام الادارى فى الدولة العباسية فى العصـــــر السلجوقـــى

(٤٣٥ – ٤٨٥ هـ / ١٠٤٠ – ١٠٩٢ م)

الصفحـة

الصفحة

الصفحة

شكر وتقدير

"" شكر وتقدير ""

الحمد لله رب العالمين ، والشكر له سبحانه وتعالى على ما تفضل به على من عونه وتوفيقه واحسانه . والصلاة والسلام على خير خلقه واشرفهم وعلى آله وصحبه أجمعين .

كما أقدم خالص شكرى وامتنانى لكل من مد يد العون فى اخراج هذا البحث . وعلى رأسهم سعادة الاستاذ الدكتور / حسام الدين السامرائى المشرف على الرسالة على الرعاية والعناية والتوجيه المتواصل الذى يخدم البحث ، وقد تابع هذا البحث منذ أن كان فكرة لحظة بلحظة و احاطه باشاداته وتوجيهاته ، فجزاه الله عنى وعن طلبة العلم خير الجزاء ، وينفع بعلمه انبائه الطلبه ، وأن يمد الله فى عمره .

كما أقدم جزئل الشكر والامتنان لجامعة أم القرى التى هيئت جميع السبل وذللت الصعاب لطلاب العلم وعلى رأسها معالى مدير الجامعة الدكتور / راشد الراجح ، وعمادة كلية الشريعة والدراسات الاسلامية وعلى رأسها سعادة الدكتور / صالح بن عبد الله بن حميد .

كما أشكر كل من ساهم وقدم يد العون والمساعدة من اساتذتى وزملائى .. وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يجزى الجميع خيرا وأن يوفق الجميع لما يحب ويرضى .. أنه نعم المولى ونعم النصير.

الباحث

المقدّمة

نطاق البحث ودراسة نقديّة لأهم المصادر

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور انفسنا وسيئات اعمالنا من يهد الله فلا مضل له ،ومن يضلل فلا هادى له . واشهد ان لا اله الا الله وحده لاشريك له . واشهد ان سيدنا محمد عبدالله ورسوله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ،صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه الى يوم الدين وسلم تسليما كثيرا .

اما بعد : فان بناء المجتمع الاسلامى يوجب علينا التمعن والنظر فى امرين مهمين اولهما المفاهيم والقيم والخبرة التى تمثلت فى التراث الحى ،وثانيهما الافادة من المناسب والملائم للدين الاسلامى الحنيف فى النظم المعاصرة ،وفى هذا تكمن اهمية دراسة المواضيع التى لها صلة بالادارة الاسلامية .

ان اهمية دراسة الادارة الاسلامية تتمثل فى البحث والكشف عن فحوى الاعمال التى مارستها المؤسسات الادارية المختلفة للدولة الاسلامية عبر العصور وحسن ادائها ،وانتظامها ،والترابط الوثيق فيما بينها لتحقيق الهدف المنشود ،ذلك ان الهدف من وجود الحكومة الاسلامية هو تطبيق شريعة الله سبحانه وتعالى فى الارض ،وتوفير الفرص المتماثلة للمسلمين لتعبد الله سبحانه وتعالى بالعمل الصالح فى خدمة المجتمع

من جهة ،وللافادة من الخدمات التى تهيؤها الحكومة الاسلامية من جهة اخرى ،ودراسة موضع الادارة فى العصر السلجوقى (٤٤٧- ٤٨٥هـ/١٠٥٥- ١٠٩٢م) يعطى صورة واضحة للعمل الجاد المثمر ويعكس كذلك مدى الدقة والضبط وتحمل المسؤولية الى غير ذلك من المميزات التى تمتعت بها الادارة الاسلامية فى ذلك العصر . اضافة الى ماتمثله من رفد لتلك الادارة بعناصر جديدة من الاعراف والتقاليد والقوانين السلجوقية .

لقد جرى التركيز فى دراسة تاريخ الادارة فى الاطار الاكاديمى من نقطة بداية افتراضية هى بداية القرن التاسع عشر الميلادى على اعتبار ان هذا التاريخ من وجهة النظر الاستشراقية والغربية يمثل بداية الفكر الادارى فى التاريخ الانسانى ،باستثناء بعض من لمحات لاشارات عابرة الى قليل من الممارسات التى كانت قائمة فى الحضارات القديمة ،وبهذا يغفل الباحثون جهلا ،او عمدا دراسة تاريخ الادارة الاسلامية كنمط متميز فى الادارة بل انهم لايشيرون اليها اصلا على الرغم من ان المصادر الاسلامية قد فصلت فى الحديث عنها ،بل ان بعضها قد الف لتدريب العاملين الذين تهيؤهم الدولة لشغل المناصب الادارية فى الدولة الاسلامية ككتاب "الخراج وصنعة الكتابة " لابى الفرج قدامة بن جعفر المتوفى سنة (٣٣٧هـ/٩٤٨م) . على سبيل المثال . وقد وصل الينا منذ فترة مبكرة زخم كبير من المصادر التى تحدثت عن الكتاب وآدابهم ومثلهم مثل كتاب "ادب الكتاب " لابن قتيبة ،و "ادب الكتاب" للصولى و"ادب الكتاب "للجواليقى ،وبالاضافة الى ذلك فان هناك عددا من

المصادر التى تحدثت عن الوزارة فى الدولة الاسلامية وشمل فيها الحديث ادارة الدولة بشكل عام مثل كتاب "تاريخ الوزراء" للصابى ،وكتاب "الوزراء والكتاب" للجهشيارى . اضف الى ذلك فان المصادر الاسلامية قد استمرت فى الحديث عن الادارة الاسلامية وذلك بافراد مؤلفات خاصة بها كما اسلفنا ،منذ العصور الاسلامية الاولى وحتى القرن العاشر الهجرى ،وعلى سبيل المثال كتاب "زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك" لخليل الظاهر ،وكتاب " الصفوة فى ذكر الممالك الاسلامية " لابى الفتح محمد الصوفى الشافعى الذى وضح فيه مؤلفه سنة (٩٠٤ هـ/ ١٥٤٣م) ان التنظيم الادارى فى الحضارة الاسلامية هو من المصادر الاساسية لوضع اسس قوية وثابتة فى نظم الادارة فى العصر الحديث ،ولوضع مفاهيم او نظريات تستوعب واقع المجتمع الاسلامى . ولعل فى ابراز هذا الجانب مايسهم بشكل فعال ومؤثر فى آثراء الدراسات الادارية العامة الحديثة بمبادىء ونماذج ادارية اصيلة مستوحاه من الفكر الاسلامى وتطبيقاته العملية ،كما انه يدحض بشكل او بآخر مازعمه البعض فى افتراض بداية الدراسات الادارية المتأخرة ،ويبرز نمطا متميزا لنوع من انواع الادارة الا وهى الادارة الاسلامية .

ان اساليب الادارة الحديثة هى فى الواقع عيال على انماط الادارة العربية الاسلامية ،وهكذا فان دراسة الادارة فى العصر السلجوقى يبين مدى الانحراف فى الدراسات الاستشراقية والغربية فى هذا المجال كما يعكس حالة التجنى الذى تواجهه الادارة الاسلامية فى اطار الدراسات

الاكاديمية المعاصرة .

ان الادارة الاسلامية والتعرف على طبيعتها ،ومكوناتها ،وقيمها وتناول التكوين التاريخى لها ،وواقعها لم تدرس بصورة شاملة . كما ان هناك جوانب كثيرة منها لم تبحث حتى الان وان مابحث من الدراسات الادارية قد قدمه فى الاعم الاغلب باحثون من بين المستشرقين او تلاميذهم ادلوا بآرائهم ،وانتهجوا نهجهم الفكرى ،او ممن تأثر بهم ،الا النزر اليسير ،وعليه فان المؤمل ان يتخصص فى نطاق هذه الدراسات المهمة باحثون مسلمون فى عقيدتهم ووجهتهم ،لهم المام جيد باللغة العربية وذلك ليتهيأ لهم فهم وتصور واستبطان واقع الادارة الاسلامية ولكى يصبحوا قادرين على تقديم صورة صادقة ودقيقة لها . ولايفترض فى ان تكون مثل هذه الدراسات موضوعية وتحليلية وموثقة فقط بل يجب ان تكون اضافة الى تلك انعكاسا لفهم المسلم لجوانب العقيدة الاسلامية واستيعابه الدقيق لمعطيات اللغة وآفاقها الرحبة . ولاشك فى ان دراسة الادارة فى العصر السلجوقى فى الدولة الاسلامية هو احد الاسهامات فى ابراز جوانب مشرقة من الحضارة الاسلامية .

وغنى عن البيان ان دراسة الادارة فى العصر السلجوقى يهيىء فرصة طيبة للكشف عن جانب من جوانب الادارة الاسلامية وهو بالاحرى يعبر عن جانب من جوانب التطور الشامل فى المجتمع الاسلامى ،وهو التطور الادارى بفروعه المختلفة . فمن خلال هذه الدراسة امكن التوصل الى معلومات هى فى غاية الاهمية عن الادارة العربية الاسلامية وعن سير الاعمال

فى الدولة وعن مؤسساتها وتنظيماتها .

ولاشك فى ان دراسة الادارة فى العصر السلجوقى يكشف عن التنظيمات الادارية التى كانت قائمة فى الدولة فى ذلك العصر وعن مدى ترابط الاجهزة الحكومية المختلفة وتعاونها فى تنفيذ مايرى الخليفة اوالسلطان السلجوقى صلاحه من اجراءات من خلال مرافق الدولة المختلفة .

ان الفترة التى حكم فيها السلاجقة العراق هى من الفترات المهمة فى تاريخ الدولة العباسية فلقد استرد الخلفاء العباسيون شيئا من نفوذهم السياسى والادارى ،وهذا ما اغفله كثير من الباحثين الذين تحدثوا عن هذه الفترة مقتصرين على متابعة الجانب السلبى من العلاقات ولذلك فقد شاب تاريخ هذه الفترة نوع من الغموض ،والواقع فان الخلفاء العباسيين قد لعبوا دورا كبيرا فى اختيار وزرائهم ،فى حين كان منصب وزير الخليفة قد اختفى فى العهد البويهى ،كما عمل الخلفاء العباسيون على اعادة تنظيم الدواوين فى العاصمة بعد ان كانت قد بطلت،وقد اكدوا على وحدة الدولة الاسلامية سواء فى عهد البويهيين او السلاجقة . والحقيقة فان لوجودهم فى منصب الخلافة على رأس الدولة مايؤيد هذا الاتجاه . وهذا مافطن اليه البويهيون والسلاجقة انفسهم ويمكن القول بان الدوافع التى عملت على التوجه لدراسة هذه الفترة تتمثل فى الغموض الواقع فى اوضاع الادارة والتداخل الذى يزيد من الارباك ،ويدفع كعامل تحدى الى العمل بجد لمحاولة التعرف على العوامل المؤثرة ومدى ماتحققه سلبا او ايجابا،كما ان قلة المصادر ، وندرة

المعلومات وخصوصا فيما كتب بالعربية كان عامل جذب رغم انه يلعب دورا سلبيا في المشاكل التي تواجه الباحث. والواقع فان عددا كبيرا من الباحثين قد عالجوا مقومات النظام الادارى فى الدولة الاسلامية فى مختلف عصورها المبكرة واصبحت صورة المؤسسات الادارية للدولة الاسلامية تكاد ان تكون واضحة اعتبارا من عصر صدر الاسلام وحتى نهاية العصر العباسى الثانى ،غير ان التطور الحاصل فى الادارة والناجم عن التأثيرات الحضارية الاجنبية والتغلب الاعجمى واستعمال القوة الغاشمة والتسلط وظهور الامراء المتغلبين وظهور المثل والاعراف الادارية الوافده وغلبتها قد استلزمت اعادة النظر فى صورة الادارة الاسلامية ومؤسساتها ومحاولة تشخيص آثار العناصر المؤثرة ،فى محاولة اعطاء صورة اكثر وضوحا بعد التداخل والامتزاج والتعقيد الذى واجهته الدولة فى عصور التغلب . ولعل ذلك كان دافعا اساسيا عمل على التصميم على متابعة هذه الدراسة وعمل على جذب الباحث اليها ،وزاده تصميما واصرارا . ولقد التزم البحث بمحاولة تقديم صورة حقيقية عن طبيعة ادارة الدولة العباسية واساليبها خلال العصر السلجوقى ،وهذا لايعنى ان ندرس الادارة العباسية فى معزل عن الادارة والمثل السلجوقية واعرافها انما نحاول التعرف على واقع الادارة الناجم عن الامتزاج والتداخل والتأثيرات المتبادله فى نظم الادارة والحكم السائده فعلا خلال فترة البحث .

ويتألف البحث فى مجمله من اربعة فصول تسبقها مقدمة وتمهيد

ثم تتبعها خاتمة تلخص اهم نتائج البحث مع مجموعة من الملاحق التوضيحية تتبعها جريدة مفصلة تتضمن المصادر والمراجع التى اعتمد عليها البحث فى بناء هيكله .

تضمنت المقدمة توضيحا مبسطا لنطاق البحث وخطته كما تضمنت دراسة تحليلية نقدية لاهم المصادر التى قام عليها البحث مع توضيح لطبيعة المعلومات المستقاه منها وبيان بالمواضع التى افادت من تلك المعلومات من هيكل الرسالة .

اما التمهيد فقد استهدف التعريف بالسلاجقة ومتابعة نشأتهم وقيام سلطتهم فى المناطق التى عاشوا فيها فى بداية امرهم ،وتطور علاقاتهم بالقوى السياسية المؤثرة والفاعلة فى المنطقة وكيف تسنى لهم البروز بدور فعال فى حكم الاقاليم الشرقية من الدولة الاسلامية والصعوبات التى واجهتهم ومتابعة تطور اوضاعهم حتى اتصالهم بالخلافة العباسية .

وقد افرد الفصل الاول لدراسة اوضاع الدولة العباسية عند دخول السلاجقة العراق . والفصل يتألف من اربعة مباحث خصص اولها لدراسة مدى تسلط الامراء البويهيين على الخلفاء العباسيين خلال المرحلة الاخيرة من العصر البويهى الذى سبق دخول السلاجقة العراق ،واساليب الامراء والملوك البويهيين فى التعامل مع الخليفة العباسى ،من منطلق نظرتهم الخاصة اليه .

اما المبحث الثانى من الفصل الاول فقد اختص بدراسة دور البويهيين

واثرهم فى افلاس خزينة الدولة العباسية ،واسرافهم فى انفاق الاموال الطائلة لاغراضهم الشخصية ،ومشروعاتهم التى ارهقت خزينة الدولة والتى امتدت الى اموال الخلفاء العباسيين الخاصة ،وتسلطهم وفرضهم الضرائب والمكوس ولجوئهم الى المصادرات بشكل تعسفى دون رقيب ولاحسيب .

والمبحث الثالث من الفصل الاول يتحدث عن تدهور الاوضاع فى بغداد قبيل وصول السلاجقة وكثرة الفتن وشيوع حالة الصراع الدامى الداخلى مما اقض مضجع الخليفة العباسى .

وقد تابعت الدراسة الدور الذى لعبه العيارون والشطار فى اثارة الفتن واستمرار حالة الشغب جهارا عيانا الى درجة لم يعد معها امراء بنى بويه المتغلبين قادرين على القضاء عليها او الوقوف فى وجهها ،وحيث انفرط حبل الامن وفقدت السلطة قدرتها على التحكم فى الامور .

اما المبحث الرابع من الفصل الاول فقدجرت فيه متابعة خطوات السلطان السلجوقى طغرلبك عند توجهه الى العراق ،ودخوله بغداد بقواته الكثيفة ،وقضائه على البويهيين كما نوقشت فيه الدوافع التى دفعت السلاجقة الى ذلك ،وابعاد الدور الذى لعبه الخليفة العباسى فى استقدام السلاجقة .

اما الفصل الثانى فقداختص بمتابعة التطورات الادارية التى جرت فى العراق والدولة الاسلامية بعد دخول السلاجقة بغداد،وقد قسم الفصل الى ثلاثة مباحث :

اختص المبحث الاول بدراسة مدى تحرر الخليفة القائم بامر الله من التسلط والسيطرة البويهية ،فناقش تسلط الامراء البويهيين ،وعدم احترامهم لسلطة وحرمة الخلافة رغم تظاهرهم بذلك ،والتعرض لموضوع العلاقة بين البويهيين والقرامطة ومدى تأثير ذلك فى مواقف الخليفة العباسى منهم ،وقد تعرض هذا المبحث لعلاقة السلاجقة المتنامية بالخلافة العباسية . اضافة الى موقفهم الجاد بوجه الفرقة الباطنية والرافضة ،وموقف العامة منهم ودوافع ذلك .

اما المبحث الثانى فقد اختص بدراسة حالة الوزارة العباسية التى استعادت وجودها وسلطاتها فى بداية المرحلة الجديدة مع استعراض مفصل لتتابع الوزراء الذين تسلموا وزارة الخليفة العباسى خلال الفترة موضوع البحث. مع الاشارة الى من عاصرهم من وزراء السلطان السلجوقى ودور كل منهم فى اطار تخصصه .

وقد اختص المبحث الثالث بمتابعة اعادة تنظيم الدواوين فى العاصمة ،بعد ان وضح دور البويهيين فى تقليص عدد الدواوين التى كانت قد جمعت فى ديوان واحد ،وقد استعرض البحث عودة الدواوين المختلفة الى الظهور وتنظيمها بعد دخول السلاجقة بغداد .

ولقد خصص الفصل الثالث لدراسة الادارة السلجوقية عند دخول السلاجقة العراق وهو يتألف من اربعة مباحث ايضا .

اشتمل المبحث الاول على دراسة المناصب الادارية السلجوقية واهميتها،والاسلوب السلجوقى فى تقييم الادارة . ثم دراسة المناصب

الادارية القائمة حيث جرى التفصيل فى دراسة منصب السلطان ، الذى يعد قمة الهرم الادارى فى الادارة السلجوقية ٠ وتبيان اهميته لدى السلاجقة وعن الامراء السلاجقة الذين تقلدوا هذا المنصب خلال الفترة موضوع الدراسة ٠ ثم اتبع ذلك بدراسة منصب الامير الحاجب ،واهميته ،ودوره فى الدولة السلجوقية ،كما تحدث عن المناصب الادارية الرئيسية مثل وظيفة وكيل السلطان ،والوزير ،وامير الاقليم ،والطغراء،والمستوفى ،والمشرف والكاتب ،والعميد،والشحنه ،والساقى ،والطشت دار ،والعارض ،والاسفهسلار والاتابك ،واهمية كل منها ودور من يتولاها فى الادارة ،واستعراض الشخصيات التى عينت فى هذه المناصب خلال فترة الدراسة ٠

اما المبحث الثانى من الفصل الثالث فقد اختص بدراسة الدواوين السلجوقية حيث تعرض بالدراسة لدواوين السلطنة والطغراء،وعرض الجيوش ،والاستيفاء،والاشراف والرسائل والانشاء ،واهمية كل منها وعلاقتها بالسلطان والوزيروعلاقة كل منها ببعضها واثرها فى الادارة العامة للدولة العباسية ٠

وفى المبحث الثالث جرى التعرض لدراسة ادارة الاقاليم التى تتألف منها الدولة فى فترة الدراسة واسلوق السلاجقة فى ذلك والذى يتمثل فى ثلاث انماط ادارية هى الامارات ،والاقطاعيات ،والاتابكيات٠

اما المبحث الرابع والاخير من الفصل الثالث فقد افرد لدراسة الشرطة وادارتها واثرها خلال فترة الدراسة ٠

وفى الفصل الرابع والاخير جرى الحديث عن التداخل فى الاختصاصات

الادارية العباسية ـ السلجوقية . وهو يتألف من اربعة مباحث .

ففى المبحث الاول جرى توضيح مدى التداخل الادارى فى اختصاصات الخليفة العباسى والسلطان السلجوقى ومدى التصادم فى اختصاصاتهما .

وفى المبحث الثانى جرت دراسة علاقة الاقاليم بكل من العاصمة العباسية مقر الخلافة ،وعاصمة الملك ،وقصر السلطنة السلجوقية ،ومدى تأثير هذين المركزين فى ادارة الاقاليم المختلفة .

وفى المبحث الثالث من الفصل الرابع جرت متابعة فتوحات السلاجقة التى بلغت درجة عظيمة من الاتساع وادت الى اتساع كبير فى مساحة الدولة التى امتدت من كاشغر شرقا الى بحر مرمرة والى بيت المقدس جنوبا ومن بحر قزوين شمالا الى بلاد الحجاز جنوبا والتى اشتملت على عدد كبير من الامارات والولايات .

اما المبحث الرابع والاخير من الفصل الرابع فقد افرد لدراسة الفتوحات التى قامت بها القوات السلجوقية سواء كان ذلك تحت قيادة السلاطين العظام مباشرة او تحت قيادة امراء السلاجقة الآخرين مع التركيز على نتائج ذلك واثره فى اعادة التنظيم الادارى .

اما الخاتمة فانها اختصت باستعراض وابراز اهم النتائج التى توصل اليها البحث . وقد اتبع ذلك جملة ملاحق توضيحية ،تلتها جريدة مفصلة بالمصادر والمراجع التى بنى على اساسها البحث مرتبة وفق الترتيب الابجدى لاسماء المؤلفين ،على ماجرت عليه العادة فى مثل هذه الدراسة ،ولقد جرى الالتزام بتحرى واتباع الاسلوب العلمى فى مناقشة

النصوص ،وايراد مختلف وجهات النظر ونقدها فى محاولة الوصول الى الحقائق المستقرة وبناء النتائج على اساس ذلك مع الاخذ بنظر الاعتبار للظروف والاوضاع المختلفة التى كانت تحيط بالدولة الاسلامية خلال فترة البحث .

وانى لاستطيع ان افى بحق كل من اسهم واعان فى ظهور هذا العمل الى حيز الوجود وليس لى الا ان ارفع اكف الضراعة الى الله سبحانه وتعالى ان يجزى كل محسن ويكفى كل من اسدى جميلا او معروفا .

وبعد ،فهذا هو البحث المتواضع الذى اقدمه بتواضع . ولا ادعى فيه الكمال،فالكمال لله سبحانه وتعالى ،فان كان خيرا فالحمد لله اولا واخيرا ،وان وجد فيه شئ من النقص فهو من نفسى ،والحمد لله جلت قدرته على ماهدانا لهذا وهو من وراء القصدوهو نعم المولى ونعم النصير نسأله تعالى ان يجعل اعمالنا خالصة لوجهه الكريم وان يجعل هذا من العلم الذى ينفع برحمته ومنه وكرمه .

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين والتابعين ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين .. والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

دراسة نقدية لاهم المصادر

ولقد بنى البحث فى مجمله على عدد من المصادر المهمة التى قدمت من المعلومات ما اسهم فى بناء هيكله وهى ليست على سوية واحدة من حيث الاهمية ،كما انها اختلفت من حيث اسهامها فى التركيز على جوانب البحث . ويمكن الاشارة ألى المصادر التاريخية التالية كمصادر اساسية مع بيان المجالات التى خدمت بها فى تهيئة المادة الاساسية فى البحث منها :

كتاب "تجارب الامم وتعاقب الهمم " :

لابى على احمد بن محمد بن يعقوب المعروف بمسكويه المتوفى سنة (٤٢١هـ/١٠٣٠م) .

والمؤلف مؤرخ اصله من الرى سكن اصفهان وبها توفى ،اشتغل بالكيمياء والمنطق والفلسفة مدة ثم اتجه الى دراسة التاريخ والادب ،عمل قيما على مكتبة ابن العميد،[١] ثم تولى الكتابة لعضد الدولة بن بويه فاطلق عليه لقب الخازن ،[٢] وعقبها اختص ببهاء الدولة بن بويه وعظم

---

(١) الزركلى - الاعلام ٢١١/١،د. رفاعى - نظام البريد ٣٩/١ .

(٢) الزركلى - م . س ٢١٢/١،د. رفاعى - م . س ٣٩/١ .

شأنه عنده .(١) له مؤلفات متعدده يذكر منها على سبيل المثال كتاب "تهذيب الاخلاق" ،وكتاب "تجارب الامم" ،والكتاب الاخير هو مايعنينا منها .

وهو كتاب فى التاريخ الاسلامى سار فيه المؤلف على طريقة الحوليات من سنة (٣٢٩ - ٣٦٩هـ/٩٤٠ - ٩٧٩م) الا انه ضمنه الكثير من المعلومات التى تناولت الجانب الادارى والمالى ،(٢) كما ان المؤلف اهتم فيه بابراز الاحوال السياسية التى عاشتها الدولة الاسلامية ،وقد ضمنه الوثائق الرسمية والنصوص الجيدة التى عكست اهمية الكتاب ،ويمتاز اسلوب المؤلف بالتحليل .

ان حياة المؤلف خلال ايام الدولة البويهية قد مكنته من ان يقدم معلومات مفصلة هى غاية فى الاهمية فى دراسة هذه الفترة على اعتبار انه شاهد عيان عاصر الاحداث وعايشها ،كما ان اشغاله لبعض الوظائف الديوانية وعلاقته القريبة منكل من الامير البويهى ووزيره قد مكنته من انيطلع على حقائق الامور ووجهة النظر الرسمية البويهية . والملاحظ ان المؤلف لم يقع تحت تأثير هذه العلاقات وهو يؤرخ للاحداث فقد كانت له حاسة المؤرخ المنصف وتمكن من ان يعطى صورة حقيقية ومتوازنة لاوضاع الدولة والادارة والاحوال السياسية والمالية وماوصلت اليه

---

(١) ياقوت - معجم الادباء ١٧٠٧/٥ ، الزركلى - م . س ٢١٢/١،رفاعى م . س ٣٩/١ .

(٢) رفاعى - م . س ٣٩/١ .

الاوضاع من تدهور دون تبرير او دفاع وهذه ولاشك ميزة وثقت من المعلومات التى قدمها المؤلف اضافة الى الاهمية الكبيرة للوثائق والنصوص التى حفظها لنا من تلك الفترة ولاشك ان كتاب التجارب هذا قد قدم للبحث معلومات قيمة غاية فى الاهمية عن العصر البويهى استفاد البحث منها كثيرا فى بناء الفصلين الاولين منه فقد قدم المؤلف معلومات قيمة عن الحالة الاقتصادية فبين اسباب ترديها، كما اعطى صورة عن صراع العباسيين مع البويهيين حول السلطة، مما افاد البحث كثيرا فى جلاء صورة الاوضاع العامة فى الدولة العباسية قبل دخول السلاجقة العراق.

كتاب "ذيل تجارب الامم" :

للوزير العباسى محمد بن الحسين بن محمد بن عبدالله، ابى شجاع الروذراورى الملقب بظهير الدين، الروذراورى الاصل، وزير من العلماء ولد بالاهواز وقيل بقلعة كنكور من اعمال همذان[١]، كان قد قرأ الفقه والعربية وسمع الحديث من جماعة منهم ابو اسحاق الشيرازى[٢]، ولى الوزارة للخليفة العباسى المقتدى سنة ٤٧٦هـ[٣] فعمر العراق فى عهده

---

(١) ابن الجوزى - المنتظم ٩٠/٩، الزركلى - م. س ١٠٠/٦ - ١٠١.

(٢) ابن الجوزى - م. س ٩٠/٩.

(٣) ابن الجوزى - م. س ٩٠/٩، الزركلى - م. س ١٠١/٦.

وحسنت سيرته . كان كثير الخيرات والصدقات وقف الوقوف وبنى المساجد وانعم على الارامل والايتام . وفى زمانه اسقطت المكوس والبس اهل الذمة الغيار ،كان متواضعا فى ايام وزارته فلم يحتجب عن المرآة والطفل والعوام ،وقد حج فى وزارته فى سنة ٤٨٠هـ . فبذل فى طريقه الزاد والادوية وعم اهل الحرمين بصدقاته (١) . وقد عرف عنه ايضا انه كان ذا خط حسن اذ كان يبيع الخطوط الحسنة ويتصدق بثمنها (٢) . وقد استمر وزيرا للخليفة المقتدى الى سنة ٤٨٤هـ حيث عزل وابعد عن العراق (٣) ،وفى سنة ٤٨٧هـ استأذن فى الحج فاذن له فغادر العراق متوجها الى الحجاز فادى فى السنة نفسها شعيرة الحج ثم رحل الى المدينة المنورة وطاب له المقام بها فظل بها ساكنا الى وقت وفاته التى كانت سنة (٤٨٨هـ/١٠٩٥م) ، ودفن بالبقيع (٤) ،كان وافر العقل حسن السيرة ،عالما بالادب ،وله شعر رقيق صنف كتبا (٥) . والذى يهمنا منها "ذيل تجارب الامم لمسكويه " ،وهو كتاب فى التاريخ الاسلامى سار فيه المؤلف على نهج ابن مسكويه فى ذكر الاحداث على حسب الحوليات اذ احتوى على احداث فيما بين سنتى

---

(١) ابن الجوزى – م . س ٩/٩٠ – ٩١ .

(٢) ن . م . س ٩/٩٢ .

(٣) ن .م . س ٩/٩١ .

(٤) ن . م . س ٩/٩٣، الزركلى – م . س ٦/١٠١ .

(٥) ابن الجوزى – م . س ٩/٩٣ – ٩٤، الزركلى – م . س ٦/١٠١ .

(٣٦٩ - ٣٩٣هـ/٩٧٩ - ١٠٠٢م) ،وقد اهتم المؤلف فيه بابراز الجانب الادارى والمالى كما انه عكس بصورة جلية الواقع السياسى للدولة الاسلامية فى تلك الفترة ذلك ان الكتاب يعبر عن الوجهة الرسمية وذلك لمعرفتنا بما قد شغله المؤلف من منصب الوزارة للخليفة العباسى وقد اعطى المؤلف فى كتابه صورة واقعية ومتوازنة لمجريات الاحداث فى الدولة والادارة والاحوال المالية والسياسية ،ولاشكان هذا قد اعطى الكتاب قيمة كبيرة خاصة فى الفترة التى عاصر فيها تلك الاحداث. وقد افاد البحث من مجمل المعلومات التى اوردها المؤلف ،وجرت الاستفادة منه فى الفصل الاول والفصل الثانى .

وقد افاد البحث ايضا من كتاب "تاريخ البيهقى" لابى الفضل محمد ابن حسين البيهقى .

ولد البيهقى سنة ٣٨٥هـ ،فى قرية بيهق جنوب شرقى خراسان ،وقرأ الادب والعربية ،وعاشر اهل العلم والادب وانتهل من مناهلهم ،وعمل حتى اصبح نائب رئيس ديوان الرسائل فى بلاط السلطان محمود الغزنوى ومسعود (١) وظل يعمل فى الديوان حتى اصبح رئيسا له فى عهد السلطان عبد الرشيد واثناء ذلك ثار احد عبيد السلطان محمود على السلطان عبد الرشيد وقتله ،والقى بالعاملين معه فى السجن،وبعث ذلك اربعين يوما الى ان قتل ذلك العبد ،وافرج عمن اعتقلوا ،وكان البيهقى من بينهم

---

(١) مقدمة المؤلف ص/ ١ .

وحين خرج لزم بيته وعكف على القراءة والتأليف الى ان توفى سنة (٤٧٠هـ/١٠٧٧م) ٠

وللبيهقى مصنفات عديدة منها زينة الكتاب ،ومقامات ابى نصر مشكان والذى يهمنا منها كتاب التاريخ ،والذى بدأ فيه من سنة (٤٠٩هـ/١٠٠٨م) الى سنة (٤٥١هـ/١٠٥٩م) [١] ٠

والمؤلف فى كتابه هذا يستمد معلوماته من وثائق كانت فى حوزته او مما رآه وسمعه من الوزير او رئيس الديوان او غيرهما [٢] ٠ وكتاب البيهقى ليس تاريخا لدولة او لبلد معين بقدر ماهو حديث رجل سياسى عن حياة الملوك الذين عمل معهم وعما يجرى فى الشؤون الداخلية والخارجية ،ولذلك فان الكتاب يعكس صورة واقعية عما كان فى الدولة الغزنوية من ادارة واقتصاد واحداث سياسية واجتماعية وغيرها ، وقد انتهج المؤلف فى كتابه ذكر السنوات الا انه ادخل فى ذلك كثيرا من القصص وذلك حسبما كان شائعا فى عصره وذلك لما فى تلك القصص من العبر التى يقصد بها الكاتب توجيه القارىء وهوغالبا السلطان الى نواحى الخير والاستقامة [٣] ٠ وفى هذا لم يكن البيهقى يسرد حوادث التاريخ ولكنه كان يقف حيثما يجب التوقف ليبدى رأيه ،ورأى الوزير ،ورئيس

---

(١) البيهقى ــ تاريخ ص/ ٢٨٧،٤٠١،مقدمة المؤلف ص/ ١١ ــ ١٢ ٠

(٢) مقدمة المؤلف ص/ ١٢ ٠

(٣) ن ٠ م ٠ س ص/ ١٣ ٠

الديوان ولايغفل صدى التصرفات التى تصدر فى موضوع معين عند الـــــرأى العام . هذا ورغم الصلة الوثيقة التى ربطت البيهقى بالسلطان والوزيرين[(١)] ورئيسه ابى نصر فانه لم يستح من الحق وهو يتحدث عن التاريخ ،بعيدا عن الهوى والميول التى قد تؤثر فى الروايات او تحرف الافكار باتجـــاه رأى معين ،وفى هذا تزداد قيمة المعلومات التى يوردها البيهقى ثقـــة[(٢)] وقد افاد البحث من الكتاب فى اتصالات السلاجقة بالغزنويين حتى قيـــام دولتهم ،ومرحلة السلاجقة فى هذه الفترة .

حيث جرت الافادة فى التمهيد عند التحدث عن قيام الدولة السلجوقية .

ومن المصادرالتى افاد منها البحث كتاب سياسة نامه للوزيـــر نظام الملك الطوسى (المتوفى سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م) ولد نظام الملك فى بلـــدة نوقان من اعمال طوس سنة (٤٠٨هـ/١٠١٧م) . وله مؤلف آخر هو كتاب الوصايا والذى يهمنا هو كتاب سياسة نامه الذى وضعه بطلب من السلطـــان السلجوقى ملكشاه مع عدد من اكابر رجال الدولة سنة (٤٨٤هـ/١٠٩١م) . فلما نال نظام الملك اعجاب السلطان بما كتب اخذ يضيف فى الفصول الاولـــى وبعد ان اشتدت وطأة الباطنية زاد فيه احد عشر فصلا كرس معظمها للكـــلام عن خروج الفرق المارقة عن الاسلام وعند رحيل السلطان الى بغداد ســـنة

---

(١) ن . م . ص/ ١٠ .

(٢) ن . م . ص/ ١٣ – ١٤ .

(٤٨٥هـ/١٠٩٢م) دفع نظام الملك بالكتاب فى صورته النهائية الى ناسخ الخزانة السلطانية محمد المغربى لنسخه ، اما عن اسلوب المؤلف الذى اتبعه فى وضع هذا الكتاب فقد تناول النواحى الادارية التى يلاحظ عليها خللا او نقصا ثم يبين علاجها ثم يسوق مما يحفظه او يراه او يسمعه مايؤيد به ماذهب اليه فى طريقة العلاج ،ومن خلال ذلك نجد ان المادة العلمية التى حواها الكتاب تعكس صورة طيبة لما كان فى القرن الخامس الهجرى من ثقافات ومشكلات اجتماعية ودينية وملابسات اقتصادية ،وقد سلك المؤلف فى الكتاب عبارات واضحة قريبة المأخذ تنفر من المعنى الغريب والعسر حتى يتم للقارىء فهم الصواب (١) . ويمثل هذا الكتاب الجانب الرسمى للفترة التى تحدث عنها ،خاصة ان نظام الملك لم يكن بالمؤرخ والكاتب فحسب بل هو الرجل الثانى فى الدولة فهو على علم بكل مجريات الاحداث فى الدولة السلجوقية ، اذ اليه كان تصريف احوال البلاد واحداثها السرية ،وفى هذا معلومات لاتتوفر لمؤرخ آخر . ويعد هذا الكتاب من اهم المصادر التى اعتمد عليها البحث فقد افاد البحث منه فى الفصل الثانى والفصل الثالث ،والفصل الرابع ،وجرت الافادة من مجمل الكتاب .

---

(١) نظام الملك ـ سياسة نامه ص/ ١٨ .

كتاب "المنتظم فى تاريخ الملوك والامم " :

لابى الفرج عبدالرحمن بن على بن الجوزى (المتوفى عام ٥٩٧هـ/١٢٠٠م) عالم عصره فى السير والتاريخ والحديث ،حيث الف مايقرب من ثلثمائة مؤلف ،فى شتى الموضوعات ،والتى يهمنا منها كتابه "المنتظم" اذ يعد من المصادر المهمة التى افادت البحث بمعلومات قيمة ،والكتاب فى موضوعه تاريخ اسلامى بناه المؤلف على اساس الحوليات بذكر احداث كل سنة وماكان بها ،ثم يتلو ذلك بذكر من توفى من العلماء والاعيان فى تلك السنة ،منذ سنة ٢٥٧هـ وحتى سنة ٥٣٤هـ ،وهو ماوصلنا ،اذ ان الاجزاء الاولى والتى تحدث فيها المؤلف منذ بداية الاسلام وحتى سنة ٢٥٦هـ جزء منها مخطوط والآخر مفقود حتى الآن.(١) وقد كان للمعلومات التى قدمها المؤلف فى هذا المؤلف اهمية خاصة فى بناء هيكل البحث فى الفصل الاول والثانى وجرت الافادة من مجمل الكتاب حيث قدم معلومات مهمة عن تفصيلات الاوضاع السياسية والاجتماعية والادارية والاقتصادية فى العراق فى الفترة موضوع الدراسة ،مما مكن لتوفر معلومات طيبة لدراسة هذه الجوانب.(٢)

---

(١) قامت دار المعارف العثمانية بطبع الجزء السادس الى العاشر وذلك فى حيدر اباد الدكن سنة ١٣٥٩ هـ.

(٢) مريزن ـ عسيرى ـ الحياة العلمية فى العصر السلجوقى ص/ ٢٦.

وقد افاد البحث بجانب كتاب المنتظم من كتاب "تلبيس ابليس" وذلك خلال الحديث عن العيارين والشطار .

وقد افاد البحث كذلك من كتاب " خريده القصر وجريده العصر" لابى عبدالله محمد بن محمد بن صفى الدين بن نفيس الدين حامد بن اله عماد الدين الكاتب الاصفهانى (المتوفى سنة ٥٩٧هـ/١٢٠٠م) . ولد فى اصبهان ،وانتقل الى بغداد حيث اصبح واحدا من طلاب المدرسة النظامية فى بغداد ،ثم ترقى فى المناصب الادارية حيث ولى عدة مناصب منها نظر البصرة ثم واسط،وقد حظى عند الاسرة الزنكية ،وكذلك عند صلاح الدين وفى سنة ٥٦٢هـ انتقل الى الشام وتولى ديوان الانشاء ايام نور الدين زنكى،واصبح فى عهد صلاح الدين من للمعدودين كالوزراء العظام ،ثم لزم بعد ذلك مدرسة ودرس فيها ،وله عدة مصنفات .

والذى يعنينا منها كتاب الخريده ،اذ ارخ فيه لعدد كبير من شعراء القرنين الخامس والسادس الهجرى فى ديار الاسلام من بلاد المشرق وحتى اقاصى بلاد الاندلس ،اذ فصل فى تراجمهم واخبارهم (١) كما انه اورد نبذا من اشعارهم ولم يغفل الا القليل منهم . وقد افاد البحث من الكتاب فى معرفة معلومات عن اشهر الوزراء العباسيين فى هذه الفترة .

وجرت الافادة منه فى الفصل الثانى فى الحديث عن اعادة الوزارة العباسية .

---

(١) عسيرى ـ م . س ص/ ٢٥ .

ومن المصادر التى افاد البحث منها كتاب "راحة الصدور وآية السرور فى تاريخ الدولة السلجوقية " لمحمد بن على بن سليمان بن محمد بن احمد الراوندى (المتوفى سنة ٦٠٣هـ/١٢٠٦م) ،والراوندى ينتسب الى مدينة راوند من اعمال مدينة قاشان ،وقد نشأ فى بيت علم ،اذ تلقى فى صغره العلم على يد خاله تاج الدين احمد بن محمد بن على الراوندى وارتحل معه الى العراق حيث درس الشريعة والفقه ودرس الخط وتعلم التجليد وتذهيب الكتب ،وحظى عند السلاطين السلاجقة حتى اصبح واحدا من ابرز مؤرخيهم بوضع هذا المؤلف الذى يعد مصدرا مهما فى التاريخ السلجوقى ،وتعد المعلومات التى اوردها المؤلف فى مايخص فترات السلطانين الب ارسلان ،والسلطان طغرلبك على قدر كبير من الاهمية اذ ان كاتبها شاهد عيان ومعاصر لها ،والمؤلف فى الاعم يقدم معلومات اصيلة ترد لاول مرة وقد افادت فى التمهيد ،كما جرت الافادة منها ايضا فى غيره .

وقد افاد البحث ايضا من كتاب " اخبار الدولة السلجوقية "[1] لمؤلفه صدر الدين بن على الحسينى (المتوفى بعد سنة ٦٢٢هـ/١٢٢٥م)[2] وقد ترحل الحسينى فى مدن كثيرة منها بغداد ،وخراسان ،وخوارزم ،ومن مؤلفاته

---

(١) طبع الكتاب بتحقيق د.محمد نور الدين (دار الآفاق الجديدة بيروت) .

(٢) الحسينى ـ زبدة التواريخ ص/ ١٠ .

"تاريخ خوارزمشاهى "[1] .

والذى يهمنا منها هو كتاب "اخبار الدولة السلجوقية" ،والكتاب فى مجمله يقدم معلومات جديدة وقيمة ،وخاصة تلك المعلومات التى ذكرها عن تأسيس الدولة السلجوقية (٤٢٦ ـ ٤٣٠هـ) ،وعن العلاقات بين السلاجقة والعالم المسيحى بتفصيل كبير لانجدها فى مصدر آخر ،وقد افاد البحث من هذا الكتاب فى الفصل الرابع وذلك عند الحديث عن الفتوحات السلجوقية .

وقد افاد البحث ايضا من كتاب "الكامل فى التاريخ" لابى الحسن على بن محمد بن ابى الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيبانى الملقب بعز الدين ابن الاثير الجزرى (المتوفى سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٢م) ،وهو كتاب فى التاريخ العام تطرق فيه الى ذكر الاحداث التى كانت فى العالم وسار فى ذكر التاريخ الاسلامى وفق الحوليات ،واعتمد فى ذلك على مصادر موثقه كالطبرى ،وهو يحتوى على معلومات ذات قيمة كبيرة لدارسى التاريخ والحضارة الاسلامية ،اختصر المعلومات التى اوردها الطبرى فى تاريخه ثم اضاف اليها من حيث توقف الطبرى ،وهو يورد جملة من المعلومات الادارية والاجتماعية والاقتصادية وفى الاغلب سياسية ،وقد افاد البحث منه فى تغطية جميع فصول البحث . ويعد من اهم المصادر التى اعتمدت عليها .

---

(١) حاجى خليفة ـ كشف الظنون ٢٩٤/١ .

وقد افاد البحث ايضا من كتابه "التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية بالموصل" . وقد اعتمد المؤلف في هذا الكتاب على مانقله عن والده كما انه اعتمد على بعض المصادر الاخرى ،فهو يؤرخ فيه لاسرة من الاسرات الحاكمة في الاسلام وهي اسرة عمادالدين زنكي ،وهو ما اسماه بالدولة الاتابكية بين فيه علاقة اسرته بالموصل ،وذكر سبب تأليف هذا الكتاب ثم اخذ يسرد اخبار الدولة مستهلا باخبار قسيم الدولة اقسنقر منتهيا بوفاة نور الدين سنة ٦٠٧هـ .

وقد استفاد البحث من هذا الكتاب في الفصلين الثاني والثالث وذلك عند الحديث عن صلة قسيم الدولة اقسنقر بالسلطان السلجوقي ملكشاه ،وكذلك عن وفاة ملكشاه ،والمشاكل التي واجهت الاسرة السلجوقية وعن مقتل الوزير السلجوقي نظام الملك سنة ٤٨٥هـ .

وقد افاد البحث من كتاب "تاريخ دولة ال سلجوق" للشيخ الفتح بن على بن محمد البنداري (المتوفى سنة ٦٤٣هـ/١٢٤٥م) . والبنداري اديب على علم باللغتين العربية والفارسية ،قام بترجمة الشاهنامه . له عدة مؤلفات . والتي يعنينا منها كتابه "تاريخ دولة ال سلجوق" والذي اختصر فيه المعلومات التي اوردها العمادالاصفهاني في كتابه نصرة الفترة ،واضاف اليها معلومات عن تاريخ السلاجقة منذ بداية امرهم سنة (٥٧١هـ/١١٧٥م) ،واورد فيه اخبار سلاطينهم ووزرائهم . وقد تابع فيه الكلام عن الحوادث التي جرت في عصورهم دون ان يرتبط بمنهج الكتابة

التاريخية على طريقة ذكر السنوات،والكتاب فى مجمله يعد من المصادر المهمة فى تاريخ الفترة ذلك انه وثق المعلومات التى اوردها الاصفهانى كما ان تلك الاضافات شملت التطورات السياسية والاقتصادية والادارية والعلمية ،فى العراق خلال الفترة موضوع الدراسة (١) .

ومن المصادر التى افاد منها البحث ايضا "كتاب مرآة الزمان فى تاريخ الاعيان" لابى المظفر شمس الدين يوسف بن فزاوغلى بن عبدالله المعروف بسبط ابن الجوزى (المتوفى سنة ٦٥٤هـ/١٢٥٦م) وقد نشأ سبط ابن الجوزى فى كنف جده الذى اهتم بتربيته وتعليمه العلوم النافعة وقد استوطن سبط ابن الجوزى مدينة دمشق ويعد سبط ابن الجوزى احد الكتاب الذين اتخذوا اسلوب الوعظ فى كتاباتهم وهو فى الوقت نفسه من المؤرخين الكبار فى اطار الدراسات التاريخية ،وذلك بسبب وضعه لمؤلفه المذكور ،وقد نهج المؤلف ذكر الاحداث على طريقة الحوليات ،وتكمن اهمية كتاب مرآة الزمان بجانب المعلومات القيمة التى حواها فى انه اعتمد على مصادر تعد الىاليوم من بين المفقودات وان تلك المصادر قد عاصرت الفترة التى تحدث عنها فى الجزء الثامن من مؤلفه والذى جرت الافادة منه حيث شمل ذكر الحوادث فيما بين سنتى (٤٤٨ - ٤٧٩هـ/ ١٠٥٦ - ١٠٨٦م) ،وقد ضم الكتاب الحوادث التى تحدثت عن العراق فى العصر

---

(١) عسيرى - م ٠ س ص/ ٣١ - ٣٢ .

السلجوقى اذ قدم فيه معلومات قيمة عكست صورة واقعية ومتوازنة عن الفترة سواء من الناحية السياسية او الاقتصادية او العسكرية، والكتاب فى مجمله ضمن فترة البحث، وقد افاد البحث منه فى جميع الفصول .

ومن المصادر التى افاد منها البحث كتاب " بغية الطلب فى تاريخ حلب " للشيخ كمال الدين ابى القاسم عمر بن العديم (المتوفى سنة ٦٦٠هـ/١٢٦٢م)، والكتاب من كتب التراجم التى تحدثت عن الفترة السلجوقية وقد ترجم المؤلف فيه لكثير من العلماء ابان فيها اهم الاعمال التى قد شغلها، كذلك تقلبه فى الاعمال .

وقد افاد البحث منه فى الحديث عن السلطان الب ارسلان والوزير نظام الملك والوزير ابى الغنائم تاج الملك .

ومن المصادر التى افاد منها البحث ايضا كتاب "الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الاسلامية " لمحمد بن على بن طباطبا العلوى المعروف بابن الطقطقى (المتوفى سنة ٧٠٩هـ/١٣٠٩م) وفيه يعالج الامور السلطانية والسياسيات الملكية ثم يقفى بالحديث عن الدولة الاسلامية مبتدئا فى ذلك بالخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم اجمعين فالامويين، فالعباسيين، ويتوقف فى معلوماته عند خلافة المستعصم بالله العباسى سنة ٦٤٠هـ، وقد نهج فى ذكره للاحداث وفق تسلسل الخلفاء الزمانى اذ اقتدى باليعقوبى فى كتابه "التاريخ" . وقد افاد البحث

من هذا الكتاب فى الفصل الثانى عند الحديث عن الخلفاء والوزراء العباسيين الذين عاصروا الدولة السلجوقية ،ودورهم فى الناحية الادارية والسياسية والمالية ،كما استفاد البحث منه فى معرفة رواتب الوزراء ٠

ومن المصادرالتى افاد البحث منها ايضا كتاب " جامع التواريخ" لمؤلفه رشيد الدين فضل الله الهمدانى (المتوفى سنة ٧١٨هـ/١٣١٨م) عرف عنه منذ طفولته تمسك شديد بالدين ،وقد عكف على التفكير فى قواعد الدين الاسلامى وتطبيق شرائعه فى حياته العملية ،وكان شديد التطلع الى كشف غوامض القرآن الكريم وقد لحق بقصر السلاطين المغول منذ شبابه ،وشغل بدقائق الادارة ،هذا فضلا عن الرحلات ،وقد حذق ايضا فى علوم شتى منها علم الطب والعلوم التى لها صلة مباشرة بعلم الطب واضاف اليها ،كان على المام بامور الزراعة والهندسة والميتافيزيقا واللاهوت ،كما انه كان على معرفة بكثير من اللغات مثل الفارسية والعربية ،والتركية ،والعبرية ،والمغولية ٠ وقد عمل لثلاث امراء متتابعين وقد صنف كتابا آخر اسماه " كتاب تاريخ المغول " ،والذى يهمنا هو كتاب "جامع التواريخ" ٠

وقد اعتمد البحث فيه على المجلد الثانى من الجزء الخامس ،والكتاب كتب بالفارسية (١) ،وقد عملت على تعريب المواضيع التى تخص البحث اذ افاد

---

(١) منشورات الجمعية التاريخية التركية ٠ انقرة ١٩٦٠م ٠

البحث منه فى التمهيد وكذلك عند الحديث عن السلاطين العظام الثلاثة الذين هم مجال بحثنا .

ومن المصادر التى افاد البحث منها ايضا كتاب "مسامرة الاخبار ومسايرة الاخيار " للشيخ محمود بن محمد الشهير بالكريم الاقسرائى وقد الفه فى سنة (٧٢٣هـ/١٣٢٣م) ، والكتاب باللغة الفارسية ، وقد عملت على ترجمة الموضوعات ذات العلاقة بالبحث (١) ، اذ ان المؤلف تكلم فى الكتاب عن الطبقات السلجوقية من ابتداء امرهم الى زمان السلطان غياث خسرو بن السلطان علاء الدين كيقباذ ، وقد افاد البحث منه عند الحديث عن ظهور الدولة السلجوقية فى التمهيد ، كما افاد منه عند الحديث عن السلاطين العظام الاوائل طغرلبك ، والب ارسلان ، وملكشاه الذين هم مجال بحثنا .

ومن الجدير بالذكر ان هذه المصادر لم تكن وحدها التى شكلت المادة العلمية للبحث ولكنها اهم تلك المصادر التى بنى عليها البحث واسهمت كثيرا فى اخراجه الى النور ، ومما لاشك ان البحث قد استقى معلومات اخرى من مؤلفات كثيرة سواء كانت مخطوطة او مطبوعة او مراجع

---

(١) كتب مقدمة الكتاب ووضع حواشيه د. عثمان توران ، نشر الجمعية التاريخية التركية .

حديثة كتبت باللغة العربية او غيرها من اللغات الاخرى بالاضافة الى عدد من الدوريات .

وقد جرى حصر المصادر والمراجع جميعا فى جريدة المصادر والمراجع .

والله الموفق ومنه نستمد العون والسداد والرشد .

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين ...

الباحث

التمهيد

قيام دولة السلاجقة عام ٤٢٩هـ/١٠٣٧م

اقاليم نهري سيحون وجيحون

التمهيـــــــــد

قيام دولة السلاجقـــة عام (٤٢٩هـ / ١٠٣٧م)

بلاد تركستان اسم جامع لجميع بلاد الترك ،وكان من بين الاتراك الذين ظهروا فيها المجموعة المعروفة بالترك الغز ، الذين ينحدرمنهـــــم السلاجقة الذين سموا بذلك نسبة الى جدهم سلجوق بن دقاق بن لقمان .

ان قلة المراعى ،وتزايد عدد السكان بشكل كبير دفع الى تفكيرهـــم بالانتقال الى مواضع اكثر رحابة وغذاء،اضافة الىان التنافس فـــى المصالح قد لعب دورو فى ذلك . ويكفى ان نشير الى ان عدد قبائل الغـــز هذه قد كان يربو على اثنتين وعشرين قبيلة ،وقد اتجهت هذه القبائـــل صوب بلاد ماوراء النهر حيث قرر بعضهم ان يبدأوا رحلة الكفاح وفـــى سبيل تأسيس كيان خاص بهم تطور الى دولة كبيرة مترامية الاطراف .

ينتسب الاتراك السلاجقة الى قبائل "الغز" التى كانت تسكن تركستـــان فقد سكن الغز فى الصحارى المجاورة لبحيرة ارال فى منطقـــة بحيـــرة خوارزم اى فى الممتدة من خوارزم (١) . الى ناحية اسبيجاب (٢) ،والسواحـــل

---

(١) خوارزم : من بلاد خراسان ،وخوارزم اسم للكورة ،وتسمى مدينتهـــا الكبرى قيلا ،فقيل مدينة خوارزم . الحميرى ــ الروض المعطار ص/ ٢٢٤ .

(٢) الاصطخرى ــ المسالك والممالك ص/ ١٦٣ .

الشرقية لبحر الخزر (قزوين) فى سياكويه (١) ٠

ينحدر السلاجقة الاتراكمن قبيلة "قنق" التركية وكان هناك مايقارب اثنتين وعشرين قبيلة اخرى من القبائل التركمانية المعروفة ب "الغز" (٢) فالسلاجقة من صلب "قنيق" ومن نسل "طوقشورميس" ابن "كركجوفوجه" وكانوا من طائفة ملوك الترك (٣) ٠

وكان جد السلاجقة الاكبر الذى يسمى دقاق (يقاق) (٤) رجلا شهما من مقدمى الاتراك ،وكان صاحب رأى وتدبير فقد كان ملك الترك "بيغو" (٥) يستنير برأيه وتدبيره ،وكان دقاق غيورا على الاسلام ،على الرغم من اننا لم نعرف شيئا عن ظروف اسلامه ،فقد حث ان ملك الترك عبأ الجيوش

---

(١) سياه كويه : جزيرة كبيرة بها عيون واشجار ،وقيل جبل طويل بين الري واصبهان (ياقوت – معجم البلدان ٢٩٢/٣) ٠ ابن حوقل صورة الارض ص/٣٢٩،فامبرى – تاريخ بخاري ص/ ١٢٧ ٠

(٢) الحسينى اخبار الدولة السلجوقية ص/ ٢ – ٣، العينى – السيف المهند ص/ ٢٠ – ٢٢ ٠ بارتولد – تاريخ الترك فى آسيا الصغرى ص/ ١٠٦ (فى حين يذكرها رشيد الدين "قينق") ،جامع التواريخ م٢ ٥/٥ ٠

(٣) رشيد الدين – م ٠ س م٢ ٥/٥ ٠

(٤) دقاق : يعنى القوس الجديد (ابن الاثير – الكامل ٢٢/٨، الحسينى م ٠ س ص/ ١) ٠ يغالى بعض المؤرخين فى نسبهم الى درجة انهم ينسبونهم الى ابراهيم الخليل عليه السلام ،وهو دقاق بن لقمان بن ايوب بن داود (القرمانى – اخبار الدول وآثار الاول ص/ ٢٧٠) ٠

(٥) الحسينى – م ٠ س ص/ ١ ،ابو الفداء – تاريخ ابى الفداء ١٦٣/٢ ٠

واراد المسير الى بلاد الاسلام فنهاه دقاق عن ذلك العمل ،فاشتد الجدل بينهما حتى ان دقاق تطاول على الملك فشجرأسه ،فاحاط به خدم الملك ولكنه مانعهم وقاتلهم ،واخيرا تصالحا،واقام دقاق عنده حتى قضى دقاق نحبه (١) . وكان لدقاق ابن وهو الامير سلجوق ،فقد فوض اليه ملك الترك امارة الجيش ومنحه لقب " سوباشي" ومعناه قائد الجيش (٢) . وقد ظهرت عليه امارات النجابة ،وكانت زوجة الملك بيغو ملك الترك تخوف زوجها وتحذره من سلجوق لما لمسته من تقدمه وطاعة الناس له ،وازدياد اتباعه واوغرت صدر الملك بقتل سلجوق ،فلما علم سلجوق الخبر منها وكانت لاتستتر عنه (٣) . وتغير بيغو عليه خاف سلجوق منه فسار بجماعته من اخيله وجنده ، وكل من يطيعه تلقاء ديار الاسلام ،وسعد بمجاورة المسلمين وسعد بالايمان ،واعتنق وجماعته الدين الاسلامي (٤) ،وتمذهب بالحنفية (٥) واقام بنواحي جند (٦) . وطرد منها عمال كفار الترك الذين كانوا يأخذون

---

(١) الحسيني – اخبار الدولة السلجوقية ص/ ٢٠١،ابن الاثير – الكامل ٢٢/٨ .

(٢) ن . م . س ص/ ٢،ابن الاثير – م . س ٢٢/٨ .

(٣) م . س ص/ ٢،ابن الاثير – م . س ٢٢/٨ .

(٤) الحسيني – م . س ص/ ٢، ابن الاثير – م . س ٢٢/٨ .

(٥) بارتولد – تاريخ الترك فى آسيا الصغرى ص/ ١٠٨،بروكلمان – تاريخ الشعوب الاسلامية ص/ ٢٧٢ .

(٦) جند : مدينة عظيمة فى بلاد تركستان (ياقوت – معجم البلدان ١٦٨/٢) .

الخراج من المسلمين ، وقد قام سلجوق بالاتصال بملوك السامانيين (١) كما كون علاقات طيبة مع الامارات الاخرى ،ويمكن من ملاحظة النصوص ان طبيعة نشاط سلجوق حتى وصوله جند تختلف عنها فى جند ،فهى تعد مرحلة انتقالية او دور انتقال من زعامة قبلية غير ملتزمة الى آفاق اسلامية رحبة حيث باشر سلجوق فى غزو الكفار الترك ،كما استعان به بعض ملوك السامانيين فى محاربة هرون بن ايلك الخان ، الذى استولى على اطراف بلادهم ،وقد ارسل سلجوق ابنه ارسلان، الذى تمكن من استعادة ما اخذ هرون (٢) . وهكذا فان الاضواء بدأت تتسلط على السلاجقة ،وقد اخذ امراء السامانيين ينظرون اليهم نظرة ايجابية حذرة . فى الوقت الذى ازدادت فيه قوة سلجوق بين الاتراك المسلمين الذين انضموا اليه بعد ان بلغتهم شهرته وخاصة الاتراك الغز . وقد ازدادت ثروات سلجوق واتباعه نتيجة للغنائم التى غنموها من الحروب التى خاضوها ضد الاتراك غير المسلمين (٣) . مما هيأ لهم ظروفا حياتية طيبة وقد ازدهرت نتيجة ذلك اوضاع السلاجقة وتكاثروا ويتضح من ذلك ان هناك اسبابا متعددة ادت الى تزايد قوة سلجوق بعضها خارجى والآخر داخلى . وليست لدينا معلومات كافية عن طبيعة تنظيم السلاجقة فى هذه المرحلة المبكرة ،ويبدو ان الفرع الذى كان يتزعمه

---

(١) ابن الاثير – م . س ٢٢/٨ .

(٢) ن . م . س ٢٢/٨ .

(٣) رشيد الدين – جامع التواريخ م٢ جه ص/ ٥ .

سلجوق قد استمر فى الالتزام بالاعراف التركية البدوية القديمة . ولعل ذلك ماعزز وحدة القبيلة وادى الى تماسكها وانسجامها وصلابتها .

وكان لسلجوق خمسة ابناء هم : اسرائيل،وميكائيل ،وموسى ،ويونس ويوسف .[١] وكان كل واحد منهم جديرا بالامارة والزعامة . وقد انتقل سلجوق الى جوار ربه بعد فترة طويلة من الرئاسة ،وكان عمره مائة عام[٢] وقد دفن فى جند ،وقيل انه تزوج من ابنة على تكين .[٣]

تولى ابنه الاكبر ميكائيل الزعامة من بعده . وقد رفع مع اتباعه راية الجهاد الاسلامى ضد الكفارمن الغز القاطنين فى المنطقة ،واستمر فى ذلك حتى استشهد فى سبيل الله ،تاركا ثلاثة ابناء وهم : بيغو وطغرلبك محمد ،وجغرى بك داود .[٤] وقد رحل هؤلاء الابناء الثلاثة بعد استشهاد والدهم ،ومعهم قبيلتهم من منطقة "جند" قاصدين حدود "بخارى"[٥]

---

(١) رشيد الدين – جامع التواريخ م٢ ٥/٥ – ٦ . فى حين يذكر الكريم الاقسرائى (احمد بدلا من يوسف) مسامرة الاخبار ص/١٠ .

(٢) الحسينى – اخبار الدولة السلجوقية ص/ ٢ ،وعلى رأى ابن الاثير (١٠٧ اعام) ٢٢/٨ .

(٣) ابن تغرى بردى – النجوم الزاهرة ٢٩/٥ .

(٤) ابن الاثير – الكامل ٢٢/٨ .

(٥) بخارى : من اعظم مدن ماوراء النهر واجلها (ياقوت – معجم البلدان ٣٥٣/١) .

وحطوا رحالهم على بعد عشرين فرسخا من العاصمة السامانية وقد خاف اميرها من هذا التحرك واساء جوارهم ،كما ان سكان المدينة لم يكونوا (١) راغبين فى اقامة السلاجقة بجوارهم ،وعملوا على ابعادهم . (٢) وقد شعر السلاجقة بما يدبر لهم من قبل امير بخارى وسكانها ، فالتجأوا الى خانية "بغراخان" فى التركستان واستقروا فى بلاده ،ولكن الخان كان يشك فى ولاء السلاجقة ويخشى امراءهم وحاول ان يجمع بين الاخوين طغرلبك وجغرى فى مجلس واحد ليقبض عليهما دون جدوى ،ويظهر انهما كانا يبادلانه المشاعر نفسها ويخشيان مكره ،لذلك فلم يكونا يجتمعان عنده فى مجلس واحد ،انما يحضر عنده احدهما ،ويقيم الاخر فى اهله . (٣) وقد قبض بغراخان فى النهاية على الامير طغرلبك واسره ،ولكن اخاه جغرى تمكن من اخراجه من السجن بالقوة ،ثم اجمع امراء السلاجقة على ضرورة التحول مرة اخرى الى نواحى بخارى فاختاروا موضع "نور" من اعمال بخارى مقرا لهم (٤) ،وهو عين المكان الذى انتصر فيه "ايلك خان" ملك التركستان وسمرقند على السامانيين (٥) واستولى بعد ذلك على عاصمتهم بخارى فى سنة (٣٨٩هـ/٩٩٩م) ،فى

---

(١) ابن الاثير – م . س ٢٢/٨ .

(٢) عباس اقبال – الوزارة فى عهد سلاطين السلاجقة العظام ص/ ١١ .

(٣) ابن الاثير – م . س ٢٢/٨ .

(٤) ابن الاثير – الكامل ٢٢/٨ ،عباس اقبال – الوزارة ص/ ١١ .

(٥) عباس اقبال – م . س ص/ ١١ .

هذه الفترة عظم امر ارسلان (اسرائيل) بن سلجوق ،واصبح هو رئيس العائلة السلجوقية ،بعد وفاة اخيه ميكائيل ،فى بلاد ماوراء النهر (١) ،وفى هذه الآونة تصالح "ايلك خان" ملك التركستان وسمرقند مع السلطان الغزنوى محمود بن سبكتكين ،واجتمعا على شاطئ نهر جيحون ،وعقدا العهود والمواثيق على الصلح والتحالف واتفقا على تعيين الحدود بين دولتيهما (٢) .

وقد ارسل الملك ايلك خان رسولا الى السلطان محمود بحكم المصاهرة والمظاهرة ليبلغه انه قدم الى مملكته قوم من التركستان هم غاية فى القوة والجسارة دون سائر التركمان ،ومع ذلك فان سلوكهم لاغبار عليه وعقيدتهم حسنة ،والواقع فان السلاجقة حتى ذلك الوقت لم يظهر منهم اى تصرف غير سليم قد يشير الى العصيان وانهم قد استقروا فى "نور بخارى" ،ونواحى سغد سمرقند،واظهر ضرورة معالجة الموضوع ذلك انه قد تحدث فتنة واضطرابات فى وقت من الاوقات ،وقد تتغير الظروف وخاصة اذا عزم السلطان على التوجه الى بلاد الهند خشية ان يأتى منهم غدر وفساد ،حيث يكون تلافى ذلك صعبا وتداركه شاقا (٣) . واخبره بعد ذلك

---

(١) ابن الاثير – م . س ٢٢/٨ .

(٢) الراوندى – راحة الصدور وآية السرور فى تاريخ الدولة السلجوقية ص/ ١٤٧،رشيد الدين – جامع التواريخ م٢،٦/٥ .

(٣) رشيد الدين – م . س م٢ ،٨،٧،٦/٥ ،الكريم الاقسرابى – مسامرة الاخبار ص/ ١١ .

بانه يوافق على ان يتعامل معهم بما يراه السلطان (محمود)۰ وقد استقر رأى السلطان (محمود) عند ذلك على ان يتوجه مع الملك ايلك خان الى اطراف بخارى وان يرسل الى الامراء السلاجقة رسولا ينقل لهم على لسان سيده رسالة تتضمن "باننا نغزو دائما بلاد الهند ،ويرد الينا متطوعون من كافة انحاء العالم الاسلامى للقتال رغبة فى الجهاد فى سبيل الله والغزو لنشر راية الاسلام ،وطلب منهم مشاركتهم هذا الجهاد" (١) ۰ فلما وصل الرسول اليهم نهض منهم عشرة آلاف رجل على رأسهم اسرائيل للاشتراك فى الجهاد ،ولما علم السلطان محمود بذلك ،بادر واعلمهم بانه ليس فى حاجة الى كل هذا العدد من المتطوعين فى تلك المرحلة ،وانه يكتفى بحضور من ينوب عنهم فقط للتباحث والاتفاق على العمل المشترك ، وقد اختار الامير اسرائيل ثلاثمائة شاب توجه وهو على رأسهم ،الى السلطان محمود الذى اكرمهم فى البداية ،ثم تمكن من التحايل والقبض على الامير اسرائيل حيث اودعه السجن (٢) ۰ وقد حاول السلطان ان يهدئ من

---

(١) ن ۰ م ۰ س م٢ ،٨٠٧/٥ ، الكريم الاقسرابى – م ۰ س ص/ ١١ ۰

(٢) الراوندى – راحة الصدور ص/ ١٤٧ ،رشيد الدين – جامع التواريخ م٢ ،٨٠٧/٥ ، الكريم الاقسرابى – مسامرة الاخبار ص/ ١٢،١١ ،قصة القبض على اسرائيل فى الراوندى – راحة الصدور ص/ ١٤٨،١٤٧ ،رشيد الدين – جامع التواريخ م٢ ،٨٠٧/٥ ، الكريم الاقسرابى – م ۰ س ص/١١، ١٣،١٢ ۰

روع السلاجقة ،فارسل اليهم رسولا بين لهم بان تصرفات الامير اسرائيل غير اللائقة فى حضرة الملوك هى التى استوجبت تأديبه وسجنه ،وعلى الرغم من ادراك السلاجقة لما يراد بهم ،وعدم اقتناعهم بالتبريرات التى قدمت لهم بشأن سجن اميرهم،فانهم اظهروا الولاء للغزنويين حيث اكتفى السلطان محمود الغزنوى منهم بالاعتراف بسلطانه عليهم ووضع عليهم الخراج (١) .

لقد تأكد للسلاجقة غدر السلطان محمود باميرهم وعدم اطمئنانه اليهم فاخذوا يتحينون الفرص للثأر ،وقد ارسلوا رسولا الى السلطان محمود الغزنوى شارحين له انهم قوم اصحاب اعوان واتباع ،ودواب ومواشى كثيرة وانهم قوم كثيرو العدد وان المراعى والمضارب التى هم عليها حاليا لاتكفيهم ولاتفى بحاجة المواشى . كما ان الزاد لايشبعهم وان املهم فى السلطان محمود كبير فى اصدار الموافقة على عبورهم الى خراسان على ان يقيموا بين نسا وورد (٢) .

والراجح ان الحيلة قد انطلت على السلطان محمود الذى بادر الى الموافقة على عبورهم نهر جيحون الى خراسان ولعله طمع فى ان يظهر

---

(١) ابن الاثير – الكامل ٢٢/٨ .

(٢) نسا : مدينة بخراسان بين سرخس ومرو (ياقوت – معجم البلدان ٢٨٢/٥) رشيد الدين – جامع التواريخ م٢ ، ١١/٥، الكرديزى – زين الاخبار ص/ ٩٥، ٩٦ .

سيطرته المطلقة عليهم اضافة الى مايوفره لخزانة الدولة من الاموال حيث انهم سيصبحون من رعاياه فيكون من واجبهم دفع الضرائب المفروضة اضافة الى دفع الزكاة ،ولعل من الاسباب التى دفعته للموافقة على طلبهم يكمن فى حبه المفرط لمعرفة هؤلاء القوم عنكثب.(١)

ومهما يكن السبب الحقيقى فى قبول السلطان محمود بانتقال السلاجقة الى داخل حدوده ،فان عمله متسق مع آمال امراء السلاجقة الذين كانوايضمرون الانتقام من السلطان وتحرير اسرائيل من السجن ،وهكذا عبرت قبائل السلاجقة المكونة من ثلاثة آلاف بيت ومعهم عائلاتهم واولادهم وحيواناتهم نهر جيحون .(٢)

ولقد حصل جدل ومناقشات حول مسألة قبول السلاجقة داخل حدود الدولة الغزنوية ذلك ان ارسلان جاذب امير طوس ،الذى كان من اكبر خواص السلطان محمود لم يكن متفقا فى الرأى مع السلطان فى السماح بانتقال السلاجقة الى خراسان وقد حاول ان يتعرف على دوافع السلطان فى ذلك وحذر السلطان من خطرهم وطالب بابادتهم او تسليمهم له ،وكانت نيته اما ان يقطع اصابع الابهام من ايديهم ضمانا لعدم استعمالهم السهام وقداشتهروا باجادة الحرب بها - او يرى ضرورة اغراقهم فى نهر جيحون

---

(١) رشيد الدين - م . س م٢ ،١٢/٥ .

(٢) ابن الاثير - الكامل ٢٢/٨ .

عند عبورهم [١] . غير ان السلطان رفض اقتراحات ارسلان واتهمه بقسوة القلب وانعدام الرحمة والشفقة ،وقد اجابه ارسلان جاذب بانه : اذا لم يفعل السلطان بنصيحته فانه سوف يندم على ذلك [٢] .

وقد قدم السلطان محمود الى السلاجقة المراعى فى سرخس ،وفراوه وفى باورد ،وبذلك خصصت لهم اراض معلومة داخل حدود الدولة الغزنوية [٣] ،كما انه فرض عليهم الخراج وعين عليهم عمالا لجبايته ،واشترط عليهم ان يسكنوا متجمعين [٤] . ولعل ذلك كان بتأثير اعتراض ارسلان جاذب وتحذيره له منهم .

ولم يمض وقت طويل حتى بدأت الشكاوى من السلاجقة تصل السلطان محمود ،فقدجاءت الشكاوى سنة (٤١٨هـ/١٠٢٧م) [٥] من اهل نسا ،وباوردوفراوه وكانت تشير الى ظلم وفساد السلاجقة الذين اخذوا يتجولون فى تلك المناطق وربما كان لاهمال الدولة الغزنوية للسلاجقة ،وعدم الاعتماد عليهم منذ البداية اثر كبير فى توجههم الى تخريب نظام الدولة .

غير ان الشكاوى التى اخذت تصل الى السلطان ،لم تكن من الحكام

---

(١) الكرديزى – زين الاخبار ص/ ٩٦، ابن الاثير – م . س ٢٢/٨،رشيد الدين م . س م٢ ، ١٢/٥ .

(٢) الكرديزى – م . س ص/ ٩٦ .

(٣) الكرديزى – زين الاخبار ص/ ٩٦ .

(٤) ابن الاثير – الكامل ٢٢/٨ .

(٥) الكرديزى – م . س ص/ ١٠١ .

انفسهم ولذلك فان السلطان لم يعطها الاهمية الكبيرة فى البداية ،وهى غالبا ماكانت تدور حول عدم التفاهم بين التركمان والمواطنين الاصليين غير ان السلطان محمود اضطر ازاء ازدياد الشكاوى الى التدخل ،وذلك انه ارسل الى والى طوس ارسلان جاذب ،امرا طلب منه فيه تأديب السلاجقة وكف ايديهم عن المشتكين من ابناء الاقليم بعد التحقق من ذلك.(١) وهذا يشير الىاستجابة السلطان محمود لشكاوى المواطنين الاصليين ،وانفاذا للامر تحركت قوات ارسلان جاذب لتأديب السلاجقة وقد تم ذلك فى عدة مواقع حيث قتل اعدادا كثيرة منهم ،غير ان ذلك لم يؤثر عليهم كثيرا كما تذكر المصادر ،ذلك ان السلاجقة قد تجمعوا فى اعقاب ذلك وقد ازداد عددهم وقوتهم.(٢) وقد ارسل السلطان محمود الغزنوى برسالة الى ارسلان جاذب يتهمه فيها بالعجز ويوبخه . وقد ورد فى جواب ارسلان جاذب للسلطان محمود بان التركمان قد اصبحوا قوة كبيرة وانه ضمانا لمنع فسادهم ،فانه يرى بانه لابد للسلطان من ان يراقبهم بنفسه والا فان من المستحيل السيطرة عليهم بعد ذلك.(٣)

ولقد تأثر السلطان محمود مما ورد فى رسالة ارسلان جاذب ،واخذ يعد العدة للتوجه الى تلك الاطراف ،وقد تحرك على رأس جيش كبير فى

---

(١) الكرديزى – زين الاخبار ص/ ١٠١ .

(٢) ن . م . س ص/ ١٠١ .

(٣) ن . م . س ص/ ١٠١ .

عام (٤١٩هـ/١٠٢٨م) ،بعد ان ازدادت الشكاوى التى رفعها السكان من تصرفات السلاجقة[1] ،وبعد ان اخفق ارسلان جاذب فى كبح جماحهم[2] . وقد وصل السلطان محمود الى طوس وطلب من ارسلان جاذب ،معلومات عن التركمان وقد شرح له هذا القائد احوال التركمان مفصلا ،وارسل السلطان محمود قوات اضافية تحت عدة قيادات اخرى لتنضم الى لواء ارسلان جاذب ،ووجه تلك القوات لتأديب التركمان ولما قرب الجيش من رباط فراوه ،وكان التركمان قد نظموا قواتهم واستعدوا ،وقد تحركوا ضد الجيش القادم اليهم والملاحظ ان التركمان لم يلجأوا الى الاعتذار وطلب الصلح من السلطان بل انهم اعدوا العدة للحرب.

وبعد معركة طاحنة بين ارسلان جاذب والتركمان ، انتهت بهزيمة التركمان وقتل منهم (٤٠٠٠) فارس واسرة اعداد كبيرة منهم . اما من نجا منهم فانهم فروا الى بلخان ،ودهستان[3] ،وقد لجأ بعضهم الى كرمان[4] .

وفى سنة (٤٢١هـ/١٠٢٩م)[5] توفى السلطان محمود بن سبكتكين ،دون ان يحقق

---

(١) الكرديزى ـ زين الاخبار ص/ ١٠١ .

(٢) ن . م . س ص/ ١٠١ .

(٣) ن . م . س ص/ ١٠٢ .

(٤) ابن الاثير ـ الكامل ٢٢/٨ .

(٥) الكرديزى ـ زين الاخبار ص/ ١٠٤ ،رشيد الدين ـ جامع التواريخ م٢ ،١٢/٥ ،الكريم الاقسرابى ـ مسامرة الاخبار ص/ ١٣ .

نصرا حاسما ،وترك هذه المهمة الشاقة لابنه السلطان مسعود . وقد قام جماعة من السلاجقة القاطنين فى اطراف جبل "بلخان" بمد يد المساعدة الى السلطان مسعود بن محمود ،فى الاستيلاء على غزنة والقضاء على اتباع اخيه محمد فكافأهم على ذلك ،بان منح الامان لجميع السلاجقة .(١)

اما السلاجقة من اتباع طغرلبك وجغرى ،وبيغو ،فقد استطاعوا لم شملهم سنة (٤٢٦هـ/١٠٣٤م) وقصدوا خراسان ،(٢) وعندما وصلوا الى ساحل نهر جيحون استدعاهم الخوارزمشاه هرون بن التون تاش اليه ،واقترح عليهم عقد معاهدة اتفاق واتحاد . وقد استجابوا لاقتراحه ،لكن الخوارزمشاه غدر بهم وتمكن من حصارهم ووضع فيهم السيف ،فما كان منهم الا الانسحاب الى حدود "نسا" سالكين طريق مرو .(٣)

ثم ارسلوا رسالة الى السلطان مسعود الذى كان حينئذ فى طبرستان وطلبوا منه الامان لكن السلطان رفض طلبهم ،ولم يعطهم الامان ،ولم يكتف بذلك ،بل ارسل احد قواده (ايلتغدى) حاجبه لطردهم ،حيث تمكن من ايقاع الهزيمة بهم قرب نسا ،وذلك فى شهر شعبان سنة (٤٢٦هـ/١٠٣٤م)(٤) ولكن

---

(١) عباس اقبال – الوزارة ص/ ١٢ .

(٢) ابن الاثير – الكامل ٢٣/٨، اقبال – م . س ص/ ١٣ .

(٣) ابن الاثير – م . س ٢٣/٨، اقبال – م . س ص/ ١٣ .

(٤) ابن الاثير – الكامل ٢٣/٨ .

السلاجقة لم يستسلموا لهذه الهزيمة ،بل اعادوا الكرة مرة اخرى وهزموا الجيش الغزنوى ،واستردوا الغنائم التى استولى عليها الجند الغزنوى وحرروا الاسرى . وقد وقعت هذه المعركة فى المنطقة الواقعة بين فراوه وشهرستانه (١) . واعتبارا من هذه المعركة فان السلطان مسعود الغزنوى لم يتيسر له دفع شر السلاجقة عن دولته ،فقد اضطر الى عقد صلح معهم تحت وطأة انشغاله بامور الدولة فى الهند (٢) ،حيث وافق على ان ينصب داود على "دهستان" وطغرلبك على "نسا" وبيغو على "فراوه" ومنح كل واحد منهم لقب "دهقان" (٣) ،وبذلك فقد اشتد بأسهم ،حتى انهم رفضوا القرارات السلطانية والخلع السنية ،وطلبوا من السلطان مسعود بان يعيد اليهم عمهم ارسلان (اسرائيل) ابن سلجوق ، الذى سجنه السلطان محمود ،فوافق السلطان على ذلك ،واحضر اسرائيل الى بلخ من سجنه وقد طلب السلطان من اسرائيل مراسلة ابناء اخوته ليدخلوا فى طاعته ولكن الابناء لم يطمئنوا الى السلطان مسعود ،فرفضوا الطلب ،فما كان من السلطان الا ان اعاد اسرائيل الى السجن ،ثم عاد السلطان ادراجه الى غزنة (٤) .. وقد تمكن السلاجقة فى سنة (٤٢٨هـ/١٠٣٦م) من الاستيلاء

---

(١) الراوندى ـ راحة الصدور ص/ ١٥٦ .

(٢) ن . م . س ص/ ١٥٦، ابن الاثير ـ م . س ٨/٨ .

(٣) ابن الاثير ـ م . س ٢٤/٨ .

(٤) ابن الاثير ـ الكامل ٢٤/٨ .

على بلخ ونيسابور ،وطوس ،وجوزجان (١) . وبذلك سيطروا على مساحة واسعة من بلاد الدولة الغزنوية . وقد اتخذ جغرى بيك مرو عاصمة له (٢) ،كما زحفوا على خراسان ،التى لم يولها السلطان مسعود اى اهتمام ،وقد انحاز اهل خراسان الى السلاجقة لحسن سيرتهم (٣) . ومما سهل دخول السلاجقة الى خراسان وجود العلاقة بين التركمان فى داخل خراسان وزعماء السلاجقة . وقد قرر السلطان بعد فوات الامر الاهتمام بخراسان ،فارسل اليها جيشا جرارا غيرانه لم يجد نفعا ،فقد هزم السلاجقة السلطان مسعود ومن معه من القوة العسكرية الكبيرة فى معركة فاصلة فى يوم الخميس الثامن من شهر رمضان عام (٤٣١هـ/١٠٣٩م) فى صحراء دندانقان القريبة من مرو (٤) . حيث تقرر فى المعركة مصير الغزنويين فى شرق ايران ،فكانت ايذانا بانتهاء حكمهم على بلاد ماوراء النهر وخراسان وقد عمد امراء السلاجقة الى تقسيم التركة الغزنوية فيما بينهم حيث يكون نصيب جغرى بك بن داود المنطقة الواقعة مابين مدينة نيسابور حتى نهر جيحون ،وماوراء النهر اضافة الى البلاد التى يمكن فتحها من بلاد ماوراء النهر . وقد تمكن الامير داود فى وقت قصير من ضم بخارى

---

(١) ن . م . س ٢٤/٨ .

(٢) ن . م . س ٢٤/٨ .

(٣) ن . م . س ٢٤/٨ .

(٤) ن . م . س ٢٤/٨ .

وبلخ ،وخوارزم الى ممتلكاته . اما نصيب ابراهيم ينال (اينال) اخى طغرلبك لامه فقد شمل كلا من قهستان ،وجرجان[١] . فى حين كان نصيب ابى على حسن بن موسى بن سلجوق هراه ،ويوشنك وسجستان ،وبلاد الغور[٢] . اما نصيب طغرلبك فقد شمل الجزء الاكبر من خراسان والعراق ،ورئاسة كل الولايات التى تفتح بعد ذلك[٣] . وقد تمكن من ضم كل جرجان وطبرستان الى مملكته سنة (٤٣٣هـ/١٠٤١م) ،وفى سنة (٤٣٤هـ/١٠٤٢م) ضم بلاد خوارزم ،وكرمان ومكران ،وبادغيس ،وهراه . وفى سنة (٤٤٠هـ/١٠٤٨م) وصلت حدود الدولة السلجوقية من الناحية الشمالية الغربية الى شاطئ البحر الاسود وجاورت بلاد قياصرة الدولة الرومانية الشرقية . كما اخضع طغرلبك لنفسه اذربيجان وارمينية فى سنة (٤٤٢هـ/١٠٥٠م)[٤] .

لقد عاصر قيام الدولة السلجوقية هذه وتأسيسها وقت وفاة السلطان مسعود سنة (٤٣٢هـ/١٠٤٠م) فدخل طغرلبك الى نيسابور وجلس فى الشادياخ على عرش مسعود[٥] . وعمل بعد ذلك على توحيد بلاد فارس ،وتمكن بعد ذلك من دخول العراق سنة (٤٤٧هـ/١٠٥٥م) .

---

(١) عباس اقبال ـ الوزارة ص/ ١٤ .

(٢) ن . م . س ص/ ١٤ .

(٣) ن . م . س ص/ ١٤ .

(٤) ن . م . س ص/ ١٤ .

(٥) الراوندى ـ راحة الصدور ص/١٥٨ .

الشادياخ : اسم محل بنيسابور (ياقوت ـ معجم البلدان ٥/٣٣٢) .

(سلسلة النسب السلجوقية)

دقاق (١) لقمان (٢)

سلجوق

اسرائيل — قتلمش (جد سلاجقة الروم وأرضروم)

موسى يبغو — يوسف — ارتاش ينال — مسعود ينال — الأمير فرخ زاد

يونس

ميكائيل

الملك جغري بك ابو سليمان داود

١ — السلطان طغرلبك محمد (٥)

ابراهيم ينال

قاورد (سلاجقة كرمان) — سليمان — بهرامشاه — عثمان

شاهنشاه — نوشروان

كرمانشاه

قاورد (١٢)

ارسلان شاه

الملك سلجوق شاه — محمد — الملك كرمانشاه — الملك …

طغرل شاه — ملكشاه — تورانشاه

بهرامشاه — ارسلانشاه — تركانشاه

٢ — السلطان الب ارسلان محمد

ارسلانشاه — الياس — ارسلان ارغون — بوري بارس — تكش — طغانشاه — تتش — الب … — طغرل

٣ — السلطان ملكشاه

خاتون سفرية (زوجة المقتدي)

تتش (سلاجقة الشام)

رضوان — دقاق

الب ارسلان — سلطانشاه

قلج ارسلان — مسعود — قلج ارسلان

السلطان قلج … كيخسرو — كيقباد سلطان الروم — كيخسرو — قلج ارسلان

٤ — السلطان بركيارق — ملكشاه — بركيارق

٥ — السلطان …

٦ — السلطان محمود

٧ — السلطان سنجر

الملك احمد — الأمير طغرل — الملك داود — الملك طغرل

الملك سلجوق — ملكشاه (١١)

١٠ — السلطان طغرل — ١٥ — السلطان ارسلان — ١٦ — السلطان طغرل

ملكشاه — بركيارق — مسعود — الب ارسلان — الب …

١٤ — السلطان سليمان — الملك …

١١ — السلطان مسعود — ملكشاه

٨ — السلطان محمود

٩ — السلطان داود — الملك جغري شاه — ١٣ — السلطان محمد — ١٢ — السلطان ملكشاه

الملك داود (٦) — الملك محمود (٩)

الفصل الأول

الدولة العباسية عند دخول السلاجقة العراق

الفصل الاول

الدولة العباسية عند دخول السلاجقة العراق

المبحث الاول : تسلط البويهيين على الخلافة

المبحث الثانى : افلاس خزينة الدولة

المبحث الثالث : تدهور الاوضاع فى بغداد، ودور العيارين

المبحث الرابع : دخول السلاجقة الى العراق والقضاء على البويهيين

تسلط البويهيين على الخلافة :

ينتسب البويهيون الى الديالمة (اهالى بلاد الديلم)[1] او من بلاد جيلان التى تقع فى الجنوب الغربى من بحر قزوين ثم اتسع مدلول بلاد الديلم باتساع نفوذ الديالمة فى القرن الرابع الهجرى، وقد انتشر الاسلام بين الديالمة سلميا على يد بعض ائمة الزيدية الذين لجأوا الى بلادهم ووجدوا منهم العون والمساعدة ضد العباسيين،فالتفوا حولهم واعتنقوا الاسلام على ايديهم على مذهب الزيدية ،فلقدنجح الامام الزيدى الحسن الاطروش فى طبرستان ٣٠١هـ (٩١٣ – ٩١٤م)[2] فى نشر الاسلام بين اهالى

---

(١) ابو على احمد بن محمد بن مسكويه – تجارب الامم (باعتناء هـ . ف . امدروز ،شركة التمدن الصناعية بمصر ١٣٣٢هـ (٨٥/٦) ،د. عبدالعزيز الدورى – دراسات فى العصور العباسية المتأخرة (بغداد ١٩٤٥م)(ص ٢٤٧ ٢٤٨)، د. حسام الدين السامرائى – المؤسسات الادارية فى الدولة العباسية (٢٤٧ – ٣٣٤هـ/٨٦١ – ٩٤٥م) منشورات دار الفكر – الطبعة الثانية ،القاهرة (ص ٨١) .

(٢) ابو الحسن على بن حسين بن على المسعودى – مروج الذهب ومعادن الجوهر (٤ اجزاء تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد ،دار الفكر بيروت ١٣٩٣هـ) (٢٩٤/٤)، حاول بعض المؤرخين رفع مكانة بنى بوية فقد ارجع البعض نسبهم الى الملك الساسانى (بهرام كور) فى حين ارجع آخرون نسبهم الى يهوذا بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم الخليل عليه السلام ،انظر محمد بن على بن طباطبا المعروف بابن الطقطقى الفخرى فى الاداب السلطانية والدول الاسلامية (دار بيروت للطباعة ١٣٨٥هـ) (ص ٢٧٧)، احمد سعيد سليمان – معجم الاسر الحاكمة (٢٨٧/١) .

طبرستان وبلاد الديلم،كما نجح فى السيطرة على بلاد الديلم .

وقد رافق ذلك نشر مذهبهم الزيدى، الى المناطق المجاورة (١) . غير انه بعد الحسن بن الاطروش، انقسم الزيدية على انفسهم ،وادى هذا الانقسام الى انقسام الديالمة ،وقد انحاز كل فريق الى احد ائمة الزيدية ،وهذا الوضع ساعد كثيرا على ظهور شخصيات قيادية محاربة انتهى بها الامر الى استغلال الاوضاع السائدة لارضاء طموحها،والعمل لصالحها الخاص.

ومن بين الشخصيات الديلمية البارزة شخصية مرداويج بن زيار الذى نجح فى السيطرة على بلاد طبرستان وجرجان والرى وشمال الجبال وهمدان (٢) والذى قامت على يده الدولة الزيارية.

ومن بين الشخصيات التى يعنينا امرها فى هذه الدراسة شخصية ابى شجاع بويه الذى ينتسب اليه البويهيون .

وكان بويه صيادا للسمك فى سواحل بحر قزوين،وقد نشأ اولاده الثلاثة على ،وحسن ،واحمد نشأة الجنود المغامرين فى خدمة عدد من القواد الديالمة ،فقد التحقوا فى بادئ الامر فى خدمة احد هؤلاء القواد ويدعى (ماكان بن كالى) (٣) . وبعد هزيمته على يد مرداويج انتقل الاخوة الثلاثة

---

(١) نسبة الى زيد بن على بن زين العابدين .

(٢) الدورى ـ العصور العباسية المتأخرة (ص ٧٢ ، ٧٣) .

(٣) محمد جمال سرور ـ تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق منذ عهد نفوذ الاتراك الى منتصف القرن الخامس الهجرى (دار الفكر العربى القاهرة ١٣٩٦هـ) (ص ٥٠)، الزبيدى ـ العراق فى العصر البويهى (ص ٣٠)

الى قوات مرداويج،ثم اخذ نجمهم فى الصعود شيئا فشيئا الى ان ولى مرداويج كبيرهم على بن بويه على بلاد الكرج[١] ،غير ان نجاحه فى حكم تلك البلاد ،والتفاف الاهالى حوله وجهم له قد اثار عليه غيرة مرداويج مما ادى الى حدوث القطيعة بينهما ونشوب الحرب.

وفى سنة (٣٢١هـ/٩٣٢م) استطاع على بن بويه ان يستولى على مدينة "ارجان"[٢] ومنها اتجه جنوبا فانتزع اقليم فارس من سلطة الخلافة

---

(١) الكرج بفتح اوله وثانيه وآخره جيم والمقصود بها كرج ابى دلف وهى مدينة تقع بين اصبهان وهمذان فى نصف الطريق ذكر انها الى همذان اقرب. انظر ابن رستة – الاعلاق النفيسة (باعتناء دى غويه بريل ليدن ١٨٩١م) ،قدامة بن جعفر – المنزلة الخامسة من كتاب الخراج وصنعة الكتابة (تحقيق د.طلال رفاعى – مكتبة الطالب الجامعى ١٤٠٧هـ) (ص ٣٥١)، الاصطخرى – مسالك الممالك (ص ١٩٩)، ابن حوقل صورة الارض (ص ٣١٣ – ٣١٤)، المقدسى – احسن التقاسيم (ص ٣٩٤)،ياقوت معجم البلدان (٤٤٦/٤)، المشترك وضعا والمفترق صقعا (ص ٣٦٨)،محمد عبد المنعم الحميرى – الروض المعطار فى خبر الاقطار (تحقيق احسان عباس بيروت ١٩٧٠م) (ص ٤٩١) .

(٢) ارجان بفتح اوله وتشديد الراء وجيم والف ونون مدينة كبيرة كثيرة الخير كانت من امهات المدن سريه ،وتقع بين شيراز وسوق الاهواز انظر قدامة – م . س (ص ٣٣٢)، الاصطخرى – م . س (ص ١٢٨)، المقدسى م . س (ص ٤٢٥)،ياقوت – معجم البلدان (١٤٢/١)، الحميرى – م . س (ص ٢٥) .

العباسية ،كما نجح اخوه احمد فى الاستيلاء على كرمان [١] . وقد نجم عن هذا التوسع البويى اشتداد القطيعة بينهم وبين مرداويج . غير ان على بن بويه آثر مسالمة مرداويج فارسل اليه اخاه حسن كرهينة ،كما ارسل اليه الكثير من الهدايا [٢] ،ويشاء الله ان يقتل مرداويج سنة (٣٢٣هـ/٩٣٤م) [٣] وبذلك انهارت دولته ووجد البويهيون الفرصة مواتية لهم لترسيخ حكمهم ،وتوسيع رقعة دولتهم ،فاحتلوا اصبهان والرى [٤] ،وفى سنة (٣٢٥هـ/٩٣٦م) استولى احمد بن بويه على الاهواز ،وبهذا اقتربوا من بلاد العراق التى اخذوا يتطلعون الى ضمها الى دولتهم [٥] .

لقد انتهت بوفاة الخليفة المكتفى بالله سنة (٢٩٥هـ/٩٠٧م) "مرحلة الاستقرار والهدوء النسبى" التى شهدتها دولة الخلافة العباسية فى اعقاب فوضى الجند الترك وثورات الزنج والقرامطة . ولقد شهدت فترة حكم المقتدر بالله (٢٩٥ - ٣٢٠هـ/٩٠٧ - ٩٣١م) عودة التصادم بين العناصر

---

(١) مسكويه - م . س (٢٩٧/١، ٢٩٨) ،محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى المعروف بابن الاثير الملقب بعز الدين - الكامل فى التاريخ (دار الكتاب العربى - بيروت ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) (٨٥/٨) ،دائرة المعارف الاسلامية (٣٥٤/٢) .

(٢) مسكويه - م . س (٣١/١) .

(٣) ابن الاثير - الكامل (٢٤٤/٦) .

(٤) ن . م . س (٢٥/٦) ،محمد جمال سرور - م . س (ص ٣٢) .

(٥) ابن الاثير - م . س (٢٦٠/٦) .

المتنفذة فى الدولة وعودة الجيش الى التدخل فى رسم سياسة الدولة كما شهدت انهيارا اقتصاديا اسهم فيه بقسط ضعف الخليفة ونزعاته الصبيانية وخضوعه لتأثير النساء ،وتناقضه الذى يعكس انقسام طبقة الكتاب المؤثرين فى قراراته من جهة وصراع قادة الجند ونزواتهم من جهة اخرى، اضافة الى استمرار فعاليات القرامطة . كل ذلك رشح عصر المقتدر لتمثيل المرحلة الاخيرة من مراحل انهيار اسس الخلافة العباسية.(١)

وعلى الرغم من سمات الاستقرار الظاهرة خلال فترة حكم الخليفة القاهر بالله بين سنة (٣٢٠ – ٣٢٢هـ/٩٣١ – ٩٣٣م) ،فان الجند قد عجلوا فى نهايته.(٢) وكان الخليفة الراضى بالله (٣٢٢ – ٣٢٩هـ/٩٣٣ – ٩٤٠م) آخر

---

(١) الدورى – دراسات فى العصور العباسية (ص ١٨٦ – ٢٣٦)، السامرائى المؤسسات (ص ٥٢) .

(٢) ابو بكر محمد بن يحيى بن عبدالله بن العباس بن محمد الصولى البغدادى – اخبار الراضى والمتقى او تاريخ الدولة العباسية من سنة ٣٢٢ – ٣٣٣هـ (باعتناء ج . هيورث دن ،لندن ١٩٣٥م) (ص ١) ، المسعودى – مروج الذهب (٣١٢/٤)، الحافظ ابو بكر احمد بن على الخطيب البغدادى – تاريخ بغداد او مدينة السلام منذ تأسيسها حتى سنة ٤٦٣هـ (المكتبة السلفية ،المدينة المنورة –تاريخ الطبع غير مذكور) (٣٤٠/١)،محمد بن عبدالملك الهمذانى – تكملة تاريخ الطبرى (تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ،دار سويدان ،بيروت. تاريخ الطبع غير مذكور) (ص ١٠٢)، المطهر بن طاهر المقدسى – البدء والتاريخ (باعتناء كلمان هوار – باريس ١٩٠٣م) (١٢٦/٦)، ابن الاثير الكامل (١١٩/٦)،عماد الدين ابو الفدا اسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقى – البداية والنهاية (منشورات مكتبة المعارف – بيروت =

خليفة انفرد بتدبير الجيوش والاموال وسار على ترتيب الخلفاء العباسيين المتقدمين[(١)]، ومع ذلك فان تحكم الجيش فى الامور العامة قد اصبح امرا مألوفا[(٢)]. وفى هذه الفترة استقل البويهيون فى فارس، والبريديون فى خوزستان. واشتدت الازمة المالية نتيجة سوء الادارة والتدبير، وادى ذلك الى انهيار تام فى وضعية بيت المال. ذلك ان نفقات الدولة العباسية لم تنقص فى حين انحصرت سلطة الخلافة الفعلية فى بغداد واطرافها واستحالت محاولة موازنة الدخل والصرف. ولهذا فقد اضطر الخليفة الراضى بالله الى انيراسل ابن رائق[(٣)] ويوليه امرة الامراء. فبطل امر الوزارة، وامتدت سلطات امير الامراء الى جباية الضرائب وادارة الحكومة بل لقد تدخل اميرالامراء التالى وهو بجكم[(٤)] فى اختيار ولى عهد الخليفة الراضى بالله، وتوجيه الخلافة الى المتقى لله، الذى اصبح فى عهد

= ١٩٧٧م) (١٧٨/١١)، ابو عبدالله شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان ابن قايماز الذهبى ـ العبر فى خبر من غبر (تحقيق محمد سعيد بسيونى زغلول ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤٠٥هـ) (١٨٩/٢).

(١) الخطيب ـ تاريخ (١٤٣/٢)، ابن الاثير ـ الكامل (٢٧٧/٦).

(٢) السامرائى ـ المؤسسات (ص ٧٤).

(٣) ابن رائق: محمد بن رائق تلقب بامير الامراء سنة ٣٢٤هـ. مسكويه تجارب الامم (٣٥١/١).

(٤) بجكم: هو القائد بجكم التركى لقب بامير الامراء (٣٢٦ ـ ٣٢٩هـ) حيث ساءت الاحوال فى عهده.

امير الامراء توزون[1] ظلا لوحدة الامة ورئيسا نظريا للدولة . ولم يتورع توزون هذا من خلع الخليفة المتقى لله فى اول فرصة ومبايعة المستكفى بالله سنة (٣٣٣ - ٣٣٤هـ/٩٤٤ - ٩٤٥م) خليفة بديلا وبعد وفاة توزون تآمر عامل واسط مع احمد بن بويه للتقدم الى عاصمة الخلافة العباسية مدينة السلام لاحتلالها حيث كانت تقاسى من الفوضى واضطراب الادارة والازمة المالية المستحكمة[2].

دخل البويهيون بغداد فى ١١ جماد الاخرة سنة ٣٣٤هـ/ ١٧ كانون ثانى ٩٤٥م[3] ويمكن عد هذا الحدث والتبدل الناجم عنه استمرارا لعصر "امراء الامراء" فى اتجاهاته . فقد بقى الخليفة شبحا للسيادة ،وساد الاتجاه العسكرى فى مؤسسات الدولة ،وحل الامراء البويهيون محل امراء الامراء القدامى[4] . غير ان بعض الاوضاع الجديدة فى العهد البويهى عملت على

---

(١) توزون : توزون الديلمى لقب بامير الامراء وكان ذا شخصية سياسية وعسكرية وجد الديلم فيه ضالتهم ،واستطاع ان يقف فى وجه البريديين والحمدانيين معا . مسكويه - تجارب الامم (٨٣/٢)، ابو زيد عبدالرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون - كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الاكبر (مؤسسة جمال للطباعة والنشر بيروت ١٣٩٩هـ) (٤١٨/٣) .

(٢) الدورى - دراسات (ص ٢٤٧)، السامرائى - المؤسسات (ص ٨١) .

(٣) مسكويه - تجارب الامم (٨٤/٦ ، ٨٥) .

(٤) مسكويه - م . س (٨٥/٦)،د. الدورى - م . س (ص ٢٤٧، ٢٤٨)،د. السامرائى م .س (ص ٨١) .

زيادة التردى فى وضع الخلافة فلقد جاء البويهيون على رأس جيش اجنبى وانشأوا امارة وراثية وانحط مركز الخليفة فى عهدهم من سئ الى اسوأ وفقد بعض الحرمة والنفوذ التى كانت فى تسيير امور الدولة . ولعل السبب الرئيسى فى ذلك ان البويهين كانوا شيعة زيدية (١) ،وهم لذلك لايعترفون بحق العباسيين فى الخلافة (٢) . كما انهم لم يوافقوا على بقاء الخلافة فى العائلة العباسية الا لاعتبارات سياسية (٣) ،ولقد استطاع البويهيون ان يفرضوا سيطرتهم التامة على الخلافة العباسية (٤) .

وهكذا ساءت حالة الخلافة العباسية عن ذى قبل ،فلم يكن الامر مجرد انتقال السلطة من الاتراك الى البويهيين . ذلك ان البويهيين دخلوا بغداد على رأس جيش كبير من الديلم ،وهم فى الوقت نفسه شيعة زيدية لايعترفون بأحقية العباسيين فى الخلافة . وهم وان كانوا قد احتفظوا بالخلافة العباسية فذلك لان مصلحتهم اقتضت الابقاء عليها وهى على هذه الحالة من الضعف التى مكنتهم من الاحتفاظ بالحكم وراثيا فى اعقابهم وفى السيطرة على مقاليد الامور فى دار الخلافة .

وبمجرد دخول معز الدولة (٣٣٤ هـ / ٩٤٥ م) ببغداد عمل على

---

(١) ابن حسول ـ تفضيل الترك على سائر الاجناد (ص ٣٢)، الدورى ـ م . س . (ص ٢٤٨)، السامرائى ـ م . س (ص ٨١) .

(٢) ابن الاثير ـ الكامل (١٤٩/٧) .

(٣) الدورى ـ م . س (ص ٢٤٧)، السامرائى ـ م . س (ص ٨١) .

(٤) مسكويه ـ م . س (٣٥١/١) .

الحد من نفوذ الخليفة المستكفى بالله ،بل انه فكر فى خلعه من الخلافة وتحويلها الى احد ائمة الزيدية ،وهو الحسن محمد بن يحيى الزيدى العلوى[1] ،ولكن احد خواصه[2] حذره ونصحه بعدم تطبيق ذلك الرأى وقال له "ليس هذا برأى فانك اليوم مع خليفة تعتقد انت واصحابك انه ليس من اهل الخلافة ولو امرتهم بقتله لقتلوه مستحلين دمه ،ومتى اجلست بعض العلويين خليفة كان معك من تعتقد انت واصحابك صحة خلافته فلو امرهم بقتلك لفعلوه ،فاعرض عن ذلك"[3] . وهكذا آثر معز الدولة الابقاء على الخلافة العباسية . وقد خصص معز الدولة للخليفة المستكفى بالله راتبا قدره خمسة آلاف درهم فى كل يوم لنفقاته غير انه لم يلبث ان قطع ذلك الراتب عن الخليفة ،وحدد له اقطاعات يعيش منها[4] ،وقد تولاها ابو احمد الشيرازى كاتبه .

---

(١) ابن الاثير – الكامل (٣٥١/٦) .
وعلى قول آخر اراد تحويل الخلافة الى المعز لدين الله الفاطمى (ابن الاثير – الكامل ٣٥١/٦) .

(٢) الذى منعه الصيمرى وهو (ابو جعفر محمد بن احمد الصيمرى وزير معز الدولة) . ابن الاثير – الكامل (٣١٥/٦) .

(٣) ابن الاثير – الكامل (٣١٥/٦)، ابن خلدون – المقدمة (٧٧٧/٣) ، ابن كثير – البداية (٧١٣/١١) .

(٤) ابن الاثير – الكامل (٣١٤/٦)،مسكويه – تجارب الامم (٨٥/٢)، ابو الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد بن على بن الجوزى – المنتظم فى تاريخ الملوك والامم (مطبعة دائرة المعارف العثمانية – حيدر اباد الدكن ١٣٥٨هـ) (٣٥٧/٦) .

وفى جمادى الاخرة سنة (٣٣٤هـ/٩٤٥م) اقدم معز الدولة الذى لم يمض على دخوله بغداد سوى اثنى عشر يوما ،على خلع الخليفة العباسى المستكفى بالله بتهمة التآمر عليه ،وذلك ان القهرمانة صنعت دعوة عظيمة حضرها جماعة من قواد الديلم ،والاتراك فاتهمها معز الدولة بانها قد فعلت ذلك لتأخذ البيعة للمستكفى بالله (١) ،كجزء من خطة تستهدف القضاء على الامير البويهى ، اضف الى ذلك ان الخليفة المستكفى بالله كان قد امر بالقبض على رئيس الشيعة فى بغداد ولم يطلق سراحه رغم شفاعة اصفيدوست (قائد جيش الامير معزالدولة) الذى ساءه ذلك وذهب الى معز الدولة مدعيا بأن الخليفة قد راسله فى ان يلقاه متنكرا فى خف وازار بهدف الاتفاق على تفصيلات المؤامرة (٢) . وتتحدث المصادر عن الاسلوب المهين الذى استخدمه البويهيون فى خلع الخليفة المستكفى بالله والذى يدل على مدى احتقارهم للخلفاء العباسيين . فبينما كان الخليفة المستكفى بالله فى مجلسه ومعه معز الدولة ،وبحضور رسول صاحب خراسان ،حضر رجلان من نقباء الديلم يصيحان ومدا ايديهما تجاه الخليفة الذى ظن انهما يريدان تقبيل يديه فمدهما اليهما فجذباه عن سريره ،وجعلا عمامته فى حلقه ونهض معز الدولة واضطرب الناس ونهبت الاموال ،وساق الديلميان الخليفة المستكفى بالله ماشيا الى دار معز الدولة وقبض على احمد الشيرازى كاتبه ،واخذت علم

---

(١) ابن الاثير ــ الكامل (٣١٤/٦).

(٢) مسكويه ــ م . س (٨٦/٢) .

القهرمانة فقطع لسانها .[1] وقد امر معز الدولة اتباعه من الديالمة بسمل عينى الخليفة وحبسه بعد ذلك فظل مسجونا حتى وفاته سنة (٣٣٨هـ/٩٤٩م) .[2]

وقد وقع اختيار الامير معز الدولة على ابى القاسم الفضل بن المقتدر لمنصب الخلافة وقد لقب بالمطيع لله وكان ذلك سنة (٣٣٤هـ/٩٤٥ م)[3] وفى السنة التالية سجن معز الدولة الخليفة المطيع لله عندما هاجم الحمدانيون بغداد ،ثم عاد واطلق سراحه بعد انسحاب الحمدانيين ،وبعد ان استحلفه " ان لايبغيه سوءا وان لايمالى عليه عدو "[4] ،وهكذا استأثر معز الدولة بالسلطة ،ولم يبق للخليفة من الامر شيئا يذكر سوى ذكر اسمه فى الخطبة ونقشه على السكة ،وحددت له اقطاعات يعيش منها بعد ان حرمه من المخصصات اليومية التى كانت تعطى للخليفة كل يوم لنفقته .[5]

وقد استبد الامير معز الدولة على بن بويه بالسلطة استبدادا مطلقا ،وتولى عماله وجنده من الديلم وغيرهم اعمال العراق ،وتفرد

---

(١) ابن الاثير - الكامل ٣١٥/٦ .

(٢) مسكويه - م . س ٣٨٧/٢، ابن الجوزى - المنتظم ٣٤٣/٦، ابن الاثير م . س ٣١٥/٦، ابن طباطبا - الفخرى ص/ ٢٨٧، الذهبى - العبر ٢٣٥/٢، ابن خلدون - التاريخ ٨٧٦/٣ .

(٣) ابن طباطبا - م . س ص/ ٢٨٩ .

(٤) مسكويه - م . س ١٠٥/٢، ١٠٦ .

(٥) مسكويه - م . س ٨٧٥/٢ .

معز الدولة بالسرير ،والمنبر ،والسكة والختم على الرسائل والصكوك وغيرها (١) .

وقد وصف البيرونى حالة الخلافة العباسية بهذه العبارة :(ان الدولة والملك قد انتقل فى آخر ايام المتقى واول ايام المستكفى من آل العباس الى آل بويه ،والذى بقى فى ايدى الدولة العباسية انما هوامر دينى واعتقادى لاملك دنيوى ...) (٢) .

ولقد تعصب معز الدولة كثيرا لمذهبه الشيعى العلوى ،فهو الذى اتخذ من يوم العاشر من محرم "عاشوراء" يوم حداد عام لذكرى استشهاد الحسين رضى الله عنه فى كربلاء ،والخليفة العباسى مستضعف لاحول له ولاقوة فى ذلك فهو لم يستطع ان يمنع ذلك ولاينكره (٣) .

وفى سنة (٣٥٠هـ/٩٦١م) وبنى معز الدولة قصرا له فى غاية الفخامة انفق عليه ثلاثة عشر مليون دينار (٤) . فى الوقت الذى قلص فيه نفقات الخليفة كثيرا ،حتى ان مبلغ ايراداته منها والذى خصص له من غلة الضياع

---

(١) ابن خلدون ـ العبر (٧٧٨/٣) .

(٢) ابو الريحان محمد بن احمد البيرونى الخوارزمى ـ الآثار الباقية عن القرون الخالية (باعتناء ادوارد سخاو ١٩٢٣م) (ص١٣٠، ١٣٢) .

(٣) محمد حلمى احمد ـ الخلافة والدولة فى العصر العباسى (ص ١٦٥ـ ١٦٦).

(٤) الذهبى ـ العبر (٢٨٤/٢).

لم يتجاوز خمسين الف دينار فى السنة (١) . وقد شاع الظلم والعدوان والاستبداد الى درجة ان معز الدولة لم يعد يتورع هو واصحابه عن نهب ومصادرة اموال التجار وغيرهم حتى انه قد بلغ قيمة ما صادره واصحابه من الناس فى احدى المناسبات اكثر من عشرة ملايين دينار (٢) . كما استولى معز الدولة على المكوس ،واقطع قواده واصحابه القطائع وبطلت الدواوين (٣) .

وقد ادى ذلك الى اضطراب الاحوال الاقتصادية ،وظهور الغلاء ،وشيوع الفقر حتى ان الناس فى بغداد بلغوا درجة من الفقر يرثى لها ،مما ساهم فى انتشار الامراض وحصول ضربات وبائية عامة .

وفى سنة (٣٥٦هـ/٩٦٨م) توفى معز الدولة ،وخلفه ابنه بختيار الذى لقب ب "عز الدولة" ولم يعمل بختيار بنصائح ابيه فى تدبير شئون الدولة وفى طاعة عمه ركن الدولة ، الذى كان يحكم الرى وهمذان واصبهان ،وابنه عضد الدولة ، الذى كان يحكم اقليم فارس ،بل انه على العكس من ذلك اعلن الخصومة لهما فى الوقت الذى انصرف فيه الى حياة اللهو والترف ومجالس الشراب . وانحصر همه فى البحث عن المال لقضاء مآربه وشهواته

---

(١) ابن الجوزى – المنتظم (٣٥٧/٦) ،ابو العباس احمد بن يوسف بن احمد الدمشقى الشهير بالقرمانى – اخبار الدول وآثار الاول فى التاريخ (عالم الكتاب – بيروت ،تاريخ الطبع غير مذكور) (ص ١٧٠) .

(٢) ابن كثير – البداية والنهاية (٢١٣/١١) .

(٣) ابن خلدون – العبر (٧٧٨/٣) .

وقد بلغ به الاستهتار حدا انه طلب مالا من الخليفة المطيع لله بدعوى الرغبة فى انفاقه على الجهاد وان ذلك واجب الامام ،وقد اجابه الخليفة المطيع لله بقوله :" الغزو يلزمنى اذا كانت الدنيا فى يدى ،والى تدبير الاموال والرجال واما الآن وليس لى منها الا القوت القاصر عن كفايتى وهى فى ايديكم وايدى اصحاب الاطراف فما يلزمنى غزو ولاحج ولاشىء مما تنظر الائمة فيه وانما لكم من هذا الاسم الذى تخطبون به على منابركم تسكتون به رعاياكم فان احببتم ان اعتزل اعتزلت عن هذا المقدار ايضا ،وتركتكم والامر كله "[1] . والحق انها اجابة غاية فى الايجاز والوضوح وانها تعكس مدى تسلط البويهيين واستبدادهم بكل شىء ،ومدى استضعافهم للخلفاء العباسيين الذين كانوا يدركون اسباب استبقاء البويهيين لهم فى مواجهة ابناء الامة والسخط العام ،بقدر ماتعكس زهد الخليفة فى منصبه واستعداده للتخلى طواعية عنه .

وفى سنة (٣٥٨هـ/٩٦٧م) دخل الفاطميون مصر ،فقد سير المعز لدين الله القائد ابا الحسن جوهر فى جيش كثيف الى مصر فاستولى عليها[2] ،ومن مصر مدوا نفوذهم على بلاد الشام والحجاز ،وخطب لهم على المنابر[3] ،وقدتطلع

---

(١) مسكويه ـ م . س (٢/٣٠٧) .

(٢) ابن الاثير ـ الكامل (٣٠/٧، ٣١) .

(٣) ن . م . س (٣١/٧، ٣٢) .

الفاطميون الى بلاد العراق ،ونشط دعاتهم فيه الامر الذى ادى الى كثرة الاحتكاك بين اتباع مذاهب اهل السنة وبين الشيعة فى بغداد ،وقد اسهمت سياسة عز الدولة السيئة الى قيام الاضطرابات العنيفة ،وحصول الخراب .

وفى سنة (٣٦٣هـ/٩٧٥م) حدث للخليفة المطيع فالج وثقل لسانه ،فدعاه الحاجب سبكتكين الى خلع نفسه ،والتنازل عن الخلافة لابنه ابى بكر عبد الكريم ،فاستجاب له ،وعقد الامر لابنه (١) ،الذى لقب بالطائع لامر الله (٣٦٣ – ٣٨١هـ/٩٧٥ – ٩٩٣م) ،وقد تمكن الحاجب سبكتكين من السيطرة على الامور ببغدادمستغلا وجود عز الدولة بختيار فى الاهواز (٢) .

---

(١) ابن طباطبا – الفخرى (ص ٢٨٩)، ابو الفرج غريغوريوس بن اهرون الطبيب الملطى المعروف بابن العبرى – تاريخ مختصر الدول (تصحيح انطوان صالحان اليسوعى – دار الرائد لبنان،١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) (ص ٢٩٥) الذهبى – دول الاسلام (تحقيق فهيم محمد شلتوت ،مصطفى محمد ابراهيم الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٣٩٤هـ) (٣٦٣/١)، ابو العباس احمد بن على القلقشندى – مآثر الانافة فى معالم الخلافة (تحقيق عبدالستار احمد فرج – بيروت ،١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) (٣٠٢/١) .

(٢) ابو الفدا عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر المعروف بابى الفدا الملك المؤيد صاحب حماه – المختصر فى اخبار البشر (دارالمعرفة بيروت ،بدون تاريخ الطبع) (١١٩/٢)، القلقشندى – مآثر الانافة (٣٠٤/١) .

والراجح ان الخليفة الطائع لامر الله قد استهدف ان يحد من السيطرة البويهية ذلك انه عقد لواء امارة الامراء لسبكتكين ،وخلع عليه الخلع السلطانية ،ولقبه ب (نصير الدولة) (١) ،وسار معه لمحاربة عز الدولة بختيار غير ان الامور قد سارت باتجاه آخر ،فقد توفى الخليفة الطائع لامر الله بعد خروجه مع جيش سبكتكين من بغداد ،وقد رجع الجيش بجثمان الخليفة الى عاصمته حيث دفن فيها . ومن غريب المصادفات ان يموت سبكتكين في اليوم التالى فى حادث طارئ ،حيث سقط من على فرسه ،وكانت مدة امارته شهرين وثلاثة عشر يوما (٢) ،وقد عهد الاتراك امر قيادتهم الى احد رؤسائهم المدعو افتكين (٣) .

اما عز الدولة بختيار ،فانه ما ان علم بالتطورات التى حصلت فى بغداد ،وتبين له المصير الذى ينتظره نتيجة ذلك حتى تناسى خصوماته السالفة مع اعمامه ،فاستنجد بابن عمه عضد الدولة ،غير انه بعد انتصارهما طمع عضد الدولة فى انيخلف ابن عمه عز الدولة حاكم العراق والتسلط على الخلافة العباسية . وهكذا نشب بينهما القتال الذى انتهى

---

(١) ابن الجوزى ـ المنتظم (٦٧/٧) .

(٢) ابن الجوزى ـ م . س (٦٧/٧) .

(٣) جمال الدين ابوالمحاسن يوسف بن تغرى بردى ـ النجوم الزاهرة فى ملوك مصروالقاهرة (١٠٨/٤) .

بهزيمة عز الدولة واسره ثم قتله ،فتستقر الامور لعضد الدولة الـذى آلت اليه السلطنة فى سنة (٣٦٧هـ/٩٧٩م)(١) .

وفى عهد عضد الدولة بلغ نفوذ بن بويه ذروته،فقد استطاع ان يوحد بين امارات البويهيين فى فارس والعراق ،وان يجعل منها مملكة موحدة(٢) .

وخلع الخليفة الطائع لامر الله على عضد الدولة خلع السلطنة وتوجه بتاج مجوهر،وطوق وسوره ،وقلده سيفا ،وعقد له لواءين بيده احدهما مفضض على رسم الامراء ،والآخر مذهب على رسم ولاة العهود، ولم يعقد هذا اللواء الثانى لغيره قبله(٣) ،وقال الذهبى: " وماذاك الا لضعف امر الخلافة "(٤) .

اما فيمايختص بعلاقته بالخلافة العباسية ،فانه عمل كاسلافه البويهيين على الاستئثار بالسلطة دون الخليفة .بل عمل فى عام (٣٦٨هـ/٩٨٠م) على طلب من الطائع ان تضرب على بابه الدبادب(٥) فى وقت الصبح والمغرب والعشاء ،وان يخطب له على منابر الحضرة يوم الجمعة(٦)

---

(١) ابن الاثير ـ الكامل (٩٢/٧)، ابن تغرى بردى ـ م . س (١٢٩/٤) .

(٢) ابن العميد ـ تاريخ المسلمين (ص ٢٣٦ ، ٢٣٨).

(٣) السيوطى ـ تاريخ الخلفاء (ص ٤٠٧) .

(٤) الذهبى ـ العبر (٣٤٦/٢) .

(٥) الدبادب : الطبل . ابن الجوزى ـ المنتظم (١١٤/٧) .

(٦) ابن الجوزى ـ المنتظم (١١٤/٧)، السيوطى ـ تاريخ الخلفاء (ص ٤٠٧) .

وقد اصر عضد الدولة فى عام (٣٦٩هـ/٩٨١م) على الحصول على تفويض رسمى علنى للسلطان من الخليفة ،وقد فوض له الخليفة الطائع لامر الله السلطات فى حفل عام قائلا له : " قد رأيت ان افوض اليك ماوكل الله تعالى الى من امور الرعية فى شرق الارض وغربها وتدبيرها فى جميع جهاتها سوى خاصتى واسبابى ،فتول ذلك فقال : يعيننى الله على طاعة مولانا امير المؤمنين وخدمته " (١) .

ويبدو ان عضد الدولة قد راودته الاحلام فى نقل الخلافة الى البيت البويهى ،ذلك انه تزوج فى سنة (٣٦٩هـ/٩٨١م) ابنة الخليفة الطائع لامر الله املا فى ان يرزقه الله ولدا منها فتصير اليه ولاية العهد ،فتنتقل الخلافة الى بنى بويه ،وفى الوقت نفسه فانه زوج ابنته الى الخليفة (٢) .

وقد استمرت الخلافة العباسية فى الضعف والتدهور والانحطاط حتى ان عضد الدولة لما رجع من همذان الى بغداد طلب من الخليفة الطائع لامر الله انيخرج للقائه فاضطر الخليفة الى تلبية طلبه . واكثر من هذا

---

(١) جلال الدين عبدالرحمن بن ابى بكر السيوطى ـ تاريخ الخلفاء (تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ،دار النهضة ،القاهرة ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م) (ص ٤٠٨) .

(٢) مسكويه ـ م . س (٤١٤/٢)، ابن تغرى بردى ـ م . س (١٣٢/٤، ١٣٥)، ابن العبرى ـ م . س (ص ٢٩٩) .

(٣) الذهبى ـ دول الاسلام (١٦٧/١) .

فقد عمل الامراء البويهيون على اضافة القاب الشرف ذات الدلالة الدينية والسياسية الى اسمائهم ،فعضد الدولة اول من خوطب بشاهنشاه [(١)] ،كما انه اشار على الخليفة الطائع لامر الله ان يمنحه لقب "تاج الملة" [(٢)] ، وعمل خلفاؤه من بعده على التلقب بهذه الالقاب ذات الدلالة الدينية والسياسية ايضا .

ويقول السيوطى : "انظر الى هذا الامر ،وهو الخليفة المستضعف الذى لم تضعف الخلافة فى زمن احد ماضعفت فى زمنه ،ولاقوى امر سلطان ماقوى امر عضد الدولة" [(٣)] .

وقد اشتهر عضد الدولة بحبه للعمارة والتشييد والاصلاح ،وبتشجيعه للادباء ،والعلماء ولعل اعظم منشآته ببغداد البيمارستان العضدى انفق عليه اموالا لاتحصى [(٤)] .

ولعل اهم ماينسب الى عضد الدولة هو تشجيعه للعلماء والادباء وفى الواقع ان فضل احياء مدرسة بغداد الادبية انما يرجع الى عضد

---

(١) الذهبى – العبر (١٣٩/٢) .

(٢) مسكويه – م ٠س (١٢٠/٧) ،ابو الحسين هلال بن المحسن بن ابراهيم الصابى رسوم دار الخلافة (باعتناء ميخائيل عواد ،منشورات المجمع العلمى العراقى ،مطبعة العانى ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م) (ص ١٣١،١٣٢) .

(٣) السيوطى – تاريخ الخلفاء (ص ٤٠٨) .

(٤) الذهبى – العبر (١٣٨/٢) .

الدولة الذى اسبغ على الادباء والشعراء عطفه ورعايته فقصدوا بابه ،ومن هؤلاء المتنبى الذى مدح مناقبه وابو على الفارسى الذى صنف له كتاب "الايضاح"و"التكملة" فى النحو . وابو الحسن السلامى . ومن اهم منشآته ابتداعه زورا مشهد على رضى الله عنه فى النجف الذى اظهره بزعمه (١) وكان قد طلب حساب مايدخله فى العام ،فاذا هو ثلاثمائة الف الف وعشرون الف الف درهم ،وجدد مكوسا ومظالم ،ولما نزل به الموت كان يقول (ما اغنى عنى ماليه هلك عنى سلطانيه) (٢) .

وبعد وفاة عضد الدولة فى سنة (٣٧٢هـ/٩٨٤م) خلفه ابنه ابوكاليجار المرزبان (٣) ،وقد لقبه القوادوالامراء صمصام الدولة (٤) ،ثم لقبه الخليفة الطائع لامر الله بلقب (شمس الملة) تشريفا له بعد ان عزاه ،وولاه الملك كما قام الخليفة الطائع لامر الله بتجديد الخلع ووضع التاج على رأسه (٥) وكان صمصام الدولة سىء السيرة مما زاد من الفوضى والاضطراب فى الدولة غير ان النزاع مالبث ان قام بينه وبين اخيه الاكبر شرف الدولة الذى كانت بيده اصبهان والرى وشيراز (٦) . وقد انتهى هذا النزاع بانتصار

---

(١) الذهبى ــ العبر (١٣٩/٢) .

(٢) ن . م . س (١٣٩/٢) .

(٣) ابن الاثير ــ الكامل (١١٥/٧) .

(٤) ن . م . س (١١٥/٧) .

(٥) ابن الجوزى ــ المنتظم (١٢٠/٧)، الذهبى ــ العبر (١٤٠/٢) .

(٦) ابن الاثير ــ الكامل (١١٥/٧) .

شرف الدولة ودخوله بغداد سنة (٣٧٦هـ/٩٨٨م) ،حيث قبض على اخيه ابي كاليجار صمصام الدولة واعتقله[1] .

خلع الطائع لامر الله على الامير شرف الدولة البويهي ،وعقد له لواءين اسود وابيض وقرأ عهده بين يديه ولقبه ب (السلطان) بدلا من لقب امير الامراء[2] غير ان سلطنة شرف الدولة لم تدم طويلا ذلك انه توفى سنة (٣٧٩هـ/٩٩١م)[3] ،بعد ان كان قد احسن السيرة ،ونظم امور المملكة .

وبعد خمسة ايام من وفاة شرف الدولة ركب الامير ابو نصر الى حضرة الخليفة الطائع لامر الله فخلع عليه الخلع السلطانية ولقبه "بهاء الدولة ضياء الملة" ،وقرىء عهد التقليد ،وقدم اليه فرسا بمركب ذهب[4] ،وخلع عليه سبع خلع اعلاها سوداء ،وعمامة سوداء،وغيرها من الخلع[5] .

ولم يكن الخليفة العباسى الطائع لامر الله ،اسعد حظا مع البويهيين ممن سبقه من الخلفاء العباسيين ،فقد تطاول عليه السلاطين البويهيون

---

(١) ابن الاثير - الكامل (١٣١/٧) .

(٢) الروذراوري ابو شجاع محمد بن حسين - الملقب ظهير الدين - ذيل كتاب تجارب الامم (باعتناء هـ . ف . امدروز - مصر ١٣٣٤هـ) (١٤١/٣) ، ابن الجوزى - المنتظم (١٣٥/٧)، ابو الفدا - المختصر (١٣٢/٢) .

(٣) ابن الاثير - م . س (١٣٨/٧)، الذهبى - العبر (١٥٤/٢) .

(٤) ابو شجاع - م . س (١٤١/٣)، ابن الجوزى - م . س (١٣٥/٧) .

(٥) السيوطى - تاريخ الخلفاء (ص٤١٠) .

فقد قبض عليه فى سنة احدى وثمانين وثلاثمائة ،وذلك بسبب ان بهاء الدولة قد شغب عليه الجند لتأخر مرتباتهم ،فاحتاج الى ذلك المال ،فاغـراه بعض خواصه بالقبض على الخليفة ،وقد لاقى ذلك هوى فى نفسه ،فاضمر السوء للخليفة واستغل اقدام الخليفة على الامر بحبس رجل من خواصه (١) ،فهم الديلم على الخليفة وجذبوه من سريره وتكاثروا عليه ،واحضروه الى دار السلطان والخليفة يقول (انا لله وانا اليه راجعون) ،ولم يغثه احد ،واخذوا مافى دار الخلافة من الذخائر والاموال ،ثم ابيحت لعامة الناس ،واشهد عليه بالخلع ،وسملوا عينيه ،وبايعوا القادر بالخلافة سنة (٣٨١ – ٤٢٢هـ/٩٩٣ – ١٠٣٠م) (٢) ،وفى ايامه استردت الخلافة بعض رونقها ،فقد هادن الخليفة القادر الامير بهاء الدولة وتزوج ابنته (٣) ،غير ان عهده يمثل عهد استقلال الاطراف . حيث اخذت الاقاليم فى الانفصال عن جسم الدولة ،وهذا سنعرض له عند حديثنا عن تدهور الاوضاع ،فقد استقل السامانيون فى خراسان وبلاد ماوراء النهر ،واستقرت الدولة الغزنوية وامتدت حتى الهند ،واستولى العبيديون على بلاد مصر والشام واخضعوا الحجاز وبعض اطراف الجزيرة العربية لنفوذهم . اما البريديون فقد استقروا فى الاهواز والبصرة

---

(١) السيوطى – تاريخ الخلفاء (ص ٤١٠) .

(٢) ابو شجاع – ذيل تجارب الامم (٢٠٢/٣) ، ابن الاثير – الكامل (١٤٨/٧) ، الكتبى – فوات الوفيات (٧/٢) ، السيوطى – تاريخ الخلفاء (ص ٤١٠) .

(٣) الخطيب البغدادى – تاريخ (٣٨/٤) ، ابن الاثير – الكامل (١٤٨/٧) ، ابن طباطبا – الفخرى (ص ٢٩١) .

وامتدت سلطتهم الى واسط ،وكانت بلاد البحرين مقرا للقرامطة الذين امتد تأثيرهم الى اليمامة وبادية العراق وسيطروا على طرق الحج والتجارة فى شمال وشرق الجزيرة العربية . وهكذا فلم يعد لدولة الخلافة العباسية وجود شكلى الا فى بغداد واطرافها اما الحكم الفعلى فيها فقد كان للامير البويهى .

وقد نجح الخليفة القادر بالله فى تولية العهد لولده ابى جعفر عبدالله الذى تلقب بالقائم بامر الله (١) .

وقد ازداد نفوذ بهاء الدولة كثيرا بجانب الخليفة القادر بالله اذ لاول مرة فى تاريخ الخلافة العباسية نجد ان كلا من الخليفة والامير البويهى يحلف كل منهما للآخر على الطاعة والولاء . فقد جمع بهاء الدولة الاشراف والقضاه والشهودعندالخليفة القادر بالله حيث سمعوا يمينه بالوفاء له وتقليده له ماوراء بابه ،اى جميع شئون الخلافة. وفضلا عن ذلك فقد اضاف بهاء الدولة فى خطبة الجمعة الى لقبه هذا لقبين آخرين وهما "قوام الدين" و"صفى امير المؤمنين" ولقب قبلهما بلقب غياث الامة (٢) .

ونتيجة لهذه السياسة التى انتهجها الامير بهاء الدولة البويهى

---

(١) الصابى ـ التاريخ (٣٩٥/٨)، ابن الجوزى ـ المنتظم (٢١٥/٧)، ابن الاثير ـ الكامل (٣٥١/٧)،وذلك كان قبيل وفاة الخليفة القادر بالله بسنة واحدة اى فى سنة ٤٢١هـ/١٠٣٣م .

(٢) هلال الصابى ـ تاريخ (٤١٨/٨)،رسوم دار الخلافة (ص ١٣٢) .

فقد انصرف القادر بالله الى التدين والزهد والاشتغال بالعلوم الدينية واهتمامه بامر الدين وهو ماحرص القادر بالله اشد الحرص عليه ،فقد تمسك بحق الخليفة فى تعيين القضاة والائمة ،كما اشتد فى محاربة المعتزلة ،وفى محاربة الدعوة الاسماعيلية ،وقد انعكس ذلك فى وصف بعض المؤرخين فترة حكم الخليفة القادر بالله بقوله :"وفى ايامه رجع وقار الدولة العباسية ونمى رونقها واخذت امورها فى القوة "[(١)] .

واما شرف الدولة فقد امتد عهده حتى سنة (٤١٥هـ/١٠٢٦م) غير ان عهده القصير الامدشهد تدهور نفوذ البويهيين عامة بسبب صغر سن امرائهم الذى ادى الى ازدياد نفوذ الجيش ،وقد ولى شرف الدولة وهو فى الثامنة عشر من عمره ،وتوفى وعمره لم يتجاوز ثلاثا وعشرين سنة[(٢)] .

ثم خلف شرف الدولة اخوه جلال الدولة (٤١٦ - ٤٣٥هـ/١٠٢٧ - ١٠٤٦م) . وكان هذا ضعيفا سىء التدبير ،كما عرف عنه تعصبه الشديد للشيعة العلوية وهذا ادى الى كثرة تكرر النزاع بين السنة والشيعة فى بغداد ،ولم يخل عهده من الحروب الاهلية فقد نشبت الحرب بينه وبين ابن اخيه سلطان الدولة ابى كاليجار الذى كان قد تمكن من انتزاع السلطة من ابى منصور فيروز الذى عرف بالملك العزيز بن السلطان جلال الدولة بعد بضعة اشهر.

وفى عهد السلطان الدولة ابى كاليجار (٤٣٥ - ٤٤٠هـ/١٠٤٦ - ١٠٥١م) ، ظهر عامل آخر من العوامل التى ادت الى القضاء على البويهيين وهو قوة

---

(١) ابن طباطبا - الفخري ص/ ٢٩١ .
(٢) ابن الاثير - الكامل (٣٢٢/٧)،حسن ابراهيم حسن - تاريخ الاسلام (٦١/٣) .

ظهور قوة السلاجقة وتهديدهم للدولة البويهية فى عقر دارها مما دعا ابا كاليجار الى بناء سور حول مدينة شيراز [١] . وفى الوقت نفسه اتجه الى مسالمة طغر لبك السلجوقى ،وادت هذه السياسة الى عقد الصلح بينهما ومصاهرة البيتين السلجوقى والبويهى ،بان تزوج طغر لبك من ابنة ابى كاليجار وتزوج الامير منصور بن ابى كاليجار من ابنة الملك داوداخى طغر لبك [٢] . وفى عهده ازداد نشاط دعاة الشيعة الاسماعيلية فى فارس وفى بلاد الديلم وذلك بفضل جهود داعى دعاتهم فى فارس المؤيد لدين الله ابن موسى بن ابى عمران، الذى نجح فى اقناع ابى كاليجار نفسه بالدخول فى مذهبه ،وقد انتهى الامر بالسلطان ابى كاليجار ان يقول لهذا الداعية بان قد "اسلمت نفسى ودينى اليك ،وانى راض بجملة ما انت عليه" [٣] . ومما يذكر ان ابا كاليجار هذا قدتخلى عن مناصرة المذهب الاسماعيلى حيث قال بعد مناظرة بين المؤيد وبين عالم من اتباع مذاهب اهل السنة " بان

---

(١) ابن الاثير ـ <u>الكامل</u> (٨/ ٤٠) .

(٢) ن . م . س (٨/ ٤٤) .

(٣) ابو معين ناصر خسرو ـ <u>سفر نامه</u> (ترجمه من الفارسية الى الفرنسية شيفر ،باريس ١٨٩١م ،نقله الى العربية د. يحيى الخشاب ـ القاهرة ١٩٤٥م) (ص ٧ ـ ٨) .

مناظرة السنى خير منه ومن جميع ابناء القداح "[١] .

وهنا ايقن المؤيد ان السلطان قد تخلى عنه ،وان حياته اصبحت فى خطر وان بقاءه في شيراز غير محمود ،فظل متخفيا بها الى ان فر الى القاهرة مقر الخليفة المستنصر الفاطمى وكان ذلك عام (٤٣٧هـ/١٠٤٥م)[٢] ويذكر ايضا ان مجد الدولة ابا طالب رستم مثلا كان باطنيا[٣] .

وخلف السلطان عماد الدولة ابا كاليجار المرزبان فى الحكم ابنه ابو النصر خسرو فيروز الذى عرف بالملك الرحيم (٤٤٠ - ٤٤٧هـ/١٠٤٨-١٠٥٥م)

---

(١) ميمون بن عمرو القداح اهوازى الاصل،تنسب اليه الفرقة الميمونية وهو والد عبدالله بن ميمون القداح الذى اسس فرقة القرامطة وشعبذ على الناس ومخرق عليهم بان الارض تطوى له وهو فى ذاك يستخدم الحمام الزاجل . لمعلومات اوفى انظر ابن النديم - الفهرست (ص ٢٦٤ ٢٦٥) ، البغدادى - الفرق بين الفرق (ص ٢٨٠) ، ابن الجوزى - القرامطة المقريزى - الخطط (٣٤٥/٢) ، الدهلوى - مختصر التحفة الاثنى عشرية (ص ١٧) ،متز - الحضارة (٤٢٢/٢) ،د.نظير سعداوى - نظام البريد (ص ١٣٨) ، العدوى- الحمام الزاجل فى العصور الوسطى (المجلة التاريخية المصرية ،العدد الاول ١٩٤٩م) (ص ١٣٧) ،د. طلال رفاعى نظام البريد فى الدولة العباسية حتى منتصف القرن الخامس الهجرى رسالة دكتوراه غير منشورة (ص ٣٤٦) .

(٢) اشارت المصادر المعتمدة الى انه عاد الى العراق بعد ذلك وتعاون مع البساسيرى وال مزيد فى احتلال الموصل ،ثم بغداد والدعوة والخطبة فيها لصاحب مصر كما سنرى فى حديثنا عن دخول السلاجقة الى العراق سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م .

(٣) ناصر خسرو - سفر نامه (ص ٧) .

وفى عهده اشتدت الحروب الاهلية بينه وبين اخوته بسبب كثرة عددهم[1] . مما ادى الى اضعاف نفوذ البويهيين عامة ،وازدياد نفوذ الجيش الذى يسيطر عليه القواد الاتراك . وادى هذا فى نهاية الامر الى استعانة الخلافة العباسية بالسلاجقة للتخلص من البويهيين .

ولقد حرص الامراء البويهيون من جانبهم على صبغ حكمهم بالصبغة الشرعية ،فقد كانوا يحرصون على الحصول من الخلفاء فى اجتماعات عامة على عهود التولية ،وذلك لتثبيت نفوذهم وسلطانهم امام الرعية وامام ولاة الاقاليم ،وكانت المراسم والاوامر والمراسلات تصدر باسم الخليفة وتحمل توقيعه وذلك بعد اقرارها من الامير البويهى وارسالها الى الخليفة للتوقيع عليها دون اى اعتراض .

والملاحظة الاخيرة التيمكن ان نشير اليها فى هذا السياق مما له علاقة مباشرة بموضوع البحث هى ان استبداد الامراء البويهيين بالخلافة وتعسفهم فى الحكم واستهتارهم فى معاملة الوزراء والكتاب قد اضاعت هيبة الوزراء واسقطت كرامة الوزراء والكتاب . وقد ابطل البويهيون رسم الوزارة العباسية فلم يسمحوا بان يكون للخليفة العباسى وزير بل اقتصروا معه على كاتب يدبر له امر ضياعه . وكان عرضة للامتهان والمصادرة والتعذيب بمناسبة وربما دون مناسبة . اما كاتب الامير البويهى فقد كان يقوم باغلب اعباء الوزير ،وكان يتسمى فى الغالب

---

(١) ابن الاثير ـ الكامل (٨/٤٨)، حسن ابراهيم حسن ـ تاريخ الاسلام (٣/٦٧) .

بالوزارة ،غير انه فقد نفوذ الوزير وكان تحت رحمة الامير بلاحول ولاقوة ولم يكن يجرى تحرى اختيار العناصر الكفوءة الصالحة لمنصب الوزارة للامير ،وقد يتعرض الوزير للامتهان والتقريع بل وحتى الضرب ،وايقاع العقوبات الجسدية دون ان يعزل عن الوزارة (١) . وفى اواخر القرن الرابع طرأ تطور جديد مع منصب الوزارة ذلك ان الامير البويهى بدأ فى اختيار شخصين لهذا المنصب احدهما يقيم فى فارس والثانى فى مقر الخلافة مع الامير (٢) . وفى احدى المناسبات جمع الوزيران فى مقر الخلافة واشتركا فى القيام باعباء المنصب الواحد وجرى ترتيب امريهما على التناوب فى العمل يوميا ،وعلى الاقتراع على من يخرج مع الامير والجيش. غير ان هذه التجربة لم تكن موفقة وكانت نتائجها وبالا على الوزارة وادارة الدولة على حد سواء (٣) .

---

(١) مسكويه ـ تجارب (١٤٥/٢، ٢٨٥)، ابن الاثير ـ الكامل (٣٩٢/٧).

(٢) ابن الاثير ـ الكامل (١٤٥/٧) .

(٣) ياقوت ـ معجم الادباء (٧١/١) .

افـــلاس خزينـــة الدولـــــة :

لقد اضطربت الحالة الاقتصادية فى الدولة العباسية بسبب كثـــــرة الضرائب ،واشتداد وطأتها على الشعب من قبل البويهيين وصاحب هـــــذا اضطراب الامن الداخلى ،حيث اصبح الخليفة العباسى لايملك شيئا مع هـــذه القوة البويهية. فيذكر صاحب الفخرى ان الخليفة العباسى الراضى باللـــه (٣٢٢ - ٣٢٩هـ/٩٣٣ - ٩٤٠م) هو "آخر خليفة انفرد بتدبير الملك وآخـــر خليفة خطب على منبر يوم الجمعة . وآخر خليفة جالس الندماء ووصل اليـــه العلماء . وآخر خليفة كانت مراتبه وجوائزه وخدمه وحجابه تجرى علـــى قواعد الخلفاء المتقدمين "(١) . ثم توالى على السلطة خلفاء لايملكـــون شيئا مع القوة البويهية التى وضعت جل اهتمامها جمع الاموال وبأى طريقـة كانت وقد اتبع البويهيون اساليب المصادرة من اجل الحصول على الامـــوال حتى وان كان ذلك على حساب الطبقات الفقيرة ،ويصف (التوحيدى) حالــــة العراق وماآلت اليه الحال سنة (٣٧٥هـ/٩٨٥م) فيقول :" انه بيت الفتـــن والغلاء ،وهو فى كل يوم الى الوراء ومن الجور والضرائب فى جهد وبـــلاء"(٢).

وكانت الاموال الطائلة تنفق فى غير طريقها من قبل السلاطيـــــن البويهيين وبعضها انفق فى المظاهر الخاصة ،فقد استولى معز الدولة علـى

---

(١) ابن طباطبا - الفخرى (ص٣٨٠) .

(٢) ابو حيان على بن محمد بن العباس التوحيدى - مثالب الوزيريــــن (تحقيق ابراهيم الكيلانى . دمشق ١٣٨١هـ/١٩٦١م) (ص٢ -٥) .

المكوس واخذ اموال الناس فى غير وجهها ،وقد اقطع قواده واصحابه القطائع وكذلك بطلت الدواوين ،وقد ازداد الظلم ومصادرة الرعية[١]. وقد سبقت الاشارة الى ان معز الدولة كان قد بنى ببغداد قصرا له سنة (٣٥٠هـ/٩٦١م) فى غاية الحسن والكبر انفق عليه مبالغ طائلة[٢]. فى حين نجده يحد من نفقات الخليفة ويقوم بالسيطرة على ايراداته حتى لم تبق له الا مايغل فى حدودخمسين الف دينار فى السنة[٣]. وعندما يحتاج معز الدولة الى المال كان يعمد هو واصحابه الى نهب ومصادرة اموال التجار وغيرهم وكان مبلغ ما اخذه واصحابه من اموال المعروفين من الوجهاء والتجار دون غيرهم عشرة الاف الف دينار(عشرة ملايين)[٤] وكانت حروبه تستهدف الكسب المادى ،وهكذا فانه فى تحركاته العسكرية ضد الموصل وجزيرة ابن عمر وقتاله ضد الحمدانيين انما كان من اجل الكسب والحصول على الاموال[٥].

ولم تكن سيرة الامير عز الدولة البويهى افضل من سياسة ابيه وتوجهاته المحمومة الى جمع المال ،فقد انحصر همه فى البحث عن المال

---

(١) ابن خلدون – العبر (٧٧٨/٣) .

(٢) الذهبى – العبر (٨٢/٢) .

(٣) ابن الجوزى – المنتظم (٣٥٧/٦)، القرمانى – اخبار الدول (ص١٧٠) .

(٤) ابن كثير – البداية والنهاية (٢١٣/١١)، ابن الاثير – الكامل(٣١٦/٦).

(٥) ابن كثير – م . س (٢٤٤/٣)، ابن الاثير – م . س (٣٢٩/٦) .

لقضاء مآربه ،وبذلك كثرت مصادراته ونفيه لكبار الديالمة طمعا فـي اموالهـم[1] .

ولقد طالب الامير عز الدولة البويهى الخليفة المطيع لامر الله بان يقدم له مايقدر عليه من الاموال لغرض انفاقها فى الجهاد مؤكدا على ان ذلك من واجبات الخليفة وقد سبق ان اشرنا الى ذلك ،حيث رفض الخليفة الاستجابة معلنا ان الامور لمتعد بيديه وبان اختصاصاته قد سلبت منه من قبل البويهيين والمتغلبين وبأن مايتوفر لديه منالاموال لايكاد يكفى لسد حاجاته الضرورية ،وبانه ازاء ذلك لايلزمه "غزو ولاحج ولاشىء مما تنظر الائمة فيه" . واوضح بانه يعرف تماما انهم قد ابقوه فى منصب الخلافة ليكسبوا حكمهم الصبغة الشرعية ولضمان تهدئة الاوضاع وسكوت الناس. وعرض عليهم فى الاخير ان يعتزل الخلافة .

ان هذه المحاولة تعكس على كل حال مدى رغبة عز الدولة السيطرة على اموال الخليفة او غيرها من اموال المسلمين ،ويلاحظ من ذلك ان خزينة الدولة كانت خاوية .

وفى سنة (٣٦١هـ/٩٧٢م) طلب عز الدولة بختيار من الخليفة المطيع لامر الله الاموال لغرض الانفاق على الغزاة فاجابه الخليفة " لو كان الخراج يجب لى دفعت منه مايحتاج اليه المسلمون ،ولكن انت تصرف منه فى وجوه ليس بالمسلمين اليها ضرورة ". غير انالامير عز الدولة البويهى

---

(١) ابن الاثير ـ الكامل (٢٢/٧) .

هدد المطيع لامر الله وحفظ عليه حتى اضطره الى بيع ثيابه وانقاض داره وغير ذلك لتدبير مبلغ اربعمائة الف درهم ،صرفها عز الدولة بختيار فى مصالحه وامتنع عن الغزو [(١)] . وشاع بين الناس من العراقيين ،وحجاج خراسان وغيرهم ان الخليفة قد صودر [(٢)] ،كما صودرت اموال كبار رجال الدولة واستردت اقطاعاتهم [(٣)] .

وفى عهد الامير بهاء الدولة البويهى شغب الجند بسبب تأخير صرف مرتباتهم ،فاحتاج الى المال فاشار عليه ابو الحسن بن المعلم (وكان مقربا عنده) بالقبض على الخليفة الطائع لامر الله ،واطمعه فى امواله فكان ذلك نهاية حكم الخليفة الطائع لامر الله حيث خلع وسمل ونهبت داره [(٤)] . وحينما توفى بهاء الدولة سنة (٤٠٣هـ/١٠١٢م) وجد عنده من الاموال مالم يجمعه احد من امراء بنى بويه ،كان قد جمعها خلال فترة امارته وكان قد عرف بالبخل وبكثرة مصادراته [(٥)] .

وفى سنة (٤١٩هـ/١٠٢٨م) شغب الاتراك على جلال الدولة لتأخير مرتباتهم وارزاقهم ونهبوا دار الوزير ابن ماكولا ،ودور الكتاب ،كما

---

(١) ابن الاثير – الكامل (٤٥/٧)،ابن كثير – البداية والنهاية (٢٦٦/١١–٢٧٢) .

(٢) ابن الاثير– م . س (٤٥/٧) .

(٣) القلقشندى – مآثر الانافة (١١٩/١) .

(٤) ابن الاثير – الكامل (١٤٧/٧) .

(٥) ابن الجوزى – المنتظم (٢٦٤/٧) .

نهبوا كمية من الذهب كان قد اخرجها جلال الدولة لتضرب دنانير ودراهم ولتفرق بينهم حتى انهم حاصروا جلال الدولة فى داره ،ومنعوه الطعام والماء ،حتى شرب ماء البئر وتقوت على بقايا ثمر البستان .(١)

وفى سنة (٤٢٢هـ/١٠٣٠م) توفى الخليفة القادر بالله ،واستخلف ابنه القائم بامر الله (٤٢٢ - ٤٦٧هـ/١٠٣٠ - ١٠٧٤م) الذى طالبه الاتراك برسم البيعة ،فاعلمهم بان والده لم يخلف له مالا . فكان صادقا ،ذلك ان الخليفة القادر بالله كان افقر الخلفاء .وصالحهم على ثلاثة آلاف دينار وعرض الخليفة القائم بامر الله خانا وبستانا للبيع لغرض تدبير ذلك المبلغ .(٢)

فهذا يبين مدى الضعف والانهيار المالى الذى حل بالخلافة العباسية فى مقابل سلاطين بنى بويه الذين سيطروا على الخزائن ،وتحكموا فى الاموال ووضعوا المكوس والرسوم الثقيلة واشاعوا المصادرات دونما سبب بهدف زيادة مدخولاتهم الخاصة على حساب الامة ومصالح الخلافة . كما انفردوا بالسيطرة على مرافق الدولة التى باتت تشكو الفوضى وسوء الادارة والازمة المالية المستحكمة .

وخلال هذه الفترة تدهورت حالة الزراعة الى درجة كبيرة ،وربما

---

(١) ابن الاثير - م . س (٣٣٢/٧)، الذهبى - العبر (٢٣٦/٢) .

(٢) ابن الجوزى - المنتظم (٥٩/٨)، اليافعى - مرآة الجنان (٤١/٣)، الذهبى العبر (٢٤٦/٢) .

كان السبب فى اهمال قنوات الارواء الزراعى ،وتعمد تخريبها نتيجة المنازعات وفوضى الجند الديالمة .

وقد يكون اهمال نظام الارواء وعدم الاهتمام باصلاح البثوق اوالعناية بكرى القنوات من الاسباب المهمة فى تدهور حالة الزراعة ،اضافة لما سبق ذكره من العوامل الفاعلة الاخرى فى هذا المجال من تقلص اراضى الخلافة وشيوع المصادرات والمكوس التى جعلت الفقر شاملا والتى قللت من امكانية المواطنين من الحصول على التغذية المطلوبة مما اضعف مقاومة الافراد وجعلها عرضة للامراض والاوبئة التى شاعت ضرباتها الوبائية الى درجة كبيرة. ولقد افل نجم سلطنة بويه واضمحلت دولتهم وتقلصت مواردهم المالية حتى افلست الخزينة . وتشير المصادر الى مدى استحكام الازمة المالية التى واجهها الامير جلال الدولة البويهى فقد قطعت عنه الاموال حتى قورن بالخليفة العباسى فى فاقته وحاجته ،فاخرج ثيابه وآلاته وباعها فى الاسواق وخلت داره من صاحب وفراش وبواب ،وصار اكثر ابواب قصره مغلقا على الدوام ،وانقطع ضرب الطبل على بابه فى اكثر الايام بسبب انقطاع الطبالين عن الحضور .(١)

وفى سنة (٤٢٣هـ/١٠٣١م) نهب الجند الاتراك دار السلطان جلال الدولة البويهى على قلة ماكان فيها ،وسلبوا الكتاب دار باب الديوان ثيابهم وهرب الوزير ،وقطعت الخطبة للسلطان جلال الدولة من منابر جوامع بغداد

---

(١) ابن الاثير ـ الكامل (١٥٦/٧) .

وهكذا فقد كانت الازمة المالية كالحة مستحكمة وكانت الاوضاع العامة تنذر بالخطر وتنبىء عن انتظار تطورات خطيرة جديدة [(١)] .

---

(١) ابن الاثير – الكامل (٣٥٦/٧)،وانظر حسين امين–تاريخ العراق في العصر السلجوقي (ص ٣٨) .

تدهور الاوضاع فى بغداد ودور العيارين:

ان تمزق الجند العباسى فى بغداد خلال احداث الفتنة بين الامين والمأمون وردود الفعل العربية لتسلط الفرس، اضافة الى نشاط الدعوة العلوية بين العرب، والتهديد الذى واجهته الخلافة، وخصوصا ثورة بابك الخرمى التى اعجزت الخليفة المأمون، وماعرف عن الترك من شجاعة فى القتال. كل ذلك كان سببا فى اتجاه الخلافة الى الاتراك وتكوين فرق عسكرية جديدة منهم. وهذا الاتجاه بدأ فيه المأمون بنفسه على آخر ايام خلافته فى نطاق محدود ثم تبناه الخليفة المعتصم بالله سياسة ثابتة رافقها ايقاف العطاء والمساعدات للقبائل العربية.(١)

ولقد كان اعتماد العنصر الجديد هذا مثار خلاف مع فرق الجند العباسية القديمة من جهة ومع اهل بغداد من جهة اخرى مما فرض اتخاذ عاصمة جديدة فى (سر من راى) التى اصبحت مركزا للجند التركى.

بدأ الجند الترك فى فترة حكم الخليفة الواثق بالله (٢٢٧ /٢٣٣هـ) فى التدخل فى امور الخلافة وتولى الولايات، بل انه تدخل فى اختيار المتوكل (٢٣٣هـ/ ٨٣٦م) للخلافة، كما انه لعب دورا اساسيا فى اغتيال المتوكل حيث خربت بعدها مفاهيم الخلافة واسسها النظرية وتحكم الجند فى تعيين الخلفاء وعزلهم حسب اهوائهم واشتغلت العاصمة بدوامة من القلق والاضطراب زاد فيها التنافس على السلطة والاحتكاك بين الاتراك والفصائل

---

(١) الدورى ــ مقدمة كتاب المؤسسات الادارية (ص د).

الاخرى واصيبت الخلافة بشلل شجع الاتجاهات الانفصالية فكان من آثار هــــذه الفترة قيام الامارة الطولونية (٢٥٤ – ٢٩٢هـ/٨٦٨ – ٩٠٤م) فى مصر والشام والامارة الصفارية (٢٥٤ – ٢٨٩هـ/٨٦٨ – ٩٠١م) فى سجستان وجنوب ايــــران حتى خراسان ،والامارة السامانية (٢٦١ – ٣٨٩هـ/٨٧٤ – ٩٩٨م) فى بــــلاد ماوراء النهر وخراسان ،والامارة الزيدية فى طبرستان وبلاد الديلم ٠ ومـع ان الخلافة قد استعادت بعض مكانتها نتيجة جهود الموفق وولـــده المعتضـــد (٢٧٩ – ٢٨٩هـ/٨٩٢ – ٩٠١م) ،ثم المكتفى (٢٨٩ – ٢٩٥هـ/٩٠١ – ٩٠٧م) ،فـــان وصول المقتدر (٢٩٥ – ٣٢٠هـ/٩٠٧ –٩٣٢م) الى الخلافة قد ساعد الجند علـى العودة الى التدخل ،وانتهى الامر بمقتل الخليفة وفرض الجند التـــرك سيطرتهم الكاملة على الخلافة عن طريق امير الامراء٠

ولقد منى نظام امرة الامراء بفشل ذريع وعجز عن مواجهة مشاكـــل الخلافة المتمثلة بالازمة المالية المستحكمة وانفصال الاطراف وضياع هيبة الخليفة ٠ وكان ذلك مقدمة لدخول البويهيين بغداد ٠

ان ضعف الخلافة العباسية نتيجة تسلط الاتراك والبويهيين علــى الحكم قد ادى الى انتشار الفوضى ،وتدهور الوضع عما كان عليه ،كمــا ادى الى ظهور عدة دويلات جديدة ٠ فقد ظهرت فى عهد الخليفة القادر باللــه الدولة العقلية التى اسسها ابو الزود محمد بن المسيب بن رافع بن مقلد

العقيلى بالموصل[(١)] . واستمرت هذه الدولة العربية الى ان انتهت على يد السلاجقة سنة (٤٨٩هـ/١٠٩٦م)[(٢)] . وفى ديار بكر ظهرت دولة الاكراد من مروان على يد ابى على بن مروان[(٣)] . وكان ذلك عام (٣٨٠هـ/٩٩٢م) بعد قتل خاله (باذ) الكردى واستمرت هذه الدولة الى سنة (٤٨٩هـ/١٠٩٦م) ،حتى سقطت على يد السلاجقة ايضا[(٤)] .

وقد استولى على مصر فى اول عهد الخليفة القادر بالله بكجور ،الذى كان واليا على دمشق للعزيز بالله الفاطمى . كما استقل سعد الدولة بن سيف الدولة بن حمدان بحلب الى انقامت على انقاضها الدولة المرداسية فى حلب سنة (٤١٤هـ/١٠٢٥م) ،واستمرت هذه الدولة حتى سنة (٤٧٢هـ/١٠٧٩م) حيث

---

(١) محمد بن المسيب بن رافع العقيلى ويكنى بابى الزوذ امير بنى عقيل كان صاحب نصيبين ،لقبه "اقبال الدولة" ملكالموصل سنة ٣٨٠هـ ،واقره بها بهاء الدولة بن بويه ،وفى سنة ٣٨٢هـ ارسل بهاء الدولة جيشا لمحاربة العقيلى فى الموصل وفيها ظفر جيش بهاء الدولة فى اول الامر الا ان شقاقا حدث فى صفوف الجيش ،وهذا ماجعل ابو الزوذ يحتفظ بامارته الى سنة وفاته التى كانت فى سنة (٣٨٦هـ/٩٩٦م) . انظر ابن خلدون ــ التاريخ (٤/٢٥٥) ، ابن الاثير ــ الكامل (٩/٢٦) ، ابن تغرى بردى ــ النجوم الزاهرة (٤/١١٦، ٢٠٣) ، الزركلى ــ الاعلام (٧/٩٨) .

(٢) ابن الاثير ــ الكامل (٨/١٨٠) ، الخضرى ــ تاريخ الامم الاسلامية (ص٤٠٠ ــ ٤٠١) .

(٣) على بن مروان : اول ماظهرت دولة بنى مروان على يده فشملت حصن كيفا وميافارقين ،وامد حيث قتل هناك . ابن الاثير ــ الكامل (٧/١٤٣، ١٤٤) .

(٤) ابن الاثير ــ الكامل (٧/١٤٣) ، (٨/١٧٩، ١٨٠) ، الخضرى ــ م . س (ص٤٠١ ــ ٤٠٢) .

انتهت على يد الدولة العقيلية . فهذا بعض ماحدث فى عهد الخليفة القادر بالله فقط . اضف الى ذلك بعض الفتن التى حدثت فى بغداد والتى ادت الى تدهور الاوضاع بها .[1]

وفى سنة (٣٧٤هـ/٩٨٦م) وقعت فتنة ببغداد بين الديلم ،وسببها ان اسفار بن كردويه – وهو من اكابر القواد – اراد ان يولى ابا نصر بن عضد الدولة نيابة عن اخيه شرف الدولة ،وانتهت هذه الفتنة بعد حروب بأسر اسفار بن كردوية .[2]

وفى سنة (٣٧٦هـ/٩٨٨م) وقعت فتنة فى بغداد بين الاتراك والديلم وسببها اجتماع الديالمة مع شرف الدولة حتى بلغت عدتهم خمسة عشر الف رجل ،وكان الاتراك فى ثلاثة آلاف فاستطال الديلم عليهم ،وحصلت منازعات بين الطرفين تحولت الى حرب طاحنة انتهت بانتصار الاتراك على الديلم .[3]

وفى سنة (٣٧٩هـ/٩٩١م) تكرر حصول الفتنة ببغداد بين الاتراك والديلم ووقع بينهما قتال دام خمسة ايام . وقد حاول الامير البويهى بهاء الدولة ان يهدىء الوضع وان يصل بالطرفين المتقاتلين الى الصلح ،الا ان عددا من رسله قتلوا ،فانضم بقواته الى الاتراك ،ودامت المعارك الدامية اثنى عشر يوما وبعدها قويت شوكة الاتراك مما ادى الى اسراع الديلم

---

(١) ابن الاثير – الكامل (١٢٧/٨) .

(٢) ن . م . س (١٢٥/٧) .

(٣) ن . م . س (١٣٠/٧، ١٣١) .

الى قبول الصلح .[١]

وفى سنة (٣٨١هـ/٩٩٣م) شغب الديلم ببغداد ومنعوا من الخطبة وذلك حينما تم اختيار القادر بالله خليفة ،فقيل على المنبر : اللهم اصلح عبدك وخليفتك ،ولم يذكروا اسمه . وقد تدخل الامير بهاء الدولة وتمكن من تهدئتهم واعادة الامر الى نصابه .[٢]

وفى سنة (٣٨٢هـ/٩٩٤م) شغب الديلم انفسهم على بهاء الدولة ،ونهبوا دار الوزير ابى نصر بن سابور الذى اختفى خوفا منهم ،وتعدد الاشخاص الذين رشحوا للوزارة دون طائل واخيرا اعيد ابو نصر بن سابور الى الوزارة بعد ان تم عقد الصلح مع الديلم .[٣]

وفى سنة (٣٩١هـ/١٠٠٢م) ثار الاتراك بنائب السلطان ابى نصر سابور فهرب منهم ووقعت فتنة بين الاتراك والعامة من اهل الكرخ وقتل من الطرفين عدد كبير من القتلى قبل ان يتمكن الاشراف من اصلاح الحال .[٤]

وفى رجب سنة (٣٩٧هـ/١٠٠٩م) وقعت فتنة ببغداد ،وسببها ان جماعة

---

(١) ابن الاثير ـ الكامل (١٣٩/٧) .

(٢) ن . م . س (١٤٨/٧) .

(٣) ن . م . س (١٦١/٧،١٦٢) .

(٤) ن . م . س (٢١١/٧) .

من الهاشميين من باب البصرة آذوا ابن المعلم فقيه الشيعة في مسجده [1] بالكرخ . مما دفع اصحابه الى ان يثوروا ،وقد عظمت الفتنة ،حتى ان السلطان سجن جماعة من اصحاب ابن المعلم ،وامر باخراج الفقيه ابن المعلم من بغداد فشفع فيه علي بن مزيد فاعيد [2] .

وفي سنة (٤١٦هـ/١٠٢٥م) زاد تسلط الاتراك ببغداد فاكثروا من مصادرات الناس وفرضوا الجبايات دون وجه حق حتى انهم قسطوا على اهل الكرخ خاصة مائة الف دينار ،وقد عظم الخطب وزاد الشر واحرقت المنازل والاسواق [3] .

وفي سنة (٤١٨هـ/١٠٢٧م) بلغ الامر بالاتراك الى اقامة الخطبة لمن يشاؤا ،ففي جمادى الاولى خطب للملك جلال الدولة بن طاهر بن بهاء الدولة دون علم وموافقة الخليفة ،ولكن سرعان ما ان اعادوا الخطبة لابي كاليجار حيث قدموا اعتذارهم للخليفة [4] .

---

(١) ابو عبدالله محمد بن النعمان المعروف بابن المعلم كان فقيه الشيعة في بغداد وهو الذي ترأس امر الفتنة التي حدثت حول ما ادعته الشيعة من مصحف عبدالله بن مسعود . ولمعلومات اوفى انظر ابن الاثير ـ الكامل (٥٣٩/٧)، ابن كثير ـ البداية والنهاية (٣٣٨/١١) .

(٢) ابن الاثير ـ م . س (٢٣٩/٧)، ابن كثير ـ م . س (٣٣٨/١١ ـ ٣٣٩) .

(٣) ابن الاثير ـ الكامل (٣٢٥/٧) .

(٤) ن . م . س (٣٢٩/٧) .

وفى سنة (٤١٩هـ/١٠٣١م) شغب الاتراك وثاروا على جلال الدولة ،وطالبوا الوزير ابا على بن ماكولا بمالهم من العلوفة والادرار ثم تجمعوا عليه فنهبوا داره ودور كتاب الملك وحواشيه ،ولم يسلم من شرهم احد فقد نهبوا حتى المغنين ،والمخنثين ،ثم تدخل الخليفة فاصلح الامر بين الاتراك وبين جلال الدولة.(١)

وفى سنة (٤٢٦هـ/١٠٣٤م) انحل امر الخلافة والسلطنة ببغداد ،حيث استطاع بعض الاكراد ان يجردوا بعض الجند من دوابهم ،وقد عجز جلال الدولة عن اخذ اولئك الاكراد الذين استفحل امرهم كثيرا.(٢)

ومن الفتن التى لها دور فى تدهور الاوضاع فى بغداد ،ماحدث سنة (٤٢٨هـ/١٠٣٦م) من فتنة بين جلال الدولة وبين بارسطغان الذى كان من اكابر الامراء والذى لقب بحاجب الحجاب ،فقد نسب جلال الدولة اليه فساد الاتراك ،وبالمقابل فقد نسب الاتراك الى جلال الدولة الاستبداد بالاموال وقد تأزمت الامور بين الطرفين الى درجة ان دفعت باسطغان الى اللجوء الى دار الخلافة خوفا على نفسه ،وقد بدأت المراسلات بين جلال الدولة وبين الخليفة العباسى القائم بامر الله فى امر سطغان ،وفى الوقت نفسه كان الخليفة يقوم بمراسلة الملك ابا كاليجار ،فارسل الاخير جيشا

---

(١) ابن الاثير ـ الكامل (٣٣٢/٧) .

(٢) ن . م . س (٧/٨) .

تمكن من طرد الملك العزيز جلال الدولة من بغداد الى اوانا ،ومعه البساسيرى[1] ،وازاء ذلك فقد طلب باسطفان من الخليفة القائم بامر الله باقامة الخطبة لابى كاليجار ،فاحتج الخليفة بالعهود الوثيقة التى قطعها لجلال الدولة . ولكن الخطباء اكرهوا من قبل الاتراك على الخطبة لابى كاليجار . غير ان جلال الدولة عاد الى الجانب الغربى من بغداد وخطب له منها ،وازاء ذلك فقد بادر بارسطفان بالانحدار الى واسط ،غير ان جلال الدولة لم يهمله ،فقدتعقبه رجال جلال الدولة ،واسروه ،واقتادوه الى جلال الدولة الذى تخلص منه قتلا .[2]

وفى سنة (٤٣١هـ/١٠٣٩م) عاد الاتراك فشغبوا على جلال الدولة ببغداد حيث اخرجوا خيامهم الى ظاهر البلد ثم اوقعوا النهب فى عدة مواضع منه فخافهم السلطان جلال الدولة وعبر بخيامه الى الجانب الغربى ،وقد ترددت الرسل بينهم فى الصلح ولكن الجند الاتراك طمعوا فى التخلص من جلال الدولة ،وآذوا الناس ونهبوا وقتلوا ،وفسدت الامور بالكلية الى حد لايرجى صلاحه .[3]

---

(١) البساسيرى : احد الاتراك ويقال له ابو الحارث ارسلان البساسيرى وكان رأس الاتراك البغدادية ،وكان يتحكم على القائم بامر الله الى ان خرج عليه ،وهو من بسا ـ وبالعربية فسا وهى من فارس ـ السمعانى الانساب (٢١٨/٢) .

(٢) ابن الاثير ـ الكامل (١٣/٨،١٤) .

(٣) ن . م . س (٢١/٨) .

وفى سنة (٤٣٦هـ/ ١٠٤٤م) وبعد وفاة الملك جلال الدولة ،اقيمت الخطبة للملك كاليجار الذى بادر بارسال الاموال للجند ببغداد واولادهم ،كما انه امر بالخلع على اصحاب الجيوش ،وهم البساسيرى والنشاورى ،والهمام ابو اللقاء غير ان الامور كانت فى غاية السوء ،فقد جرى من ولاة العرض تقديم لبعض الجند وتأخير لآخرين فشغب بعضهم وقتلوا واحدا من ولاة العرض بمرآى من الملك ابى كاليجار (١) .

وفى سنة (٤٤٦هـ/ ١٠٥٤م) شغب الاتراك بسبب ان وزير الملك الرحيم ابى عبدالله عبدالرحمن بن اليحسين بن عبدالرحيم - اخر لهم مبالغ كثيرة من رسومهم ،فاختفى الوزير بعد ان قدموا شكوى منه ولكن دون جدوى وقد شكوا الديوان دونجدوى ايضا ،فما كان الا ان استعملوا اسلوب العنف فنهبوا دار الروم . واحرقوا البيع ،والقلايات ،ونهبوا كل من ورد الى بغداد ،ومع ان الوزير قداعاد للاتراك كافة استحقاقاتهم من ماله الخاص فان اطماعهم قد تنامت فانضاف اليهم الاعراب ،وعاودوا الغارات والنهب والقتل فخربت اكثر من ارباع بغداد وتفرق اهلها (٢) .

ان من اهم الفتن التى حدثت فى بغداد تلك التى كان قائدها البساسيرى ،وكانت سببا مباشرا فى دخول السلاجقة بغداد ،وسنبين ذلك فى الفقرة التالية .

---

(١) ابن الاثير - الكامل (٤٠/٨)،ابن كثير - البداية والنهاية (٥٢/١٢).
(٢) ابن الاثير - الكامل (٦٧،٦٦/٨) .

حدثت فتن عنيفة بين السنة والشيعة بسبب تسلط البويهيين ودعمهم لحركات التشيع العلوى وتقريبهم لعلماء الشيعة وتعضيدهم اياهم . فقد انشأوا عددا منمراكز التشيع فلقد اظهر عضدالدولة ان قبر على بن ابى طالب يقع فى موضع حدده فى النجف فشيد ضريحا كبيراللقبر المزعوم . وفى سنة (٣٦٨هـ/٩٧٨م) بنى عضد الدولة ضريحا آخر فى كربلاء زعم انه بناه لقبر الحسين بن على رضى الله عنهما . اما فى بغدادفانه بنى مسجدا براثا فى الكرخ وجعله مركزا لبث الدعوة الشيعية العلوية كما بنى عددا من الاضرحة والمشاهد التى تعد مراكز للتشيع . وقدادى ذلك لتنامى شعور العامة من اتباع مذاهب اهل السنة بضرورة التصدى لمحاولات البويهيين فى اشاعة التشيع ولذلك فانه لم يكن من المستغرب ان يقفوا بوجه تحركات الشيعة فى بغداد بكل عنف واستبسال . وهكذا فقد تدهورت الاوضاع فى بغداد .

ففى سنة (٤٤٣هـ/١٠٥١م) تجددت الفتنة بين اهل السنة والشيعة العلوية ،وكانت اضعاف ماكانت عليه قديما،وسببها اناهل الكرخ شرعوا فى عمل باب السماكين واهل القلائين فى انجاز بناء مابقى من باب مسعود وبعد ان فرغ اهل الكرخ من ذلك عملوا ابراجا كتبوا عليها بالذهب "محمد وعلى خير البشر " ،فانكر اهل السنة ذلك وأولوا انالمكتوب محمد وعلى خير البشر فمن رضى فقد شكر،ومن ابى فقد كفر ،لكن اهل الكرخ انكروا هذه الزيادة التى افترضها اتباع مذاهب اهل السنة . وتأزمت الامور كثيرا ونشب القتال بين الطرفين واستمر .وقد فشلت جهود

الخليفة القائم بامر الله ومحاولته ايقاف الاقتتال وحفظ الدماء ٠ وفى هذه الازمة الحالكة وقفت قوات البويهيين الى جانب الشيعة "اهل الكرخ" غير ان الغلبة كانت لاهل السنة ،وتشدد رئيس الرؤساء على الشيعة فمحوا عبارة خير البشر وكتبوا بدلا منها عليهما السلام ،غير ان اهل السنة اصروا على ضرورة قلع الآجر الذى كتب الشيعة عليه العبارة سالفة الذكر والتى كانت سببا فى الفتنة ،كما اصروا على الايوذن حى على خير العمل فامتنع الشيعة من تلبية ذلك واستمر القتال من اول صفر الى ثالث ربيع الاول ،وقد قتل فيه خلق كثير وقد نهبت خلال هذه الاحداث العديد من مراكز لتشيع واضرحة ائمتهم فقد هاجم الناس مشهد باب التبن "ونهبوا مافيه من القناديل ومحاريب الذهب والفضة والستور وغير ذلك ،ونهبوا مافى التراب والازاج ،واحترق ضريح موسى (١) ،وضريح ابن ابنه محمد بن على (٢) والجوار والقبتان والساج اللتان عليهما واحترق مايقابلهما ويجاورهما من قبور ملوك بنى بويه معز الدولة وجلال الدولة ،ومن قبور الرؤساء والوزراء ،وقبر جعفرى ابى جعفر المنصور وقبر الامين محمد بن الرشيد

---

(١) موسى بن جعفر الصادق بن محمد الباقر (١٢٨ -١٨٣هـ/٧٤٥ - ٧٦٩م) سابع الائمة الاثنى عشر عند الامامية من سادات بنى هاشم ،توفى ببغداد سجينا وقيل قتل ٠ الزركلى - الاعلام (٨/٠ ٢٧)٠

(٢) محمد بن على الرضى بن موسى الكاظم (١٩٥ - ٢٢٠هـ/٨١٠ - ٨٣٥م) ، الملقب بالجواد تاسع الائمة الاثنى عشر ،توفى فى بغداد ٠ الزركلى الاعلام (١٥٥/٧) ٠

وقبر امه زبيدة ،وجرى من الامر الفظيع مالم يجر فى الدنيا مثله"[١]. وقد انتقم المتشيعة من اهل الكرخ حيث انهم قصدوا خان الفقهاء الحنفيين فنهبوه وقتلوا مدرس الحنفية ابا سعد السرخسى ،واحرقوا الخان ودور الفقهاء ،وتعدت الفتنة الى الجانب الشرقى . ولما انتهى خبر احراق مشهد موسى الكاظم الى نور الدولة دبيس بن مزيد عظم عليه الامر واشتد وبلغ منه كل مبلغ لانه واهل بيته وسائر اعماله كلهم شيعة ،وقطع الخطبة للامام القائم بامر الله.

وفى سنة (٤٤٥هـ/١٠٥٣م) زادت الفتن بين الشيعة من اهل الكرخ وبين اهل السنة واختلط بالفريقين طوائف من الاتراك ،وقد اشتد الامر فاجتمع القواد واتفقوا على الركوب الى المحال واقامة السياسة باهل الفساد والشر . وقد ثار الشيعة من اهل الكرخ بالجند والقادة ومن معهم من اهل السنة فحصل قتال شديد طرح الاتراك النار خلاله فى اسواق الكرخ فاحترق كثير منها والحقتها النار بالارض وانتقل كثير من اهل الكرخ الى غيرها من المحال وندم القواد على مافعلوه ،وانكر الخليفة القائم بامر الله ذلك وصلح الحال وتراجع الناس الى الكرخ بعد ان استقرت الامور[٢] .

ان هذه الاضطرابات الخطيرة ،والحرائق الشاملة الفظيعة ،قد اسهمت

---

(١) ابن الاثير – الكامل (٨/٥٩)،ابن تغرى بردى – النجوم الزاهرة (٥/٥٠).

(٢) ابن الاثير –الكامل (٨/٦٥) .

فى تعقد المعايشة للعامة وارتفاع الاسعار وزيادة تكاليف المعيشة ، فى الوقت الذى حافظت فيه معدلات الاجور على مستواها حيث لم يطرأ على الاجور ارتفاع يذكر ولم يحصل مايدعو الى ذلك ٠ ولابد ان تكون اوضاع عامة الناس متأزمة وخصوصا فى اوقات الفتن او حين مايحصل مايدعو الى الغلاء ، وقد زاد من عدد العامة ، وكثرة عدد المعدمين بينهم ازدياد الهجرة من الريف نتيجة الحروب والثورات والارهاق والظلم فى الجباية ٠ وهنا ظهر العيارون[1] : حركة تهتم باللصوصية وقطع الطريق فى حين انها قد فسرت من قبل البعض بانها "حركة اجتماعية تتجه ضد السلطة واصحاب المال لها قيمها واعتزازها بمفاهيم الفتوة "[2] ٠ والحق فان العيارين قد لعبوا دورا كبيرا فى تردى وتدهور الاوضاع فى بغداد نتيجة الاعمال الارهابية

(١) العيارون : العيار هو الرجل كثير التجول والتطواف الذكى، وهو الذى يرتدد بلا عمل يخلى نفسه وهواها ٠ ابن منظور ـ لسان العرب م٢ ـ ص ٩٤٠، الفيروز ابادى ـ القاموس المحيط (١٠١/٢)، المنجد فى اللغة والاعلام (ص٥٤٠) ٠ ويسمون ايضا بالفتيان ويسمون طريقتهم الفتوة (ابن الجوزى ـ تلبيس ابليس ص٣٩٢)، ويقولون : الفتى لايزنى ولايكذب ويحفظ الحرم ولايهتك ستر امرأة ومع هذا لايتحاشون من اخذ اموال الناس وينسون ثقل الاكباد على الاموال (ابن الجوزى ـ تلبيس ص ٣٩٢) واذا حلف احدهم بحق الفتوة فلم يأكل ولم يشرب ويجعلون الباس السراويل للداخل فى مذهبهم ، ويضرب بهم المثل فى الصبر وخاصة ابو الهيثم (خالد الحداد) فقد ضرب ثمانية عشر الف سوط مفرقة (ابن الجوزى ـ تلبيس ص ٣٩٢) ٠

(٢) الدورى ـ مقدمة دراسات (ص ٣) ٠

التى قاموا بها ،والاعتداءات التى مارسوها من نهب وسلب وقتل .

والعيارون والشطار والفتيان هم تكتل جماعى نتج عن شعور لديهم او لدى الطبقة العامة بسوء الوضع السياسى ،وعن سوء الحالة الاقتصادية وعن زيادة نسبة التباين الطبقى بين افراد المجتمع هذا بالاضافة الى سوء الوضع المالى او المعاشى لدى العامة.(١) وقد استعملوا طريقة خاصة بهم فى تنظيماتهم ،فقد جعلوا على كل عشرة منهم عريفا ،وعلى كل عشرة عرفاء نقيبا وعلى كل عشرة نقباء قائدا ،وعلى كل عشرة قواد اميرا.(٢) ومن الالقاب التى كان يعرف بها رؤساؤهم (المقدم)(٣) و(القائد)(٤) و(الامير)(٥)،ويذكر التنوخى ان هؤلاء الجماعة طريقة فى قبول الاعضاء الجدد الذين يرغبون الانتماء الى تنظيماتهم فبعد ان يقبل العضو الجديد يعرفونه على مكان اجتماعاتهم ،وفى مكان الاجتماع لهم زى خاص وهو لبس المئزر ،حيث يترك ثيابه على الاوتاد التى يجدها خارج مكان الاجتماع . ويقدم له النبيذ ثم يأخذ قدحا ويملأه بالشراب ويقول كلمة السر للعضوية ، حيث يقول

---

(١) ابو على المحسن بن التنوخى – الفرج بعد الشدة (تحقيق عبود الشالجى – دار صادر – بيروت ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م) (١٠٧/٢ – ١٠٨) . الدورى دراسات (ص ٣٨٢،٣٨٣) .

(٢) المسعودى – مروج الذهب (٤٥٢/٦) .

(٣) ابن الجوزى – المنتظم (٤٩/٨) .

(٤) ن . م . س (٧٨/٨) .

(٥) مسكويه – م . س (١٠٩/٢) .

(شــــادى) ،ويشترط فى العضو انيسرق وان يقدم ماسرقه الى الجماعــــــة ليقتسموه فيما بينهم[١] .[٢]

ومن نشاط هذه الجماعة ويبدو انها ظهرت فى اواخر القرن الثانــــى الهجرى انها لعبت دورا واضحا الى جانب قوات الامين خلال احداث الفتنــة بين الامين والمأمون . وقد كانوا فى بداية امرهم يشكلون عصابات لصوصيـة هدفها نهب الاسواق وبيوت الاغنياء[٣] . وقد اخذ عددهم فى الازدياد حتى بلـغ فى فترة النزاع بين الامين والمأمون حوالى خمسين الفا[٤] . واصبحوا قــوة لها اهميتها ،وقد ابلوا بلاء حسنا فى حصار بغداد ،فقد استطاعــــوا ان يوقفوا تقدم جيش المأمون القادم الى بغداد . ثم اقتتلوا مع جنـــد المأمون داخل قصر صالح قتالا شديدا قتل فيه من اصحاب طاهر بن الحسيــن قائد المأمون اعدادا كبيرة كما قتلوا جماعة من قواده ،ولم تكن وقعــة قبلها ولابعدها اشد على طاهر منها[٥] . وفىنفس حصار بغداد ايضا قاتلــوا فى الشماسية جند طاهر قتالا شرسا ،ولم يستطع طاهر الانتصار عليهـــم الا بعد ان عقد جسرا على دجلة فوق الشماسية ونقل اعدادا كبيرة مـــن

---

(١) التنوخى ـ الفرج بعد الشدة (١٠٩/٢) .

(٢) المسعودى ـ مروج الذهب (٤٦٣/٦) .

(٣) ابن الجوزى ـ المنتظم (٢٢٠/٧) .

(٤) جرجى زيدان ـ تاريخ التمدن الاسلامى (مكتبة الحياة ـ بيروت ـ تاريخ الطبع غير مذكور) (٤٦/٢ ـ ٤٧) .

(٥) ابن الاثير ـ الكامل (١٥٨/٥) .

القوات للتعدى لهم من جهتين فى وقت واحد .(١)

وفى سنة (٣٦٣هـ/٩٧٤م) كان الناس فى بلاء عظيم من العيارين حتى تمكن ابو تغلب بن حمدان ان يحد من بلاء العيارين ويكف فسادهم عن الناس.(٢)

وفى سنة (٣٦٤هـ/٩٧٤م) استفحل امر العيارين وعظم شرهم ببغداد فقد ركبوا الخيل، وتلقبوا بالقواد، واخذوا الضريبة من الاسواق والدروب وقد عم البلاء على الناس.(٣)

لقد استغل العيارون الوضع السياسى المتردى فى بغداد من فتن وحروب، فعملوا على سلب التجار والاغنياء واصحاب الاموال ونهبهم وكانوا لايتورعون عن القتل . وفى سنة اربع وستين وثلاثمائة وحين عاد عضد الدولة فاستولى على العراق وقبض على بختيار سارع العيارون فنهبوا الناس ببغداد واستمروا فى عدوانهم وفسادهم، حتى غرق منهم جمع كثير مع الاتراك، بعد ان هزمهم عضد الدولة .(٤)

وفى العام نفسه تحكم بعض قواد العيارين فى الماء ومنعوا وصوله الى الكرخ، وكان من بينهم القائد العيار المعروف بـ (الاسود الرند) .(٥)

---

(١) ابن الاثير ـ الكامل (١٦٠/٥) .

(٢) ن . م . س (٥٦/٧) .

(٣) الذهبى ـ العبر (١١٧/٢) .

(٤) ابن الاثير ـ الكامل (٥٩/٧) .

(٥) ن . م . س (٥٩/٧) .

وفى سنة احدى واربعمائة هجرية (١٠١٢م) استولى الخراب على بغداد وانحلت الامور بها ،وقد لعب العيارون دورا بارزا فى ذلك ،وقد استعمل الامير بهاء الدولة عميد الجيوش ابا على بن استاذ هرمز لمكافحتهم فاصلح الامور وقمع المفسدين وقتلهم (١) ٠

وفى سنة (٤١٦هـ/١٠٢٥م) ظهر امر العيارين ببغداد وعظم شرهم فقتلوا النفوس ونهبوا الاموال وفعلوا ما ارادوا واحرقوا الكرخ وغلت الاسعار (٢) ٠

وفى سنة (٤١٧هـ/١٠٢٦م) طمع العيارون باموال الناس والذخائر وقد بلغت بهم الجرأة بان يدخلوا على الرجل فى بيته يطالبونه بالاموال والذخائر مع ان المطالبة بالذخائر كانت من اختصاصات السلطان ،فانه يطلب الذخائر لمصادرتها وقد عمل الناس الابواب على الدروب ،كجزء من اساليبهم فى الدفاع عن النفس والمال ،ولكن دون جدوى (٣) ٠

وفى سنة (٤٢٠هـ/١٠٢٩م) حدث ببغداد فتنة عظيمة قوى فيها امر العيارين واللصوص حيث كانوا يأخذون العملات ظاهرا ،حتى ان رجال المعونة ضعفوا عن مقاومة العيارين (٤) ٠

وفى سنة (٤٢٤هـ/١٠٣٣م) ثار العيارون ببغداد واخذوا اموال الناس

---

(١) ابن الاثير ــ الكامل (٢٥٤/٧) ٠

(٢) ن ٠ م ٠ س (٣٢٣/٧) ٠

(٣) ن ٠ م ٠ س (٣٢٥/٧) ٠

(٤) ن ٠ م ٠ س (٣٤٤/٧) ٠

ظاهرا وعظم الامر على اهل البلد وطمع المفسدون الى حد ان بعض القواد الكبار اخذ اربعة من العيارين،فجاء عقيدهم واخذ من اصحاب القائد اربعة وحضر باب داره ودق عليه الباب فكلمه من داخل فقال العقيد قد اخذت من اصحابك اربعة فان اطلقت من عندك اطلقت انا من عندى والا قتلتهم واحرقت دارك فاطلقهم القائد (١) ٠ ومما يشير الى مدى اضطراب الامور والدرك الذى وصلت اليه مكانة السلطة انه فى نفس العام قتل العيارون صاحب الشرطة ببغداد واخذوا لتاجر ماقيمته ١٠,٠٠٠ دينار وانتشر الرعب فى بغداد حتى كان الناس يخافون البرجمى امير العيارين (٢) ٠

وفى سنة (٤٢٥هـ/١٠٣٤م) نشط العيارون فى حملاتهم ليلا ونهارا ،وقد بلغ بهم الغرور وبقوتهم وثقتهم بانفسهم بانهم يتدخلون او يتوسطون فى اطلاق سراح العمال فقد توسط البرجمى العيار لدى قرواش فى اطلاق سراح ابن القلعى عامل عكبرا ،ولكن قرواش قبض على البرجمى وغرقه رغم ان البرجمى بذل اموالا كثيرة ليطلقه قرواش ولكن دون جدوى ٠ وكان للبرجمى مكانة عظيمة فى نفوس العامة فقد عظم شأنه وزاد شره ،لدرجة ان العامة تثور فى وجه الخطيب يوم الجمعة مطالبة بالخطبة للبرجمى والا فلا يخطب للسلطان ولاغيره (٣) .وفى نفس السنة ايضا ارسل المرتضى باحضار العيارين

---

(١) ابن الاثير ـ الكامل (٨/٥) ٠

(٢) الذهبى ـ العبر (٢/ ٢٥٠)٠

(٣) ابن الاثير ـ م ٠ س (٨/٧)، الذهبى ـ العبر (٢/٢٥٢)٠

الى داره ،وخيرهم فمن اراد التوبة قبلت توبته ومن اراد خدمة السلطان استخدم مع صاحب المعونة ،ومن اراد الانصراف عن البلد كان آمنا على نفسه ثلاثة ايام،فاختاروا الخروج وتجديد الفساد (١) .

وفى سنة (٤٢٦هـ/١٠٣٥م) انحل امر الخلافة والسلطان ببغداد وتطاول امر الجند ،وعظم امر العيارين فصاروا يأخذون اموال الناس ليلا ونهارا وليس هناك من يردعهم ،فبعض الجند يحمون السلطان ونوابه والسلطان نفسه عاجز عن قهرهم والحد من اعمالهم ،وقد وصل العيارون الى جامع المنصور واخذوا ثياب النساء فى المقابر (٢) . واستمر شرهم فى السنة التالية ،ذلك انهم احرقوا دار صاحب الشرطة (ابى محمد النسوى) (٣) .

وفى سنة (٤٢٨هـ/١٠٣٦م) كان امر العيارين شديدا لدرجة ان الحافظ الذهبى يعلق على الوضع فيقول : "واما امر العيارين فكما تعهد فى السنين الماضية بل اشد ،فلاحول ولاقوة الا بالله " (٤) .

---

(١) الحمكن - ملخص تاريخ الاسلام الكبير سنة ٤٢٥هـ .

(٢) ابن الاثير - م . س (٨/٨) .

(٣) الذهبى - العبر (٢/٢٥٥) .

(٤) ن . م . س (٢/٢٥٧) .

دخول السلاجقة الى العراق والقضاء على البويهيين :

لقد تبين مما سبق ان عصر التسلط البويهى على الخلافة العباسية كان عصرا يموج بالفتن والاضطرابات التى تسببت فى حصول جملة مآسى عاشتها الامة وكانت نتائجها وخيمة فى حياة السكان وامنهم . كما تبين ان العيارين قد اسهموا فى تدهور الاوضاع العامة وكانوا عاملا مهما من عوامل تدهور الادارة ووصولها الى حالة من التسيب والفوضى انقطع فيها حبل الامن وعاشت فيها اللصوصية وقطع الطرق وتحدى النظام . وقد بلغ التردى مداه حين تقلصت الموارد المالية حتى افلست الخزينة وتفرق الناس عن السلطنة حتى خلت دار السلطان من الحاجب والفراش والبواب وانقطع ضرب الطبل على بابها .(١) ونهب الجند الاتراك دار السلطان جلال الدولة وسلبوا الكتاب وارباب الديوان ثيابهم . وازداد الامر سوءا حين تعقب الجند الاتراك وزير السلطان ابا اسحاق السهلى الذى بادر بالاختفاء ثم هرب من بغداد وقطع الاتراك خطبة السلطان .(٢) وهكذا فالامر فى اواخر فترة التسلط البويهى كان ينذر بخطر وشر مستطير ،كما ينبىء باحداث جديدة ،هذا فى الوقت الذى كان السلاجقة الاتراك فيه يتوسعون فى خراسان وفارس ،وكان نفوذهم يقوى ويتدعم يوما بعد آخر كما لاحظنا فى مقدمة هذه الرسالة .

---

(١) ابن الاثير ـ م . س (٣٥٦/٧) .

(٢) ابن الجوزى ـ المنتظم (٦٢/٨) .

ففى سنة (٤٣٣هـ/١٠٤١م) بدأ طغر لبك فى التوسع على حساب جيرانه فقد ضم فى هذا التاريخ جرجان وطبرستان ،وخوارزم ،كما احتلت قواته مدينة همذان ومع ان قوات السلاجقة قد تراجعت بعد ذلك عن حصارها لمدينة كرمان نظرا لشدة المقاومة التى واجهتها (١) ،فان كرمان لم تكن قادرة على الصمود على الدوام ،كما لم تكن قادرة على ان تحول دون توسع السلاجقة ووصولهم الى سواحل المحيط الهندى . وقد لاحظنا فى مقدمة الرسالة المدى الذى بلغته حدود الدولة السلجوقية ومدى ماوصلت اليه من استقرار ،على ان مابقى يواجه السلاجقة فى نهاية الامر هو الحصول على الاعتراف العباسى بشرعية حكمهم لان ذلك وحده - حسب ماكان سائدا فى ذلك العصر - هو الذى يكسب الدولة شرعيتها امام رعاياها المسلمين ويعطيها السلطة فى حكم المناطق التى استولت عليها بالقوة القاهرة ولذلك فانهم ما ان استقر حالهم حتى بادروا بالاتصال بالخليفة العباسى القائم بامر الله .

ويشير الراوندى الى ان السلاجقة قد عملوا بذلك "جريا على مقتضى العدل والكفاية" (٢) .

---

(١) ابن الاثير - الكامل (٣٥/٨ -٣٦) .

(٢) محمد بن على بن سليمان الراوندى - راحة الصدور وآية السرور فى تاريخ الدولة السلجوقية (ترجمة د. ابراهيم الشوارى وآخرون ١٣٧٩هـ) (ص ١٦٦) .

وقد حفظت لنا المصادر القسم الاساسى من الخطاب الذى اشترك امراء[(١)] السلاجقة فى توجيهه الى الخليفة القائم بامر الله سنة ٤٣٢هـ/١٠٤٠م[(٢)] . والذى اوفدوا احد معتمديهم وهوالمدعو ابواسحاق الفقاعى لغرض ايصاله العاصمة ورفعه الى امير المؤمنين . ولعل الخطاب كان من اعداد الوزير ابى القاسم الكوبانى المعروف بسلاء بوز كان الذى وصفته المصادر بانه "كان وزيرهم فى ذلك الوقت ومدبر امورهم ومنفذ اوامرهم"[(٣)] . وقد تضمن الخطاب فى مقدمته استعراضا لعلاقات الغزنويين بهم ومدى تعسفهم . ثم برروا تحركاتهم العسكرية ضد الغزنويين بانها انما حصلت بناء على طلب اعيان خراسان ومشاهيرها فى ان نقوم على حمايتهم"[(٤)] . واعلموا الخليفة بان نتيجة الصراع المرير كانت لصالحهم حيث " ابتسم لنا الحظ الحسن فانحاز الينا آخر عون لمسعود ومعه جيش جرار وظفرنا بالغلبة بمعونة الله عز وجل وبفضل اقبالنا على الحضرة النبوية المقدمة المطهرة وانكسر مسعود واصبح ذليلا وانكفأ علمه وولى الادبار تاركا لنا الدولة والاقبال "[(٥)].

---

(١) الراوندى ـ م . س (ص ١٦٦ ـ ١٦٧)، العماد الاصفهانى ـ زبدة النصرة (ص ٧ ـ ٨) . الجوزجانى ـ طبقات ناصرى (ص ١٣٢)،وانظر عباس اقبال ـ الوزارة (ص ٣٩) .

(٢) الجوزجانى ـ طبقات ناصرى (ص ١٣٢) .

(٣) الراوندى ـ راحة الصدور (ص ١٦٧) .

(٤) الراوندى ـ راحة الصدور (ص ١٦٦) .

(٥) ن . م . س (ص ١٦٦) .

وبعد ان شكروا الله على ما افاء عليهم من فتح ونصر اعلموا الخليفة بانهم قد قضوا على الظلم ،واشاعوا العدل ،وبانهم يرجون ان يكونوا فى ذلك نهجوا ."وفقا لتعاليم الدين ولامر امير المؤمنين "[١] .

والراجح ان هذه الرسالة قد لاقت صدى طيبا فى نفس الخليفة القائم بامر الله الذى كان يقلقه الاضطراب الكبير الذى كان يعم بغداد حيث كان الجنود الاتراك فى ثورات متصلة وكان العيارون والشطار يغصبون اموال الناس جهارا نهارا وكان البدو والرعاع يهاجمون الاسواق وينهبون كل مايمكن نهبه ،وحيث كان الصراع الطائفى قد بلغ الذروة بعد ان اثار بنو بويه الفتنة وحرضوا دعاة التشيع ووقفوا الى جانبهم ضد اتباع مذاهب السنة واهل السلف .

ولذلك فانه ما ان تسلم الخليفة القائم بامر الله رسالة السلاجقة حتى بادر الى ان يرسل " الى طغر لبك فى مدينة الرى رسولا معه هبة الله بن محمد المأمون وزوده بالرسائل الطيبة "[٢] . ويبدو ان الخليفة القائم بامر الله كان يختص هبة الله "بوده واخلاصه فامره بان يتقرب من

---

(١) ن . م . س (ص ١٦٧) . وقد اورد الراوندى فى نهاية ذكره لنص الخطاب حكمة تقول "من جعل ملكه خادما لدينه انقاد له كل سلطان ،ومن جعل دينه خادما لملكه طمع فيه كل انسان" .وحيث ان المؤلف قد ضمن كتابه عددا كبيرا من الحكم والامثال والاشعار فليس هناك مايدعو الى الظن فى ان هذه الحكمة هى جزء من النص.

(٢) الراوندى ـ راحة الصدور (ص ١٦٨ ـ ١٦٩) .

طغر لبك حتى يحضره الى بغداد لتتشرف دار الخلافة بحضوره"[١] . وهذا صريح في ان الخليفة العباسي كان يحبذ قدوم السلاجقة وانه كان حريصا على توثيق العلاقات معهم . ومما يؤكد ذلك انه ،وعلى الرغم من عدم الاستجابة الفورية من السلاجقة لرغبته ،قد اصدر اوامره بان "يخطب باسم طغر لبك على منابر بغداد وان ينقشوا اسمه على السكة "[٢] كما شرفه بلقب "السلطان ركن الدولة ابو طالب طغر لبك محمد بن ميكائيل يمين امير المؤمنين"[٣] . وذكره بعده اسم الملك الرحيم . وعليه فانه لم يكن هناك من شك يدعو للتساؤل عن موقف الخلافة من مسألة قدوم طغر لبك الى بغداد او عن مطالب رسول الخليفة الذى اوفده الى طغرلبك مما اثاره بعض الباحثين المحدثين[٤] .

والراجح ان السلاجقة كانوا خلال هذه الفترة يواجهون جملة امور اساسية لها مساس بوحدة صفهم وتنسيق علاقتهم ببعضهم في هذا الظرف الدقيق من مسيرة دولتهم . ذلك انهم اجتمعوا وتعاهدوا على الاتحاد

---

(١) الراوندى - راحة الصدور (ص ١٦٩)،وانظر ابن الاثير - الكامل(٥٤/٨).

(٢) الراوندى - راحة الصدور (ص ١٦٩) .

(٣) ن . م . س (ص ١٦٩) .

(٤) حسين امين - تاريخ العراق فى العصر السلجوقى(ص ٥٨) (حيث تردد المؤلف فى هذه المسألة ولم يقطع برأى) .

والتعاون اولا ،ثم مالبثوا ان قسموا الولايات وعينوا على كل ناحية واحدا [(١)] من كبار المتقدمين فيهم . اما المهمة الاخيرة التى اراد طغرلبك [(٢)] انجازها قبل التوجه الى العراق فهى حسم الموقف البويهى ويظهر انه لم يكن مقتنعا بالتعايش معهم او حتى الاعتراف بوجود ثانوى لهم ،ويشير ابن الاثير الى اقدام القائد الديلمى قولاذ على الاستيلاء سنة (٤٤٧هـ/١٠٥٥م) على شيراز حيث قطع خطبة السلطان طغرلبك وخطب للملك الرحيم آخر ملوك البويهيين . وهذا يخالف الادعاء القائل بان "الدولة [(٣)] البويهية رضيت ان تكون دولة تابعة للسلاجقة آمله بذلك ان يتاح لها نوع من البقاء" . ولهذا فقد اعد طغرلبك العدة من اجل القضاء على [(٤)] تلك الدولة .

وفى المحرم سنة (٤٤٧هـ/١٠٥٥م) استعدت قوات السلاجقة لدخول العراق وقد تقدمت فى طريق النهروان - حلوان ،فاضطرب الملك البويهى وحاول [(٥)] الهرب غير ان الخليفة القائم بامر الله كتب اليه وهو فى واسط يعلمه بتآمر البساسيرى وخلعه الطاعة وبانه كاتب حكام مصر "فان اثره فقد قطع

---

(١) الراوندى - راحة الصدور (ص ١٦٥) .

(٢) ن . م . س (ص ١٦٧ - ١٦٨) .

(٣) ابن الاثير - الكامل (٦٩/٨) .

(٤) حسين امين - تاريخ العراق (ص ٥٩) .

(٥) ابن الاثير - الكامل (٧١/٨)، ابن الوردى - تتمة المختصر المحتاج اليه (٣٥٥/١) .

مابينهما ،وان ابعده واصعد الى بغداد تولى الديوان تدبير امره فقال الملك الرحيم ومن معه نحن لاوامر الديوان متبعون وعنه منفصلون[(١)] ..واصعد الملك الرحيم الى بغداد[(٢)] " .

وارسل طغرلبك رسولا الى الخليفة القائم بامر الله يبالغ فى اظهار الطاعة والعبودية والى الجند الاتراك فى بغداد يعدهم الجميل والاحسان . وكان رئيس الرؤساء يؤثر دخول السلاجقة بغداد "يختار انقراض الدولة الديلمية"[(٣)] رغم ان الملك الرحيم قد دخل بغداد واظهر الاستسلام والخضوع ،وسلم امره الى الخليفة "ليفعل ماتقتضيه العواطف معه فى تقرير القواعد مع السلطان طغرلبك .

وقد بادر الملك الرحيم وامراء الدولة البويهية الذين عادوا معه الى بغداد بايفاد رسول عنهم الى طغرلبك بناء على توجيه من الخليفة القائم بامر الله ،يبذلون له الطاعة فاجابهم ووعدهم بالاحسان[(٤)] " .

وفى رمضان سنة (٤٤٧هـ/١٠٥٥م) ارسل السلطان طغرلبك يستأذن الخليفة فى دخول بغداد ،فاذن له. وعند وصوله النهروان ارسل اليه الخليفة كثيرا من الخلع والهدايا،وخرج لاستقباله رئيس الرؤساء فى جمع

---

(١) اى عن البساسيرى .

(٢) ابن الاثير ــ الكامل (٧١/٨) .

(٣) ن . م . س (٧١/٨) .

(٤) ن . م . س (٧١/٨) .

من العلماء والقضاه والاشراف وكبار رجال الدولة . كما صحبه اعيان الامراء من عسكر الملك الرحيم . وقد اوفد طغرلبك الامراء السلاجقة ووزيره ابا نصر الكندرى لاستقبال القادمين . وما ان وصل رئيس الرؤساء الى السلطان حتى اوصل اليه رسالة الخليفة "واستحلفه للخليفة وللملك الرحيم وامراء الاجناد" (١) .

ودخل طغرلبك بغداد فى الخامس والعشرين من رمضان سنة (٤٤٧هـ/١٠٥٥م) وقد حصل فى هذه المناسبة هياج وتوتر شديد بسبب حادثة عارضة غير مقصودة نجم عنها وثوب العامة ببغداد بعسكر السلاجقة ،وقد نشب القتال بين الفريقين كانت نتائجه الكثير من القتلى والجرحى من الجانبين وانهزمت العامة ونهب جند السلطان السلجوقى عددا كبيرا من ارباع بغداد واشتد البلاء على الناس وعظم الخوف "وارسل طغرلبك من الغد الى الخليفة يعتب وينسب ماجرى الى الملك الرحيم واجناده" (٢) . ومع ان الخليفة بذل جهدا كبيرا فى محاولة تبرئة الملك الرحيم وجماعته من مسئولية ماحدث كما انه ارسل رسولا معهم الى السلطان "ليبرئهم مما خامر خاطر السلطان" (٣) فانهم ما ان وصلوا الى خيامه حتى نهبهم الجند السلاجقة ونهبوا رسول

---

(١) ابن الاثير – الكامل (٧١/٨)، الراوندى – راحة الصدور (ص ١٦٩) فانه يذكر ان الملك الرحيم قد ذهب الى النهروان لاستقباله فامر بالقبض عليه.

(٢) ابن الاثير – الكامل (٧٢/٨) .

(٣) ن . م . س (٧٢/٨) .

الخليفة معهم ،"ولما دخل الملك الرحيم الى خيمة السلطان امر بالقبض عليه وعلى من معه فقبضوا كلهم فى آخر شهر رمضان وحبسوا ثم حمل الملك الرحيم الى قلعة السيروان" حيث قضى فيها آخر ايامه (١) .

وقد ارسل الخليفة الى السلطان طغر لبك ينكر ماجرى من القبض على الملك الرحيم واصحابه ،ونهب بغداد ويقول "انهم انما خرجوا اليك بامرى وامانى فان اطلقتهم والا فانا افارق بغداد فانى انما اخترتك واستدعيتك اعتقادا منى ان تعظيم الاوامر الشريفة تزداد وحرمة الحريم تعظم وارى الامر بالضد " (٢) .

اظهر السلطان طغر لبك الاستجابة لطلب الخليفة فامر باطلاق بعض اعيان الامراء البويهيين بعد ان صادر جميع اقطاعات عسكر الملك الرحيم وامرهم بالسعى فى ارزاق يحصلونها لانفسهم فتوجه كثير منهم الى البساسيرى الذى تمكن بذلك من تكوين قوة عسكرية كبيرة (٣) ،وكان فى واسط عند دخول السلاجقة بغداد فبادر بالتوجه الى حلة بنى مزيد حيث تعاون مع الداعية الشيعى هبة الله بن موسى بن عمران . ونجم عن ذلك تنظيم جيش كبير تحت قيادة البساسيرى الذى سار به الى الموصل حيث تمكن من دحر قوات السلاجقة بقيادة قريش بن بدران ،وبهذا خضعت الموصل لسلطان

---

(١) ابن الاثير ـ الكامل (٧٢/٨) .

(٢) ن . م . س (٧٢/٨).

(٣) ن . م . س (٧٢/٨) .

الخليفة المستنصر بالله الفاطمي[1] . غير ان السلطان طغر لبك سرعان ماجهز جيشا كبيرا قصد به القضاء على حركة البساسيرى . وقد حقق طغر لبك عدة انتصارات انتهت بعودة الموصل الى سلطة الخلافة العباسية .

عاد طغر لبك الى بغداد وطلب مقابلة الخليفة القائم بامر الله فاذن له فى ذلك "وجلس الخليفة يوم السبت لخمس بقين من ذى القعدة جلوسا عاما وحضر وجوه عسكر السلطان واعيان بغداد ،وحضر السلطان فى الماء واصحابه حوله فى السميريات[2] ،فلما خرج من السميرية ،ركب فرسا من مراكب الخليفة فحضر عند الخليفة ،والخليفة على سرير عال من الارض نحو سبعة اذرع وعليه بردة النبى صلى الله عليه وسلم وبيده القضيب والخيرزان فقبل السلطان الارض وقبل يده واجلس على كرسى ،فقال الخليفة لرئيس الرؤساء : قل له ان امير المؤمنين شاكر لسعيك حامد لفعلك مستأنس بقربك وقد ولاك جميع ماولاه الله من بلاده ،ورد عليك مراعاة عباده ،فاتق الله فيما ولاك ،واعرف نعمته عليك فى ذلك واجتهد فى نشر العدل وكف الظلم واصلاح الرعية فقبل الارض وامر الخليفة باضافة الخلع

---

(١) ابن الاثير - الكامل (٧٨/٨) .

(٢) السميرية : هى نوع من السفن التى تستخدم فى البحر والنهر،عرفت فى اواخر القرن الثالث الهجرى ،وكان فى كل سميرية مقاتل ومع ملاحيها سيوف ورماح وتروس ،د. سعاد ماهر - البحرية فى مصر الاسلامية وآثارها الباقية (دار المجمع العلمى،جدة ١٣٩٩هـ) (ص ٣٤٧- ٣٤٨).

عليه . فقام الى موضع لبسها فيه ،وعاد وقبل يد الخليفة ووضعها على عينيه ،وخاطبه الخليفة بملك المشرق والمغرب واعطى العهد وخرج" (١) .

وهكذا احصل طغر لبك على تفويض شامل من الخليفة فى ان يخلفه فى كل اختصاصاته فى جميع اقطار الخلافة العباسية .

وفى سنة (٤٥٠هـ/١٠٦٠م) استغل البساسيرى رجوع السلطان الى خراسان فانحدر بقواته التى كانت قد عادت فاستولت على الموصل،وانحدر الى بغداد ،فحاصر الخليفة واسره ونفاه الى مدينة عن على الفرات،وقتل رئيس الرؤساء،واستولى على العاصمة (٢) ،وخطب للمستنصر الفاطمى " صاحب مصر وامر فاذن بحى على خير العمل" (٣) . ونهبت دار الخلافة وحريمها اياما .

تمكن ايتكين السليمانى شحنة بغداد من الفرار مع بعض الحرس ،وتوجه الى طغر لبك عن طريق حلوان ليبلغه تفصيلات ماحدث ،ووصلته وهو بحلوان رسالة استغاثة وجهها الخليفة الى السلطان طغر لبك ورد فيها عبارة مؤثرة فقد جاء فيها قوله :" بحق الله ادرك الاسلام فقد ساد العدو اللعين واخذ ينشر مذهب القرامطة " (٤) .

---

(١) ابن الاثير ــ الكامل (٨/٨٠) . ومن الجدير بالذكر ان هذه المقابلة التى تمت فى ٢٥ ذى القعدة سنة ٤٤٩هـ/١٠٥٩م هى اول فرصة تقابل فيها الخليفة وطغر لبك .

(٢) الراوندى ــ راحة الصدور (ص ١٧٢)، ابن الاثير ــ الكامل (٨/٨٤ ــ ٨٥)، ابن الجوزى ــ المنتظم (٨/١٩١، ١٩٦) .

(٣) ابن الاثير ــ م . س (٨/٨٤) .

(٤) الراوندى ــ م . س (ص ١٧٢) .

استجاب السلطان طغرلبك فورا لنداء الخلافة وسار بجيش كبير نحو العراق ،فلما وصل بغداد تدارك الاحداث وقبض على البساسيرى فقتله (١) ،وارجع الخليفة من منفاه فى ذى الحجة سنة (٤٥١هـ/١٠٦١م) "واعاده الى مقر الخلافة ومنزل الامامة ،ولما وصل الى باب بغداد ترجل السلطان ومشى امام هودجه ،فقال له امير المؤمنين : اركب ياركن الدين واثنى عليه ثناءا جميلا وتبدل لقبه عند ذلك من ركن الدولة الى ركن الدين" (٢) . مما يشير الى ازدياد مكانة ونفوذ السلطان طغرلبك الذى قضى فى هذه المناسبة على آخر رموز البويهيين وامال الشيعة عموما والفاطميين على الخصوص فى حكم العراق ،وتخلصت الخلافة العباسية من عناصر الفتنة الطائفية الخطيرة وعادت الخطبة ولاول مرة منذ اكثر من قرن خالصة للخليفة العباسى .

---

(١) الراوندى - م . س (ص ١٧٥)، ابن الاثير - م . س (٨/٨٦)، ابن الجوزى م . س (٨/٢١٢) .

(٢) الراوندى - م . س (ص ١٧٥) .

الفصل الثاني

التطورات الإدارية
بعد دخول السلاجقة بغداد

الفصل الثانى

التطورات الادارية بعد دخول السلاجقة بغداد

المبحث الاول : تخلص الخليفة القائم بأمر الله من سيطرة البويهيين

المبحث الثانى: اعادة الوزارة العباسية

المبحث الثالث: اعادة تنظيم الدواوين فى العاصمة

التطورات الادارية بعددخول السلاجقة بغداد :

لقد استأثر بنو بويه بالسلطة عندما دخلوا بغداد سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م ، وقضوا على نفوذ الخلفاء العباسيين وجردوهم من صلاحياتهم وامتيازاتهم فاضطربت ادارة الدولة العباسية ونظمها . والواقع ان نفوذ الخلفاء قد تدهور خلال عصر امرة الامراء ،قبل دخول البويهيين بغداد ،ويصف ابن الاثير الحالة التى كان عليها الخليفة العباسى الراضى بالله فيذكر بانه :" لم يبق للخليفة غير بغداد واعمالها فكانت البصرة بيد ابن رائق والموصل وديار بكرومضر وربيعة فى يد بنى حمدان وخوزستان فى يد البريدى ،وفارس فى يد عماد الدولة بنبويه ..." (١) . وذلك بسبب انفصال الامراء المتغلبين ،وبسبب ازدياد نفوذ الجند الاتراك وتدخلهم المستمر فى الادارة ،وان السلطة المركزية (العباسية) لم تعد قادرة على ضبط الاقاليم . اما عند دخول البويهيين بغداد فقد تضاءل عدد الدواوين الادارية والمالية ،فيذكر ابنمسكويه ان معظم الدواوين اغلقت فى عهد معز الدولة وانه قد استغنى عناكثرها فبطلت وبطلت ازمتها ،وان الاعمال قد جمعت فى ديوان واحد . وقد عهد برئاسته الى كاتب الامير ،وقد ظهر فى العهد البويهى ديوانان احدهما ديوان الخليفة ،والثانى ديوان الامير

---

(١) ابن الاثير - الكامل ٢٥٤/٦ - ٢٥٥ .

(٢) ابن مسكويه - تجارب الامم ٩٦/٢،د. طلال رفاعى - نظام البريد ١٢٤/١ .

البويهى والذى كان يتولى رئاسته كاتب الامير (١) .

وبعد ذلك اصبح وزير الامير البويهى يتقلد رئاسة الديوان (٢) . بينما كان يتولى رئاسة ديوان الخليفة العباسى كاتب الخليفة العباسى الذى اقتصر عمله على مايرد الى بيت مال الخليفة من الاموال ، اضافة الى ادارة اقطاعات الخليفة (٣) .

وقد عمل البويهيون على الغاء منصب وزير الخليفة ، بعد ان زال نفوذ الوزراء . ويشير الى ذلك ابن طباطبا بقوله "واضطربت احوال الخلافة ولم يبق لها رونق ولاوزارة ، وتملك البويهيون ، وصارت الوزارة منجهتهم والاعمال اليهم " (٤) .

ويضيف ابن العبرى قائلا : " وفى سنة ٣٣٤هـ (٩٤٥م) ازداد امر الخلافة ادبارا ، ولم يبق للخليفة وزير وانما كان له كاتب يدير اقطاعه واخراجاته " (٥) .

وسبحان الله العظيم الذى يغير ولايتغير فقد انعكس الوضع واقتصر الخليفة على كاتب يدير اموره الخاصة فى حين اصبح للامير البويهى

---

(١) مسكويه ـ م . س ٩٦/٢ . د. طلال رفاعى ـ نظام البريد ١٢٤/١ .

(٢) الصابى ـ رسوم دار الخلافة ص/ ٣٤

(٣) ابن الاثير ـ الكامل ٣٩٥/٦ .

(٤) ابن طباطبا ـ الفخرى ص/ ٢٨٨ .

(٥) ابن العبرى ـ تاريخ مختصر الدول ص/ ٢٩١ ، ابن الاثير ـ الكامل ٣١٥/٦ .

وزير يدبر امور الادارة ،ولم ينته الامر عند ذلك بل ان البويهيين قد تدخلوا فى اختيار وتعيين كاتب الخليفة [١] . هذا مما جعل الخلافة العباسية الى جانب امور اخرى سنوردها فى الفقرة التالية ،تضيق ذرعا بالتسلط البويهى الذى جردها من كل شئ،ولم يبق لها سوى المكانة الدينية كرمز لوحدة الامة وقيادتها الشرعية ،وقد حاول البويهيون تجريدهم من ذلك عندما فكروا بنقل الخلافة الى العلويين ،وما ان سنحت الفرصة امام العباسيين حينما لاحت فى الافق قوة السلاجقة حتى بادر الخليفة الى دعوة سلطان السلاجقة لزيارة بغداد ،وكان ذلك ايذانا بالقضاء على النفوذ البويهى وسيطرته على الخلافة العباسية فى عام ٤٤٧هـ/١٠٥٥م . ومابعده بالقضاء على فتنة البساسيرى ،وقد استرجع الخليفة العباسى بعضا من مكانته واخذت بعض المؤسسات الادارية العباسية تعود الى الظهور فى محاولة لاعادة الامور الى مجراها وهذا ماسيكون موضوع بحثنا فى الفصل الثانى من هذه الرسالة .

---

(١) آدم متز ـ الحضارة الاسلامية ٢٢/٢ .

تخلص الخليفة القائم بأمر الله من السيطرة البويهية :

لقد ضاق الخلفاء العباسيون ذرعا بالامراء البويهيين وتسلطهم على السلطة فى بغداد ،وقد لقى الخلفاء فى عهدهم من الامتهان والذل والاحتقار الشئ الكثير بعدتجريدهم من السلطة حيث لم يبق لهم الا الاسم فقط ،بل ان احد الامراء البويهيين قد فكر فى اقصائهم حتى عن التسمية بالخلافة . ولنتذكر بان دخول البويهيين الى بغداد كان على رأس جيش اجنبى كبير من الديلم ،وانهم فى الوقت نفسه كانوا شيعة زيدية لايعترفون باحقية العباسيين بالخلافة .

لقد عمل الامير معز الدولة البويهى بمجرد دخوله بغداد على الحد من نفوذ الخليفة العباسى المستكفى بالله ،بل فكر فى خلعه من الخلافة وتحويلها الى احد ائمة الزيدية وهو ابو الحسن محمد بن يحيى الزيدى وعلى قول آخر الى المعز لدين الله الفاطمى (١) . رغم ان الخلافة كانت ضعيفة ومستسلمة لادارة البويهيين . ولولا الاعتبارات الشخصية وخوف البويهيين على نفوذهم من الضياع ان هم جاءوا بخليفة علوى ،او نقلوا الخلافة الى الفاطميين ،لما ترددوا فى القضاء على الخلافة العباسية ويروى ابن الاثير ان الامير معز الدولة قد "استشار جماعة من خواص اصحابه فى اخراج الخلافة من العباسيين والبيعة للمعتز لدين الله العلوى او لغيره من العلويين ،فكلهم اشار عليه بذلك ماعدا بعض خواصه فانه

---

(١) ابن الاثير ـ الكامل ٣١٥/٦ .

قال : ليس هذا برأى فانك اليوم مع خليفة تعتقد انت واصحابك انه ليس من اهل الخلافة ،ولو امرتهم بقتله لقتلوه مستحلين دمه ،ومتى اجلست بعض العلويين خليفة كان معك من تعتقد انت واصحابك صحة خلافته فلو امرهم بقتلك لفعلوه ،فاعرض عن ذلك "(١) .

ومع ذلك فما ان مضت فترة وجيزة على دخول البويهيين بغداد ،حتى اقدموا على خلع الخليفة المستكفى بالله . وقد تم خلعه بصورة مهينة لم يراع البويهيون فيها حقوق الخلافة ،ولاحتى احترام الانسان على اقل تقدير . فقد دخل معز الدولة بغداد كما يذكر صاحب تجارب الامم لاحد عشر ليلة خلت من جمادى الآخرة من سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م(٢) وكان خلع المستكفى بالله لثمان بقين من جمادى الآخرة من العام نفسه(٣) . فقد امر معز الدولة اتباعه الديالمة بسمل عينيه ،وسحب بعد ذلك الى بيت معز الدولة ،ثم سجن وظل مسجونا حتى وفاته سنة ٣٣٨هـ /٩٤٩م في دار السلطان(٤) . ثم اقام معز الدولة الخليفة العباسى "المطيع بالله" فى منصب الخلافة ،غير انه لم ينج من سجن معز الدولة ،فقد سجن الخليفة العباسى المطيع بالله فى سنة ٣٣٥هـ/ ٩٤٦م عندما هاجم ناصر الدولة الحمدانى بغداد ،ثم عاد واطلق

---

(١) ن . م . س ٣١٥/٦ .

(٢) ابن مسكويه — م . س ٨٥/٢ .

(٣) ابن الاثير — الكامل ٣١٤/٦ .

(٤) ابن الاثير — م . س ٣٣٢/٦، ابن الجوزى — المنتظم ٣٤٥/٦ .

سراحه بعد انسحاب الحمدانيين وبعد ان استحلفه .(١)

وقد اعطينا صوراعن اهانة البويهيين للخلفاء العباسيين في الفصل السابق . فهم لم يكتفوا بهذا التسلط وتوجيه الاهانات ،بل انهم ذهبوا الى ابعد من ذلك حيث شاركوا الخلفاء العباسيين في خصوصياتهم الوظيفية عندما شاركوهم فى شارات الخلافة . ومنذ عهد عضد الدولة اصبحت اسماؤهم تذكر مع اسم الخليفة فى الخطبة .(٢) وكان ذلك من الاختصاصات التى ينفرد بها الخلفاء العباسيون دون غيرهم (٣)، ولم يعمل بها من سبق البويهيين من الامراء ثم بعد ذلك اصبحت سنة لمن جاء من بعدهم .(٤) بل ان الامير عضد الدولة قد امر بحذف اسم الخليفة الطائع لله من الخطبة لمدة شهر وعشرين يوما بسبب ماحصل بينهما من خلاف .(٥) وقد شارك البويهيون الخلفاء العباسيين كذلك فى السمة الثانية التى تعد من سمات وسيادة الخليفة وهى السكة ،فبعد ان انتقل التصرف بها الى ايدى البويهيين ،فانهم عملوا على نقش اسمائهم والقابهم مع اسم الخليفة على السكة ويذكر القلقشندى " ان اول من نقش اسمه من الملوك على

---

(١) ابن الاثير – م . س ٣٢٣/٦ .

(٢) سرور – تاريخ الحضارة الاسلامية ص/ ٥٦ .

(٣) ن . م . س ص/ ٥٦ .

(٤) محمد الزبيدى – العراق فى العصر البويهى ص/ ٣٨ .

(٥) ابن الجوزى – المنتظم ٧٤/٧، السيوطى – تاريخ الخلفاء ص/ ٤٠٦ .

الدنانير والدراهم مع الخلفاء معز الدولة بن بويه واخوته من الديلم القائمين على الخلفاء العباسيين ببغداد"(١) . ولم يكتف الامير عضد الدولة بمشاركة الخليفة فى نقش اسمه على السكة . بل انه حذف لقب "امير المؤمنين" واكتفى بذكر اسم الخليفة عليها،فى حين انه اضاف الى اسمه لقبه وكنيته(٢) . وجرى امراء البويهيين من بعده على ذلك . ثم ان اشراف البويهيين على السكة دفعهم الى نقش القاب لم يمنحها الخليفة لهم على النقود،وعلى سبيل المثال وجد لقب شاهنشاه مقرونا باسم الامير عضد الدولة على قطعة نقود مؤرخة فى سنة (٣٧١هـ/٩٨١م)(٣) فى حين كان اول من خوطب بهذا اللقب رسميا كما تذكر المصادر هو مشرف الدولة اضافة الى لقب "مولى امير المؤمنين" فى عام (٤١٢هـ/١٠٢١م)(٤) .

وكان من شارات الخلافة قرع الطبول والدبادب على ابواب الخليفة فى اوقات الصلوات الخمس ، وقد حاول الامير معز الدولة البويهى مشاركة الخليفة فى ذلك(٥) ولكنه اخفق لان الخليفة المطيع لله لم يجب طلبه ولكن عضد الدولة استطاع ان يجبر الخليفة الطائع بالله سنة (٣٦٨هـ/٩٧٨م)

---

(١) القلقشندى ـ صبح الاعشى ٤٤٣/٣ .

(٢) الدورى ـ دراسات فى العصور العباسية المتأخرة ص/ ٢٥٢ .

(٣) محمد حسين الزبيدى ـ العراق فى العصر البويهى ص/ ٢٠٥ .

(٤) ابن‌تغرى بردى ـ النجوم الزاهرة ٢٥٥/٤ .

(٥) ابن الجوزى ـ المنتظم ٩٨/٧، السيوطى ـ تاريخ الخلفاء ص/ ٤٠٧ .

على ان يمنحه حق ضرب الطبول على بابه ببغداد ثلاث مرات يوميا وفق مواعيد الاذان والصلاة عند الشيعة[١] . وقد تجاوز الامراء البويهيون ذلك فيما بعد حين اذن الخليفة القادر بالله العباسى للامير جلال الدولة ابن بهاء الدولة البويهى بان تقرع الطبول على بابه خمس مرات يوميا اسوة بما كان يجرى على باب دار الخلافة[٢] .

واذا كان البويهيون قد احتفظوا بالخلافة العباسية ،فذلك لان مصلحتهم قد اقتضت الابقاء عليها وهى على تلك الحالة من الضعف التى مكنتهم من الاحتفاظ بالحكم وراثيا فى اعقابهم،ومن السيطرة على مقاليد الامور فى دار الخلافة ،بجانب حرص الامراء البويهيين من جانبهم على صبغ حكمهم بالصبغة الشرعية ،فقد كانوا يحرصون على الحصول من الخلفاء فى المناسبات العامة على عهود التولية ،وذلك لتثبيت نفوذهم وسلطانهم امام الرعية وامام ولاة الاقاليم ،وكانت المراسيم والاوامر والمراسلات وكافة شئون الدولة تصدر باسم الخليفة وتحمل توقيعه وذلك بعد اقرارها من الامير البويهى وارسالها الى الخليفة لمجرد العلم والتوقيع عليها،وايضا من اجل ان يأمنوا سخط الناس لأن عامتهم فى سائر الاقطار الاسلامية قد رسخ عندهم شرعية حكم الدولة العباسية[٣] ،لذلك نرى الامراء

---

(١) مسكويه – تجارب الامم ٣٩٦/٢، السيوطى – تاريخ الخلفاء ص/ ٤٠٧ .

(٢) ابن الجوزى – المنتظم ١٣٠/٧، ابن الاثير – الكامل ٣٢٩/٧ .

(٣) مسكويه – تجارب الامم ٨٧/٢ .

البويهيين يتظاهرون امام العامة باحترام سلطة الخليفة ،ويظهرون آيات التبجيل والاحترام فى ذلك،وعلى سبيل المثال يذكر ابن كثير :" اظهر عضد الدولة من تعظيم الخلافة ماكان دارسا وجدد دار الخلافة حتى صار كل محل منها انسا "(١)،وفى عام (٤١٦هـ/١٠٢٥م) عندما وصل جلال الدولة الى بغداد،وكان الخليفة القادر بالله العباسى قد ركب فى الطيار وانحدر فى دجله لاستقباله ،"فلما رآه جلال الدولة قبل الارض بين يديه وركب فى زبزبة ووقف قائما فامره الخليفة بالجلوس فخدم وجلس "(٢)،ثم نراه يغضب على الخليفة ويرغمه على الموافقة على طلبه بضرب الطبل اوقات الصلوات الخمس(٣)٠ وهكذا فان البويهيين قد تسلطوا على الحكم وشاركوا الخلافة حتى فى ادق الامور كالشارات الوظيفية التىتعد من خصوصيات الخلافة ٠

ثم ان الاحساس قد تزايد عند الخليفة العباسى بوجود مصلحة مشتركة بين البويهيين والقرامطة وقد حاول قائد القرامطة الحسن بن احمد بن ابى سعيد الذىيعرف ب (الحسن الاعصم) القرمطى محالفة الخليفة العباسى المطيع لامر الله وامراء البويهيين والوقوف معه فى وجه العبيديين حين اصطدمت مصالح الطرفين ٠ ويذكر ابن تغرى بردى بان الحسن الاعصم قد سار الى بغداد : " وسأل الخليفة المطيع لامر الله العباسى،على لسان

---

(١) ابن كثير ـ البداية والنهاية ٢٧٩/١١،٢٨٩ ٠

(٢) ابن الاثيرـ الكامل ٣٢٩/٧ ٠

(٣) ن ٠ م ٠ س ٣٢٩/٧ ٠

عز الدولة بختيار (البويهى) ان يمده بمال ورجال ويوليه الشام ومصر ليخرج المعز منها،فامتنع الخليفة المطيع بالله من ذلك "[(١)] .

وقد علل الخليفة عدم التعاون بقوله بانهم : " كلهم قرامطة وعلى دين واحد،فاما المصريون (يعنى ابن عبيدالله المهدى) فاماتوا السنن وقتلوا العلماء،واما هؤلاء(يعنى بهم القرامطة) فقتلوا الحاج وقلعوا الحجر الاسود،وفعلوامافعلوا"[(٢)] .

اما موقف عز الدولة بختيار من ذلك فانه كان ايجابيا اذ قال للقرمطى اذهب فافعل مابدا لك . ويذكر ابن الاثير ان عز الدولة بختيار قد اجاب القرمطى على ماطلب منه"،واستقر الحال انهم اذا وصلوا الى الكوفة سائرين الى الشام حمل الذى استقر،فلما وصلوا الى الكوفة اوصل اليهم ذلك وساروا الى دمشق .. ولم يكتف القرمطى بذلك بل اظهر ان الخليفة المطيع قد ولاه بلاد الشام،كما انه اعلن ولائه للخلافة بان كتب على الاعلام اسم الخليفة المطيع[(٣)] . وقد ولد هذا احساسا لدى الخليفة العباسى بان البويهيين كالقرامطة ،اعداء للخلافة وان هذا التعاون الذى رغب فيه قائد القرامطة الحسن الاعظم القرمطى مع الخلافة العباسية لم يكن ناجما عن مصالح مشتركة او انه يستهدف تعاونا حقيقيا لمصلحة

---

(١) ابن تغرى بردى ـ النجوم الزاهرة ٧٤/٤ .

(٢) ن . م . س ٧٤/٤ .

(٣) ابن الاثير ـ الكامل ٤٢/٧،ابن تغرى بردى ـ النجوم الزاهرة ٧٦/٤ .

الامة وماتمثله الخلافة من دفاع عن العقيدة الاسلامية ،فى حين نجد ان كل من يريد ان ينال من الاسلام والمسلمين،كان يستتر تحت المذهب الشيعى وفرقه لانه الستار الذى يتستر به كل من يريد ان يبذر الفتن ،والمأوى الذى يلجأ اليه من اراد هدم الاسلام ،كما انهم اتخذوا من الدعوة الى آل البيت الكريم وسيلة لنشر افكارهم التى تهدف الى اغراض خاصة (١) واستفادوا من سرية الحركة الباطنية ، والتى تفرع منها القرامطة والاسماعيلية • وقد اثبت البعض انتماء بعض الامراء البويهيين لهذه الدعوة (٢) • ان الهدف الاساسى لهذه الحركات الباطنية هو اسقاط الخلافة الاسلامية ،واعلان الامامة الشيعية ،وهذا امر لايختلف فيه اثنان ،ولذلك فقد كان المتوقع ان يقف الخليفة العباسى هذا الموقف المبدئى الواضح •

وقد سيطر البويهيون فوق ذلك على الاموال،وامتدت ايديهم الى اموال الخليفة الخاصة ،فقد استولى معز الدولة على المكوس ،واخذ اموال الناس فى غير وجه حق (٣) ،كما حاول الحد من نفقات الخليفة ،والسيطرة على ايراداته وحينما فتح معز الدولة البصرة قطع عن الخليفة المبلغ الذى كان قد خصصه له فى كل يوم لنفقته ،وعوضه عن ذلك ضياعا من البصرة كانت غلتها حوالى مائتى الف دينار،ثم نقص ارتفاعها على ممر السنين الى ان صار خمسين الف دينار فى السنة (٤) •

---

(١) د• محمد جابر عبدالعال ـ حركات الشيعة المتطرفة ص/ ٥٠٤ •

(٢) ناصر خسرو ـ سفر نامه ص/ ٨٠٧ •

(٣) ابن خلدون ـ العبر ٧٧٨/٣ •

(٤) ابن الجوزى ـ المنتظم ٣٥٧/٦، القرمانى ـ اخبار الدول ص/ ١٧٠ •

ولم يكتف السلاطين البويهيون بمد ايديهم على اموال الخليفة ،بل عمدوا على نهب ومصادرة اموال التجار وغيرهم ،فقد بلغ قيمة ما اخذه معز الدولة هو واصحابه من الناس عشرة ملايين دينار .(١) وكان لهذا الاسلوب آثاره السيئة على البلاد،فقد اضطربت الاحوال الاقتصادية ،وعم الغلاء والوباء،وشغب الجند وكانوا يسمعونه المكروه حتى يضمن لهم ايصال ارزاقهم .(٢) وكان البويهيون يتذرعون باى سبب كان من اجل مد ايديهم الى اموال الخليفة واموال كبار رجال الدولة واموال الناس لاشباع رغباتهم من المال . كما انهم قد يلجأون الى القوة والتهديد،فقد طلب الامير عز الدولة بختيار من الخليفة العباسى مبلغا من المال للجهاد ضد الروم الذين اعتدوا على اراضى اسلامية على اساس ان ذلك من واجبات الخليفة .(٣) وقد رد الخليفة على ذلك مشيرا الى ما آلت اليه الخلافة والى سيطرة الامراء البويهيين على مقاليد الامور وبانه لم يبق للخليفة غير الاسم،فقد جاء فى جواب الخليفة قوله : " الغزو يلزمنى اذا كانت الدنيا فى يدى والى تدبير الاموال والرجال واما الان وليس لى منها الا القوت القاصر عن كفائى وهى فى ايديكم وايدى اصحاب الاطراف فما يلزمنى غزو ولاحج ولاشىء مما تنظر الائمة فيه ،وانما لكم منى هذا الاسم الذى يخطب

---

(١) ابن كثير ـ البداية والنهاية ٢١٣/١١، ابن الاثير ـ الكامل ٣١٦/٦ .

(٢) ابن الاثير ـ م . س ٣١٧/٦ .

(٣) القلقشندى ـ مآثر الانافة ٣٠٦/١ .

به على منابركم تسكنون به رعاياكم فان احببتم ان اعتزل عن هذا المقدار ايضا وتركتكم والامر كله " (١) . غير ان الامير عز الدولة استمر فى توجيه الخطابات والمراسلات الى الخليفة والالحاح عليه فى ذلك الامر، وظل يضيق عليه، حتى اضطره الى بيع ثيابه وبعض انقاض داره، واخذ منه اربعمائة الف درهم (٢) . فصرفها عز الدولة فى مصالح نفسه وترك امر الغزاة (٣) .

وفى عهد الامير بهاء الدولة وضياء الملة شغب الجند عليه لتأخير مرتباتهم فاحتاج الى المال فاشار ابو الحسن بن المعلم على الامير البويهى بالقبض على الخليفة الطائع والاستحواذ على امواله . وكان من سوء حظ الخليفة انه صادف ان حبس رجلا من خواص بهاء الدولة وتصور لنا المصادر الاسلوب والطريقة السيئة القاسية التى عومل بها الخليفة الطائع والتى لم يراع فيها ابسط حقوق الخلافة فضلا عن انه حاكم اكبر دولة اسلامية مترامية الاطراف ومن سلالة اسرة عريقة شريفة تمت الى الرسول صلى الله عليه وسلم بصلة القرابة. ذلك ان الامير بهاء الدولة طلب الاذن من الخليفة الطائع للحضور فى خدمته ليجدد العهد، وقد اضمر بهاء الدولة السوء، فاذن له فدخل بهاء الدولة على الخليفة ومعه

---

(١) مسكويه - تجارب الامم ٢/٣٠٧ .

(٢) ن . م . س ٢/٣٠٨ .

(٣) القلقشندى - مآثر الانافة ١/٣٠٦ .

جمع كبير من الجند،فلما قرب منه قبل الارض،وجلس على كرسى فدخل بعض اصحابه على الخليفة كأنهم يريدون تقبيل يديه ،فجذبوه عن سريره،وانزلوه عنه ،والخليفة يقول : انا لله وانا اليه راجعون ،وهو يستغيث فلايغيثه احد ،فاخذوا مافى دار الخلافة من الذخائر والاموال (١) .

وفى سنة (٤٢٢هـ/١٠٣٠م) توفى الخليفة القادر بالله ،وتولى ابنه القائم بامر الله الخلافة (٤٢٢ - ٤٦٧هـ/١٠٣٠ - ١٠٧٤م) وطالبه الاتراك برسم البيعة فقال : (ان القادر لم يخلف مالا) وصالحهم على ثلاثة آلاف دينار وعرض خانا وبستانا للبيع لانفاقها عليهم (٢) . ويؤكد الذهبى صدق قول القائم بامر الله ،بان القادر كان من افقر الخلفاء وان امور الخلافة قد ضعفت الى درجة كبيرة ،غير انه يذكر ايضا بان السلطنة لم تعد احسن حالا من الخلافة . وفى عهد جلال الدولة اقتصرت سلطة الامير البويهى على (بغداد وواسط والبطائح وبعض السواد ،وليس له من ذلك ايضا الا الخطبة ،فاما الاموال والاعمال فمقسمة بين الاعراب والاكراد والاتراك ،مع ضعف ارتفاع الخراج ...) (٣) .

---

(١) الصفدى - نكت الهميان ص/ ١٩٦، الكتبى - فوات الوفيات ٧/٢، ابن الاثير - الكامل ١٤٧/٧ - ١٤٨ .

(٢) الذهبى - العبر ٢٤٦/٢، ابن الجوزى - المنتظم ٩٥/٦، اليافعى مرآة الجنان ٤١/٣ .

(٣) الذهبى - العبر ٢٤٦/٢ - ٢٤٧ .

وخلاصة القول ان الخلافة العباسية قد اصبحت فى ظل حكم البويهيين فى ضعف ومهانة ،والخليفة لايملك من الامر شيئا ،فكان البويهيون يولون الخليفة متى شاءوا ويعزلونه متى شاءوا ،كما انهم جردوه من القابه وامتيازاته فقد حذفوا لقب امير المؤمنين من الخطبة والسكة ،واكتفوا بلقب الخليفة وهم لم يكتفوا بذلك بل سيطروا على الخزائن ،ومدوا ايديهم الى اموال الخليفة الخاصة ،ورتبوا له مبالغ زهيدة لنفقاته ،كما انهم جردوه من الوزير ومن حق اختيار الولاة والقواد . وابقوا له بعض الاختصاصات المحدودة المرتبطة ببعض القضايا الشرعية مثل تعيين القضاة وائمة المساجد ،وذكر اسمه فى خطب الائمة ايام الجمع وفى الخطبة فى العيدين اضافة الى ذكر اسمه فى السكة.

ولقد ابقى البويهيون على هذه الامتيازات الدينية لخوفهم من الرأى العام فى العالم الاسلامى اضافة الى مافى ذلك من تظاهر امام العامة باحترام سلطة الخليفة فى حين ان جميع مايصدر باسمه كان صوريا،وفى الحقيقة فانه لم يكن له من الامر شئ.

وما ان لاحت فى الافق ظهور القوة السلجوقية المتنامية ،حتى بدأت آمال الخليفة فى العراق تتحول نحوها . وقد كانت شهرة السلاجقة قد سبقتهم الى بغداد،حيث انتصاراتهم المتتالية فى المشرق مما كان له صدى فى نفوس العامة اضافة الى ماكان لتلك الانتصارات من نتائج واسعة المدى فى تاريخ السلاجقة ،ذلك انهم اصبحوا قوة خطيرة تناوئ اى قوة تقف فى وجهها وقد رأى العباسيون ان قوة السلاجقة خير معين لهم بعدالله

يخرجهم من هذا الوضع الذى آل اليه امرهم وخاصة بعد التدهور الخطير الذى اصاب مركزهم فى عاصمة الخلافة ،مع انهم محاطون بدول شيعية متعصبة سواء من الفاطميين والعلويين والحمدانيين ولذلك لم يتردد الخليفة العباسى القائم بامر الله لحظة فى الاستعانة بالسلاجقة ،فقد استغل الخليفة العباسى فرصة مراسلة امراء السلاجقة ،فبادر فارسل الى الرى هبة الله بن محمد المأمون رسولا الى السلطان طغرلبك ،وامره بان يبذل كلمايستطيع لكى يقنع طغرلبك اثناء المقابلة بالحضور الى بغداد (١) . وقد مكث هبة الله ثلاث سنوات فى خراسان ضيفا على السلاجقة حتى فرغ طغرلبك من السيطرة على خراسان وماجاورها وتفرغ للتوجه الى العراق (٢) . وكان دخول طغرلبك بغداد عام (٤٤٧هـ/١٠٥٥م) حيث امر بالقبض على آخر ملوك البويهيين وهو الملك الرحيم البويهى حيث ارسله معتقلا الى الرى (٣) . وبهذا انتهى حكم البويهيين وسيطرتهم على الخلافة العباسية .

وقد اظهر السلاجقة الاحترام والتقدير الكبير للخلافة العباسية وكانوا قد ارسلوا قبل ذلك رسالة الى الخليفة القائم بامر الله اعلموه فيها بانهم من الموالين للخلافة وبانهم دائما فى طاعة الخليفة ويعدون انفسهم اتباعا للدولة العباسية وتحت تصرفها . اضافة الى امور اخرى

---

(١) رشيد الدين ـ جامع التواريخ م٢ جه ص١٩ .

(٢) ن . م . س م٢ جه ص٢٠ .

(٣) ن . م . س م٢ جه ص ٢١ ـ ٢٢ .

سنستعرضها فى فصل قادم ٠

وبعد ان قضى السلاجقة على البويهيين وقبضوا على آخر الملوك البويهيين فانهم باشروا بملاحقة الفرق الباطنية من القرامطة والاسماعيلية وغيرهم واستطاعوا القضاء على خطر القرامطة فى عقر دارهم فقد استنجد اتباع مذاهب اهل السنة فى البحرين بالسلاجقة لانقاذهم من اخطار القرامطة فارسل اليهم جيشا فى سنة (٤٦٢هـ/١٠٧٠م) الحق الهزائم بالقرامطة الذين ارتدوا الى الاحساء ٠ وهذه الهزائم شجعت السلاجقة فى ملاحقتهم الى الاحساء بجيوش اخرى حيث طلبوا من الناس الانضواء تحت راية هذه الجيوش فى جهاد المبطلين والقرامطة الملحدين وفى استئصال ذكرهم وتطهير تلك البقعة من دنس كفرهم ٠ وهكذا قدر لهم الاطاحة بالقرامطة فى شمال الاحساء حيث انتصروا عليهم فى موقعة "الخندق" سنة (٤٧٠هـ/١٠٧٧م) ٠ وتعد هذه الموقعة من المواقع الحاسمة فى التاريخ، لانها قضت على دولة القرامطة نهائيا بعد ان بقيت زهاء قرنين من الزمان مصدر رعب وفزع للامة الاسلامية والدولة العباسية ٠ (١)

ولم يكن عزم السلاجقة على مناهضة الدعوة الاسماعيلية اقل من عزمهم على مناهضة القرامطة ومحاربتهم، الا ان الدعوة الاسماعيلية قد اخذت طريق التنظيم على يد الحسن بن الصباح (٢) الذى طور الدعوة فى المشرق

---

(١) حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام ٢٥٨/٤، ٢٥٩ ٠

(٢) لويس ـ اصول الاسماعيلية ص/ ٥٤ ٠

بقصد الاسهام فى تقويض ملك السلاجقة والاسهام فى ما اصاب البلاد الاسلامية فى المشرق من ضعف شديد الامر الذى ادى فى النهاية الى زوال الدولة العباسية . وقد عمل السلاجقة على محاربتهم وبذلوا جهودا متصلة فى مواجهة الخطر الاسماعيلى وقد ارسل السلطان ملكشاه حملتين احداهما الى قوهستان والاخرى ضد قلعة الموت مركز الدعوة الاسماعيلية ومقر زعيم التنظيم حسن الصباح،ولكن هاتين الحملتين صدتا وهزم الجيش السلجوقى وقد توقف استمرار الصدام العسكرى بسبب وفاة السلطان السلجوقى ملكشاه (١) . وقد سار السلاجقة بعد ذلك فى سياسة مناهضة الدعوة الاسماعيلية .

ولقد كان رد الفعل عند العامة قويا ضد الفرق الباطنية وقد تمثل ذلك فى تصدى ابناء مذاهب اهل السنة والسلف للمتشيعة فى بغداد الذى كان له الاثر الكبير فى اضعافهم ولجوئهم الى اساليب ماكرة فى اثارة شفقة السلاجقة ضمانا لامنهم والدفاع عن مصالحهم دون جدوى . فقد تكررت حوادث التصادم وحصلت فى مناسبات متعددة استثارة اهل السنة وتصديهم للبدع والخزعبلات التى كانت المتشيعة تعملها . وذلك بالتأكيد ادى الى اضعاف الدولة وقدرتها على المقاومة مما اسهم فى رسم سبيل تدهورها واستمرار حالة الضعف التى استمرت تقاسمنها على الدوام .

---

(١) لويس ـ اصول الاسماعيلية ص/ ٦١،٦٢ .

اعادة الوزارة العباسية :

سيطر البويهيون على الخلفاء العباسيين وعملوا على سلب جميع الصلاحيات والامتيازات منهم ،وكان لذلك اثره على ادارة الدولة ونظمها فقد ادى ذلك الى القضاء على الوزارة العباسية . وتذكر المصادر بأن احوال الخلافة قد اضطربت " ولم يبق لها رونق ولاوزارة وتملك البويهيون وصارت الوزارة من جهتهم والاعمال اليهم " (١) .

ويذكر ابن العبرى بأنه : " وفى سنة اربع وثلاثين وثلثمائة ازداد امر الخلافة ادبارا ولم يبق للخليفة وزير انما كان له كاتب يدير اقطاعه واخراجاته ..." (٢) . ويذكر ايضا المسعودى : " وغلب على الامر ابن بويه والمطيع فى يده لاامر له ولانهى ولاخلافة تعرف ،ولاوزارة تذكر وقد كان ابو جعفرمحمد بن يحيى بن يزداد يدبر الامر بحضرة الديلمى فيما يأمر الوزارة برسم الكتبة ،ولم يخاطب بالوزارة ،وقيل ان ابا الحسن محمد بن على بن مقله يعرض الكتب على الديلمى والمطيع ،ويتصرف برسم الكتبة لابرسم الوزارة وذلك فى جمادى الاولى سنة ٣٣٦هـ" (٣) . وقد انعكس الوضع فاصبح للخليفة كاتب وللامير وزير ،فالكاتب كان يدير اقطاعات الخليفة واخراجاته لاغير بينما يستوزر معزالدولة البويهى لنفسه من

---

(١) ابن طباطبا ـ الفخرى ص/ ٢٨٨ .

(٢) ابن العبرى ـ تاريخ مختصر الدول ص/ ٢٩١ .

(٣) المسعودى ـ مروج الذهب ٢٩٣/٤ .

يريد[١] . وكان الامير البويهى يتدخل فى تعيين كاتب الخليفة[٢]، وكان قد الغى منصب الوزير تقريبا فى بداية عهد الخليفة المطيع فى سنة (٣٣٤هـ/٩٤٥م)، واقام ابن شيرازاد بتدبير الامور والاعمال بدلا من الوزير من غير تسميته بالوزارة[٣] . وقد كتب للمطيع الفضل بن احمد بن الشيرازى، وابو سعيد بن وهب بن ابراهيم[٤]، وكتب للخليفة الطائع (٣٦٣ - ٣٨١هـ/٩٧٣ - ٩٩١م) على بن نباته، وعيسى بن على بن عيسى، وعيسى ابن مروان، وعلى بن عبدالعزيز[٥] .

وكتب للخليفة القادر (٣٨١ - ٤٢٢هـ/٩٩١ - ١٠٣١م) ابو الحسن على بن عبدالعزيز بن حاجب النعمان، ثم عزله واستكتب ابا العلاء سعيد بن الحسن بن يربك، ثم عزله واعاد ابن حاجب النعمان[٦] .

اما الخليفة القائم بامر الله[٧] (٤٢٢ - ٤٦٧هـ/١٠٣١ - ١٠٧٤م)، فقد

---

(١) ابن الاثير - الكامل ٣١٥/٦، المقريزى - السلوك ٢٧/١ .

(٢) متز - الحضارة الاسلامية ٢٢/٢ .

(٣) ابن مسكويه - تجارب الامم ٨٧/٢ .

(٤) الاربلى - خلاصة الذهب المسبوك ص/ ١٩٠ .

(٥) ن . م . س ص/ ١٩٢ .

(٦) ن . م . س ص/ ١٩٤ .

(٧) هو ابوجعفر عبد الله بن احمد القادر بن اسحاق بن جعفر المقتدر ابن احمد المعتضد بن طلحة الموفق بن المتوكل الهاشمى العباسى البغدادى وامه ام ولد وتسى قطن، وقيل غير ذلك، كان حليما كثير =

كتب له فى اول الامر عميد الرؤساء ابو طالب محمد بن ايوب سنة (٤٢٢هـ/١٠٣١م)[١]، حيث استمر يكتب للخليفة لمدة ست عشرة سنة . وتصفه المصادر بانه كان حسن السيرة وحسناته سائرة[٢] .

وفى سنة (٤٣٧هـ/١٠٤٥م) استكتب الخليفة القائم بامر الله ،على بن الحسن بن احمد ابا القاسم بن المسلمة[٣] ،وبعد مجئ السلاجقة الى بغداد استوزره القائم بامر الله ولقبه " رئيس الرؤساء" و " شرف

= الحياء فصيحا شاعرا اديبا امر بالمعروف ونهى عن المنكر واحسن السير فى الرعية وجلس بنفسه للمظالم وكان يتقن فن الكتابة وفى ايامه انقرضت الدولة البويهية وعاصر بدايات الحكم السلجوقى اذ استمر فى الخلافة (٢٠) سنة بعد دخول السلاجقة بغداد . ولمعلومات اوفى انظر :

الديار بكرى – تاريخ الخميس ٢٥٧/٢، ابن تغرى بردى – مورد اللطافة ص/ ١٢٦، القرمانى – اخبار الدول ص/ ١٧٢، الصفدى – الوافى بالوفيات ص/ ١٧ – ٢١، الكتبى – فوات الوفيات م ٢ ص/١٥٧، ابن دقماق السراجى – الجوهر الثمين فى سيرة الملوك والسلاطين – ورقة ٥٩ ،سيد امير على – مختصر تاريخ العرب ص/ ١٧١، ابن طقطقا الفخرى ص/ ٢٩٢ .

(١) البندارى – دولة آل سلجوق ص/١٤، الاربلى – خلاصة الذهب ص/ ١٩٧ ، حسين امين – العراق ص/ ٣٢٤ .

(٢) البندارى – دولة آل سلجوق ص/ ١٤ .

(٣) الاصبهانى – خريدة القصر ١٤٧/١،حسين امين – العراق ص/ ٣٢٤ ، ابن طباطبا – الفخرى ص/ ٢٩٥، البندارى – آل سلجوق ص/ ١٠ .

الوزراء جمال الورى "[1] .

وكان ابن المسلمة احد المعدلين ببغداد قبل ان يكون وزيرا وكان ممن له معرفة بالفقه وانسا بالعلم ورواية الحديث ،وقد جل امره وعظمت منزلته[2] . وكانت نهايته على يد البساسيرى حينما دخل بغداد واسر الخليفة القائم ،فقد مثل بابن المسلمة وقتله سنة (٤٥٠هـ/١٠٥٨م)[3] . وبعد ذلك تمكن السلطان طغرلبك من ان يقضى على البساسيرى ويعيد الخليفة الى بغداد سنة (٤٥١هـ/١٠٥٩م) ،بعد ان بقى قرابة عام منفيا فى " عانه وحديثه"[4] ،ويلاحظ انه قد تغيرت طباع واحوال الخليفة بعد عودته الى الخلافة ذلك انه على ماتذكر المصادر لم ينم على وطاء ،الا على فراش مصلاه ،ولم يدع احدا يحمل اليه فطوره وطهوره ،وقد لزم الصيام والقيام ،وعفى عن كل من اذاه ...[5] وان فترة اختيار ابن المسلمة للوزارة تمثل عودة الوزارة العباسية الى الظهور مرة اخرى بعد ان كانت

---

(١) الاصبهانى – خريدة القصر ١٤٧/١ ، الحسينى – اخبار الدولة السلجوقية ص/ ٦٢ .

(٢) ابن طباطبا – الفخرى ص/ ٢٩٥ ، الاصبهانى – خريدة القصر ١٤٧/١ .

(٣) ابن طباطبا – م . س ص/٢٩٥ ، الاصبهانى – م. س ١٤٧/١ .

(٤) الكريم الاقسرائى – مسامرة الاخبار ص/ ١٥ .

عانه : جزيرة بالفرات . الحميرى – الروض المعطار ص/ ٤٠٦ .

الحديثه : كورة من كور الموصل . الحميرى – م . س ص/ ١٨٩ .

(٥) السيوطى – تاريخ الخلفاء ص/ ٤١٨ ،سبط ابن الجوزى – مرآة الزمان ص/ ٦٩ ، القلقشندى – مآثر الانافة ٣٤١/١ .

قد قضى عليها البويهيون . وعاد الخلفاء العباسيون يسترجعون شيئا من مكانتهم ونفوذهم .

ففى اعقاب دخول السلاجقة بغداد اصبح للخليفة العباسى فى بادىء الامر الحرية الكاملة فى اختيار وزيره . ويكون اختيار الوزير بمعرفة الخليفة للشخص المرشح للوزارة ،وكان الخليفة فى بعض الاحيان يستشير المقربين اليه فيمن يرونه اهلا لنيل شرف الوزارة . وفى الوقت نفسه كان هناك فى المقابل وزير السلطان السلجوقى صاحب نفوذ ،فالوزير العباسى والوزير السلجوقى كان لكل منهم نفوذ وقوة مستمدة من السلطة التى يتبعونها فالوزير العباسى يستمد نفوذه وقوته من الخليفة العباسى وكذلك الوزير السلجوقى فان نفوذه وقوته مستمدة من السلطان السلجوقى (١) . غير ان وجود مصالح مشتركة موحدة كان يعمل على احلال الوفاق والانسجام بين الطرفين مما يعكس اثره فى العلاقات الخاصة بين الوزيرين العباسى والسلجوقى . الا ان الصورة لم تكن كذلك باستمرار فقد يحصل اختلاف فى المصالح الذاتية ،وقد يكون ذلك الاختلاف حادا وعند ذلك فان من المتوقع ان ينعكس اثر ذلك على علاقة الوزيرين . وحيث ان الخلافة كانت فى بداية فترة انتعاش ،بعد خبرات طويلة مؤلمة فانها كانت عازفة عن الاصطدام بالسلطان السلجوقى صاحب القوة العسكرية والنفوذ الكبير ،وهذا بدوره ادى الى ان يصبح وزير السلطان هو الاقوى

---

(١) احمد الشريف ـ العالم الاسلامى فى العصر العباسى ص/ ٥٧٣ .

والاكثر نفوذا من زميله وزير الخليفة . ومع ذلك فان على الباحث الايغفل قوة ونفوذ الوزير العباسى وخاصة فيما يتعلق بتنفيذ سياسة الخليفة العباسى ،ورعاية مصالحه . ويذكر صاحب الفخرى بانه عند عودة الخليفة القائم الى بغداد كان ابن المسلمة هو الوزير قبل ابن جهير (١) . وهذا يعنى ان ابن جهير قد تقلد الوزارة بعد ابن المسلمة الذى مثل به البساسيرى،فى حين يذكر البندارى ان وزارة ابن دارست كانت قبل ذلك وانه حينما اعيد الخليفة الى دار الخلافة عدم الوزير ،ففكر فى استيزار ابى تراب الاثيرى الذى خدمه بالحديثه ،لكن الشيخ ابا منصور بن يوسف كانت بينه وبين الاثيرى وحشه مما دفعه الى مخاطبة الخليفة فى وزارة ابى الفتح منصور بن احمد بن دارست ،وقال فى ذلك بانه يخدم بدون اقطاع وانه تعهد بان يحمل مالا الى الخليفة فاجيب الى ذلك . وكان ذلك عام (٤٥٣هـ/١٠٦١م) (٢) . وكان ابن دارست فى اول امره تاجرا للملك ابى كاليجار البويهى (٣) . والراجح ماذكره البندارى ،فقد استمر ابن دارست فى الوزارة حتى سنة ٤٥٤هـ/١٠٦٢م حيث عزل عنها بسبب انه ضمن اعمال الوكلاء الخاصة بالخليفة لابن علان اليهودى بستة آلاف كر غلة ،ومائة الف دينار ،فصح منها الف كر ،وثلاثون الف دينار،وانكسر الباقى . وقد اظهر

---

(١) ابن طباطبا - الفخرى ص/ ٢٩٥ .

(٢) البندارى - دولة آل سلجوق ص/ ٢٤،ابن الاثير - الكامل ٩٠/٧ .

(٣) ابن الاثير - م . س ٩١/٨ .

ذلك عجز ابن دارست ووهنه ،فعزل عن الوزارة ،وعاد الى الاهواز حيث توفى بها سنة سبع وستين واربعمائة[(١)] .

وفى سنة (٤٥٤هـ/١٠٦٢م) تولى ابو نصر محمد بن محمد بن جهير فخر الدولة منصب الوزارة للخليفة القائم ولقب بعميد الملك[(٢)] . وكانت وزارته فى يوم عرفة . وكان ذا رأى وعقل وحزم ودهاء[(٣)] وقد كان فى بداية امره رجلا فقيرا وشاءت ارادة الله سبحانه وتعالى ان يهيىء له اسباب الغنى والجاه . ثم تقلبت به الاحوال حتى عمل اخيرا عند ابن مروان صاحب ديار بكر بمافارقين ،فخدمه مدة واثرى عنده ثروة ضخمة فكان طموحا يتطلع الى مناصب اكبر ،فقد تطلع الى الوزارة العباسية ، ووضعها نصب عينه ،وعمل على الوصول اليها ،بان بدأ العمل بمراسلة الخليفة نفسه سرا يخطب الوزارة ،وقيل انه بذل له ثلاثين الف دينار[(٤)] . وقد وقع اختيار الخليفة عليه ،ولكن هناك مشكلة خروجه من عند ابن مروان ،وقد استعمل الخليفة الحيلة ،بان ارسل نقيب النقباء العباسيين كامل بن طراد

---

(١) ابن الاثير - الكامل ٩٣/٨ .

(٢) ابن خلكان - وفيات الاعيان ١٢٧/٥،بدر الدين العينى - السيف المهند ص/ ٧٧ . (ولآل جهير مماليك ينتسبون اليهم . ومنهم ابوسعيد طغندى بن خطلخ الجهبرى العكبرى من اولاد الاتراك البغداديين) السمعانى - الانساب ٤٤٢/٣ .

(٣) البندارى - دولة آل سلجوق ص/ ٢٥ .

(٤) ابن طباطبا - م . س ص/ ٢٩٤ .

الزينبي ،برسالة الى ابن مروان ،فى حين كان الغرض الحقيقى من الزيارة هو مقابلة فخر الدولة والاتفاق معه سرا حيث قرر معه مايريد ،وقد تظاهر فخر الدولة بانه يرغب فى توديع ابن طراد الزينبي فخرج معه كأنه يودعه ،غير انه انحدر معه الى بغداد (١) . وارسل ابن مروان خلفه من يرده فلم يقدر عليه (٢) ،وكان فخر الدولة قد فرق امواله بالبلاد كما ارسل بعضها الى بغداد .

وقد خلع الخليفة عليه لحاف سقلاطون ،ودراعة مصمة ،وعمامة قصب مذهبة، حراقية ،واعطى دواة من صندل محلاة وخاطبه بالجميل ،واحتفل له فى جلوسه مثل مايحفل الملوك وحمل على بغلة بمركب محلاة وقرئ عهده بالوزارة قائما" (٣) . وقد حفظ لنا مؤلف كتاب صبح الاعشى نسخة عهد بالوزارة اصدره الخليفة القائم بامر الله عند استيزاره لفخر الدولة بن جهير (٤) . وبعد ان تقلد ابن جهير الزارة فانه نهض بها احسن نهوض ،فقد استطاع ان يعيد الاطراف المتاخمة للعراق الى طاعة الخليفة ،بعد ان

---

(١) ابن طباطبا ـ م . س ص/ ٢٩٤،سبط ابن الجوزى ـ مرآة الزمان ص/ ٢٤٩، ابن الاثير ـ الكامل ٩٣/٨، الاصبهانى ـ خريدة القصر ٨٨/١ ـ ٨٩، البندارى ـ آل سلجوق ص/ ٣٩ .

(٢) ابن خلكان ـ وفيات الاعيان ١٢٨/٥ .

(٣) سبط ابن الجوزى ـ مرآة الزمان ص/ ٢٤٩ .

(٤) القلقشندى ـ صبح الاعشى ٢٣٤/١٠ ـ ٢٣٧،وانظر الملاحق

راسل الامراء المتغلبين فيها وكانت تربطه بهم علاقات طيبة[١]. كما اهتم ابن جهير فخر الدولة بالمنشآت الدينية حيث اصلح ماتخرب من جامع دار الخلافة ووسع مساحته ،كما قام باحداث منبر جديد فيه ،واجلب الماء الى المسجد من داره عن طريق قنوات تحت الارض وادخل فيه تحسينات كثيرة انتفع بها الناس[٢]. وعمل ايضا منبرا كبيرا خاصا للمسجد الحرام فى مكة المكرمة وكان هدفه ان تعود الخطبة لخلفاء بنى العباس ،غير ان هذا المنبر لم يكتب له البقاء طويلا فقد كسر وحرق عندما اعيدت الخطبة للفاطميين[٣].

وفى سنة (٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م) عزل الوزير فخر الدولة ابن جهير عن الوزارة بالتوقيع الامامى بمحضر من قاضى القضاة ابى عبدالله الدامغانى وقد تقررت الوزارة بعد ذلك لابى يعلى الحسين بن محمد بن عبدالله بن ابراهيم الهمدانى ،وخوطب بالوزارة" ،ولكن القدر لم يمهله لنيل الوزارة فقد مرض يوم عزل ابن جهير عن الوزارة ،وتوفى يوم وصول ابن جهير للفلوجة[٤] ،فقد ذهب ابن جهير للفلوجة عند نور الدولة فآواه واكرم مثواه[٥].

---

(١) ابن طباطبا – م . س ص/ ٢٩٤ .

(٢) ابن الجوزى – المنتظم ٣/٩ .

(٣) ابن كثير – البداية والنهاية ١١٧/١٢ – ١١٨ .

(٤) الفلوجة : قرية كبيرة من قرى سواد بغداد . ياقوت – معجم البلدان ٢٧٥/٤ .

(٥) البندارى – دولة آل سلجوق ص/ ٣٦،حسين امين – العراق ص/ ٣٢٤ .

وفى سنة (٤٦١هـ/ ١٠٦٨م) عول الخليفة القائم بامر الله فى اسناد الوزارة الى ابى الحسن بن عبدالرحيم ،لكن العامة ثاروا،لظلمه وعلاقته مع البساسيرى ،فصرف النظر عنه وبقى منصب الوزارة خاليا حتى كاتب نور الدولة الخليفة فى امر ابن جهير ،فاعاده الخليفة الى الوزارة (١) .

وفى سنة ٤٦٧هـ انتقل الخليفة القائم بامر الله الى جوار ربه وتولى بعده ابن ابنه المقتدى بامر الله (٢) عبدالله بن محمد ذخيرة الدين بن القائم (٤٦٧ - ٤٨٧هـ/١١٧٤ - ١١٩٤م) (٣) ، فاخذ البيعة له الوزير فخر الدولة ابن جهير (٤) ،لانه لم يكن للخليفة القائم عقب سوى ابن ابنه عبدالله بن ذخيرة الدين محمد بن القائم ،وكان الاخير قد توفى فى عهد والده الخليفة القائم بامر الله (٥) .

وقد ظهرت فى ايام المقتدى بامر الله خيرات كثيرة ،ومن محا سنه انه نفى المغنيات والخواص ببغداد ،وامر ايضا على ان لايدخل احد

---

(١) البندارى - دولة آل سلجوق ص/ ٣٦ .

(٢) شمس الدين الذهبى - دول الاسلام ٢/٣،السيوطى - تاريخ الخلفاء ص/ ٤٢٢، ابن العبرى - تاريخ مختصر الدول ص/ ٣٢٤ .

(٣) الطبرى - نشأة السلافة ورقة ١٣٥،ابن الغربى - محاضرة الابرار ٨٥/١،محمد بن الشحنة - روضة النواظر ورقة ٥٢ .

(٤) ابن طباطبا - م . س ص/ ٢٩٥ .

(٥) القلقشندى - مآثر الانافة ٣٤٣/١ .

الحمام الا بمئزر وخرب ابراج الحمام صيانة لحرم الناس.[١]

وقد اقر الخليفة المقتدى بامر الله فخر الدولة ابن جهير فى الوزارة بوصية من جده الخليفة القائم بامر الله بذلك.[٢] واستمر ابن جهير فى منصب الوزارة حتى عام (٤٧١هـ/١٠٧٨م) اى بعد اربع سنوات من خلافة المقتدى بامر الله حيث عزل فى هذا التاريخ بتهمة تدبير الفتنة التى قامت بين الحنابلة والشافعية فى بغداد ،وكان عزله عن الوزارة بايعاز من وزير السلطان السلجوقى نظام الملك الذى استثارته حادثة جماعة من طلاب المدرسة النظامية ،فى تلك الفتنة[٣] ،وقد تم فرض الاقامة الجبرية على الوزير ابن جهير ،بمشورة الوزير السلجوقى. وقد استمر انفاذ ذلك الى ان تمكن عميد الدولة ابن فخر الدولة بن جهير من استعطاف الوزير نظام الملك وتأليف قلبه واسترضاءه ،فقد اخذ يتقرب اليه حتى استرضاه وتزوج ابنته ويظهر ان الخليفة المقتدى بامر الله بعد عزله لوزيره فخر الدولة ابن جهير سنة ٤٧١هـ وذهاب ابنه عميد الدولة بن جهير الى نظام الملك يستعطفه ،كان قد عين ابا شجاع ظهير الدين، محمد بن

---

(١) السيوطى - تاريخ الخلفاء ص/ ٤٢٣، الاصبهانى - خريدة القصر ٢٥/١، القرمانى - اخبار الدول ص/ ١٧٣.

(٢) ابن الاثير - الكامل ١٢١/٨.

(٣) البندارى - دولة آل سلجوق ص/ ٥٤، ابن الاثير - م. س ١٢٥/٨، ١٢٦.

الحسين بن محمد بن عبدالله بن ابراهيم وزيرا مكانه ،ولكنه عزل في العام التالي بتأثير نظام الملك بعد ان رضى عن فخر الدولة بن جهير.(١)

وقد وزر عميد الدولة محمد بن محمد بن محمد بن جهير ،ابن فخر الدولة بدلا من ابيه(٢) ،وكان عميد الدولة فاضلا ،ذا شهامة وصرامة وحصافة وفصاحة وحماسة وشجاعة ،عرف عنه الوقار والهيبة والعفة وجودة الرأى(٣) ،فقد استملاه نظام الملك ،وتعجب به فقال : (وددت انى ولدت مثله) ثم زوجه ابنته(٤) .

وكانت هذه المصاهرة خير ظهير لعميد الدولة ،الذى كان ينوب عن والده فى الوزارة فى اول الامر ،ثم بعد ذلك خدم لثلاثة من الوزراء ووزر لاثنين منهم(٥) . وخلع الخليفة المقتدى بامر الله على عميد الدولة

---

(١) ابن الاثير – الكامل ١٢٦/٨،ويذكر الاصبهانى ان ذلك قد جرى فى نفس السنة . انظر خريدة القصر ٨٩/١ .

(٢) الاصبهانى – م . س ٨٩/١ .

(٣) ابن طباطبا – م . س ص/ ٢٩٦،الاصبهانى – خريدة القصر ٩٢،٨٧/١، ابن خلكان – وفيات الاعيان ١٣١/٥ .

(٤) ابن طباطبا – م . س ص/ ٢٩٧،(تزوج ابنتى نظام الملك الاولى "زبيدة" سنة ٤٦٢هـ والثانية "صفية" سنة ٤٧١هـ) ابن الاثير – م . س. ١٢٦،١٠٨/٨ .

(٥) الاصبهانى – خريدة القصر ٩٢،٨٩/١ .

ابن جهير فى بيت النوبة ،فرفل فى ملابس الاصطناع ،وجعل اليه الانهاء والمطالعة ومراعاة الاقطاع ،وقرىء له توقيع من انشاء ابن الموصلايا " (١) .

وقد ساهم عميد الدولة ابن جهير فى انتعاش الناحية الاقتصادية للدولة العباسية فى العراق وخاصة فى مجال التنمية الزراعية ،فقد عنى باصلاح مجارى الانهار التى تقوم عليها الزراعة ،وكانت العادة ان منسوب الماء اذا زاد فى موسم الامطار عن قدرة النهر على التصريف فانه يطفح ويؤدى ذلك حصول البثوق والخراب ولذلك فقد عمل ابن جهير على تقوية واسناد الضفاف وسد المواضع التى يخشى انفجارها مع تطهير مجارى المياه وازالة مايعترضها من عوائق او عوالق ،وذلك ادى الى تحسين احوال الزراعة والمزارعين وزيادة الانتاج الزراعى ومانجم عنه من توفر الغذاء واعتدال الاسعار (٢) .

وكان عميد الدولة ابن جهير يقول الشعر ،وكانت مقطوعاته حسنة منها :

الى متى انت فى حل وترحال	تبغى القلى والمعالىمهرهاغالى
ياطالب المجددون المجدملحمة	فى طيها خطر بالنفس والمال
ولليالى صروف قلما انجذبت	الى مراد امرى يسعى لامال (٣)

---

(١) البندارى - تاريخ دولة آل سلجوق ص/ ٣٧ .

(٢) ابن كثير - البداية والنهاية ١٥٢/١٢ .

(٣) ابن طباطبا - الفخرى ص/ ٢٩٧، الاصبهانى - خريدة القصر ٩١/١ .

وكان عميد الدولة ابن جهير من الوزراء الممدوحين ،وكانت له رياسة ،فقد مدحه عدد كبير من الشعراء،ويقال انه مدح بمائة الف بيت شعر [١] . وكان يمتاز بالكلمات المحفوظة رغم ضنه بها ،فمن كلماته انه قال لولد الشيخ الامام ابى نصر ابن الصباغ : " اشتغل وادآب والاكنت صباغا بغير اب " [٢] .

واستمر عميد الدولة بن جهير فى الوزارة حتى سنة ٤٧٦هـ حيث عزل وقام بعده باعباء الوزارة ،المظفر ابو الفتح ابن رئيس الرؤساء الذى عزل فى نفس السنة بابى شجاع ظهير الدين محمد بن الحسين بن محمد عبدالله بن ابراهيم الهمدانى الروذراورى [٣] . وقد لقبه الخليفة بعد انخلع عليه الوزارة "ظهير الدين مؤيد الدولة سيد الوزراء صفى امير المؤمنين" [٤] . وقد خرج فى حقه توقيع من انشاء ابى سعيد بن الموصلايا وهو يعرف بسعة علمه وادبه ،وكان قد قرأ الفقه على الشيخ ابى اسحاق الشيرازى ،كما انه قرأ الادب [٥] ،وكان رجلا دينا كثير الخير والبر والصدقة

---

(١) الصفدى - الوافى بالوفيات ٢٧٢/١ .

(٢) الصفدى - م ٠س ٢٧٢/١، ابن عماد الحنبلى - شذرات الذهب ٣/ ٣٧٠ .

(٣) البندارى - آل سلجوق ص/ ٧٧٠ واصله من الاهواز،لمعلومات اوفى انظر ابن خلكان - وفيات الاعيان ١٣٤/٥، الاصبهانى - خريدة القصر ٧٧/١،وكان مولده بقلعة كنكور سنة (٤٣٧هـ/١٠٤٥م) انظر الاصبهانى خريدة القصر ٧٧/١ .

(٤) البندارى - آل سلجوق ص/ ٧٧ .

(٥) ابن خلكان - وفيات الاعيان ١٣٤/٥ .

ويذكر ان الذين كتبوا صدقاته الخاصة فى وجوه البر عشرة كتبة ،وقد اورد احد الكتاب ان صدقاته وعلى وجوه البر تقدر بحوالى مائة وعشرين الف دينار [١]. ومن فضائله ماظهر منه من التمسك باهداب الدين ،واظهاره واعزاز اهله ،وكان يرأف باهله ،ويذكر الاصبهانى بان من صفاته " الاخذ على ايدى الظلمة ما اذكر به عدل العمرين وكان لايخرج من بيته حتى يكتب شيئا من القرآن ويقرأ فى المصحف ماتيسر وكان يؤدى زكاة امواله الظاهرة فى سائر املاكه وضياعه واقطاعه ويتصدق سرا .... " [٢]. وكان اذا صلى الظهر يجلس حتى العصر لكشف المظالم ،وكان الحجاب ينادون فى الناس من كانت له حاجة فليعرضها [٣].

واستطاع ظهير الدين الروذراورى ان ينهض بالوزارة على احسن مايرام ،واستطاع ان يقيم العدل وينشر الامن ويقضى على الظلم ويحفظ امر الدين ،ويذكر الاصبهانى ان عصره كان "احسن العصور ،وايامه انضر الازمان ،ولم يكن فى الوزارة من يحفظ امر الدين وقانون الشريعة مثله صعبا شديدا فى امور الشرع ،سهلا فى امور الدنيا ،لاتأخذه فى الله لومة لائم " [٤].

---

(١) ابن طباطبا – م . س ص/ ٢٩٧ .

(٢) الاصبهانى – خريدة القصر ١/٨٦ .

(٣) ابن طباطبا – م . س ص/ ٢٩٨ .

(٤) الاصبهانى – م . س ١/٧٨ .

ويظهر ان الوزير الروذراورى قد استطاع ان يرفع من شأن الخلافة فيذكر الهمدانى فى الذيل : " فكانت ايامه اوفى الايام سعادة للدولتين واعظمها بركة على الرعية واعمها امنا واشملها رخصا واكملها صحة لم يغامرها بؤس ،ولم تشبها مخافة ،وقامت للخلافة فى نظره من الحشمة والاحترام ،ما اعادت سالف الايام " (١) .

وحج بيت الله تعالى ولم يؤرخ عن وزير انه حج فى ايام وزارته الا الوزير الروذراورى فان الوزراء قبله كانوا يحجون بعد خلوهم من الوزارة ،الا البرامكة (٢) .

ومن مناقبه ايضا انه لما وقعت الفتن بين السنة والشيعة فى الكرخ وباب البصرة من مدينة بغداد ،تغاضى عن اراقة الدماء التى جرت خلال احداث الفتنة ولم يعرف مرتكبوها غاية التغاضى حتى قال له المقتدى "ان الامور لاتمشى بهذا اللين الذى تستعمله وقد اطمعت الناس بحلمك وتجاوزك ،وامره بنقض دور عشرة من كبار اهل المحال ،حتى تقوم السياسة وتسكن هذه الفتن " (٣) .

وكان للوزير ظهير الدين نصيب وافر فى النهوض بالحركة العلمية

---

(١) الاصبهانى — م . س (٧٩،٧٨/١، ابن خلكان — وفيات الاعيان ١٣٥/٥ — ١٣٦ .

(٢) ابن طباطبا — م . س ص/ ٢٩٨ .

(٣) ن . م . س ص/ ٢٩٨ .

والادبية . فقد كان من المتعمقين فى دراسة العربية ملما بالادب وانشأ مدرسة ببغداد وجعلها وقفا على اصحاب الشافعى .(١) وله مؤلفات من اشهرها كتاب "ذيل تجارب الامم "(٢) وكان يحب الانفاق فى سبيل الخيرات والصدقات ،وعمل ايضا على وقف الوقوف الحسنة وبنى المشاهد واكثر الانعام على الارامل والايتام ،(٣)وقد نمى الى علمه ان بدرب القيار(٤) فى بغداد امرأة ومعها اربعة اطفال ايتام ليس لهم كساء عراة جياع فاستدعى فى الحال حاجبه وامره باكسائهم واشباعهم ،وقيل انه خلع اثوابه وكان الجو شديد البرودة وحلف ان لايلبسها ،ولايدفىء حتى يعود حاجبه ،ويخبره بما ارسله من اجله .(٥)

واستمر ظهير الدين فى الوزارة حتى يوم الخميس التاسع عشر من صفر سنة ٤٨٤هـ/١٠٩١م)(٦) .

ويبدو ان هناك عدة اسباب ادت الى عزله عن وزارة الخليفة العباسى المقتدى بامر الله بطلب من السلطان ملكشاه السلجوقى ومن

---

(١) السبكى - طبقات الشافعية ٥٨/٣ .

(٢) ابن خلكان - وفيات الاعيان ١٣٧/٥، الاصبهانى - م . س ٧٩/١ .

(٣) محمد شندب - الحضارة الاسلامية فى بغداد ص/ ٢٥ .

(٤) درب القيار : ناحية ببغداد الشرقية وهى محلة كبيرة مشهورة . ياقوت الحموى - معجم البلدان ٤١٩/٤ .

(٥) الاصبهانى - م . س ٨٦/١ .

(٦) ابن خلكان - وفيات الاعيان ١٣٥/٥ .

بين تلك الاسباب تشدد الوزير ابى شجاع ظهير الدين فى امور الدين والشرع ،وتضييقه على اهل الذمة والزامهم بلبس الغيار .[١]

وقيل ان ذلك قد تم وفق مشورة وانفاذا لرغبة نظام الملك فى تولية احد ابنائه وزارة الخلافة .[٢]

وقيل ايضا ان السبب فى عزله انه اظهر كفاية عظيمة فى الوزارة الامامية وهذا مالم يكن يرغب فيه الوزير السلجوقى نظام الملك . وقد عرف عن ابى شجاع ظهير الدين عدم محاباته فى الدين ، اضافة الى وقوفه بشدة فى وجه اطماع رجال الديوان وعلى رأسهم سعد الدولة كوهرائين شحنة بغداد ، الذى اتفق هو ووكيل نظام الملك اليهودى ابو سعد بن سمحا[٣] على شكاية ظهير الدين عند نظام الملك الذى عمل على عزله[٤] . وهكذا

---

(١) البنداری – آل سلجوق ص/ ٧٧، ابن الاثير – الكامل ١٥٤/٨ .
والغيار : هو العلامات التى وضعت على اهل الذمة لتشهيرهم وتمييزهم علما بان ثمن عمامة الذمى لايزيد عن ثلاثة دنانير ،تتدلى منها ربطة صفراء ورمادية وتبقى صغيرة لايتدلى منها ذيل الى مابين الكفين ،كما ان عليهم لبس المرقعات حتى يتميزوا عن العرب .
حبيب زيات – مجلة المشرق ١٩٤٩ ص/ ٧٥ . الصالح – الشروط العمرية ص/ ٧٩ .

(٢) ابن تغرى بردى – النجوم الزاهرة ١٣٢/٥ .

(٣) ابن سمحا اليهودى : كان وكيل السلطان ونظام الملك وكانت اخلاقه سيئة ومات مقتولا . ابن الجوزى – المنتظم ٦٣/٩ .

(٤) ابن الاثير – الكامل ١٥٤/٨، ابن خلدون – العبر ٤٧٦/٣ .

فقد خرج توقيع الخليفة المقتدى بامر الله بعزل الوزير ظهير الدين نزولا على رغبة السلطان السلجوقى ملكشاه ،وكان عزله على حالة جميلة لم يصرف بمثلها وزير ،ومع ذلك فانه تمثل حين عودته الى داره بقول الشاعر :

تولاها وليس له عدو وفارقها وليس له صديق (١)

وفى يوم الجمعة التالى ليوم عزله عن الوزارة خرج ظهير الدين ماشيا الى الصلاة من داره فتكالب عليه العامة لمصافحته والدعاء له وقد اثار ذلك خصومه الذين وشوا به عند الخليفة ،فامره بالتزام بيته ثم غادر بغداد الى موطنه الاصلى حيث اقام مدة هناك ،ثم خرج الى الحج فى موسم سنة ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م وبعد الحج غادر الى المدينة المنورة حيث استقر مجاورا للرسول صلى الله عليه وسلم الى ان توفى بها فى النصف من جمادى الآخرة سنة ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م ودفن فى البقيع (٢) . وتذكر المصادر بان الوزير الروذراورى قد تزهد فى اواخر حياته فقد كان يكنس المسجد النبوى ويفرش الحصر ويشعل المصابيح (٣) .

وبعد عزل ظهير الدين عن الوزارة استناب الخليفة المقتدى بامر الله ابا مسعد بن موصلايا كاتب الانشاء فى الوزارة ،وفى الوقت نفسه ارسل

---

(١) ابن طباطبا – م . س ص/ ٢٩٨ .

(٢) الاصبهانى – خريدة القصر ١/ ٧٨ .

(٣) ابن طباطبا – م . س ص/ ٢٩٨ .

الى السلطان ووزيره نظام الملك يستدعى عميد الدولة بن جهير يستوزره وقد تم استيزاره فى ذى الحجة من عام (٤٨٤هـ/١٠٩١م) وقد جاء ذلك الاختيارمنسجما مع طموحات الوزير نظام الملك الذى بادره وهنأه بالوزارة فى داره[١] .

وقد استمر عميد الدولة بن جهير وزيرا للخليفة المقتدى بامر الله حتى وفاته سنة (٤٨٧هـ/١٠٩٤م) حيث اخذ عميد الدولة البيعة للمستظهر بالله (٤٨٧ - ٥١٢هـ/١٠٩٤ - ١١١٨م) من السلطان وسائر ارباب الدولة[٢] .

وفى سنة (٤٩٣هـ/١٠٩٩م) عزل الخليفة المستظهر وزيره عميد الدولة ويظهر ان السبب فى ذلك هو انه قد وقع بين الوزير عميد الدولة وبين السلطان السلجوقى مادفعه الى طلب عزله من الخليفة ،وقد ايد اصحاب الخليفة ذلك وطالبوا بعزله ،وقد حبس فى موضع بدار الخلافة الى ان توفى[٣] . وقد ذكر الصفدى بان الخليفة المستظهر كان قد ادخل عميد الدولة بن جهير حماما وسمر عليه الباب الى ان مات فيه ،وقد اخرج للشهود ليشهدوا انه ليس فيه اثر قتل[٤] . وليس فى المصادر مايؤيد ذلك . ولعل طول فترة وزارته وتعدد وزاراته ومصاهرته للوزير السلجوقى

---

(١) ابن الاثير - الكامل ١٥٤/٨ .

(٢) ابن الاثير - الكامل ١٧٠/٨ .

(٣) ابن طباطبا - م . س ص/ ٢٩٧ .

(٤) الصفدى - الوافى بالوفيات ٢٧٣/١ .

نظام الملك الذى مر على اغتياله فترة طويلة فى هذا التاريخ قد تسبب فى وجود عدد كبير من الخصوم والمنافسين للوزير عميد الدولة ،وكان اصطدامه بالسلاجقة السبب الرسمى لاقصائه . ويمكن تبين ذلك من خلال اعتقاله حتى وفاته منعا لاحتمال تعاونه مع اى جهة مؤثرة - وخصوصا النظامية اتباع نظام الملك واولاده - مما سيترتب عليه عودته الى الوزارة وهو مالم يرغب فيه خصومه ومنافسوه ،ان متابعة تاريخ استيزار عميد الدولة على كل حال يصل بنا الى نهاية الفترة المحددة لهذه الرسالة .

وعند محاولة تقويم حالة الوزارة العباسية خلال فترة موضوع البحث يمكن القول بان منصب الوزير كان قد الغى فى خلال العصر البويهى وان ارجاع المنصب الى الظهور ضمن مؤسسات الدولة العباسية كان قد تم بمبادرة من الخليفة العباسى عند دخول السلاجقة بغداد . ومع ان سلطات الوزيرواختصاصاته لم تصل الى ماكان عليه وزراء العصرين العباسيين الاولين فان محاولات جادة قد بذلت من اجل ترصين وتوضيح اختصاصاته وشمولها لجوانب متعددة من الاختصاصات الادارية والمالية العامة اضافة الى رعاية مصالح الخلافة وانفاذ اوامرها مع محاولة التوفيق بين مصالح الخلافة العباسية من جهة والسلطنة السلجوقية من جهة اخرى .

ولاشك فى ان الوزراء السلاجقة قد ساهموا فى التأثير فى مسار تطور الوزارة العباسية خلال هذه المرحلة عن طريق تأثيرهم المباشر وغير

المباشر وعن طريق اسهامهم فى الاوضاع الاقتصادية والعلمية والسياسية وربما احدثوا فى تنظيم الامور الادارية والمالية والعسكرية التى تعد العمود الفقرى فى الادارة السلجوقية ،ولذلك فان من الضرورة ،عند دراسة هذا المبحث المبادرة الى استعراض جهود وآثار السلاطين السلاجقة ووزرائهم خلال فترة الدراسة لغرض اعطاء صورة كاملة عن وضع الوزارة العباسية . واول هؤلاء السلاطين العظام ركن الدين ابو طالب محمد ابن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق (٤٢٩ – ٤٥٥هـ/١٠٣٧ – ١٠٦٣م)[١] الذى يعد المؤسس الحقيقى للدولة السلجوقية واول ملوكها العظام ،وقد وزر له عدد من الوزراء منهم الوزير السالار ابو القاسم البوزجانى والوزيرابو القاسم الكرمانى والوزير احمد الدهستانى[٢] ،ويذكر عباس اقبال بانه قد :"(ابتدأت ادارة هذه المؤسسة العظيمة) بابى القاسم على بن عبدالله سالار البوزكانى ،وابى محمد حسن بن محمد نظام الملك الدهستانى ورئيس الرؤساء ابى عبدالله حسين بن على بن ميكال الغزنوى الذين يعدون الطبقة الاولى من وزراء السلاجقة ،وعهد الى ثلاثتهم تولى منصب الصدارة ... وتبعهم فى ذلك ابو نصر منصوربن محمد عميد الملك الكندرى وزير طغرل ،والخواجة الكبير الاتابك قوام الدين ابو على حسن بن على بن اسحاق الطوسى الملقب بصدر الاسلام ونظام الملك"[٣] .

---

(١) بدر الدين العينى – السيف المهند ص/ ١٧١ .

(٢) رشيد الدين – جامع التواريخ م٢ ٢٩/٥ .

(٣) عباس اقبال – الوزارة ص/ ١٩ .

ومن اشهر هؤلاء الوزراء الوزير عميد الملك ابو نصر محمد بن ابي صالح منصور بن محمد الكندري الجراحي (١) . وهو من قرية كندر من اعمال طربثيت (٢) وقيل انه من اولاد احد دهاقين كندر (٣) . اما سبب اتصال عميد الملك بالسلطان طغرلبك فهو ان السلطان عندما قدم نيسابور طلب رجلا يكتب له على ان يكون فصيحا بالعربية والفارسية فدله عليه الموفق النيسابوري والد ابي سهل (٤) ،ويقول عنه الباخرزي : " اجمعني واياه مجلس الامام الموفق سنة اربع وثلاثين واربعمائة (٥) " .

وكان عميد الملك الكندري من رجال العلم ،ذا حزم ورأي ،تتمثل فيه الشهامة والكرم ،ونال عند طغرلبك الرتبة العالية والمنزلة الجليلة حتى انه لم يكن لاحدمن اصحابه معه كلام (٦) كما كان يمتاز بالفصاحة وسرعة البديهة (٧) . ويقول الشيخ ابو ثابت الصوفي بحير بن منصور الهمداني

---

(١) السمعاني – الانساب ١١/١٥٨ .

(٢) السمعاني – م . س ١١/١٥٨، القزويني – اخبار البلاد ص/ ٤٤٧ (ويقال لها ترشيز من نواحي نيسابور).

(٣) الحسيني – اخبار الدولة السلجوقية ص/ ٢٣ .

(٤) ابن الاثير – الكامل ٨/٩٦ ، البنداري – آل سلجوق ص/ ٣١ .

(٥) الباخرزي – دمية القصر ٢/٢٣٠ – ٢٣١ .

(٦) الذهبي – العبر ٣/٢٣١، ابن عماد الحنبلي – شذرات الذهب ٣/٣٠١ .

(٧) بدر الدين العيني – السيف المهند ص/ ٧٧ .

" لم ار صوفيا مثل ابى نصر الكندرى"(١) . ويذكر القزوينى خبرا غريبا فهو يشير الى السلطان طغرلبك واستيزاره لعميد الملك الكندرى : " كان السلطان معتزليا والوزير شيعيا امرا بلعن جميع المذاهب يوم الجمعة على رؤوس المنابر"(٢) ،وكان عميد الملك شديد التعصب ضد الشافعية ،ومن شدة تعصبه على الشافعية انه حينما خاطب السلطان فى لعن الرافضة على منابر خراسان ،اضاف اليهم الاشعرية(٣) . وقد شق هذا الامر على المسلمين مما دفع ائمة الشافعية فى خراسان الى الهجرة عنها كما فعل ابو القاسم القشيرى وامام الحرمين ابو المعالى عبدالملك بن عبدالله ابن يوسف الجوينى(٤) . الذى رحل الى مكة(٥) . فى حين يذكر ابن العماد الحنبلى نقلا عن ابن السمعانى فى كتاب الذيل ان ابا المعالى قد

---

(١) السمعانى - م . س ١١/١٥٨ .

(٢) القزوينى - آثار البلاد ص/ ٤٧٤،وهذا مخالف لواقع الحال الذى تعرضه المصادر الموثقة ذلك ان المعروف هو ان السلاجقة كانوا على المذهب الحنفى . انظر السبكى - طبقات الشافعية ٢/٢٦٩ ،وقد اكد ذلك صاحب مرآة الزمان .

(٣) ابن خلكان - وفيات الاعيان ١٣٨/٥، ابن الاثير - الكامل ٩٧/٨ .

(٤) جوين : ناحية بين خراسان وقهستان كثيرة وافرة الغلات وهى اربعمائة قرية على اربعمائة قناة والقنوات منشأها من مرتفع من الارض والقرى على متسفل احدها بجانب الآخر . القزوينى - آثار البلاد ص/ ٣٥٢، السمعانى - م . س ٣/٤٣٠ .

(٥) ابن الاثير - الكامل ٩٧/٨، القزوينى - م . س ص/ ٤٤٧ .

"خرج الى بغداد وصحب العميد الكندرى ابا نصر مدة يطوف معه ويلتقى في حضرته بالاكابر من العلماء ويناظرهم حتى تهذب فى النظر واتساع ذكره "[١] . مما يعكس مدى احترام عميد الملك لعلماء الشافعية . غير ان واقع الحال يشير الى ان بداية الازمة تعود فى الواقع الى عام (٤٤٥هـ/١٠٥٣م) اى الى الفترة التى سبقت دخول السلاجقة بغداد . ذلك ان السلطان طغرلبك كان قد اطلع على مقالة فى العقيدة لابى الحسن الاشعرى فما ارتضاها ،ونظرا لجهله وبساطته فانه امر بلعن الاشعرى[٢] والظاهر ان الوزير الكندرى قد حسن للسلطان لعن المبتدعين وخصوصا الرافضة واعتد الاشعرى من المبتدعين ،مما اذى بعض اعيان العلماء من الشيعة ويظهر ان رد الفعل فى بعض المصادر كان عنيفا فقد اتهمه السبكى بانه رافضى كرامى[٣] ،واضاف بانه "قد استعان بالمعتزلة الذين يقلدون مذهب ابى حنيفة واشربوا فى قلوبهم فضائح القدرية .."[٤] . ومن نافلة القول ان الجمع بين هذا الاتجاه فى شخص واحد امر غير قابل للتصديق او القبول وخصوصا اذا كان الشخص وزيرا فى الدولة السلجوقية التى تحارب الرفض والتشيع وتلتزم بوجهة الخلافة العباسية التى كانت قاست

---

(١) ابن عماد الحنبلى – شذرات الذهب ٣/١٠٣،٣٠٢ .

(٢) ابن الجوزى – المنتظم ١٥٨/٨ .

(٣) السبكى – طبقات الشافعية ٢٧٠/٢،٢٧٨ .

(٤) ن . م . س ٢٧٠/٢،٢٧٨ .

من التشيع والرفض الشيء الكثير . اما علاقة العلماء بالوزير الكندرى فامر مشهود له ،وقد كانت علاقته طيبة بهم . وقد كتب الشيخ ابراهيم الشيرازى رئيس الشافعية فى بغداد : " الاشعرية اعيان اهل السنة وانصار الشريعة انتصبوا للرد على المبتدعة من القدرية والرافضة وغيرهم فمن طعن فيهم فقد طعن على اهل السنة " (١) . وهذا يكشف سعة افق الوزير الكندرى ومدى تسامحه ،كما يؤكد خطل اتهامه بالرفض والتشيع وهو غير وارد نقلا وغير ممكن القبول والتصديق عقلا .

ولقد لعب عميد الملك دورا كبيرا فى زواج السلطان طغرلبك من ابنة الخليفة العباسى القائم بامر الله . وعلى كل حال ،فان مثل هذا الامر لم يسبق ان حدث اذ لم يتجرأ احد ممن سبق السلطان طغرلبك من السلاطين او الامراء ان يطلب يد ابنة الخليفة العباسى (٢) . كما عمل الوزير الكندرى على اصلاح البيمارستان العضدى وتجديده وتوفير متطلباته بعد ان وجده قد خلا من كل دواء وشراب (٣) .

وقد عمل الوزير الكندرى على تهدئة الموقف عند وفاة السلطان طغرلبك سنة (٤٥٥هـ/ ١٠٦٣م) ذلك انه ما ان علم بوفاته بالرى ،وكان عميد الملك على بعد سبعين فرسخا من الرى فقطعها فى يومين خوفا من حدوث

---

(١) ن . م . س ٢/٢٦٠ .

(٢) ابن الاثير - الكامل ٩٣،٩٢/٨ ،البندارى - آل سلجوق ص/ ٢٣،٢١ .

(٣) ميخائيل عواد - صور مشرقة من حضارة بغداد ص/ ١١٥ .

الفتنة ،فعمل على دفنه ،واخرج جميع مايملكه على العسكر حتى الدواب واجلس سليمان بن داودابن اخى السلطان [١]. وقد اجلسه عميد الملك بناء على وصية طغرلبك الذى كان قد عهد اليه بالملك بعده [٢] ذلك ان طغرلبك كان عقيما فلم يكن له ولد [٣]. ولما رأى عميد الملك انعكاس الحال ،وقد خطب لعضد الدولة الب ارسلان محمد بن داود جغرى بك (٤٥٥ - ٤٦٥هـ/ ١٠٦٣ - ١٠٧٢م) فى خراسان وكان ذلك بتدبير وزيره نظام الملك معه كما لاحظ ميل الناس اليه ،فماكان منه الا ان امر بالخطبة بالرى للسلطان الب ارسلان ،وبعده لاخيه سليمان [٤].

وقد اقره السلطان الب ارسلان فى منصبه [٥] فى اول الامر ،غير انه سرعان ما امر بالقبض عليه ،ويقال ان السبب فى قبضه هو منافسه فى الوزارة نظام الملك ذلك انه حينما دخل الب ارسلان الرى استقبله عميد الملك فى حشمه وخدمه بالطبول وخرج كذلك العرب والعجم ،واجلسه

---

(١) البندارى - آل سلجوق ص/ ٢٧، ابن الاثير - الكامل ٩٤/١ .

(٢) ابن الاثير - الكامل ٩٥/٨ .

(٣) ن . م . س ٩٤/٨ .

(٤) ابن الاثير - الكامل ٩٥/٨ .

(٥) سبط ابن الجوزى - مرآة الزمان ص/ ١١١، ١٤٤، محمد بن الشحنة روضة النواظر ورقة ٥١، ابن الاثير - الكامل ٩٧/٨، ١٠٣، البندارى آل سلجوق ص/ ٣١، القرمانى - اخبار البلاد ص/ ٢٧١ .

على السرير،ولازمه وخدمه طول النهار ،وجرت على ذلك عادته معه . وقد ثقل ذلك على نظام الملك فعمل على الايقاع به (١) . وقيل ان السبب هو جرأته وتدخله بوجه السلطان انتصارا لحق الحاجب والغلمان (٢) . هذا الى جانب ماكان السلطان الب ارسلان يجد فى نفسه نحو عميد الملك الكندرى من عدم ارتياح بسبب اقدامه على اخذ البيعة لاخيه الصغير سليمان دونه وقيل ايضا ان عميد الملك الكندرى قصد خدمة نظام الملك وزير الب ارسلان ،وقدم بين يديه خمسمائة دينار وانصرف من عنده ،فسار اكثر الناس معه ،هذا الامر خوف السلطان من غائل ذلك (٣) . فاعتقل آخر النهار من ذلك اليوم ،واستولى على اعماله وامواله (٤) . وانفذ الى مرو الرذ وبقى فى الاعتقال عاما ،ثم قتل آخر العام وحمل رأسه الى نيسابور (٥) . والراجح ان عاملين اساسيين عملا على اقصائه عن الوزارة وتسببا فى وضع نهاية لحياته ،وهما موقفه من ولاية العهد حيث انه انفذ وصية السلطان الراحل طغرلبك ،وموقف الوزير نظام الملك منه حيث كان الاخير يمنى نفسه

---

(١) سبط ابن الجوزى – مرآة الزمان ص/ ١١٢، البندارى – آل سلجوق ص/ ٣٠،رشيد الدين – جامع التواريخ م٢ ٥/٣٠ .

(٢) سبط ابن الجوزى – مرآة الزمان ص/ ١٢٠ .

(٣) ابن الاثير – الكامل ٩٦/٨، البندارى – آل سلجوق ص/ ٣٠ .

(٤) سبط ابن الجوزى – مرآة الزمان ص/ ١١٢ .

(٥) ابن الاثير – الكامل ٩٦/٨، الذهبى – العبر ٢٤٠/٣، ٢٤١، ابن العماد الحنبلى – شذرات الذهب ٣٠١/٣ .

بالوزارة بعد ان وصل ربيبه الب ارسلان الى السلطنة ،كما كان يحقد عليه بسبب اغرائه بالاشعرية وتضييقه على مشايخ الشافعية واتهامهم بكل قبيح . وتظهر دقة مثل هذا التفسير من خلال ماحفظته المصادر من معلومات عن الوزير الكندرى فى آخر عهده بالدنيا حيث انه صلى ركعتين ثم ودع اهله ،واوصى الجلاد المكلف بقتله ان ينقل الى نظام الملك الوزير رسالة جاء فيها : "قل للوزير نظام الملك بئس مافعلت علمت الاتراك قتل الوزراء واصحاب الديوان ومن حفر مهواة وقع فيها ومن سن سنة فله وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة "(١) . ومن غريب ما اتفق له انه (دفنت مذاكيره فى مدينة خوارزم ،واريق دمه بمرو الروذ ودفن جسمه بقرية كندر ورأسه بنيسابور)(٢) . ودفن قحف رأسه بكرمان(٣) . وكان قتله فى يوم الاحد السادس عشر من ذى الحجة سنة (٤٥٦هـ/١٠٦٤م)(٤) .

ان القبض على الوزير عميد الملك الكندرى وسجنه فى السابع عشر من المحرم سنة (٤٥٦هـ/١٠٦٤م) يمثل اليوم الذى تفرد فيه الخواجة الكبير الاتابك قوام الدين ابو على حسن بن على بن اسحق الطوسى الملقب

---

(١) الحسينى - اخبار الدولة السلجوقية ص/ ٢٥،ابن الاثير - الكامل ٩٧/٨ .

(٢) ابن الجوزى - تحفة الالباء ورقة ١١٠أ ،ابن الاثير - الكامل ٩٧/٨ .

(٣) محمد بن الشحنة - روضة النواظر ورقة ٥١ .

(٤) الحسينى - اخبار الدولة السلجوقية ص/ ٢٥ .

بصدر الاسلام ونظام الملك ،غياث الدولة(١) وزين الوزراء(٢) بامر الوزارة السلجوقية (٤٥٦(٣) – ٤٨٥هـ(٤)) ٠

وكان ابتداء امره انه كان من اولاد الدهاقين ،وارباب الضياع ناحية بيهق ،وقدزال ماكان لابيه من مال وملك(٥) ٠ كما انه نفى عن والدته رضيعا ،فاخذ ابوه يطوف به على المرضعات فيرضعنه حسبة لله حتى شب(٦) ٠

ثم انه تعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن فى صغره ،واشتغل بالحديث والفقه وكانت دراسته الفقهية على المذهب الشافعى ٠ وقد قضى الاربعين عاما الاولى من حياته فى طلب العلم(٧) ٠ تعلم خلالها

---

(١) عباس اقبال – الوزارة ص/ ١٩ ٠

(٢) ابن العديم – بغية الطلب ص/ ٦٤ ٠

(٣) الذهبى – العبر ٢٣٦/٣ ٠

(٤) ابن العديم – بغية الطلب ص/ ٦٤، ابن خلكان – وفيات الاعيان ١٣٠/٢، ابن الاثير – الكامل ١٦١/٨، الاصبهانى – خريدة القصر ٨٤/١ ٠

(٥) ابن العديم – بغية الطلب ص/ ٦٥، ابن الاثير – الكامل ١٦٢/٨ ٠
وطوس : مدينة بخراسان وتبعد عن نيسابور نحو عشرة فراسخ ،ياقوت الحموى – معجم البلدان ٤٩/٤ ٠

(٦) ابن العديم – بغية الطلب ص/ ٦٥، ابن الاثير – الكامل ١٦٢/٨ ٠

(٧) السبكى – طبقات الشافعية ٣١٢/٤، ابن كثير – البداية والنهاية ١٤٠/١٢، ابن الازرق – بدائع السلك فى طبائع الملك ٤١١/١، الزهرانى الوزارة ص/ ١٤٢ ٠

اللغة العربية[١] وكان قد اتم دراسته فى مدينة نيسابور . ويذكر ابن النديم بانه " سمع الكثير وحدث واملى بخراسان جمعا ،وغيرها من البلاد ،وكان ثقة ثبتا متحريا فهما عالما"[٢] ،وكان نظام الملك زميل الدراسة فى نيسابور للشاعر المنجم عمر الخيام والحسن بن الصباح الاسماعيلى الرازى[٣] ،الا ان الاخير كان شيعيا متعصبا وقد اسس طائفة الحشيشية فى فارس.

وقد رحل نظام الملك فى طلب العلم فتنقل بين بخارى ومرو وكابل ثم وصل الى غزنة فى صحبة بعض المتصرفين ،واخيرا استكتبه حاكم بلخ ابو على احمد بن شاذان من قبل جغرى بك داود والد السلطان الب ارسلان[٤] وقد اظهر نظام الملك كفاية ودراية وامانة ،وقيل انه "كان يكتب للامير تاجر صاحب بلخ وكان هذا يصادره فى رأس كل سنة ويأخذ معه من الاموال ويقول له قد سمنت ياحسن ويدفع اليه فرسا ومقرعة ،ويقول له هذا يكفيك"[٥] . فما كان من نظام الملك الا ان هرب الى جغرى بك ،فطالب الامير تاجر جغرى بك بنظام الملك ،فاحاله جغرى بك الى ابنه الب ارسلان

---

(١) ابن الاثير - الكامل ١٦٢/٨ .

(٢) ابن النديم - بغية الطلب ص/ ٦٤ .

(٣) لويس - اصول الاسماعيلية ص/ ٥٤ .

(٤) ابن الاثير - الكامل ١٦٢/٨ .

(٥) ابن الاثير - الكامل ١٦٢/٨، التاريخ الباهري ص/ ١٠ .

الذى لم يتجاسر على مخاطبته فيه وعاد . [١] حيث ان جغرى بك سلم نظام الملك الى ابنه الب ارسلان وقال له : (هذا حسن الطوسى ،فتسلمه واتخذه والدا ولاتخالفه) . [٢]

ومن هنا تبدأ نقطة التحول فى حياة نظام الملك حيث يبدأ مرحلة جديدة من حياته ،وهى نقطة الانطلاق التى بدأ يشق طريقه منها الى عالم المجد والشهرة حيث اصبح شخصية يشار اليها بالبنان فى العالم الاسلامى . والواقع ان نظام الملك قد فرض احترامه وتقديره بعلمه وحكمته وحنكته السياسية ودرايته الادارية واخلاصه للزعماء السلاجقة ،وبحبه للعلم وتشجيعه للعلماء . ولانغالى حين نقول بانه كان لنظام الملك نصيب الاسد فى تشييد النهضة السلجوقية . واذا اردنا ان نتحدث فى اى مضمار عن هذه الدولة سواء عن الجانب السياسى او الاقتصادى او الادارى او العسكرى او التعليمى او العمرانى نجد ان الفضل لله سبحانه وتعالى ثم لنظام الملك فى تطوير تلك الجوانب ،وهذا يعكس مدى اخلاص نظام الملك وتفانيه ،كما يعكس اثر الاحداث التى اثرت فيه وما آل اليه امر الدولة . ولقد رسم نظام الملك فكرة واضحة عن الدولة العباسية وما آلت اليه ،كما انه عايش سقوط الدولة الغزنوية والقضاء على السلطة البويهية ،بالاضافة الى تصدع جدار الدولة العباسية بالانقسامات التى

---

(١) ابن الاثير ـ الكامل ١٦٢/٨، التاريخ الباهرى ص/ ١٠ .

(٢) ابن الاثير ـ الكامل ١٦٢/٨، التاريخ الباهرى ص/ ١٠ .

حدثت باستقلال الدويلات عن الخلافة وهذا بجانب شيوع الفرق الاسلامية التى كان لها تأثير كبير فى تمزيق الدولة بالاضافة الى التيارات الفكرية التى عصفت بالعالم الاسلامى .

ان هذه الاحداث قد اثرت فيه واستوعبها تماما فاكسبه ذلك الحنكة السياسية والدراية الادارية ،والدهاء العسكرى . وقد اعطى البندارى صورة لما آل اليه الوضع فيقول : " تولى (نظام الملك) الوزارة ،والملك قد اختل نظامه ،والدين قد تبدلت احكامه ،فى اواخر دولة الديلم ،واوائل دولة الترك وقد خربت الممالك بين اقبال هذه وادبار تلك،وقد اقفرت البلاد واقوت ،واستولت الايدى العادية عليها وتقوت ،وقامت النوائح على النواحى،والنوادب على النوادى" (١) . وقد عمل نظام الملك جاهدا بحكمته وحنكته على ابطال لعن الاشعرية وغيرهم من المسلمين من على رؤوس المنابر وذلك رجع من ارتحل من العلماء الى اوطانهم مثل امام الحرمين ابى المعالى (٢) والاستاذ ابى القاسم القشيرى (٣) . وقد زاد فى اكرامهم

---

(١) البندارى ـ آل سلجوق ص/ ٦٠ .

(٢) هو عبدالملك بن عبدالله بن يوسف بن محمد الجوينى ،ابو المعالى الملقب بامام الحرمين ،اعلم المتأخرين من اصحاب الامام الشافعى توفى سنة ٤٧٨هـ . ابن قنفذ القسنطينى ـ الوفيات ص/ ٢٥٧ .

(٣) هو ابواسحاق ابراهيم بن على بن يوسف الفيروز ابادى الشيرازى من كبار فقهاء الشافعية توفى سنة ٤٧٦هـ . ابن قنفذ القسنطينى الوفيات ص/ ٢٥٦ .

والاحسان اليهم . وكان محبا للعلم والعلماء ،وكان ينفق بسخاء عليهما (١) من ماله الخاص وقيل انه كان ينفق فى السنة مايقارب الستمائة الف دينار على الفقهاء والقراء والمتصوفين (٢) . ويذكر الحسينى انه كان ينفق ثلثمائة الف دينار (٣) . وقد بنى دور العلم للفقهاء ،وانشأ المدارس للعلماء ،كما انه اجرى الحبر والورق لطلاب العلم ،كما وفر لهم ارزاقهم وشملت رعاية نظام الملك طلاب العلم والمتعبدين والزهاد فى سائر الاقطار من الدولة السلجوقية (٤) . كما انه جعل من داره منتدى للعلماء والادباء ويضيف السبكى الى ذلك قوله "انها كانت معمورة بالعلماء مأهولة بالائمة والزهاد،ولم يتفق لغيره ما اتفق له من ازدحام العلماء عليه وترددهم على بابه ،وتصنيفهم الكتب باسمه" (٥) .

وكان شغوفا بسماع المناظرات بين العلماء ،وكان يحضرها بنفسه ويسهم فيها،وكانت غالبا ماتجرى مناقشات بين ابى اسحاق الشيرازى وبين

---

(١) القزوينى ـ آثار البلاد ص/ ٤٤٧، ابن الاثير ـ الكامل ٩٧/٨، الذهبى العبر ٢٣٦/٣، ابن عماد الحنبلى ـ شذرات الذهب ٢٩٥/٣ .

(٢) ابن الازرق ـ بدائع السلك ٤١٢/١، النهروالى ـ الاعلام باعلام بيت الله الحرام ص/ ١٧٦ .

(٣) الحسينى ـ اخبار الدولة السلجوقية ص/ ٦٧ .

(٤) ابن الازرق ـ بدائع السلك ٤١١/١، ٤١٢ .

(٥) السبكى ـ طبقات الشافعية ١٥٣/٣، الطوسى ـ سياسة نامه ص/ ٥ .

ابى المعالى الجوينى ببغداد [(١)] . وكان حينما يعلم بقدوم اى عالم زائرا فانه يعقد مناظرة بين العالم الزائر وبين اخوانه من العلماء الموجودين عنده . وقد جرت مناظرة بين الامام ابى حامد الغزالى وبين عدد من العلماء بحضور نظام الملك [(٢)] . وكان يخدم العلماء الذين يسدون اليه النصح ويظهرون عيوبه وينبهونه من غفلته ،فيذكر ابن الاثير انه حينما كان يدخل عليه ابو على الفارمذى [(٣)] فانه يقوم له ويجلسه مكانه ويجلس هو بين يديه بعكس بقية العلماء فانه يقوم لهم ،ولكن يجلس فى مكانه ،ولما سئل عن ذلك قال : " هذا الشيخ (الفارمذى) يذكر لى عيوب نفسى وما انا فيه من الظلم فتنكسر نفسى لذلك وارجع عن كثير مما انا فيه " [(٤)] .

ومن حبه للعلم والعلماء انه قام بتشييد المدارس المعروفة بالنظامية فى جميع انحاء الدولة ،وكان اهم هذه المدارس واعظمها

---

(١) ابن الاثير – الكامل ١٦٢/٨، ابو الفدا– المختصر فى اخبار البشر ٢٠٤/٢ .

(٢) الغزالى – احياء علوم الدين ٣/١ .

(٣) ابو على الفضل بن محمد بن على الفارمذى شيخ شيوخ عصره صاحب الطريقة الحسنة فى التذكير وشيخ خراسان ولسانها وحصل له عند نظام الملك قبول خارج عن الحد . فارمذ قرية من قرى طوس . السمعانى – الانساب ١٢٤/١٠، ١٢٥، الذهبى – العبر ٣٣٧/٣ .

(٤) ابن الاثير – الكامل ١٦٣/٨ .

نظامية بغدادالتى بدىء فى بنائها عام (٤٥٧هـ/١٠٦٤م)(١) والتى تقع شاطىء دجلة شمال دار الخلافة العباسية ،بينها وبين المستنصرية(٢) حيث هدم ثلاث محلات من بغداد لانشاء النظامية فهدم الفرضة وباب الشعير ودرب الزعفرانى . وفى سنة (٤٦٢هـ/١٠٧٠م) جرى التصديق على اوقاف(٣) النظامية من قبل الوزيروالقضاة والعدول حيث اوقف سوقا للمدرسة وضياعا واماكن اخرى كثيرة(٤) . ويظهر ان نظام الملك لم يدخل المدرسة النظامية ببغداد الا فى المحرم عام (٤٨٠هـ/١٠٨٧م)(٥) ولم يكن قد رآها من قبل مع ان بنائها قد تم سنة (٤٥٨هـ/١٠٦٦م)(٦) . كما يذكر اكثر المؤرخين ان بنائها تم سنة ٤٥٨هـ(٧) . وقد كلفه بناؤها مائتى الف

---

(١) ابن الشحنة ـ روضة النواظر ورقة / ٥١، ابن الاثير ـ الكامل ١٠٣/٨ سبط ابن الجوزى ـ مرآة الزمان ص/ ١٢٤ .

(٢) ناجى معروف ـ علماء النظاميات ص/ ١٩ ،مصطفى جواد ـ المدرسة النظامية (مجلة سومر م٩ ج٢،١٩٥٣م) ص/ ٣٣٤ .

(٣) سبط ابن الجوزى ـ مرآة الزمان ص/ ١٢٤ .

(٤) ن . م . س ص/ ١٤٠ .

(٥) ن . م . س ص/ ٢٤٥ .

(٦) البندارى ـ آل سلجوق ص/ ٣٥،ابن النظام الحسينى ـ العراضة ص/ ٥٨، الخضرى ـ محاضرات ص/ ٤٢٦ .

(٧) شمس الدين الذهبى ـ دول الاسلام ٢٦٩/١، الذهبى ـ العبر ٢٤٤/٣، ابن الاثير ـ الكامل ١٠٥/٨،محمد بن الشحنة ـ روضة النواظر ورقة / ٥١، السيوطى ـ تاريخ الخلفاء ص/ ٤٢٠ .

دينـــار [١] • وتقرر لتدريسها الشيخ ابو اسحاق الشيرازى ولكنه اختفى فدرس بها ابن الصباغ [٢] ،ولكن بعد ان تلطفوا مع ابى اسحاق ،التحق للتدريس فيها ،وقد اصبحت اشهر دور العلم فى ديار الاسلام ومقصدا للعلماء وطلاب العلم والمتفقهة من مختلف البلدان • ويكفى ان نذكر بان حجة الاسلام الغزالى قد درس بها • وتتواتر الاخبار بان نظام الملك قد بنى مدارس جديدة مماثلة فى عدد من امهات المدن الاسلامية ،ويذكر السبكى ان نظام الملك قد : " بنى مدرسة ببغداد،ومدرسة ببلخ ومدرسة بنيسابور،ومدرسة بهراه ،ومدرسة باصبهان ،ومدرسة بالبصرة ،ومدرسة بمرو ومدرسة بآمل طبرستان ،ومدرسة بالموصل ويقال ان له فى كل مدينة بالعراق وخراسان مدرسة " [٣] حتى انه لم يغفل جزيرة ابى عمر التى هى فى زاوية من الارض لايؤبه بها فقد بنى فيها مدرسة كبيرة [٤] • وهو اول من بنى المدارس النظامية • وان الحكمة من بناء تلك المدارس هى محاربة الباطنية ،حيث قصد ان يتخرج فيها رجال يستطيعون ان يدافعوا عن

---

(١) سعد نفيس ـ المدرسة النظامية ـ مجلة المجمع العلمى العراقى ١٩٥٤م ٣٠/٤ حـ١

(٢) ابن الصباغ هو ابو نصر عبد السيد بن محمد المعروف بابن الصباغ المتوفى سنة ٤٧٧هـ • شمس الدين الذهبى ـ دول الاسلام ٢٦٩/١ •

(٣) السبكى ـ طبقات الشافعية ٣١٤،٣١٣/٤ •

(٤) ابن الاثير ـ التاريخ الباهرى ص/ ٩٢ •

عقيدتهم السلفية ويقارعوا الباطنية الحجة بالحجة[١] ٠

وقيل ان مدرسة مشهد ابى حنيفة التى بناها شرف الملك ابو سعد محمد بن منصور السلمى الخوارزمى مستوفى مملكة السلطان الب ارسلان السلجوقى اول مدرسة انشئت فى بغداد وفتحت ابوابها للتعليم قبل نظامية بغداد بحوالى اربعة اشهر وثلاثة عشر يوما[٢] ٠

وهكذا فقد ادلى الوزير نظام الملك بدلوه فى هذا الميدان العلمى ولعل اشهر مؤلفاته هى كتابه المشهور "سياسة نامه" وهى رسالة فى اصول الحكم الفها على اثر مناظرة علمية امر بها ملكشاه وكان موضوعها الحكومة العادلة[٣] ٠ فان اتساع افقه وبعد نظره فى الامور الادارية نجدها فى الخطوط العريضة التى وضعها فى كتابه "سياسة نامه" وهذا يؤكد بانه هو الذى رسم سياسة دولته الداخلية والخارجية ،حيث كانت اوضاع الدولة السلجوقية قبل تولى نظام الملك الوزارة مضطربة وغير منظمة ،وقد سبق ان ذكرنا الصورة التى كانت عليها الدولة قبل وصول نظام الملك الى الوزارة والتى صورها البندارى وهو يعود فيعطى صورة اخرى عنها ايام نظام الملك فيقول : " فاعاد الملك الى النظام

---

(١) الطوسى ـ سياسة نامه ص/ ٨٠٧، السامرائى ـ نشأة المدارس ص/ ٥٠ ٠

(٢) عماد رؤوف ـ مدارس بغداد فى العصر العباسى ص/ ٣٥ ٠

(٣) الطوسى ـ سياسة نامه ص/ ١٠، عبدالنعيم حسنين ـ سلاجقة ايران والعراق ص/ ٧٩، بروكلمان ـ تاريخ الشعوب ص/ ٢٨٠ ٠

والدين الى القوام ،وعمر الولايات ووالى العمارات . ورأى نظام الملك ان الاموال لاتحصل من البلاد لاختلالها ولايصح منها الارتفاع لاعتلالها ففرقها على الاجناد اقطاعا ،وجعلها لهم حاصلا وارتفاعا فتوفرت دواعيهم على عمارتها ،وعادت فى اقصر مدة الى احسن حالة من حليتها "[١] .

وكان منجملة اعماله الادارية انه حد من التدخل التعسفى فى شئون الدولة وخاصة من قبل اولئك الذين يمتون الى السلطان بصلة . او من اصدقاء السلطان "فقصر ايديهم ومنع تعديهم لكى لايضطرب امر الادارة"[٢].
وكذلك يرى نظام الملك ان من اسس الملك الاهتمام بالبريد والمخبرين فبالبريد يمكنه الوقوف على كافة اخبار البلاد التابعة له[٣] ،وقد استطاع نظام الملك احباط عدد من المؤامرات ضد الحكومة بفضل ماكان يصل اليه منهم[٤] .

وكان نظام الملك مهتما بامر اصحاب الاخبار ،فكان يرسلهم الى جميع البلاد على هيئة تجار وسياح ومتصوفة وعطارين ودراويش ،فيرسلون له اخبارا بكل مايسمعونه[٥] . وكان من يتولى هذه الوظيفة اناس لايرقى اليهم

---

(١) البندارى ـ آل سلجوق ص/ ٦٠ .

(٢) الطوسى ـ سياسة نامه ص/ ٣٣٤، البندارى ـ آل سلجوق ص/ ٦٠ .

(٣) الطوسى ـ م . س ص/ ١٠٢ .

(٤) ن . م . س ص/ ١٠٧ .

(٥) الطوسى ـ م . س ص/ ١٠٧ .

الشك لحساسية الوظيفة[١] . وان تعيينهم يجب ان يكون من قبل السلطان وبعد ان الغى السلطان الب ارسلان هذه الوظيفة[٢]، عمل نظام الملك على ان يرتب فى كل مدينة رجلا يتحلى بالصفات المحمودة ويقول له (اننا جعلنا امانة هذه المدينة والناحية فى عنقك نسألك بالذى يسألنا به الله تعالى فى الدار الآخرة فيجب عليك ان تسأل عن حال العامل والقاضى والمحتسب والرعايا وتعلم بالصغيرة والكبيرة وتسأل عنها فتخبرنا بحقيقة امرها وتظهرنا فى السر والعلانية على مايجد حتى نأمر فى كل شىء منها بما ينبغى)[٣] .

كما عمل نظام الملك على الحد من استغلال بعض الموظفين والعمال للرعية بارهاقهم بالرسوم والضرائب الباهظة[٤] . وكان من سياسة نظام الملك الادارية انه لاينبغى ان يبقى الولاه اكثر من سنتين او ثلاث سنوات فى موضع واحد من اجل ان يقضى على احتمالات تلاعبهم وضمانا لحقوق الرعية والدولة[٥] . وقد اهتم الوزير نظام الملك بالناحية الاقتصادية لاراضى الدولة التى اخذت فى الاتساع بعد الفتوحات السلجوقية ، وخاصة ان

---

(١) ن . م . س ص/ ٩٤ .

(٢) ن . م . س ص/ ١٠٢، البندارى – آل سلجوق ص/ ٦٨ .

(٣) الطوسى – م . س ص/ ٧٧ .

(٤) ن . م . س ص/ ٥١ .

(٥) ن . م . س ص/ ٦٩ .

ايرادات الاراضى الخراجية لم تعد تفى بنفقات الدولة مع هذا الاتساع اضافة الى اهمال الولاه [(١)] . ولذلك فقد عمل الوزير على توزيع النواحى على شكل اقطاعات على رؤساء الجند [(٢)] ،وفى الوقت نفسه فانه حذر بانه اذا حدث اى خراب فى الارض او ضرر يلحق بالسكان فى اى اقليم ،فانه يجب التحقيق فى الامر فورا حيث ينبغى ان تبحث عن حالة المقطع والمتسبب منعا لخراب الارض وتشريد الفلاحين وسوء توزيع الثروة . وهذا دليل على ان فكرة زيادة الرقعة المزروعة قد جرى نقلها من الاقطاع القديم "اقطاع التمليك" الى النوع الجديد من الاقطاع الذى كان يتطور تحت حكم السلاجقة "اقطاع الاستغلال" او "الاقطاع العسكرى" [(٣)] . فلذلك اهتم المقطعون بعمارتها مما ادى الى زيادة انتاجها [(٤)] . وتوفرت الاموال فى خزينة الدولة بما كان يرسله المقطعون مقابل استثمارهم للارض. ومما يذكر ،فانه من الصعب فى زمن السلاجقة التفريق بين الاقطاع العسكرى والادارى ،فكل المنح هى امتيازات وهى قابلة للاسترداد بمشيئة السلطان وقد بذل المقطعون جهدهم فى تحسين اقطاعاتهم وتسديد جميع الالتزامات

---

(١) البندارى ــ آل سلجوق ص/ ٦٠ .

(٢) نظام الملك اول من فرض الاقطاعات على الجند فعمرت البلاد . محمد كردى على ــ الاسلام والحضارة ٢٨٨/٢ . وكثرت الغلات واقتدى به من جاء بعده من الملوك .

(٣) السامرائى ــ الزراعة فى العراق ص/ ١٤٥ .

(٤) البندارى ــ آل سلجوق ص/ ٦٠، السبكى ــ طبقات الشافعية ٣١٧/٤، حسين امين ــ العراق ص/ ٢٠٦، ٢٠٧ .

المفروضة عليهم لكى يكسبوا رضى الحكومة ،ولكى يستمروا فى استثمار الاراضى التى اقطعت لهم (١) ٠

وقد عمل الوزير نظام الملك كذلك على اصلاح التقويم الذى امر به السلطان ملكشاه فى سنة (٤٦٧هـ/ ١٠٧٤م) فقد جمع المنجمين واختار صفوة علماء الفلك فى ذلك العصر وكانوا ثمانية اساتذة (٢) ٠ وكان على رأسهم عمر الخيام وكان منهم ايضا ابو العباس الحكيم اللوكرى وكان من المنجمين وافاضل العلماء ،ومنهم ايضا ابو حاتم المظفر بن اسماعيل الاسفزارى وكان فلكيا مهندسا حكيما (٣) ٠ وقد جعل هؤلاء العلماء الفلكيين يوم النيروز فىاول برج الحمل ،بعد ان كان قبل ذلك عند حلول الشمس نصف برج الحوت ،وقد صار ذلك مبدآ التقويم (٤) ،وعرفت بالسنة الجلالية نسبة للسلطان جلال الدين ملكشاه (٥) الذى انفق على ذلك اموالا عظيمة (٦) ٠

---

(١) الطوسى ـ م ٠ س ص/ ٦٩ ٠

(٢) عباس الغزاوى ـ علماء الرياضيات والفلك فى العراق ـ مجلة سومر العراقية م٢٨ جا١، ٢ ،ص/ ٢٠٤، ١٩٧٢م ٠

(٣) ن ٠ م ٠ س م ٢٨،جا١، ٢ ،ص/ ٢٠٤، ١٩٧٢م ٠

(٤) محمد بن الشحنة ـ روضة النواظر ورقة / ٥٢، السيوطى ـ تاريخ الخلفاء ص/ ٤٢٣، ابن عماد الحنبلى ـ شذرات الذهب ٣/ ٣٢٦ ٠

(٥) سيد امير على ـ مختصر تاريخ العرب ص/ ٢٧٨ ٠

(٦) الحافظ الذهبى ـ العبر ٣/ ٢٦٣، اليافعى ـ مرآة الجنان ٣/ ٩٤ ٠

ومن مبادىء الوزير نظام الملك الاخلاص للبيت السلجوقى والتفانى فى خدمته . يذكر مؤلف جامع التواريخ بان السلطان الب ارسلان كان قد خرج يوما للصيد ومعه مائة فارس ،فقبض عليهم الروم جميعا ،ولم يعرفوا ان السلطان بينهم ،فلما علم نظام الملك بالخبر طلب كتم الامر وحذر من ابلغه من ان يبوح بهذا الكلام ،واشاع فى البلاط ان السلطان مريض وانه يعالج تحت اشراف الاطباء،ومنع مقابلته واعلن انه يحكم باسم السلطان وفى تلك الاثناء جاء رسل من طرف العدو الروم يعرضون الصلح فاجابهم نظام الملك بقوله : ان السلطان مريض وقد قبل الصلح ،وقال للرسل قبل عودتهم : لم قبضتم على جماعة من عبيدنا مادمتم ترغبون فى الصلح ؟ فامر ارمانوس باطلاق سراحهم واعادتهم فوراً وعندما علم الروم بحقيقة الامر تحيروا وبهتوا وتأسفوا على ماحدث (١) . كما ان الوزير نصح السلطان الب ارسلان بعدم قتل قريبه سليمان شاه بن قتلمش فهو لم يستحسن ذلك وقال للسلطان :" ان قتل الاقارب خطأ،ولايكون مباركا" (٢) واقترح ارسالهم الى حدود المملكة ليقيموا فى الثغور الاسلامية ،وقد اخذ السلطان بنصيحة وزيره . وسليمان شاه هذا هو جد سلاطين الروم .

ومما يشير الى سعة افق الوزير نظام الملك انه دفع للملاحين الذين عبروا بالسلطان ملكشاه نهر جيحون صكوكا حولها على العامل

---

(١) رشيد الدين – جامع التواريخ م٢،٥/٣٢ – ٣٣ .

(٢) رشيد الدين – جامع التواريخ م٢،٥/٢٨ .

بانطاكية ،ولما سئل نظام الملك عن ذلك من قبل السلطان قال[(١)] اردت بذلك ان يكتب فى التواريخ بسعة ملكك ونفاذ حكمك[(٢)] ٠

ان الثقة الكبيرة التى حظى بها نظام الملك من كل من السلطانين الب ارسلان وملكشاه قد شجعته ودفعته الى تنظيم امور هذه الدولة بما له من دراية وحنكة ادارية والى ترسيخ اسس الادارة السلجوقية سواء الادارية او العسكرية بعد ان فوض بالعمل على تنظيم الادارية العسكرية ٠

وتشير (تاماراريس) الى صورة ذلك وتقول بانه عمل على تقسيم المملكة الى اربعة وعشرين قسما مع الالتفاف الى الروابط القبلية التى كانت تربط المجتمع فى ذلك الوقت ،وجعل كل قسم من هذه الاقسام تحت امرة قائد يتدرج من لقب "جاد الغز"[(٣)] الى "شاه الفرس" او "خان المغول" وتذكر ان هذه الالقاب وصلت الى السلاجقة عن طريق "الاواريين"[(٤)] على

---

(١) الحسينى ــ الدولة السلجوقية ص/ ٧٠، اليافعى ــ مرآة الجنان ١٤٠/٣٠

(٢) الحسينى ــ الدولة السلجوقية ص/ ٧٠ ٠

(٣) Chad استعملت هذه الكلمة فى الكتابات الاورخونية فى المسلتين اللتين كتبتا باسم (كول تكين) ٧٣٢م وبيككه خان عام ٧٣٥م ٠ وكان لقب (شاه) لقبا من القاب قادة الجيوش (نجيب عاصم ــ اورخون ابده لرى ص ١٠٨) نقلا عن تاماراريس ــ السلاجقة ص/ ٩٧ الهامش٠

(٤) الاواريين قوم من الاقوام التركية التى است امبراطورية عظيمة فى آسيا الوسطى امتدت من حوض نهر ايرقش حتى شبه جزرية كوريا وذلك حوالى عام (٢٠٠) الميلادية ٠ (دائرة المعارف التركية ٢٤١/٦ نقلا عن تاماراريس ــ السلاجقة ص/ ٩٧ الهامش) ٠

ان يلتزم هولاء الروساء بزيادة عدد المجندين سنويا مع تجهيزهم بالاسلحة ،وان يجتمع المجندون والمجندون الجدد كل ربيع بمولاهم في مكان يحدده السلطان ،وان يكون تدريبهم في الصيف ويتفرقوا في الشتاء ولكنبعد ان اصبح لزاما على نظام الملك تنمية الجيش ،فانه امر بتجنيد المتدربين كمكافأة لهم ،وكذلك كل المرتزقة فيالجيش حيث انه انشأ المدارس لتدريبهم لكي يصبحوا فرسانامهرة ورماة بارعين ،وجعل من مهام التدريس الرمي بالسهم والمبارزة بالسيف. (١)

وعلى الرغم من هذه الاعمال الجليلة التي قام بها هذا الوزير الجليل الذي بذل الغالي والنفيس طمعا في رضاء الله سبحانه وتعالى ثم في رضاء اولى الامر ،فانه لم يصف له ذلكالامر ،بسبب ماكان منافسوه يكنون له منالعداء فقد اشاروا عليه السلطان ملكشاه ،وكان من بينهم اقرب المقربين للسلطان ،زوجته (تركان خاتون) ووزيرها تاج الملك ابو الغنائم ،وكان منهم ايضا رئيس خزانة الملابس السلطانية (كتخداى جامه خانه سلطان) (٢) الذي كان كثير الاساءة الى نظام الملك في الخفاء والتشهير به واحصاء عثراته . وقد نجح ذلك في تغير السلطان على نظام الملك ،ومن جملة ماوشى به عند السلطان انه ينفق في كل سنة على الفقهاء الصوفية والقراء ستمائة الف ديناروانها تخرج من

---

(١) تاماراريس ـ السلاجقة ص/ ٩٨،٩٧،٩٦ .

(٢) رشيد الدين ـ جامع التواريخ م٢،٥/٤٩ .

بيوت الاموال . وقيل ثلثمائة الف دينار(١) ،وانه لو جهز بهذه المبالغ(٢) جيشا لدك حصون القسطنطينية ،فاوغر ذلك صدر السلطان على نظام الملك وساله عن سبب هذا الانفاق وهذه الاموال الطائلة . فبكى نظام الملك وقال للسلطان : ياسلطان العالم ويامالك البسيطة يابنى انى شيخ اعجمى ،ولو نودى على لما زادت قيمتى على خمسة دنانير،وانت غلام تركى لو نودى عليك لما زدت عن مائة دينار ،وانت مشتغل بلذاتك ومنهمك فى شهواتك ،واكثر مايصعد الى الله تعالى معاصيك دون طاعتك ،وجيوشك الذين تعدهم للنوائب اذا احتشدوا كافحوا عنك بسيوف طولها ذراع ،وقوس لاينتهى مدى مرماها ثلاثمائة ذراع ،وهم مع ذلك مستغرقون فى المعاصى وانت تنفق عليهم اضعاف هذا المال ،وانا احيش لك بهذا المال جيشا تصل من دعاءهم سهام الى العرش لايحجبها شىء عن الله فبكى السلطان وقال له استكثر من هذا الجيش(٣) .

ولم يفتأ الوشاه يوغرون صدر السلطان على نظام الملك ويذكرون مدى استبداده بالامروان السلطان ليس له سوى الصيد والتخت(٤) . ولكن

---

(١) ابن الازرق ـ بدائع السلك ٤١٢/١ .

(٢) الحسينى ـ الدولة السلجوقية ص/ ٦٧ .

(٣) الحسينى ـ م . س ص / ٦٧،٦٨،ابن الازرق ـ م . س ٤١٢/١ .

(٤) الاصبهانى ـ خريدة القصر ٨٤/١،اليافعى ـ مرآة الجنان ١٣٦/٣ .

القدر لم يمهله فقد قتل الوزير نظام الملك الطوسى يوم الجمعة العاشر من رمضان سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م . على يد صبى ديلمى متشبه بالصوفية ،فقد خرج نظام الملك مع السلطان من اصبهان قاصدا بغداد ،وفى قرية قريبة من نهاوند يقال لها قيد سبجان ،وقيل محطة سحنه (صحنه او صهنه) فلقيه الصبى الديلمى على شكل متظلم وفى يده قصة فمدها اليه ثم طعنه بسكين ،وتوفى على اثرها نظام الملك ،وقد تمكن رجاله من قتل الجانى .[1][2][3][4]

---

(١) السيوطى الشافعى – قدح السياسة ورقة / ٣٩،ابن الاثير – الكامل ١٦١/٨، التاريخ الباهرى ص/ ٩، الذهبى – العبر ٣٠٧/٣،دول الاسلام ١٣/٢، الحسينى – الدولة السلجوقية ص/ ٦٧، اليافعى – مرآة الجنان ١٣٥/٣، ابن خلكان – وفيات الاعيان ١٣٠/٢،سيد امير على – مختصر تاريخ العرب ص/ ٢٧٩، برنارد لويس – اصول الاسماعيلية ص/٦٢، ٦٣ احمد حلمى – السلاجقة ص/ ٤٤ .

(٢) القزوينى – آثار البلاد ص/ ٤١٣ .

(٣) ابن العمرانى – الانباء فى تاريخ الخلفاء ص/ ٢٠٠،برنارد لويس اصول الاسماعيلية ص/ ٦٢، ٦٣ .

(٤) ابن الاثير – الكامل ١٦١/٨، التاريخ الباهرى ص/ ٩، ابن خلكان وفيات الاعيان ١٣٠/٢، المقدسى – الروضتين ٢٥/١، الذهبى – العبر ٣٠٨/٣، الحسينى – الدولة السلجوقية ص/ ٦٧، السيوطى – قدح الدراسة فى مناهج السياسة ورقة / ٣٩،سيد امير على – مختصر تاريخ العرب ص/ ٢٧٩،برنارد لويس – اصول الاسماعيلية ص/ ٦٢ .

وقد اختلف المؤرخون فى سبب قتل نظام الملك ،وتحديد الجهة التى خططت لقتله والجهة المستفيدة من ذلك .

تذكر المصادر بانه حينما التجأ الحسن بن الصباح الى قلعة الموت ،[(١)] وكان نظام الملك شديد التعصب على الباطنية ، امر نظام الملك بان تسد مسالك تلك القلعة ،وبعد ان انتشرت فتنة الصباح خرج رجلان من القلعة بخطة خبيثة بأن جعلا نعال فرسيهما معكوسة ليموها على الجند المحيطين بالقلعة الذين ظنوا انهما دخلا القلعة ،وقد تمكن احدهما من قتل نظام الملك وكان احدمبعوثى حسن الصباح[(٢)] . وحسن بن الصباح هو احد زملاء الدراسة لنظام الملك ،ويصفه ابن الاثير (انه شهما كافيا عالما بالهندسة والحساب والنجوم والسحر وغير ذلك)[(٣)] . وهو المسؤول الاول فى التنظيمات الباطنية . وقد استخدم الاغتيال السياسى وسيلة لتنفيذ اهدافه ،وكان اول ضحاياه صديقه نظام الملك ،وربما ان حسن الصباح حاول ان يستميل نظام الملك الى الاسماعيلية ،ولكن وقوف نظام الملك المتشدد من الباطنية جعلت الصباح يحقد عليه . وقد ذكر بان سبب قتل نظام الملك هو ان الاسماعيلية الحشيشية قتلوا مؤذنا

---

(١) قلعة الموت : قلعة حصينة من ناحية روزبار بين قزوين وبحر الخزر على تلة جبل،وحولها وهاد لايمكن نصب المنجنيق عليها ولا النشاب يبلغها . القزوينى – آثار البلاد ص/ ٣٠١ .

(٢) الحسينى – الدولة السلجوقية ص/ ٦٦،٦٧،سيد امير على – مختصر تاريخ العرب ص/ ٢٧٩ .

(٣) ابن الاثير – الكامل ٢٠١/٨،وفى هذا المعنى ذكر القزوينى – آثار البلاد ص/ ٣٠١ .

من اهل ساوة مقيم باصبهان ،وهو اول قتيل لهم واول دم اراقوه ،فاهتم نظام الملك بالامر والاخذ بمن قتله ،وانه قد تأكدت التهمة على نجار يدعى طاهر النجار الباطنى فقتل ومثل به . ولذلك فانهم بعد مقتل نظام الملك قالوا : قتل نجارا فقتلناه .(١)

وتتهم بعض المصادر السلطان ملكشاه باغتياله وتحمله المسؤولية وتذكر بانه وضع ذلك الصبى الديلمى لقتل نظام الملك .(٢) وتشير الى ان سبب ذلك هو ان صدر السلطان قد اوغر على نظام الملك سواء من طرف الوشاه او من طرف زوجته تركان خاتون بسبب العداء الذى كان بينها وبين نظام الملك بسبب ولاية العهد ،فقد اوغر الوشاه صدر السلطان ضد نظام الملك ،باستئثاره السلطة . وقد كان له اثنا عشر ولدا نصب كل واحد منهم على عمل او ولاية .(٣) بل انه ولى احد احفاده عثمان بن جمال الملك بن نظام الملك الرياسة فى مرو فاستغل عثمان مكانة جده وقبض على شحنة مرو واودعه السجن لفترة ثم تركه فما كان من الاخير الا ان رفع امره الى السلطان مستغيثا به .(٤) بالاضافة الى العداء بين

---

(١) ابن الاثير - الكامل ٨/٢٠٠،فهارس ص/ ٢٩٧ .

(٢) ابن الاثير - التاريخ الباهرى ص/ ١١،محمد بن الشحنة - روضة النواظر ورقة / ٥٣،ابن خلكان - وفيات الاعيان ٢/ ١٣٠ .

(٣) الراوندى - راحة الصدور ص/ ٢٠٦ .

(٤) ابن الاثير - الكامل ٨/١٦١ .

نظام الملك وبين زوجة السلطان بسبب ان زوجة السلطان تركان خاتون ترغب ان يولى السلطان ابنها محمود الصغير السن جدا ولاية العهد ،فى حين كان نظام الملك يميل مع السلطان الى تولية (بركيارق) اكبر اولاد السلطان ملكشاه . ولذلك فانها اخذت تحث السلطان على اقصاء نظام الملك وان يوجه الوزارة الى وزيرها تاج الملك ابى الغنائم الفارسى . وكانت على الدوام تقبح له صورة نظام الملك وتتتبع زلاته وعثراته ،وكانت شديدة التأثير على ملكشاه والاستيلاء عليه (١) .

كل هذه العوامل غيرت السلطان عليه ،فكتب اليه الرسالة التى تعد هى الحد الفاصل فى علاقة السلطان بوزيره ،وارسلها مع تاج الدولة ومجد الملك البلاسانى وقيل انه ارسل معه الامير يلبر من خواصه الذى لايمكن ان يخفى عنه شيئا،اذا ماحاول الاثنان اخفاءه . وقد جاء فى الرسالة انه شريكى فى الملك ويدك مع يدى ،وتتصرف وفق ماتريد دون مشروتى وتنصب اولادك على الولايات وتقطعهم الاقطاعات وفق ماتشتهى ،وقد تجاوز اولادك حد امر السياسة فان كنت نائبا فالزم حد التبعية والنيابة ،واسلكمايسلكه الوزراء ،والا امرت برفع دواة الوزارة من بين يديك واخلص الناس من استطالتك .

فاجاب نظام الملك بعد ان احس بانه قد اهين وانه لم يكن يتوقع

---

(١) الراوندى ـ راحة الصدور ص/ ٢٠٧،٢٠٨،رشيد الدين ـ جامع التواريخ م٢،٥/٤٩ ـ ٥٠ .

هذا الامر منه ،اجاب مذكرا السلطان بالمواقف العصيبة التى وقفها معه والتى كان من نتائجها وصوله الى السلطنة . وقال له اخيرا كأنك اليوم عرفت انى مساهمك وفى الدولة مقاسمك فاعلم ان دواتى مقرونة بتاجك متى رفعتها رفع ،ومتى سلبتها سلب (١) . وقيل انهما حاولا اخفاء ذلك عن السلطان لمكانة نظام الملك فى الدولة ولكن الامير ديلبر اخبره بكل الامر (٢) ،وقيل انه قد زيد على هذا الكلام فزاد غضب السلطان (٣) . وكان ذلك سبب قتله (٤) . ولم يمض على مقتل نظام الملك خمس وثلاثون يوما الاوتوفى السلطان ملكشاه (٥) .

ويذكر البعض ان اغتيال الوزير نظام الملك كان قد دبره تاج الملك ابو الغنائم المرزبانى ،فانه كان عدوا لنظام الملك وكان كبير المنزلة عند مخدومه السلطان ملكشاه ،فلما قتل رتبه فى وزارة نظام الملك (٦) ويضع احد الباحثين احتمال ان يكون بعض المتعصبين للشافعية هم الذين

---

(١) ابن الاثير – الكامل ١٦١/٨، التاريخ الباهري ص/ ١٠، ١١، الراوندى راحة الصدور ص/ ٢٠٨، الحسينى – الدولة السلجوقية ص/ ٦٩ .

(٢) ابن الاثير – الكامل ١٦١/٨ .

(٣) الراوندى – راحة الصدور ص/ ٢٠٨ .

(٤) ابن الاثير – التاريخ الباهرى ص/ ١١ .

(٥) ن . م . س ص/ ١١ .

(٦) ابن خلكان – وفيات الاعيان ١٣١/٢، اليافعى – مرآة الجنان ١٣٨/٣ .

قتلوا نظام الملك بسبب الخلاف الذى حدث بين الشافعية والحنفية ،حيث اخذ نظام الملك جانب الحنفية مما جعلهم ينفرون من نظام الملك ويدبرون مؤامرة لقتله (١) .

وربما يكون الصوفية هم الذين قتلوه ،فقد كانوا قد حاولوا ذلك سابقا حيث قدم اليه اثنان من الصوفية ومعهما خبز فيه السم حيث قدماه الى الوزير نظام الملك ليأكله لولا ان منعه احدهما ،وكان ذلك دسيسة من متولى فارس الوزير ابن بهمتيار (٢) ،الذى يلقب بعميد الدولة (٣) .

وعلى كل حال فان حادث اغتيال نظام الملك يعد من ابرز الحوادث المؤسفة فى فترة حكم السلاطين السلاجقة العظام حيث خسرت الدولة بوفاته واحدا من اعظم الاداريين المخلصين . فقد عمل بجدواخلاص لتنسيق العلاقة مع الخلافة العباسية وكان عاملا من عوامل تدعيم بناء الادارة السلجوقية (٤) .

---

(١) عبدالنعيم حسين - دولة السلاجقة ص/ ٦٧ .

(٢) سبط ابن الجوزى - مرآة الزمان ص/ ٢٠٩، ٢١٠ .

(٣) البندارى - آل سلجوق ص/ ٦٣ .

(٤) انظر الراوندى - راحة الصدور ، البندارى - دولة آل سلجوق ص/ ٦٠، ابن الاثير - الكامل ٦١/٨، ٦٢، ٦٣، التاريخ الباهرى ص/ ٩ ، ابن خلكان - وفيات الاعيان ٢/ ١٣٠، ١٣١، ابن العديم - بغية الطلب ص/ ٦١، ٩١، الحسينى - العراضة فى الحكاية السلجوقية ص/ ٥٧ ، العماد الحنبلى - شذرات الذهب ٣١١/٤، ١٣٧/٧، هيفاء البسام - الوزير السلجوقى نظام الملك (رسالة ماجستير) .

اعادة تنظيم الدواوين فى العاصمة :

ان تسلط البويهيين على الخلافة العباسية ،واستئثارهم بالسلطة دون الخلفاء العباسيين قد ادى الى تناقص عدد الدواوين الادارية والمالية الى ان وصلت حدا جمعت الدواوين فيه فى ديوان واحد،عهد برئاسته الى كاتب الامير ،ويذكر ابن مسكويه ان معظم الدواوين فى عهد معز الدولة قد اغلقت ،واستغنى عن اكثرها ،فبطلت وبطلت ازمتها،وجمعت الاعمال فى ديوان واحد (١) . وقد ظهر فى العصر البويهى ديوانان احدهما للخليفة والآخر ديوان الامير البويهى . وكان المتولى لديوان الخليفة كاتب الخليفة العباسى الذى اقتصر عمله على مايرد الى بيت المال الخاص من اموال والاشراف على ادارة اقطاعات الخليفة (٢) . بينما كان يرأس ديوان الامير كاتب الامير (٣) الذى اصبح فيما بعد يتقلده وزير الامير البويهى ،وكان يشرف على جميع الشئون الادارية والمالية للدولة (٤) .

وبعد ان دخل السلاجقة الى بغداد ،وقضى على آخر الملوك البويهيين على يد السلطان طغرلبك ، اخذت الامور الادارية تعود تدريجيا الى وضعها الطبيعى . فقد سارت اوضاع الخلافة العباسية الى الاحسن ،وخاصة

---

(١) ابن مسكويه - تجارب الامم ٩٦/٢ .

(٢) ابن الاثير - الكامل ٣١٥/٦ .

(٣) ابن مسكويه - م . س ١٢/٢ ،١٢١ .

(٤) هلال الصابى - رسوم دار الخلافة ص/ ٣٤ .

مايتصل منها بالامور الادارية العباسية فقد تم اعادة تنظيم الدواوين في العاصمة بغداد ،واخذ العباسيون يمارسون اختصاصاتهم الادارية والتى كان لهم الفضل فى تطويرها وتنويعها على مر السنين . ونتحدث فيما يلى عن اهم الدواوين التى اشارت المصادر الى عودة تشكيلاتها خلال فترة البحث .

ولعل ديوان الرسائل ،او مايعرف احيانا باسم ديوان الانشاء (١).. هو اول الدواوين المهمة التى اعيدت الى العمل ذلك لانه يختص بالاشراف على الرسائل التى تصدر الى الولاه او ترد منهم اضافة الى كتابة العهود والتقليدات التى تصدر عن الخليفة . وان متولى هذا الديوان يعرف باسم "صاحب ديوان الرسائل " او "متولى ديوان الرسائل" (٢) . ويحظى صاحب هذه الوظيفة بمنزلة كبيرة لدى الخليفة لانه يعد مستودع اسراره وهو الذى يترجم ويسطر مطالب الخليفة على صفحات الورق ،لذلك كان الخلفاء لايولون هذا المنصب الا للذين يثقون بهم (٣) . وينبغى ان يكون المتولى لهذا الديوان متصرفا فى جميع فنون المكاتبات ،مكملا للمعانى عارفا لغرض الرسالة واساليب التراسل ،وان يكون ذا اسلوب رصين ،وجزالة وفخامة ووضوح فى اللغة (٤) . وديوان الرسائل والانشاء مرتبط بديوان

---

(١) الخوارزمى - مفاتيح العلوم ص/ ١٠٠ .

(٢) د. السامرائى - المؤسسات الادارية ص / ٢٧٥ .

(٣) البلاذرى - فتوح البلدان ص/ ٤٦٠ .

(٤) د. السامرائى - المؤسسات الادارية ص/ ٢٧٥،٢٧٦ .

الوزير ،وكان يتغير بتغير واستبدال الوزير (١) ·

ورغم غلبة السلاجقة ،فان متولى ديوان الرسائل كان يعتمد مايرد عليه من ديوان الوزارة ،او بتوقيع الخليفة نفسه (٢) · ولم يخل ديوان الخليفة من كاتب يحسن هذه المهنة شكلا ومضمونا (٣) · وقد لمعت اسماء عدد من الكتاب فى هذه الفترة وخاصة فى زمن الخليفة المقتدى بامر الله نذكر منهم فاطمة بنت الاقرع ،وكان خطها حسنا وهى التى كتبت كتاب الهدنة الى ملك الروم · كما انها ذهبت برسالة من الديوان العزيز الى عميد الملك فاعطاها الف دينار ،وكانت قد سمعت الحديث واخذ عنها بعض المحدثين والفقهاء ،وتوفيت سنة (٤٨٠هـ/١٠٨٨م) (٤) ·

كما برز امين الدولة ابو سعيد العلاء بن الحسن بن الموصلايا الذى كتب للخليفة المقتدى والذى انابه فى الوزارة (٥) · وكان قد خدم القائم سنة ٤٣٢هـ/ (٦)

---

(١) مسكويه – تجارب الامم ٤٠٤/٥،وانظر ياقوت – معجم الادباء ٨٠/٢ ·

(٢) محمد عفيفى – المجتمع الاسلامى ص/ ٣٤٢ ·

(٣) زيدان – تاريخ آداب اللغة العربية ٣٥/٧ ·

(٤) ابن الجوزى – المنتظم ٤٠/٩،ابن الاثير – الكامل ١٤٦/٨ · ياقوت معجم الادباء ١٧٢/١٦ ·

(٥) ابن الجوزى – المنتظم ١٤١/٩،ابن الاثير – الكامل ٢٢٣/٨ ·

(٦) وكان نصرانيا فاسلم سنة ٤٨٤هـ وتوفى سنة ٤٩٧هـ · وكان بليغا فصيحا· انظر ابن الاثير – الكامل ٢٢٣/٨ ·

كما برز ابن اخته ابو نصر هبة الله ،والذى لقب فيما بعد بنظام الحضرتين (١) .

وقد اهتم العباسيون بديوان "زمام الازمة " وهو اشبه مايكون بديوان المراقبة العامة الذى تخضع لرقابته جميع الدواوين المالية والادارية ،ويتبع لهذا الديوان دواوين الازمة ،وهى عبارة عن دوائر ادارية صغيرة تشرف على اعمال الدواوين الكبيرة وكانت تهتم بالدرجة الاولى بالتدقيق فى حسابات الدواوين (٢) . وفى بعض الاحيان يعد منصب متولى ديوان الزمام اهم من منصب متولى ديوان بيت المال نفسه (٣) . ومن اهم الذين برزوا ممن تقلدوا هذا الديوان فى هذه الفترة عميد الرؤساء ابوالقاسم بن فخر الدولة بن جهير (٤) . كذلك ابو الحسين بن الموصلايا ببغداد الذى توفى سنة ٤٨٧هـ (٥) . وكان متولى هذا الديوان يعرف بالاستاذ المحنك (٦) .

---

(١) ن . م . س ٢٢٣/٨ .

(٢) حسن ابراهيم وعلى ـ النظم الاسلامية ص/ ١٧٧،د. السامرائى المؤسسات الادارية ص/ ٢٤٢، اكرم ديرانية ـ الحكم والادارة فى الاسلام ص/ ١٥٢ ،محمد الشيبانى ـ نظام الحكم ص/ ١٣٠ .

(٣) الصولى ـ اخبار الراضى ص/ ٦١ .

(٤) البندارى ـ آل سلجوق ص/ ٣٦ .

(٥) ابن الاثير ـ الكامل ١٧٤/٨ .

(٦) القلقشندى ـ صبح الاعشى ٤٨٤/٣، ٤٨٥ .

وخلال هذه الفترة ظهر ديوان دار الضرب ،وهو الديوان الخاص بسك النقود وضرب العملة ،وهى من الدور المهمة فى الدولة ،وتعد دور الضرب من المراكز المهمة فى الادارة المالية، اضافة الى اهميتها فى ابراز اهمية المراكز الاسلامية حيث انه كانت تعرف المدن وحاضرتها واهميتها بوجود دار الضرب ،ذلك ان توقف دار الضرب عن العمل قد يشير الى تضاؤل اهمية المدينة كحاضرة للاقليم (١) ويكون المسئول الاول عنها صاحب الدار ،وفى سنة ٤٦٢هـ صارت دار ضرب الدنانير ببغداد فى يد وكلاء الخليفة ،وذلك بسبب البهرجة التى كثرت ،ونقود التبهرج التى كثرت فى ايدى الناس ضمن النقود السلطانية وقد اتخذ اجراء جديد وهو اضافة اسم ولى العهد الى العملة بجانب اسم الخليفة بالنقد الاميرى ،واصبح المستعمل فقط (٢)

ومن الدواوين المهمة التى ظهرت فى هذه الفترة ديوان النفقات وهو الديوان المشرف على نفقات دار الخلافة وحاجاتها ، اضافة الى اشرافه على نفقات الدواوين المركزية ،والمصالح العامة ببغداد (٣) وهناك دواوين اخرى تتولى اعمال خاصة مثل ديوان الخراج الذى يقوم بجباية

---

(١) حسن ابراهيم حسن ـ تاريخ الاسلام ٣٤١/٤ .

(٢) ابن الاثير ـ الكامل ١٠٧/٨ .

(٣) الصابى ـ الوزراء ص/ ١٥، ٢٧ .

الخراج وبقية الضرائب. حيث كان يستوفى منها رواتب الجند واعطياتهم ونفقات الولاية ثم يرسل الباقى للعاصمة (١) . وان اتساع اعمال الدولة وكثرة الدواوين وتعدد المصروفات ادى الى ايجاد هذا الديوان (٢) .

وقد اخذت الدواوين تسترجع مكانتها الطبيعية فى ادارة الدولة العباسية مثل ديوان بيت المال ،وديوان الجيش ،وديوان المصادرين وديوان التوقيع ،وديوان الفض حيث يقوم كل منها بمباشرة اختصاصاته الاساسية التقليدية كما كان عليه الحال فى الماضى مع ملاحظة طبيعة التطورات الحاصلة والاخذ بنظر الاعتبار طبيعة الادارة السلجوقية واختصاص مؤسساتها ،ويبدو ان العامل الذى ساعد على ذلك هو ان السلاجقة كانوا على استعداد لتقبل اى تنظيم جديد لايصطدم بمصالحهم وهم يمتنعون من ابطال العمل فى النظم الموجودة فى الدولة ،ضمانا لاستقرار الادارة ،ولعل ذلك يعود الى بداوتهم وفطرتهم التى جبلوا عليها .

وفى الوقت نفسه قامت دواوين اخرى فى العاصمة اقامها السلاجقة

---

(١) مسكويه - تجارب الامم ١٩٣/٥، ١٩٤، التنوخى - الفرج بعد الشدة ٥١/١ .

(٢) انظر عن التنظيم الادارى للديوان د. السامرائى - المؤسسات الادارية ص/ ٢٣٠ - ٢٤٣ .

انفسهم تعمل جنبا الى جنب مع الدواوين العباسية ،وهى تخص الجوانب التى يشرفون عليها ويعدون انفسهم مسؤولين عنها ،كتلك الاختصاصات التى تنازل عنها الخليفة القائم بامر الله للسلطان طغرلبك فى اول لقاء بينهما فى بغداد ،وهو ماسيكون موضوع الدراسة فى الفصل التالى من هذا البحث ان شاء الله .

الفصل الثالث

الإدارة عند دخول السلاجقة العراق

الفصل الثالث

الادارة عند دخول السلاجقة العـــراق

المبحث الاول :

(أ) المناصب الادارية :

(١) السلطان
(٢) وكيلدر السلطان
(٣) الامير الحاجب الكبير
(٤) نائب الامير الحاجب
(٥) الصدر او الدستور او السيد الكبير ،الوزير
(٦) امراء الاقاليم
(٧) الطغراء
(٨) المستوفى
(٩) المشرف
(١٠) الكتاب
(١١) العميد
(١٢) الشحنـــة
(١٣) الساقى
(١٤) الطشت دار
(١٥) العارض
(١٦) الاسفهسالار
(١٧) الاتابك

المبحث الثانى :

(ب) الدواوين السلجوقية :

(١) ديوان السلطان
(٢) ديوان الرسائل والانشاء
(٣) ديوان الاستيفاء
(٤) ديوان الاشراف
(٥) ديوان عرض الجيوش
(٦) ديوان الطغراء

المبحث الثالث :

(جـ) ادارة الاقاليم :

(١) الامارات
(٢) الاتابكيـــات
(٣) سياسة الاقطاع واثرها

المبحث الرابع :

(د) الشرطـــــة

الادارة عند دخول السلاجقة العراق

(أ) المناصب الادارية :

لكل دولة فى العصر الوسيط اسلوبها الادارى الذى تتميز به عن غيرها من الدول ولاشك فى ان ذلك الاسلوب هو المؤشر الحقيقى لتقدم الدولة الحضارى ورقيها .

ورغم ان الاساليب تتطور وترفد منجهات متعددة ، ولكن الدولة هى التى تفرض شخصيتها وتبنى الاسلوب الامثل لها ،ولذلك نجد ان السلاجقة قد اكسبوا الاسلوب الادارى معنى جديدا ،فقد استطاع السلاجقة من تحقيق وحدة اقليم فارس الذى عجزت عنه الدول السابقة ،فقد حاول السامانيون فى شرق ايران والبويهيون فى غربها تحقيق ذلك وتنازعا زعامة الفرس دون جدوى . كما ان الغزنويين الذين خلفوا السامانيين فى شرق ايران لم يحققوا ذلك رغم انهم كانوا كالسلاجقة ينتمون الى العنصر التركى فى حين تحقق ماهو اكثر من ذلك على يد السلاجقة ،فقد تحققت الوحدة السياسية للدولة العباسية من جديد .

وبعد ان اسس السلاجقة دولتهم سنة (٤٣٢هـ/١٠٤٠م) كانت لهم قوانينهم وكان لتلك القوانين تأثيرها القوى فى حفظ النظام وتقدم سير العمل خاصة فيما يتعلق بامور تعبئة الجيوش ودفعها للقتال والمسائل المتعلقة بالافراد وعلاقاتهم ببعضهم البعض.(١) وان العامل الاساسى الذى اسهم فى

---

(١) عباس اقبال ـ الوزارة فى عهد السلاطين ص/ ١٨ .

تسيير امورهم بشكل منتظم هو اعتماد السلاطين السلاجقة على قدرة طبقة الكتاب وعمال الديوان الذين قضوا شطرا من حياتهم يديرون اجزاء مختلفة من البلاد الشرقية فى عصر السامانيين والغزنويين والديالمة (آل بويه) والخلفاء العباسيين . وقد كان هؤلاء على دراية تامة وفعالية كبيرة وخبرة نادرة ،بحيث كانت لديهم معرفة واسعة فى جميع الامور المدنية والعسكرية ،وكانت هناك اعداد وفيرة من هؤلاء سواء من كان منهم يمارس العمل نفسه بالدواوين السابقة ،او جماعات من الشباب مارسوا العمل تحت اشراف من سبقوهم وظهر نبوغهم وفعاليتهم فى هذا المضمار(١) . وقد سبق السلاجقة عهد متواصل من الممارسات الادارية الطويلة ،ولكن تحت حكم السلاجقة اكتسبت المؤسسات القديمة معنى جديدا ،فقد تبلور التطور الذى بدأ فى عهد ماقبل السلاجقة كما اضيفت بعض عوامل اثراء جديدة الى الموروث الاسلامى والتقاليد الفارسية فى الادارة فالسلاحقة مسئولون عن الروح الجديدة للنظام الادارى(٢) . وباعتبار ان الدولة السلجوقية تدين بالاسلام ،فانها تمكنت من الاستفادة من مجموعات الكتاب المختلفة المشارب حيث اوكل السلاجقة اليهم امور الدواوين،خاصة وان السلاحقة لم تكن لديهم فكرة واضحة عن ادارة هذه البلاد .

وان نحن قارنا بين التنظيمات والتشكيلات الادارية السلجوقية

---

(١) عباس اقبال - الوزارة فى عهد السلاطين ص/ ١٨ .

(٢) بويل - تاريخ ايران ٢٠٣/٥ .

وبين تلك التى كانت موجودة فى عهد السامانيين والغزنويين فى بـلاد ماوراء النهر وخراسان فاننا سندرك بأن عمال الديوان قد طبقوا عين التشكيلات والتنظيمات الادارية الموروثة ،فقد كان ديوان السلاجقة هو نفسه ديوان الغزنويين والسامانيين، اللهم الا فى بعض التغيرات التى استحدثت لمقتضى الحال والزمان .

والسلاجقة بصورة عامة على استعداد لاقتباس التقاليد والعادات المحلية طالما انها كانت لاتتعارض مع معتقداتهم الاساسية ،فمثلا عند احتلالهم لآسيا الصغرى التى كانت ميدانا لحروب طاحنة لم يبدوا اهتماما لتغيير طراز معيشة الناس ،بل على العكس من ذلك فقد تأثروا بالنظم والقوانين السائدة فى تلك البلاد،بل انهم اقتبسوا مثل تلك النظم والقوانين وقدموها على تلك التى اوجدها السلاجقة العظام فى بلاد فارس (١) وان الاتساع لدولة السلاجقة ،وماتحتاج اليه فى ادارتها من مؤسسات واشخاص مؤهلين على استعداد للعمل الادارى سيكون موضوع بحثنا فى الصفحات التالية حيث سيجرى التعريف بابرز المناصب الادارية المؤثرة يتبع ذلك التعريف بالدواوين السلجوقية ، ثم اساليب ادارة الاقاليم ونختمها بالتعرف على الشرطة ودورهم فى الادارة .

---

(١) تامارا رايس- السلاجقة ص/ ١٠٥،١٠٦ .

(١) السلطـــــان :

السلطان فى اللغة الحجة ،قال الله تعالى : " وماكان له عليهم من سلطان "[١] الآية • يعنى حجة • وسمى السلطان بذلك لأنه حجة على الرعية يجب عليهم الانقياد اليه •[٢]

فقد اختلف اشتقاقه فقيل انه مشتق من التسلط وهو القهر والغلبة لقهر الرعية وانقيادهم له ،وقيل مشتق من السليط الشيرج فى لغة اهل اليمن لانه يستضاء به فى خلاص الحقوق •[٣]

---

(١) سورة سبأ آية ٢١ •

(٢) القلقشندى ـ صبح الاعشى ٤٤٧/٥ •

(٣) ن • م • س ٤٤٨،٤٤٧/٥ •

ويذكر ابن خلدون "ان السلطان فى نفسه ضعيف يحمل امرا ثقيلا" المقدمة ص/ ٢٣٥،والسلطان اسم خاص فى العرف العام بالملوك ويقال ان اول من لقب به "جعفر البرمكى" وزير الرشيد،لقب به الرشيد تعظيما له لانه يشغل اقوى منصب فى الدولة • الموسوعة العربية الميسرة ص/٩٩٦ • فالبرامكة فى عهد الرشيد لم يكونوا فى تلك المكانة المرموقة التى كان عليها جدهم (خالد) وكان يصدر من جعفر والفضل بن يحيى بن خالد من الاذلال مالاتحتمله نفوس الملوك (ابن طقطقا ـ الفخرى ص/ ٢٠٩) فلذلك لايمكن ان يطلق الرشيد هذا اللقب (السلطان) على جعفر حتى ان المصادر المعاصرة لم تذكر ذلك وماتذكره المصادر ان هذا اللقب اول ما اطلق على محمود بن سبكتكين ولم يلقب به احد قبله (ابن الاثير ـ الكامل ٨٤/٧ ،احمد الشريف وحسن محمود ـ العالم الاسلامى ص/ ٥٢٧) ثم اصبح هذا اللقب يطلق على البويهيين ومن بعدهم السلاجقة •

وقد عقد الماوردى (ت٠ ٤٥٠هـ) فصلا ممتعا بعنوان " فى تقليد الامارة على البلاد" (١) فى كتابه القيم : الاحكام السلطانية والولايات الدينية قسم فيها الولاية العامة الى ضربين : امارة استكفاء وهى التى تعقد عن اختيار ،وامارة استيلاء التى تعقد عن اضطرار وفصل فى تعريفها بقوله "فهى ان يستولى الامير بالقوة على بلاد يقلده الخليفة امارتها ويفوض اليه تدبير سياستها،فيكون الامير باستيلائه مستبدا بالسياسة والتدبير" والذى يفهم من كلام الماوردى فى هذا الباب انه جوز هذه الامارة واوجب طاعة الامير المتغلب الا فى معصية الخالق فهو يقول بانه "وان خرج عن التقليد المطلق فى شروطه واحكامه ففيه من حفظ القوانين الشرعية وحراسة الاحكام الدينية مالايجوز ان يترك مختلا مدخولا ولافاسدا معلولا ،فجاز فيه مع الاستيلاء والاضطرار ما امتنع فى تقليد الاستكفاء والاختيار لوقوع الفرق بين شروط المكنة والعجز " (٢) ٠

وهكذا فالسلطنة من الناحية الفقهية تتمتع بعموم الولاية وهى من الناحية النظرية مستمدة من تفويض يصدره الامام القائم بالامر – اى الخليفة العباسى – اما من الناحية التطبيقية فهى زعامة فرضت وجودها عن طريق الاستيلاء والتغلب ٠ وفى حالة السلطنة السلجوقية ، ومع حالة الاضطرار التى واجهت الخلافة العباسية ،فان الخليفة القائم بامر الله

---

(١) الماوردى – الاحكام السلطانية ص/ ٣٠ – ٣٤ ٠

(٢) ن ٠ م ٠ س ص/ ٣٣ ٠

(٤٢٢ - ٤٦٧هـ/١٠٣١ - ١٠٨٥م) قد توجه الى السطان طغرلبك فى اول لقاء بينهما فى بغداد بالشكر لسعيه والحمد لفعله والاستئناس بقربه واضاف "وانه قد ولاك ماولاه الله من بلاده، ورد عليك مراعاة عباده فاتق الله فيما ولاك واعرف نعمته عليك فى ذلك واجتهد فى نشر العدل وكف الظلم واصلاح الرعية "(١) كما ان الخليفة قد لقبه بلقب " ملك المشرق والمغرب"(٢) والواقع فان السلطان طغرلبك قد وثق علاقته بالخليفة القائم بامر الله كثيرا، وازدادت هذه الصلات توثقا بزواج الخليفة فى عام (٤٤٨هـ/١٠٥٦م) من ارسلان خاتون ابنة داود جغرى بك اخى طغرلبك ذلك الزواج الذى كان من الايام المشهورة فى بغداد، وقد "حضر العقد نقيب النقباء، ابو على بن ابى تمام، وعدنان بن الشريف الرضى نقيب العلويين واقضى القضاه الماوردى وغيرهم "(٣) .

وعند النظر فى السلطنة من زاوية النظر السلجوقية العملية نجد انهم قد نجحوا فى ان يحولوا سلطنتهم المحلية المحدودة الى قوة اسلامية هائلة لها كيانها ولها تأييد الخلافة وتفويضها الكامل فى جميع انحاء اراضى الخلافة . والواقع فان طغرلبك قد انتخب سلطانا للسلاجقة بالطريقة نفسها التى كانوا ينتخبون به زعيم القبيلة فى

---

(١) ابن الاثير - الكامل ٨/٨٠ .

(٢) ن . م . س ٨/٨٠ .

(٣) ن . م . س ٨/٧٤ .

الماضى لما يتحلى به من قوة الشخصية والشجاعة وبعد النظر والمقدرة على استيعاب الامور بافق واسع . وعليه فان القوة والغلبة كانت هى العامل الحاسم فى تنصيب السلطان وفى اتساع صلاحياته واختصاصاته. والشىء نفسه يمكن ان يقال عن الب ارسلان ،ذلك ان السلطان طغرلبك قد عهد بالسلطنة من بعده الى ابن اخيه سليمان بن داود جغرى بك (١) ،غير ان الب ارسلان محمد بن داود بن ميكال بن سلجوق قد نافسه فى ذلك المنصب وتمكن بعد الحصول على تأييد عدد كبير من الامراء من الوصول الى عرش السلطنة .

ويلاحظ انتطورا قد حصل فى نظرة السلطان الى نفسه وفى نظرة السلاجقة اليه ذلك انهم اعتقدوا بنظرية الحق الالهى،ولذلك فانهم اخذوا بالقبول بان حكم سلاطينهم مستمد من الله ،وعليه فالسلطان هو خيرة الله جعله امينا على العباد ومتصرفا بالبلاد . ولقد صرح السلطان الب ارسلان بذلك عند تفويضه لنظام الملك بالوزارة حين ذكر "نعمة الملوكية المفوضة من الله تعالى والتى حصلها بواسطة تربيتنا له" (٢) وقد اكثر الراوندى مؤرخ السلاجقة من الحديث عن ازدياد قوتهم وانه

---

(١) ورد فى نص الراوندى انه سليمان بن طغرلبك والواقع ان ذلك وهم ولعل سبب ذلك ان والدة سليمان قد تزوجها طغرلبك بعد وفاة ابيه جغرى بك ابى سليمان . ص/ ١٨٥ .

(٢) الراوندى ـ راحة الصدور ص/ ١٨٥،ابن الاثير ـ الكامل ٩٧/٨ .

"قد لاحت على صفحات احوالهم امارات الملك المؤيد بالتأييد الالهى"[1]

واما السلطان "فهو السلطان المعظم مالك رقاب الامم، مولى العرب والعجم سلطان السلاطين المؤيد بتأييد رب العالمين، الواثق بنصر الله، الحاكم بامر الله، برهان الامام ومعز الانام، ظل الله على الارض، ونوره الساطع فى البريه، مطيع الحق مطاع الخلق، ملاذ الثقلين وارث ملك ذى القرنين مولى الخافقين غياث الدنيا والدين كهف الاسلام والمسلمين .."[2] .

بل انه حتى فى الدعاء اخذ يسأل الله تعالى ان يجعل "الشغل الشاغل لكل الناس والغذاء الكامل لكل الانام - من المهد الى اللحد - ان يديموا الدعاء لهذا الملك الذى هو ظل الله فى الارض"[3] . وقد وصل به الامر حدا اخرجه عن المنطق المقبول اذ اعطى السلطان صفات الهية حين يقول مخاطبا السلطان : " ما اعظم شأنك يامالك الدنيا وسلطان الآفاق ففى يدك وحدك مفتاح قفل الارزاق "[4] . وبعد ان ارخ لتولية السلطان "معز الدنيا والدين ملكشاه بن محمد قسيم امير المؤمنين" وجد الراوندى انه لابد ان يذكر بحقيقة منزلة السلطان فقال حكمته التالية :"ان السلطان خليفة الله فى ارضه، والحاكم فى حدود دينه وفرضه، قد خصه الله باحسانه

---

(١) الراوندى - م . س ص/ ١٥٦، ١٥٧ .

(٢) الراوندى - م . س ص / ١٧٩ .

(٣) ن . م . س ص/ ١٨١ .

(٤) ن . م . س ص/ ١٨٣ .

واشركه فى سلطانه ، وبذله لرعاية خلقه،وندبه لنصرة حقه ... " .[١]

ان الايمان بنظرية التفويض الالهى هذه لم تقتصر على ايمان السلاطين بها ،ولاعلى مؤرخيهم والمنتفعين من المحيطين بهم بل لقد عبر عنها الوزير العالم المحدث نظام الملك مع سعة علمه واطلاعه وحرصه على الدفاع عن الشريعة الاسلامية والخلافة العباسية ،ذلك انه كان يرى بان الله سبحانه وتعالى قد :" اختار السلطان وميزه على عباده وجعلهم جميعا خاضعين له ،منه يستمدون نفوذهم ودرجاتهم، اما هو فيستمد قوته من ربه الذى جعله امينا على عباده " .[٢]

هكذا فالسلطان فى نظر السلاجقة ظل الله على ارضه وسلطانه على عباده وخاتم على خزائنه خولهم الله حكم العباد واختارهم لمهمة قدرها وان على الناس طاعتهم والخضوع لحكمهم والرضى بما قدره لهم . ولم يكن السلاجقة وحدهم يعتقدون بهذه النظرية ،فقد نافسهم فى هذا الاعتقاد الخلفاء العباسيون ،كما سبقهم الى القول به الادارسة فى بلاد المغرب (١٧٣ - ٣٧٥هـ) وكذلك الفاطميون الذين استعملوا لقب " سلطان الاسلام"[٣] ولايقل اعتقاد عامة السلاجقة عن سلاطينهم فى هذا المجال،فهم يعتقدون

---

(١) ن . م . س ص/ ١٩٧ - ١٩٨ ولاشك فى ان هذا النص يحتوى على شرك صريح والعياذ بالله .

(٢) نظام الملك ـ سياسة نامه ص/ ٦٢ - ٦٣ .

(٣) الموسوعة العربية الميسرة ص/ ٩٩٦ .

بان حكم سلاطينهم مستمد من الله سبحانه وتعالى ويقولون بنظرية الحق الالهى فى الحكم (١) . وقد اخذ السلاجقة يضفون على حكمهم نوعا من الروحانية ،والذى ساعدهم على ذلك انهم كانوا شديدى التعصب للسنة فضلا عن انهم كانوا يمثلون دماء جديدة فتية شديدة التحمس للاسلام استطاعت ان تعيد للدولة العباسية تحت نفوذهم وحدتها وقوتها وان تتصدى للدعوة الاسماعيلية والنفوذ الفاطمى. والواقع فان السلطان السلجوقى قد تمكن من ان يفرض طاعته على الناس اذ كان قمة الهرم الحكومى وهو المشرف والمسئول الاول عن حكم المناطق التى تقع تحت سيادته وكما يذكر نظام الملك فان على السلطان ان يأخذ نفسه بتعمير الارض من شق مسارب المياه وحفر الجداول ومد الجسور على المياه العظيمة وتعمير القرى والمزارع واقامة الحصون وانشاء المدن وتشييد الابنية الرفيعة والامر بالاربطة تبث فى امهات الطرق،وبالمدارس تنشأ لطلاب العلم حتى يخلد اسمه على الايام (٢) .

وهناك ماهو اكبر من ذلك من المسئولية الملقاه على عاتق السلطان فهو القائد الاعلى للجيش ،ويقود الجيوش بنفسه او يعهد بهذه المهمة لاولاده او لاقاربه ،وفى حالات خاصة كان السلطان السلجوقى يعهد بهذه المهمة الى المقربين اليه مثل صاحب الشحنة ،والعمداء والاتابكة

---

(١) حسين امين ـ العراق (ص/ ١٨٠ مجلة سومر م ٢٠ ج ٢،١ ص/ ٢١١) .

(٢) نظام الملك ـ سياسة نامه ص/ ٣٤ .

المقترنة اسماؤهم باحد افراد البيت السلجوقى [(١)] .

واما نظام تولى السلطنة فى الدولة السلجوقية ،فانه لم يكن هناك نظام ثابت معروف ومعين لاعتلاء السلطة ،وخاصة عند قيام الدولة السلجوقية فنجد ان الذى يعتلى عرش السلطان اكثر السلاجقة قوة وابرزهم شخصية فقد اعتلى طغرلبك عرش الدولة مع وجود اخيه داود (جغرى بك) وهو الاكبر [(٢)] .

ومن اشهر السلاطين السلاجقة من عرفوا بالسلاطين السلاجقة العظام وهم الذين تشملهم فترة الدراسة وهم طغرلبك ،والب ارسلان، وملكشاه وقد لقب طغرلبك فى بادىء الامر "بالدهقان" حيث منحه السلطان مسعود حينما منح ثلاث ولايات لثلاثة من الامراء السلاجقة ،فقد منح حكم دهستان الى الامير داود جغرى ،وحكم نسا الى الامير طغرلبك ،اما خراوه فقد جعلها للامير بيغو وقد خوطبوا بلقب "الدهقان" [(٣)] وذلك فى سنة (٤٢٦هـ/١٠٣٤م) ولكن بعد معركة دندانقان سنة (٤٣١هـ/١٠٣٩م) تلقب طغرلبك بلقب "سلطان" واول من لقبه بذلك اخوه الامير جغرى بك داود [(٤)]،حيث انه بعد ان قضى

---

(١) حسين امين – العراق ص/ ١٨٢ .

(٢) عبدالنعيم حسنين – سلاجقة ايران والعراق ص/ ١٥٧ .

(٣) البيهقى – تاريخ بيهق ص/ ٥٢٨ .

(٤) لقد لقب جغرى بك داود ملك الملوك فى اول جمعة من رجب سنة ٤٢٨هـ بمرو (ابن الاثير – الكامل ٢٤/٨) .

على الوباشى سنة (٤٢٨هـ/ ١٠٣٦م) لقبه طغرلبك السلطان المعظم ركن الدنيا والدين ابو طالب[(١)] . وفى عام (٤٤٧هـ/١٠٥٥م) وفى الخامس والعشرين من رمضان دخل طغرلبك بغداد وخطب له وصكت النقود باسمه ولقب بركن الدولة والدين السلطان المعظم ابو طالب طغرلبك من امير المؤمنين[(٢)] كما خاطبه الخليفة القائم بامر الله ،كما ذكرنا آنفا بسلطان المشرق والمغرب،[(٣)] فى حين ان طغرلبك كان فى البداية قد قابل تصرف الخليفة بالازدراء،ولم يفكر حتى فى مقابلته حين قدم بغداد اول مرة ،فقد اتجه طغرلبك الى العمل على تثبيت سلطانه فى بغداد وفى بقية ممتلكات البويهيين فى العراق العربى ،والاهواز وفارس غير انه بدل من موقفه بعد فتنة البساسيرى واستنجاد الخليفة به ،حيث تمكن من القضاء على خصومه[(٤)] واستقبل السلطان طغرلبك الخليفة بعساكره عند اعادته الى بغداد "فلما وقعت عينيه على السرادق ،رمى نفسه عن فرسه ،ودخل وقبل

---

(١) الحسينى - زبدة التواريخ ص/ ٤١، الاقسرابى - مسامرة الاخبار ص/ ١٥.

(٢) ابن الاثير - الكامل ٨/ ٧١ ، الراوندى - راحة الصدور ص/ ١٠٣.

(٣) الحسينى - زبدة التواريخ ص/ ٥٨ .

(٤) "عاد الخليفة الى بغداد بعد فتنة البساسيرى" انظر ابن الاثير الكامل ٨/ ٨٦، ابن الجوزى - المنتظم ٨/ ١٩٠ - ١٩٧، البندارى ص/ ١٥ - ١٨، ابن العبرى - تاريخ مختصر الدول ص/ ٣٠٩، ٣١٣، الراوندى راحة الصدور ص/ ١٧١ .

الارض سبع مرات فاخذ الخليفة مخدة فطرحها للسلطان، فاخذها وقبلها ثم جلس عليها وقدم الخليفة الهدايا الثمينة ،وانها مقدمة منه ومن زوجته خاتون وطلب منه قبولها واعتذر السلطان اليه عن تخلفه عنه "[١] . وقد نهج هذا السلطان نهج الملوك الاسبقين ممن حمدت مسيرتهم واستطاع ان يثبت قوانين الملوك ورسوم السلطان.[٢] وعلى يد هذا السلطان بدأ الدور التاريخى للسلاجقة سنة (٤٥٢هـ/١٠٦٠م) حين تمكن من ان يستعيد من البيزنطيين ماكان المسلمون قد فقدوه من مدن الثغور، غير ان النصر النهائى على البيزنطيين وفتح آسيا الصغرى لم يتم الا على يد ابن اخيه الب ارسلان (البطل الاسد) الذى خلفه فى سنة (٤٥٥هـ/١٠٦٣م) فى معركة ملاذكرد لما اسلفنا والتى تمكن فيها من تشتيت جيش ملك الروم ارمانوس المؤلف من ستمائة الف فارس اوقع ملك الروم اسيرا تحت يديه .[٣] "وكان السلطان الب ارسلان سلطانا مهيبا يمتاز بحسن السياسة والكياسة واليقظة والقدرة على التغلب على الاعداء والقضاء على الخصوم ،وكان عديم النظير غازيا للاقطار وكان زينة للعرش فاتحا للدنيا "[٤] .

---

(١) الحسينى ـ زبدة التواريخ ص/ ٦٣ .

(٢) الراوندى ـ راحة الصدور ص/ ١٥٩ .

(٣) ن . م . س ص/ ١٨٩ .

(٤) ن . م . س ص/ ١٨٦ .

اما السلطان ملكشاه فقد كان ملكا جبارا نافذ السلطة[(١)] . حاصر سمرقند سنة (٤٧١هـ/١٠٧٨م) حتى استولى عليها واسر ملكها وقد سار السلطان ملكشاه اثناء حكمه مرتين من انطاكية الى اوزكند كانت الاخيرة منهما سنة (٤٨١هـ/١٠٨٨م) .

وقد "بلغ من عدل السلطان وحسن سياسته حدا كبيرا حتى لقد قيل انه لم يوجد على عهده شخص له ظلامة ،فاذا فرض وجاء متظلم لم يكن له من دونه حجاب بل كان يحدث السلطان مشافهة ويطلب انصافه"[(٢)] . ويذكر ابن الاثير انه قد "خطب له من حدود الصين الى آخر الشام ومن اقاصي بلاد الاسلام في الشمال الى آخر بلاد اليمن وحمل اليه ملوك الروم الجزية ولم يفته مطلب وانقضت ايامه على عدل عام وسكون شامل وعدل مطرد"[(٣)] .

وقد اوردت المصادر الكثير من الاخبار الدالة على عدله وانصافه وحرصه على الحقوق وحمايتها وعلى خوفه من الله تعالى[(٤)] . ومما يذكر عنه انه "ورد بغداد ثلاث دفعات فخافه الناس من غلاء الاسعار وتعدي الجند فكانت الاسعار ارخص منها قبل قدومه ، وكان الناس يخترقون عساكره ليلا ونهارا فلايخافون احدا"[(٥)] .

---

(١) الراوندي ـ راحة الصدور ص/ ٢٠٢ .

(٢) ن . م . س ص/ ٢٠٥ .

(٣) ابن الاثير ـ الكامل ١٦٣/٨ .

(٤) ابن الاثير ـ الكامل ١٦٣/٨ ـ ١٦٥ .

(٥) ن . م . س ١٦٤/٨ .

وقد اسقط السلطان ملكشاه المكوس والمؤن من جميع البلاد، و "عمر الطرق والقناطر والربط التى فى المفاوز وحفر الانهار الخراب ، وعمر الجامع ببغداد،وعمل المصانع بطريق مكة ،وبنى البلد باصبهان،وبنى منارة القرون بالسبيعى بطريق مكة ،وبنى مثلها بما وراء النهر" (١) . وقد اضاف الراوندى الى ذلك ان السلطان "هو الذى رفع المكوس ورسوم الخفارة عن طريق الحاج،واقطع الحرمين نظير ذلك الاقطاعات والاموال،وكانوا يأخذون قبل ذلك من كل حاج سبعة دنانير ذهبا له ،وانعم كذلك على عرب البادية وعلى مجاورى الكعبة المعظمة بالانعامات الطائلة " .

ومما هو جدير بالملاحظة ان السلطان ملكشاه كان قد نقل عاصمة ملكه من الرى الى اصفهان التى اختارها "من سائر مملكته لتكون عاصمة ملكه ومقرا لعرشه، وبنى داخلها وخارجها كثيرا من العمارات والجواسق والحدائق .. وهو الذى بنى قلعة المدينة وقلعة دركوه وكانت خزانته فيها " (٢) .

وهذا يشير ان للسلطان عاصمته الخاصة اضافة الى بغداد عاصمة السلطنة والخلافة . والواقع فان العاصمة السلجوقية قد تنقلت خلال فترة البحث من الرى "نيسابور" فى عهد السلطان طغرلبك الى "مرو " فى عهد السلطان الب ارسلان ثم الى اصفهان فى عهد السلطان ملكشاه (٣) .

---

(١) انظر الراوندى ـ راحة الصدور ص/ ٢٠٥ ،ن . م . س ٨/ ١٦٤ .

(٢) الراوندى ـ راحة الصدور ص/ ٢٠٥ .

(٣) ن . م . س ص/ ٢٠٦ .

وهكذا فالسلطان السلجوقى هو الحاكم الاول فى جميع ولايات الدولة ويتمتع بسلطات تكاد ان تكون مطلقة وهو المسؤول الاول عن سياسة العامة ،واعلان الحروب وقيادة الجيوش وفرض الضرائب واستيفائها وازالتها وتعيين الامراء وقادة الجيش وكبار الموظفين كما انه يتولى اقرار وتنفيذ العدالة واحكام الشريعة ،كما انه يقرر اختيار العاصمة السلجوقية ويأمر باجراء مايلزم من اصلاحات عامة .

(٢) وكيلدرالسلطان :

منصب وكيلدر السلطان يعد من الوظائف المهمة في الدولة السلجوقية لان منزلة صاحب المنصب اخص من منزلة الحاجب[١] . لان صاحب هذا المنصب يكون ملاصقا وملازما للسلطان، ويكون على علم ودراية وفراسة بالحالة التي يكون عليها السلطان، حتى يتمكن من الحصول على الامر الذى يريده فهو الخبير العالم، والى جانب ذلك يجب ان يكون منطقيا وبليغا، وقادرا على اقامة الحجة، وعارفا باخلاق السلطان، ومزاجه وان يقف على مايرضيه ومايغضبه، حتى لايحدثه في امر دون اختيار الوقت المناسب لذلك[٢] .

والملاحظ في دراسة هذا المنصب انه لم يظهر في بداية تكوين السلطنة السلجوقية[٣] وانما ظهر في مرحلة تالية لفترة حكم السلاطين السلاجقة العظام مما يشير الى ان ذلك يمثل مرحلة تطور تالية . وقد اشار البنداري الى ان اول من تولى منصب "وكيلدر السلطان" هو اميرى القزويني الملقب بالزكي وان ذلك كان سنة (٤٩٨هـ/١١٠٤م)[٤] .

---

(١) البنداري - آل سلجوق ص/ ٨٥ - ٨٦ . حسين امين - العراق ص/ ١٨٦ ، كمال حلمي - السلاجقة ص/ ٢١٢ .

(٢) حسين امين - م . س ص/ ١٨٦، كمال حلمي - م . س ص/ ٢١٢ .

(٣) تحدثت المصادر عن اجتماع السلاجقة وتكتلهم في فترة حكم طغرلبك حيث اقتسموا ادارة السلطنة . الراوندي - راحة الصدور ص/ ١٦٥ - ١٦٧، الحسيني - اخبار الدولة السلجوقية ص/ ١٧ .

(٤) البنداري - آل سلجوق ص/ ٨٥ .

(٣) الامير الحاجب الكبير :

عرفت الحجابة فى مرحلة مبكرة من تاريخ صدر الاسلام وتشير المصادر كثيرا الى عدد محدود من الصحابة اختصوا بحجابة الرسول صلى الله عليه وسلم (١) ٠

اما فى عصرالخلفاء الراشدين فانهم لم يحتاجوا الى من يحجبهم عن الرعية اذ لم يكونوا يمنعون احدا من الدخول عليهم ،ومع ذلك فقد كان لهم من يستأذن لمن يريد ان يقابلهم (٢) ٠

ولقد فرضت الظروف الجديدة على معاوية بن ابى سفيان ان يتخذ الحجاب وذلك بعد مؤامرة الخوارج عليه وعلى على بن ابى طالب وعمرو بن العاص رضى الله عنهم (٣) ٠

---

(١) وفى العقد لابن عبد ربه ١٧٤/٢ يقول : وحاجبه عليه الصلاة والسلام ابونسه مولاه ٠

(٢) يذكر القلقشندى فى صبح الاعشى٤٤٩/٥ بان موضوع الحجابة عند الخلفاء الراشدين هو حفظ باب الخليفة والاستئذان للداخليه عليه وقد نقل الكتانى فى تراتيبه ٢٢/١ عن القضاعى فى تاريخ الخلائف مايشير الى ان الراشدين استمروا فى استخدام الحجاب،فقد ورد ذكر الحاجبين"شديد وشريف" فى عهد ابى بكر الصديق ،وكذلك "برق" حاجب عمر بن الخطاب و"حمران" مولى عثمان وحاجبه اضافة الى "نائل" الذى حجبه ايضا اما عن عهد على بن ابى طالب ،فقد حجبه "قنبر" وكان يحجبه قبل ذلك "بشرا" مولاه ٠ وقد نص البخارى على ان اتخاذ الحجاب قد ثبت فى قصة عمر فى منازعة العباس وعلى انه كان له حاجب ٠

(٣) تشير المصادر الى ان معاوية رضى الله عنه قد اتخذ الحجاب كارها مضطرا خوفا من ازدحام الناس على بابه ٠ ابن خلدون ـ المقدمة ص/ ١٩٠

ثم اصبح اللقب مخصوصا فى الدولة الاموية بمن يحجب الخليفة عن العامة ويغلق بابه دونهم[١]. وقد اقتدى الخلفاء العباسيون بما سار عليه الامويون فى مسألة تعيين الحاجب الذى كلف بتنظيم المقابلات الرسمية وكان لكل خليفة حاجب خاص به ،وربما تدخل بعض الحجاب فى شئون الدولة غير ان ذلك لم يكن القاعده[٢].

وقد عرف هذا المنصب عند السلاجقة باسم الامير الحاجب الكبير وتعد هذه الوظيفة من الوظائف المهمة والرئيسية فى الادارة السلجوقية اذ يتحتم ان يكون متوليها ذا ثقة عالية عند السلطان ذلك انه الواسطة التى يوصل عن طريقها اوامره الشخصية الى الوزير ،وهكذا فان "الامير الحاجب الكبير"[٣] هو الشخص الذى يتلقى اوامر السلطان شفاهيا ويوصلها الى الوزير،بل انه هو الواسطة فى ابلاغ المطالب والرسائل من السلطان السلجوقى الى اعيان الدولة[٤]. ويذكر ايضا ابن خلدون ان صاحب هذا المنصب هوحلقة اتصال بين السلطان وبين رعيته[٥]. ومن المهام التى يقوم بها

---

(١) ابن خلدون ــ المقدمة ص/ ٢٤٠ .

(٢) مسكويه ــ تجارب الامم ٣١٩/١ ،ابن الجوزى ــ المنتظم ٢٨/١٠ .

(٣) عباس اقبال ــ الوزارة ص/ ٢٣ .

(٤) الراوندى ــ راحة الصدور ص/ ١٦٠ . وانظر جهار مقالة ،ميرزا احمد قزوين ص/ ١٣٠ .

(٥) ابن خلدون ــ المقدمة ص/ ٢٩١ .

الحاجب الكبير انه يشرف على سير الامور فى بلاط السلطان ،وانه الآمر الناهى فى دولة السلطان[(١)] . وهذا المنصب كما يظهر يشبه الى حد بعيد وظيفة "حاجب سالار" فى العهدين السامانى والغزنوى ،فقد كان الحاجب يقود الجيوش ،فقد ارسل السلطان مسعودا الحاجب "السباشى"[(٢)] لمحاربة السلاجقة ،وقاد ايضا كل من بدر الحاجب وارتكين الحاجب الجيوش لمحاربة السلاجقة[(٣)] . ومع ان المقر الرسمى للحاجب العباسى،كما يفهم من نص ابن خلدون ،هو فى احد مداخل دار الخاصة او دار العامة ،بعد اجتياز الدهليز المخصص للانتظار ،فان الحاجب الكبير السلجوقى لم يكن على الدوام فى مقره بدار السلطنة ذلك انه كان يشارك السلطان فى غزواته وحروبه فى المناطق المختلفة داخل حدود السلطنة وخارجها . ولقد اشار الراوندى مثلا الى اشتراك الامير الحاجب الكبير فى حروب السلطنة ضد اعدائها فى الرى وهمذان[(٤)] . كما اشار الى مدى ثقة السلطان السلجوقى بالامير الحاجب الكبير حتى انه "اسند امر الرى الى الامير الحاجب الكبير نصرة الدين بهلوان"[(٥)] حيث استقامت بعد ذلك الامور .

---

(١) عباس اقبال – الوزارة ص/ ٢٣ .

(٢) السباشى : امير خراسان . انظر راحة الصدور ص / ١٥٧ .

(٣) البيهقى – تاريخ بيهق ص/ ٦٦٥ .

(٤) الراوندى – راحة الصدور ص/ ٤٢٣ – ٤٢٤ .

(٥) ن . م . س ص/ ٤٢٥ .

وقد ظهر بين من تولى هذا المنصب الخطير من ناهض السلاطين السلاجقة وخالفوا اوامرهم بل وحاولوا قلب السلطنة السلجوقية والقضاء عليها (١)

ويبدو ان هذا المنصب اصبح مصدراثراء لبعض من تولاه اذ يشير ابن الجوزى الى بعض من صار له من المال مالايحصى بعد اعتلائه لهذا المنصب حتى انه ذكر انه خلف تركة عظيمة فى جملتها سبعين الف ثوب من الديباج (٢) ٠

ومن اشهر الحجاب الذين تقلدوا هذا المنصب فى عهد السلاطين العظام فى الدولة السلجوقية ،عبدالرحمن الب زن الاغاجى (٣) ٠ الذى تولى المنصب فى عهد السلطان طغرلبك ،وفى عهد الب ارسلان شغل هذا المنصب كل من الحاجب "بكرك" والحاجب "عبدالرحمن الاغاجى" (٤) ٠ ويذكر رشيد الدين ان "قماج" كان حاجبا عند ملكشاه ،فقد ورد ذلك فى ثنايا ايراده اخبار الازمة بين ملكشاه والخليفة العباسى فقال :" وارسل الامير الحاجب

---

(١) ن ٠ م ٠ س ص/ ٤٧٨،٣٣٨،٣٣٧ – ٤٨٠ مثلا ٠ وانظرحسين امين – تاريخ العراق فى العصر السلجوقى ص/ ١٨٣،١٨٤، احمد حلمى – السلاجقة فى التاريخ والحضارة ص/ ٢١٢ ٠

(٢) ابن الجوزى – المنتظم ١٠/١٥٣ – ١٥٤،عند حديثه عن الامير الحاجب الكبير خاصبك بك ارسلان بن بلنكرى ٠

(٣) رشيد الدين – جامع التواريخ م٢ جه ص/ ٢٩ ٠

(٤) رشيد الدين – جامع التواريخ م٢ جه ص/٢٩، الراوندى – راحة الصدور ص/ ١٦٠،١٨٦ ٠

قمـــاج لاحضار القاتل من حرم الخليفة " [1] .

والملاحظ ان هذا اللقب كان يعطى لاخص الناس حظوة لدى السلطـــان واقربهم ،فقد منح هذا اللقب لابى سعيد اقسنقر بن عبدالله الملقـــب قسيم الدولة المعروف بالحاجب الذى تزوج مرضعة ملكشاه ،وعين اميرا على حلب [2] . ويبدو ان الخلافة العباسية قد اعتمدت استعمال هذا اللقب،ذلك انـــه حينما عاد الخليفة القائم بامر الله سنة (٤٥٣هـ/١٠٦١م) من الحديثـــه الى عاصمة الخلافة استخدم ابا تراب ابن الاثير "فى الانهاء وحضور المواكب ولقبه (حاجب الحجاب عز الامة) وكان عميد الملك الوزير يوثر هـــذا المنصب " [3] . ونفوذ صاحب هذا المنصب يصل الى درجة التدخل فى شئـــون الدولة المختلفة ،وفى تعيين حكام الاقاليم [4] . بل انه كان يستبد بالنفـــوذ دون الوزير، ويلزم اصحاب الدواوين بالرجوع اليه فى كل امور الدولـــة

---

(١) ارسله ملكشاه لاحضار قاتل ولد الفراش الذى قتل قاتل والد ملكشـــاه انظر جامع التواريخ م٢ جه ص/ ٤١ ـ ٥٣ .

(٢) ابن خلكان ـ وفيات الاعيان ٧٩/١،زامباور ـ معجم الاسرات ص/ ٣٤٣ .

(٣) سبط ابن الجوزى ـ مرآة الزمان ص/ ٢٤٨، البندارى ـ دولـــة آل سلجوق ص/ ٢٤ .

(٤) عبدالنعيم حسنين ـ سلاجقة ايران والعراق ص/ ١٦١ .

ويحتم عليهم بالايفعلوا من الاعمال الا بعد موافقته[(١)] .

وكان (نظام الملك) الوزير قد شغل منصب الحاجب ايام كورخان قبل ان ينتقل الى خوارزم ،وكان لقبه القديم " الوزير الحاجب "[(٢)] .

ثم اطلق على كبير الحجاب لقب "حاجب بزرك" اى الحاجب الاعظم او الكبير وكان بحكم منصبه يشرف على جميع مايتعلق ببلاط السلطنة كما كان نفوذه كبيرا لاتصاله المباشر بالسلطان والوزير . وكان نفوذه احيانا يصل الى درجة التدخل فى شئون الدولة المختلفة . وكثيرا ماكان الحجاب يستبدون بامور الدولة . وكان من شدة نفوذ الحاجب ان اصحاب الدواوين يتقربون منه . ونظرا لاهمية المنصب فان مدى نجاح الحاجب كان يعد دليلا على مدى نجاح سياسة السلطان السلجوقى وهذا ماعناه الراوندى بقوله "حقيق على كل ملك ان يتفقد حاجبه لانه دليل سياسته"[(٣)] وكثيرا مايصبح الحاجب هدفا لدسائس الوزير اذا زاد نفوذه ،وعظم استبداده بامور الدولة .

---

(١) حسن ابراهيم حسن ـ تاريخ الاسلام ٣٣٥/٤ .

(٢) رشيد الدين ـ جامع التواريخ م٢ جه ص/ ٥٣ .

(٣) الراوندى ـ راحة الصدور ص/ ١٥٩ .

(٤) منصب نائب الامير الحاجب :

حيث ان الامير الحاجب كما قدمنا هو المشرف على سير الامور في بلاط السلطنة السلجوقية ،وهو حلقة الاتصال بينه وبين الوزير من جهة وبينه وبين الرعية من جهة اخرى. وحيث ان الامير الحاجب الكبير كثير التجوال في انحاء السلطنة يحمل رسائل السلطان الى الامراء والاتابكة او يقود الجيوش او يتولى المسؤوليات الكبرى الجسام وفق ارادة السلطان فقد كان من الضروري ان ينيب عنه في ادارة السلطنة من يتولى القيام بوظيفته عند غيابه او انشغاله ،كما يتولى مساعدته وعونه في حضوره (١). ومع ان المصادر لاتقدم تفصيلات عن اختصاصات نائب السلطان ولا المواصفات المطلوبة في من يرشح لتولي هذا المنصب ،فان من المتوقع ان يتولى جميع اختصاصات الحاجب عند غيابه ،ويقوم بمعاونته والاسهام في تصريف الاعمال تبعا لرأيه في حالة وجوده. اما الصفات التي ينبغي توفرها فيه فلعلها نفس المواصفات المطلوبة في الحاجب وذلك لخطورة المنصب وكبير اثره في الادارة السلجوقية (٢).

---

(١) اورد الراوندي في راحة الصدور ص/ ٢٥٩ مايشير الى وجود منصب النائب حتى في المرحلة المبكرة من نشأة السلطنة.

(٢) الراوندي ـ راحة الصدور ص/ ٢٥٩،وانظر حسين امين ـ تاريخ العراق ص/ ١٨٣،احمد حلمي ـ السلاجقة ص/ ٢١٢.

(٥) الوزيـــــــر :

ان هذا اللقب لم يكن بالشيء المستحدث بل هو قديم قدم الامـــــم ويعود تاريخه الى عهد موسى عليه السلام ،قال تعالى حكاية عنموســـــى عليه السلام : " واجعل لى وزيرا مناهلى هرون اخى اشدد به ازرى واشركـــه فى امرى" الآية[١] ٠

وذلك هو الدليل الحاسم على قدم هذا المنصب ٠ ولاهمية هذا المنصب جعله ابن الجوزى فى المرتبة الثالثة من منازل الادميين " واشرف منـــازل الادميين النبوة ثم الخلافة ثم الوزارة "[٢] ٠ وجدير بالذكر ان منصـــــب الوزير فى الادارة الاسلامية قد استحدث بعد انتصار المسودة العباسيـــة على قوات الامويين فى العراق ،وقبيل مبايعة الخليفة العباســــى الاول ،وقد حصل تطور كبير فى منصب الوزير واختصاصاته خلال العصـــــر العباسى الاول والثانى ٠ انتهى قبيل وصول البويهيين الى السلطـــــة بابطال امرها ٠

وفى سنة (٣٣٤هـ/٩٤٦م) سيطر بنو بويه على الخلافة واستبدوا بالحكـــم وزال منصب وزير الخليفة ذلك انه اقتصر على كاتب يدبر اموره[٣] ٠ امـــــا

---

(١) سورة طه آية (٢٩) ٠

(٢) ابن الجوزى ـ تحفة الالباء ورقة / ٦٥ أ ٠

(٣) ابن الاثير ـ الكامل ٣١٤/٦ ٠

الوزارة فقد اصبحت تابعة للامير البويهى المتغلب .(١)

ولقد عاد نظام الوزارة الى الظهور والفاعلية بعد سنة (٤٤٧هـ/١٠٥٥م) بعد دخول السلاجقة بغداد حيث عين الخليفة القائم بامر الله العباسى الوزراء ومنهم الوزير فخر الدولة محمد بن جهير وزيرا للخلافة .(٢)

والذى يعنينا فى هذا المجال هو متابعة تطور الوزارة فى السلطنة السلجوقية ،وقد كان يطلق على متولى هذه الوظيفة اسماء عديدة فقد عرف باسم السيد الكبير :(خواجه بزرك) والصدر،والدستور،والوزير .

ووظيفة الوزير من اعلا مناصب الدولة(٣) . بعد السلطنة ،فالوزير يأتى مباشرة بعد السلطان فى الادارة . وكانت الامور الادارية موزعة بين خمسة افراد تكون فى يدهم امور ادارة المملكة . وانه ليس هناك فارق بينهم عند عرض الموضوعات لكنه كان يعامل كل منهم طبقا لمرتبة واهمية ديوانه وهم على حسب ترتيب اهميتهم "الصدارة ،والوزارة الاستيفاء، الطغراء، الاشراف ،وعرض الجيوش(٤)" .

والوزير فى الدولة السلجوقية له مكانة خاصة عند السلطان وقد نص الراوندى على انه "حقيق على كل ملك ان يتفقد وزيره ..... فان

---

(١) ابن طقطقا ـ الفخرى ص/ ٢٨٨ .

(٢) ن . م . س ص/ ٢٨٨ .

(٣) عباس اقبال ـ الوزارة ص/ ٢٢ .

(٤) عباس اقبال ـ الوزارة ص/ ٢٢ .

وزيره قوام ملكه "[١] .

ولذلك يعد هذا المنصب من اهم المناصب فى هذه الدولة ،لان مهمة صاحب هذا المنصب الاشراف على جميع ادارة اعمال الدولة ،فيخضع له ديوان الاستيفاء ،وديوان الاشراف ،وديوان الاوقاف ،وديوان الانشاء وقد الغى السلاجقة ديوان البريد رغم اهميته[٢] . ولقد بلغ الوزير السلجوقى درجة كبيرة من القوة والنفوذ حتى انه اصبح يقارع وزير الخليفة بل يلعب دورا كبيرا فى تعيين وزير الخليفة[٣] ،وفى بعض الاحيان كان السلطان يخشى على نفسه من ان يعزله الوزير[٤] .

ان الدراسة الدقيقة لطبيعة منصب الوزير السلجوقى تكشف عن وجود جوانب تشابه وجوانب اختلاف مع وظيفة الوزير السلجوقى . وذلك ناجم فى تصورى عن الاختلاف الكبير فى طبيعة تشكيل السلطنة السلجوقية عن الخلافة العباسية ،وكذلك اختلاف النظم الخاصة بالحكم والادارة فلقد كان الوزير السلجوقى يشرف على جميع مرافق الدولة وهو يقدم النصيحة والمشورة للسلطان السلجوقى وهو عونه ومساعده فى كل الامور . وفى بعض

---

(١) الراوندى - راحة الصدور ص/ ١٥٩ .

(٢) عبدالنعيم حسنين - سلاجقة ايران والعراق ص/ ١٥٩ (نقلها عن جهار مقالة ص/ ٢٣ - ٢٤) .

(٣) هذا ماسيعرض له البحث فى الفصل الرابع .

(٤) عبدالنعيم حسنين - سلاجقة ايران والعراق ص/ ٢١٠ .

الاحيان يتولى الوزير تصريف امور السلطنة بكاملها ،تاركا السلطان متفرغا لاولاعه وهواياته .(١) فى حين كان بعض الوزراء يتولون مناصبهم لغرض تنفيذ اوامر السلطان بدقة وامانة . وهذه المواصفات فى مجموعها تذكرنا بمنصب الوزير العباسى وتطوره .(٢) غير ان الصورة لم تكن متطابقة على الدوام ،فقد كان للمرشح لمنصب الوزارة السلجوقية ان يضع شروطا يبرمها مع السلطان . ويتولى المرشح صياغة المرسوم وتثبيت الشروط التى تم التوصل اليها بالتفاوض بين الطرفين .(٣)

وقد منح السلاطين السلاجقة القابا خاصة لوزرائهم تقديرا لكفايتهم ومكانتهم فاختاروا لوزرائهم القابا اضافوها الى لقب (الملك) الذى تسموا به ،مثل (شرف الملك) و(عميد الملك)و(نظام الملك) و(كمال الملك) و(شمس الملك) و(فخر الملك) وكان عميد الملك منصور بن محمد الكندرى هو اول وزير اضيف اليه التشريف ولقب بـ (عميد الملك) فى عهد السلطان طغرلبك فى حين ان نظام الملك شرف باكثر من لقب فكان يعرف فى عهد السلطان الب ارسلان بـ (نظام الملك خواجه بزرك)(٤)

---

(١) كما حصل فى وزارة نظام الملك للسلطان ملكشاه .

(٢) على مثال وزارة التفويض ووزارة التنفيذ فى الادارة العباسية خلال العصر العباسى الاول .

(٣) القلقشندى ـ صبح الاعشى ١/١١٠ ، البيهقى ـ تاريخ ص/ ٢٩٧ .

(٤) ابن الجوزى ـ المنتظم ٤٣٥/٨ ، ابن القلانس ـ ذيل تاريخ دمشق ص/ ١٢١ .

ومن الالقاب التى منحت لنظام الملك "الوزير العالم العادل" و "الكبير" و"الصاحب العظيم" و "تاج الحضرتين" و"نظام الملك" و"الاتابك" و"الاتاخواجه" واللقب الاخير كان قد اختص به الامراء قبله ،وقد اضافه السلطان الب ارسلان الى نظام الملك حين فوض اليه الامور كلها بعد معركة ملاذجرد،كذلك لقب ب "قوام الدين" و"رضى اميرالمؤمنين" وهما من الالقاب التى ظفر بها الوزير السلجوقى نظام الملك من الخليفة المقتدى بامر الله مكافأة له عن دفاعه عن نظام الخلافة [١] .

اما السلطان ملكشاه فقد خلع عليه لقب "اتابك الجيوش" [٢] . وان اضافة الالقاب الى الوزراء لم يكن بالشئ الجديد الذى استحدثه السلاجقة بل سبقهم فى ذلك البويهيون وقد تميزت القاب وزرائهم باضافة "الدين" و"الدولة " و"الملك" [٣] . وقد استعمل الخلفاء العباسيون القابا لوزرائهم كـ "ظهير الدين" و"جلال الملك" و"عميدالملك" و"مؤيد الملك". والراجح ان العباسيين قد تأثروا خلال فترة التغلب السلجوقى بتقاليد الوزارة السلجوقية حين لقبوا وزرائهم بتلك الالقاب. ولعلهم كانوا مدفوعين بالحرص على الارتفاع بمستوى وزرائهم الى مستوى الوزير السلجوقى اومايتجاوز بهم ذلك وخصوصا بعد استخدامهم القاب معين الدين وشهاب

---

(١) نظام الملك ـ سياسة نامه ص/ ١٩٤ .

(٢) ابن الاثير ـ الكامل ١١٥/٨، ابن كثير ـ البداية ١٦/١٢ .

(٣) حسن الباشا ـ الالقاب ص/ ٦٢ .

الدين مما اضاف للوزير مكانة دينية اضافة الى التشريف باللقب الادارى الدنيوى ٠

ولم تكن الالقاب مقصورة على الوزراء،بل شملت كثيرا من اعيان الدولة ٠ ولكن بالفاظ اخرى ،فكان السلاجقة يحرصون على منح الالقاب لمن يبرز فى خدمتهم غير انهم لم يسرفوا فى منحها فهى لاتمنح لكل طالب راغب ،بل انها تمنح لمن يستحقها فعلا ٠ (١) من كبار رجال الدولة وبما يتلاءم هذا اللقب مع مرتبتى الفرد وقدرته ٠

ونظرا لسعة اختصاصات الوزير فى الدولة السلجوقية فقد ظهر منصب جديد فى السلطنة وهو منصب نائب الوزير ،وهذا المنصب قد يكون ثابتا مستقرا وذلك يعنى بانه يوجد منصب يعرف "نائب الوزير" (٢) ٠ وقد يكون المنصب موقتا تقتضيه الضرورة ،وماهو الا بديل موقت ،فمثلا عندما يعزل السلطان وزيره لاى سبب كان فانه قد يعهد الى قاضى القضاة او نقيب النقباء بالقيام باعمال الوزير الى جانب عمله وتستمر سلطات نائب الوزير فى الحالة هذه الى حين اختيار السلطان لوزيره الجديد واصدار مرسوم تكليفه (٣) ٠ والغاية من ذلك ان تستمر السلطة دون تعطيل او خلل

---

(١) نظام الملك ـ سياسة نامه ص/ ١٩٥،ابو شامه ـ كتاب الروضتين ٢٤/١٠

(٢) عباس اقبال ـ الوزارة ص/ ٢٣ ٠

(٣) ابن الجوزى ـ المنتظم ٢١٨/٩،ابن الاثير ـ الكامل ٠ ١٠/ ٥٣٦،١٣،٥٣٧ ٠

خلال الفترة التى يحتاج اليها السلطان لاختيار البديل المناسب عن الوزير المعزول . وفى الوقت نفسه فان تكليف احد كبار رجال السلطنة باعمال الوزير بالنيابة ضمان لعدم افشاء اسرار السلطنة لاعدائها، اضافة الى انه عند اعفائه من نيابة الوزارة فانه لاتتأثر وظيفته الاساسية التى يواصل العمل فيها كالسابق ،وكان ممن شغل منصب نيابة الوزارة على هذه الشاكلة ابو سعد العلاء بن الحسن بن موصلايا ، الذى كان فى الوقت ذاته كاتبا للانشاء (١) . وعز الدين احمد بن ماجد الاصبهانى الذى كان يشغل رئيس ديوان الاستيفاء فى الدولة السلجوقية (٢) .

وبما ان الوزير السلجوقى يتقلد منصبا مهما من مناصب الدولة فانه من البدهى ان يتقاضى راتبا مناسبا . هذا فى الوقت الذى كان فيه بعض الوزراء العباسيين فى هذه الفترة لايهمه ان يتقاضى راتبا بقدر مايهمه ان يتقلد منصب الوزارة ،حيث ان اغلبهم من اهل الثروة واليسار فقد كان الوزير ابو الفتح منصور بن احمد بن دارست وزير الخليفة القائم بامر الله يخدم بغير اقطاع (٣) . وبعضهم كان يملك اموالا كثيرة حينما تولى الوزارة ،مثل الوزير ظهير الدين ابى شجاع الروذراورى الذى

---

(١) ابن الجوزى ــ المنتظم ١٤١/٩، ابن ميسر ــ اخبار مصر ٩٩/٢، البندارى آل سلجوق ص/ ٧٨، الاصبهانى ــ خريدة القصر ٩٠/١ .

(٢) البندارى ــ م . س ص/ ٧٨ .

(٣) البندارى ــ آل سلجوق ص/ ٢٤، ابن الاثير ــ الكامل ٩٠/٨ .

تقلد الوزارة سنة (٤٧٦هـ/١٠٨٣م) (١) كان يملك مايقارب ستمائة الف دينار في حين كانت صدقات ابى شجاع ظهير الدين محمد بن الحسين الهمداني الخاصة في وجوه البر قد قدرت بمائة وعشرين الف دينار (٢) . وقيل ان راتب الوزير العباسي في العصر السلجوقي قد بلغ مائة الف دينار في السنة (٣) .

اما الوزير السلجوقي فتشير المصادر الى انه كان يخصص له نسبة العشر من جميع واردات الدولة والاقطاعات (٤) . وهكذا فقد كان الوزير نظام الملك مثلا وهو من ابرز وزراء الفترة موضوع البحث يتقاضى اضافة الى حصته من واردات السلطنة السلجوقية دخلا اضافيا كبيرا من الاقطاعات الممنوحة له ، فلقد اقطعه السلطان ملكشاه مثلا اقطاعات جليلة متعددة من بينها ايرادات السلطنة من مدينة طوس (٥) .

---

(١) ابن الجوزي – المنتظم ٩/٩٠، سبط ابن الجوزي – مرآة الزمان ص/ ٢٢٤، ابن كثير – البداية ١٢/١٥٠ .

(٢) ابن طقطقا – الفخري ص/ ٢٩٧ .

(٣) ابن واصل – تاريخ الواصليين (مخطوطة) ١/٧ . في حين كان الوزراء العباسيون في العهد البويهي يتقاضون رواتب شهرية ، لقد بلغ راتب الوزير في بداية القرن الخامس الهجري ، خمسة آلاف دينار في الشهر وخمسمائة دينار لكل ولد من اولاده (الصابي – تاريخ الوزراء ص/ ٨٥، ٨٩) ويذكر الصابي ايضا ان الراتب الشهري لابناء الوزير يصل الف دينار (ن . م . س ص/ ٣٧٨) .

(٤) ابن الاثير – الكامل ١٠/١٣١، القزويني – آثار البلاد واخبار العباد ص/ ٤١٢ .

(٥) ن . م . س ١٠/٨٠ .

Lambton, Landlord and Peasantin Persia P. 44 .

وكان لنائب الوزير راتبا رمزيا ينقص كثيرا عن راتب الوزير ،هـذا الى جانب راتبه الذى يتقاضاه من وظيفته الاساسية (١) .

اما الاشخاص الذين تقلدوا الوزارة فى السلطنة السلجوقية فى عهد السلاجقة العظام فهم ابو الفتح الرازى الذى كانت وزارته سنة (٤٣٤هـ/١٠٤٢م) (٢) .

ثم تقلد الوزارة ابو القاسم الكوبانى (٣) ،وكانت وزارته سنة (٤٣٦هـ/١٠٤٤م) ويوصف بانه كان وزيرا للسلاجقة ومدبر امورهم ومنفذ اوامرهم ،وهو الذى حمل الرسالة التى كتبها السلاجقة الى الخليفة القائم بامر الله فى اول اتصال لهم بالخلافة (٤) . ويذكر ابن الاثير فى حوادث سنة ٤٣٦هـ ان اسمه ابو القاسم على بن عبدالله الجوينى ،وهو اول وزير استوزره السلطان طغرلبك (٥) . ثم وزر بعده رئيس الرؤساء ابو عبدالله الحسين بن على بن ميكائيل (٦) . وزر له بعده ابو محمد الحسن

---

(١) ابن الاثير – الكامل ١٠/٨٠ .

(٢) عباس اقبال – الوزارة ص/ ٣٧ .

(٣) ويعرف بلقب "سالار بوزرگان ابى القاسم الكوبى" انظر الراوندى راحة الصدور ص/ ١٥٩ . رشيد الدين – جامع التواريخ م٢ جه ص/ ٢٥ البيهقى – تاريخ ص/ ٦٧٨

(٤) الراوندى – راحة الصدور ص/ ١٦٧ .

(٥) ابن الاثير – الكامل ٨/٤٠ ،ويذكر زامباور فى معجم الانساب (نفس الاسم الذى ذكر ابن الاثير ،ويجعله فى حوادث سنة ٤٣٥هـ) ص/ ٣٣٨ .

(٦) ابن الاثير – الكامل ٨/٤٠ .

ابن محمد الدهستان وهواول من لقب بنظام الملك[١].

ثم وزر للسلطان طغرلبك بعد ذلك الوزير عميد الملك ابو نصر منصور بن محمد الكندرى وكانت وزارته من سنة (٤٤٨هـ/١٠٥٦م) حتى سنة (٤٥٥هـ/١٠٦٣م) اى حتى وفاة طغرلبك[٢]. ويعد عميد الملك من اشهر وزراء طغرلبك ،وقد لقبه ب "سيد الوزراء" اضافة الى لقب عميد الملك"[٣].

وممن تقلد منصب الوزير فى عهد السلطان الب ارسلان الوزير ابو على ابن شاذان[٤] ،ثم بعد ذلك وزر نظام الملك بعد ان اوصى الوزير ابن شاذان حين وفاته فقد اوصى به عند السلطان الب ارسلان ،فعينه فى مكانه حيث استمر يتقلد منصب الوزارة مايقارب ثلاثين عاما ،ولم يتبوأ منزلته الحقيقية الابعد مقتل السلطان الب ارسلان سنة (٤٦٥هـ/١٠٧٣م) واعتلاء ملكشاه العرش، واستمر فى تولى وزارة ملكشاه حتى اغتياله .

---

(١) ن . م . س ٨/٤٠، الباخرزى – دمية القصر ٢/٢٣٤، السبكى – طبقات ٣/١٣٦، يتضح من هذا النص ان هناك وزيرا يعرف بنظام الملك غير وزير الب ارسلان وملكشاه وهو المشهور ب "نظام الملك" .

(٢) ابن الاثير – الكامل ٨/٩٥، عباس اقبال – الوزارة ص/ ٣٧ .

(٣) سبط ابن الجوزى – مرآة الزمان ص/ ٧٢ . ويضيف المؤرخ رشيد الدين فى كتابه جامع التواريخ م٢ جه ص/ ٢٩، بان السالار ابا القاسم البوزجانى تقلد وزارة طغرلبك وجعل ترتيبه قبل ابى القاسم الكرمانى وممن تقلد منصب الوزارة احمد الدهستانى .

(٤) السبكى – طبقات الشافعية ٣/١٣٦ .

ومما يمكن ملاحظته فى فترة حكم السلاطين العظام ،ان اختيار الوزير كان يتم من بين وجهاء المثقفين ممن اشتهروا بالعلم والالمام الجيد بتواريخ الملوك وسيرهم ،وممن تميزوا بالالتزام بالشريعة الاسلامية واخلاق المسلمين الفاضلة .

وعلى الرغم من محاولة البعض تعليل ذلك بانه ناجم عن احساس السلطان بحاجته الماسة الى ذلك نتيجة بداوته وانشغاله بالحروب والقضاء على الخصوم ،فان الذى يعنينا هنا هو حقيقة ان السلطان كان له وزير فى مقابل وزير الخليفة العباسى . وان وزير السلطان كان هو صاحب اليد العليا والنفوذ الواسع والسلطة الكبرى وخصوصا فى فترة البحث حيث انه يستمد قوته ونفوذه من قوة ونفوذ سلطانه وهيمنته كما يمكن ان نلاحظ ان الوزير السلجوقى بدأ يفرض آرائه وتوجيهاته على الخلافة من خلال تفرده بادارة شئون السلطنة وتأثيره الكبير على السلطان السلجوقى وربما يتضح ذلك بشكل كبير فى نجاح الوزير نظام الملك فى تنفيذ رغبته فى عزل الوزير العباسى سنة (٤٨٤هـ/١٠٩١م) وتعيين صهره ابن جهير بديلا عنه ،ثم نجاحه مرة اخرى فى الغاء قرار الخليفة بعزل ابن جهير وفى اعادته ثانية الى منصب الوزارة العباسية (١) .

---

(١) ابن الجوزى ـ المنتظم ٥٦/٩ .

(٦) امـــراء الاقاليـــم :

يعد هذا المنصب من المناصب الادارية المهمة فى الدولة السلجوقيـة التى استطاعت ان تفرض سيطرتها على مساحات واسعة مـــن اراضـــى الدولة الاسلامية وغيرها . ولكى تبقى هذه المساحة الواسعة الاجـــزاء متماسكة ،فانه لابد من تقسيمها الى اقاليم يعين على كل منها امـــراء يوثق باخلاصهم وولائهم . لذلك فقد عول السلاجقة على ان يكون حكـــام الاقاليم التى يتم فتحها من اقاربهم ،وذلك لتقوية ارتباط الحاكميـــن بالسلطان ولايجاد نوع من المركزية (١) . بل نجد ان هذه السمة عند الاتـــراك عامة ،فعندما هزم السلاجقة الغزنويين قسموا مافتحوه فيما بينهـــم فكان فكان نصيب جغرى بك المنطقة الواقعة مابين مدينة نيسابور حتـــى نهر جيحون وماوراء النهر وقد ضم اليها بخارى وبلغ وخوارزم . وكانـــت قهستان وجرجان من نصيب ابراهيم بن ينال اخى طغرلبك لامه . وكان نصيـــب ابى على حسن بن موسى بن سلجوق ،ابن عم طغرلبك وبيغو وجغرى هـــراة وبوشنك وسجستان وبلاد الغور ،اما الجزء الاكبر من خراســـان والعـــراق والسلطنة على كل الولايات فقد كانت من نصيب السلطان طغرلبك (٢) . وقـــد سلم طغرلبك منطقة سفانا وقلعة العين الى انوشروان ابن زوجته (٣) . امـــا

---

(١) احمد توفيق - بيوك تاريخ عمومى ٢٧٤/٢ .

(٢) عباس اقبال - الوزارة فى عهد سلاطين السلاجقة ص/ ١٥ .

(٣) ابن الجوزى - مرآة الزمان م/ ٢٨ .

السلطان ملكشاه فانه عمل على تفويض امارة بلخ وطبرستان الى اخيه "شهاب الدولة الملك تكش" [١] . وكذلك وضع الملك ركن الدين سليمان بن قطلمش بن اسرائيل بن سلجوق على القوفية واقسرا وقيصرية [٢] . ومن بين هؤلاء الامراء من كان السلاجقة يعتمدون عليهم فى ادارة الاقاليم وهم اشخاص يتمتعون بثقتهم ومعرفتهم ،فقد عهد الى ابناء نظام الملك بتولى ادارة اغلب الامور الادارية والعسكرية فى العديد من الاقاليم .

وقد اوجد السلاجقة نمطا خاصا من انماط التعاقد على ادارة بعض الاقاليم حيث انهم يعينون بعض الامراء الذين يلتزمون بتحمل كافة نفقات الاقليم على ان يحمل فى كل سنة من الواردات مبلغا معلوما يوصله الى خزينة السلطان السلجوقى .

ومن ابرز الامثلة على ذلك امير الشام تسز بن اوق الخوارزمى فقد حصل ان طلب السلطان ملكشاه من اخيه تتش ان يحارب الخوارزمى هذا . ولكن الاخير ما ان علم بالامر حتى بادر وكتب الى السلطان ملكشاه رسالة ورد فيها قوله :" مافعلت فعلا يقتضى انفاذ الامير تتش نحوى فاننى العبد الطائع وانا نائب هذه البلاد عن السلطان . ما اخذ منها غفير،ما اصرفه فى مؤنتى والجند الذين معى،وانا احمل كل سنة الى الخزانة ثلاثين الف دينار" [٣] . وهكذا فقد كان الامراء خدما

---

(١) الحسينى ـ اخبار الدولة السلجوقية ص/ ٥٨ .

(٢) الحسينى ـ اخبار الدولة السلجوقية ص/٧٢ .

(٣) سبط ابن الجوزى ـ مرآة الزمان ص/ ١٩٧ .

مطيعين ينوبون فى اقاليمهم عن السلطان ،يصرفون على انفسهم وجندهم ويرسلون الباقى معلوما الى السلطان سنويا ونتيجة لذلك فقد كتب السلطان ملكشاه الى تتش "الايتعرض الى الشام الاعلى" (١) . وهذا الاسلوب الادارى الذى اتبعه السلاجقة فى اختيار امراء الاقاليم ،جعل هذه الدولة متماسكة الاطراف ،لذلك فانه لم تظهر بها اية محاولة من جانب الافراد لانتزاع السلطة من الاسرة المالكة (٢) .

---

(١) ن . م . س ص/ ١٩٧ .

(٢) باستثناء ماذكرته تاماراريس عن حادثة واحدة معينة دون ان توضح فى ذلك مصادر معلوماتها . انظر كتابها السلاجقة ص/ ٩٩ .

(٧) الطغرائى او (منصب الطغراء) :

تعد هذه الوظيفة من الوظائف المهمة فى الدولة السلجوقية والطغراء فى الاصل كما يذكر اردشير انها علامة ترسم على مناشير السلطان ومسكوكاته يدرج فيها اسمه وهى فارسية (١) . واول من استعمل هذه الاشارة او الرموز هو السلطان ملكشاه (٢) . وصانع هذه الاشارة يعرف ب"طغراء حكمت" حيث يقوم الخطاطون برسم الطغراء فى اعلى صحائف الورق ،وتستعمل هذه الاوراق فى المراسلات الرسمية ،واصبحت الاوراق التى لاتحمل هذا الشعار غير ذات جدوى اذ لاتعد وثائق رسمية . وتصميم الطغراء يختلف باختلاف السلاطين (٣) .

وقد تضمنت المؤسسات الادارية السلجوقية نشأة عدد من الدواوين من بينها ديوان الطغراء وهو ماسنتعرض له فى الفقرة التالية عند حديثنا عن الدواوين فى السلطنة السلجوقية . والذى يعنينا هنا هو ان من يتقلد رئاسة هذا الديوان يعرف بلقب "الطغرائى" ويعد صاحب الوظيفة من بين الموظفين الكبار الخمسة المهيمنين على ادارة الدولة السلجوقية والذين يعهد اليهم مهام تسيير الامور الادارية فى السلطنة

---

(١) الاردشير ـ الالفاظ الفارسية ص/ ١١٣ .

(٢) تاماراريس ـ السلاجقة ص/ ١٥٥ .

(٣) المصدر السابق نفسه ص/ ١٥٥ (يطلق الغربيون على الطغرا كلمة Crest التى تعنى فى نفس الوقت راس الطير) المترجمان ص/ ١٥٦ .

ويضعه عباس اقبال فى المرتبة الثالثة بعد الصدارة والاستيفاء" [1] . ويذكر ايضا بانه يتولى وظيفة وزير السلطان موقتا عندما يكون السلطان خارج العاصمة حيث يقوم احيانا برحلات الصيد والقنص اذا لم يرافقه وزيره "خواجه برزك" اما اذا رافقه فى رحلته الوزير فقد يعهد للطغرائى بصلاحيات الوزير فى العاصمة طيلة فترة مرافقته السلطان [2] . وكثيرا مايعهد للطغرائى بنيابة الوزارة [3] .

ونظرا لاهمية هذه الوظيفة ،فقد جعل للطغرائى نائبا ينوب عنه فى تصريف اعمال وظيفته فى العاصمة حينما يكون الطغرائى فى صحبة السلطان [4] .

ان متقلد وظيفة الطغرائى يجب ان تتوفر فيه مميزات خاصة منها ان يكون حسن التدبير ،والايصدر رأيه الا بعد ان يعمل رأيه وفكره لكى يضمن الوصول الى الرأى الصائب وان يكون على درجة عالية من الثقافة والمعرفة وان يتمتع بشخصية قوية وان يكون محاطا بالجاه والمال والدهاء ،وان تتم له المعرفة الكاملة باختصاصاته الواسعة الدقيقة وان يكون متفرغا تمام التفرغ لعمله . وان يحافظ بامانة

---

(١) عباس اقبال – الوزارة ص/ ٢٢ .

(٢) البندارى – آل سلجوق ص/ ٩٢ .

(٣) عباس اقبال – الوزارة ص/ ٢٩ .

(٤) ن . م . س ص/ ٢٩ .

على المراسيم والشروط التى تتضمنها تقاليد الادارة السلجوقية[(١)] .

ويتولى الطغرائى حمل اختام السلطنة واستصدار الاوامر السلطانية على اوراق رسمية موشحة بالشعار "الطغراء" وبالختم السلطانى وهو فوق ذلك قد عهد اليه "زمام الامر والنهى والحل والعقد لمهمات الملك ومصالح الدين والدولة ليدير ذلك كله بكفايته وفضله وفطنته ،وبما عهد فيه وماعرف به ،فيتم التنظيم والترتيب برأيه الصائب الذى توجبه كليات مصالح الممالك حرسها الله ... ويتولى تعيين وجوه الارزاق ورواتب الخدم والحشم[(٢)]" .

ومما يدل على المكانة العالية والمرموقة التى يتمتع بها الطغرائى ،ان تقاليد السلاجقة وقوانينهم تلزم الوزراء والامراء والرؤساء والاعيان والوجوه والمشاهير وجميع الحشم والخدم ،والناس على مختلف طبقاتهم عد احترامه امرا واجبا وان يولوه العناية الشاملة وان يعدوا اجلاله وتوقيره من الامور الملزمة بموجب امر السلطان السلجوقى الذى نص عليه فى مرسوم تعيينه حيث ورد فيه "اعتباره الطغرائى المنتخب من قبلنا للعمل فيعنوا به عناية شاملة ويعدوا احتشامه وتقديره وتكريمه من الامور الواجبة ،وعلى هذا فليهجوا ويعملوا ويعتمدوا[(٣)]" .

---

(١) البندارى - آل سلجوق ص/ ٥٦،حسين امين - تاريخ العراق فى العصر السلجوقى ص/ ١٩٥،نظام الحكم فى العصر السلجوقى - مجلة سومر م ٢١،ج ١ ، ٢ ص/ ٢١٧ .

(٢) عباس اقبال - الوزارة ص/ ٢٩ ، ٣٠ .

(٣) ن . م . س ص/ ٢٩ ، ٣٠ .

ويمكن ان تتضح اهمية منصب الطغرائى من خلال ماتذكره بعض المصادر عن استيزار بعض الوزراء السلاجقة بعد ان جرى اختبار كفاءتهم ومدى كفايتهم بتوليتهم منصب الطغرائى اولا قبل تكليفهم بمهام الصدارة او الوزارة (١) .

---

(١) البندارى – آل سلجوق ص/ ١٧٨ .

(٨) المستوفـــــى :

وتعد وظيفة المستوفى من الوظائف المهمة فى ادارة الناحية المالية للسلطنة السلجوقية ويعد صاحبها من الاقطاب الخمسة التى تقوم عليهـم الادارة السلجوقية وهو يأتى فى الاهمية بعد مقام "خواجة بزرك" (السيـد الكبير) ،لانه المسئول عن الشئون المالية والحسابات ويقوم بضبـط الاموال سواء كانت للجيش او الدولة ولهذا المستوفى ديوان يعرف بديـوان الاستيفـاء.(٢)

وان الشخص الذى يرشح لمنصب المستوفى يجب ان تتوفر فيه العدالـة لان بين يديه اموال الدولة ،وان يكون من المعروفين بحسن السيرة ومخافة الله وتقواه ،بالاضافة الى ان يكون ملما الماما تاما بالنواحـى المالية ،وان يكون له خبرة واسعة باسرار المعاملات واساليبهـا وان يكون صاحب رأى وتدبير وجاه ودهاء ،ومعدن الفضل والعطاء.(٣) وان يكون من المعروفين من ذوى الكفاية والقابلية والخبرة التامة بالرسـوم واصولها وبآداب خدمة السلطان "ذا قلم وحكم موصوفين بالعدل وشاهـد صدق معروف يحسن الفصل بين الحق والباطل،واهل للقيام بانجاز المصالـح والامور السلطانية ليناط به حفظ اموال الدولة"(٤) .

---

(١) عباس اقبال ـ الوزارة ص/ ٢٢ .

(٢) سوف نتعرض له فيما بعد عند الكلام عن الدواوين .

(٣) البندارى ـ دولة آل سلجوق ص/ ٢٢ .

(٤) اقبال ـ الوزارة ص/ ٢٦ .

ويقسم القلقشندى وظيفة المستوفى الى : مستوفى اصل ،ومستوفى مباشرة فى اقليم معين ويشير الى ان لكل منهما اعمالا خاصة تناط به [١] ويستفاد من نص مرسوم بتعيين مستوفى نشر عباس اقبال [٢]. بان مستوفى الاصل ينبغى ان يتخذ الحيطة والحذر ودقة النظر فى التدابير وان يقوم "بضبط اموال المملكة التى تتعلق بها مصالح الجيش المنصور وادارة الديوان المعمور وماتقوم عليه قواعد نظام الملك من الاستقامة والعدل بين الجيش والاشتقاق والعدل بين الرعية وضبط اموال المملكة والعمل على حفظها . وان شاغل هذا المنصب يجب ان يكون شخصا معروفا بحسن السيرة والسداد ،ومن حيث الديانة يجب ان يكون من المتفق على تقواه عارفا با ساليب المعاملات لايفوته ضبط الجزء من حسابها ،موصوفا بانواع من القابليات والكفايات والخبرة التامة بالرسوم واصولها وبادارة خدمة السلطان ذو علم وحكم موصوفين بالعدل وشاهد صدق معروف بحسن الفصل بين الحق والباطل واهل للقيام بانجاز المصالح والامور السلطانية وحفظ اموال الديوان " [٣]. وقد فصل النص فى دقائق اعمال مستوفى المملكة فى الديوان مما سنتعرض له فى موضعه عند الحديث عن ديوان الاستيفاء .

---

(١) القلقشندى ـ صبح الاعشى ٥/٥٦٦ .

(٢) اقبال ـ م . س ص/ ٢٧،٢٦ .

(٣) عباس اقبال ـ الوزارة ص/ ٢٧،٢٦ .

اما المستوفى المباشر لاقليم معين فتشمل اعماله استيفاء اعمال منطقته "من المدن والقرى والنواحى واطراف القصبات من الاملاك والاموال والضرائب" [١] . وانه ينوب عن السلطنة "فى الاستيفاء واستقباله المعاملات والارتفاعات" [٢] .

وعلى كل حال فان اختيار السلطان لشخص المستوفى وتكليفه يقتضى ان يصدر عن ديوان السلطان مرسوم بتعيينه سواء كان التعيين مستوفيا عاما للسلطنة او مستوفيا مباشرا لاعمال اقليم معين او مدينة محددة [٣] .

ومن عظيم ثقة السلطان بالمستوفى انه كان يقلد بعضهم اكثر من وظيفة ومثل ذلك ماحصل لشرف الملك ابى سعد المستوفى الخوارزمى [٤] الذى عمل عند السلطان الب ارسلان والسلطان ملكشاه مستوفيا للمملكة

---

(١) عباس اقبال – الوزارة ص/ ٢٨،٢٧ .

(٢) اقبال – م . س ص/ ٢٨،٢٧ .

(٣) ن . م . س ص/ ٢٨،٢٧ .

(٤) شرف الملك ابو سعد محمد بن منصور الخوارزمى . متعصبا لاصحاب ابى حنيفة بنى مدرسة باب الطاق فى اواسط القرن الخامس الهجرى وبنى مدرسة بمرو ووقف فيها الكتب النفيسة ،كذلك بنى الاربطة فى المفاوز ،وبذل للسلطان ملكشاه مائة الف دينار حتى عزله عن الاشراف وتوفى سنة (٤٩٣هـ/١٠٩٩م) .
ابن الجوزى – المنتظم ١٢٨/٩ .

ومتوليا لدواوين الزمام والانشاء والاستيفاء (١) .

ويتولى مستوفى المملكة هذا رياسة اعمال ديوان الاستيفاء الذى يشرف على جميع انحاء المملكة السلجوقية والذى يرتبط به جميع مستوفى المدن الاخرى . ولهذا المستوفى "نائب " له فى ادارة هذا الديوان هذا بالاضافة الى ان هناك مستوفى مباشرة فى كل مدينة من مدن المملكة يعد نائبا عنه فى تلك المدينة . وممن تقلد هذا المنصب شرف الملك ابو سعد محمد بن منصور بن محمد مستوفى ،ويذكر البندارى بأنه لم يتول للسلاجقة احد مثله كرما وخيرا ،وفضلا كثيرا ،وغنى (٢) ،وانه بنى على مشهد ابى حنيفة رضى الله عنه مدرسة لاصحابه (٣) . وكان ذلك عام ٤٥٩هـ حينما دخل بغداد . وقيل كانت له ثلثمائة وستون كسوة مكملة ،مفضلة معزلة على عدد ايام السنة ،من الملابس الفاخرة فيلبس كل يوم مايناسب ايام الفصول الاربعة ،فاذا خلع منها او وهب ،اعاد خازنه الى الخزانة عوض ماذهب (٤) . واما النائب عن شرف الملك فقد كان الاستاذ ابوغالب البراوستانى من اهل قم المعروف بالنجيب الجرباذقانى . وقد تولى بعده الاعز الكامل ابو الفضل اسعد بن محمد بن موسى البراوستانى ،فلم

---

(١) الحسينى ـ زبدة التواريخ ص/ ١٢١ .

(٢) البندارى ـ دولة آل سلجوق ص / ٣٣ .

(٣) ابن الاثير ـ الكامل ١٠٥/٨، ابن الجوزى ـ المنتظم ٢٤٥/٨ .

(٤) البندارى ـ دولة آل سلجوق ص/ ٣٤ .

يزل نائبا الى ان صار استاذا ولقب "بمحمد الملك "[١] بعد شرف الملك[٢] فقد قام ملكشاه بتعديل سائر اصحاب الديوان فاستبدل المستوفى (شرف الملك) بـ (مجد الملك ابى الفضل البقمى) ٠

ويذكر البندارى انه لم يكن لاحد من السلاطين مستوفى كابى الفضل فى الضبط والتحفظ والذكر واليقظة ،وحفظ القوانين ،وتدبير الدواوين[٣] ٠

---

(١) محمد الملك : يذكر البندارى انه (مجد الملك) راحة الصدور ص/ ٢١٠٠

(٢) الراوندى _ راحة الصدور ص/ ٢١٠، البندارى _ آل سلجوق ص/ ٦٢ ٠

(٣) البندارى _ آل سلجوق ص/ ٦٢ ٠

(٩) المشـــرف :

وهى من الوظائف المهمة فى ادارة حسابات السلطنة السلجوقيـــة وتدقيقها ورقابتها،ومتولى هذا المنصب هو متولى ديوان الاشراف[١]. ويشتـرط فى من يرشح لتولى هذه الوظيفة ان يكون معروفا "بالامانة والاحاطـة بالمعاملات المالية ورسومها ،ومعرفة دقائق الامور فى اصول المحاسبـات"[٢] وان "يمتاز بالكفاية والفضل ومعرفة المقتضيات"[٣].

ويتضمن المرسوم الذى يصدر عن ديوان السلطان ذكر الواجبـات والمسئوليات التى يعهد بها الى المشرف وتتضمن عادة "ادارة المعامـلات المالية ووجوه هذه المعاملات وابوابها .. المفروزة فصول نفقاتها عـن فصول رواتب الحشم ونفقاتهم .. والايغفل عن الصغيرة والكبيرة التـى تمر عليه وان يقف وقوفا تاما على الوارد والصادر فلايفوت النقيـر والقطمير من سجلاته ..."[٤].

ان وظيفة المشرف فى الادارة المالية للسلطنة السلجوقية ،تشبـه الى حد كبير وظيفة متولى الزمام فى الادارة العباسية ذلك انه يعنـى بالمحاسبات والاشراف على ضبط الحسابات. ويظهر ان وظيفة المشـرف

---

(١) سوف نفرد لهذا الديوان دراسة مستقلة ضمن البحث عن الدواويـن السلجوقية فيما بعد.

(٢) اقبال ـ م. س ص/ ٣١،٣٢.

(٣) ن. م. س ص/ ٣٢.

(٤) ن. م. س ص/ ٣٢.

مكملة ومرتبطة بوظيفة المستوفى ،كما انهما متشابهتان من حيث وجـــود عدد كبير من النواب يتوزعون على الولايات والاقاليم ويتولى كل منهـــم اعمالا لها اتصال وثيق باعمال الرقابة المالية ٠

ومن الذين تقلدوا هذا المنصب ابوالرضا فضل الله بن محمد كمـــال الدولة بن ابى نصر المتاج بن القاضى احمد الزورنى الذى تولى ديوانـــى الانشاء والاشراف حتى سنة (٤٨٦هـ/١٠٩٣م) ٠ (١)

---

(١) اقبال ـ م ٠ س ص/ ٥٤ ٠

(١٠) الكتــاب :

استعان السلاجقة فى بداية تأسيس حكمهم بعدد كبير من الموظفين الفرس المثقفين ثقافة عامة ،ومع تطور الاوضاع العامة وتأسيس الدواوين ودخول السلاجقة العراق وما اصاب المؤسسات الادارية السلجوقية من تطوير وتأثر وتنوع ترسخ وجود طبقة من الكتاب لعبت دورا مميزا فى ادارة السلطنة . والواقع فان الكتابة كانت من الوظائف المهمة فى الدولة السلجوقية . وكان كاتب الخراج وكاتب الجند ،وكاتب الاشراف والرسائل والاستيفاء من الوظائف المهمة والرئيسية . وقد وصل كتاب الرسائل فى عهد ملكشاه الى مراتب الوزراء[(١)] . ومنهم كمال الدولة ابو الرضا الذى استمر فى هذا الديوان حتى سنة (٤٧٦هـ/١٠٨٣م)[(٢)] . وكان ينوب عنه عند غيابه ولده سيد الرؤساء ابو المحاسن معين الملك . كذلك شغل هذا المنصب ابو بكر عبيدالله مؤيد الملك،وكان نائبه فى اول الامر ابو اسماعيل الطغرائى وخلفه الاديب ابو جعفر الزوزنى . ثم تقلد كمال الملك ابو جعفر محمد بن احمد مختار الزوزنى هذا المنصب ،ثم تقلد هذا المنصب تاج الملك ابو الغنائم مرزبان خسرو فيروز الشيرازى ونائبه كيا مجير الدولة ابو الفتح على بن الحسين الاردستانى[(٣)] .

---

(١) عباس اقبال ـ الوزارة ص/ ٥٦،عبدالنعيم حسنين ـ سلاجقة ص/ ١٦١ ، حسين امين ـ السلاجقة ص/١٩٩ .

(٢) ابن الاثير ـ الكامل ١٣٣/٨ .

(٣) عباس اقبال ـ الوزارة ص / ٥٦ .

وكان كاتب الرسائل يجلس مع السلطان فى مجلس القضاء . ويتولى مكاتبة الامراء والحكام .[١]

ويختار لمنصب الكاتب من عرف بالادب الرفيع والبلاغة والطيبة والالتزام بالدين والاخلاق الحميدة والنزاهة التامة والثقافة الواسعة . كما ينبغى تحرى قدرته على كتمان السر ذلك انه قد يحتاج اليه فى امور غاية فى السرية وتتصل بشؤون السلطنة الاساسية الحربية والسياسية وغيرها من الامور الحساسة .

ويفترض فى الكاتب ان يقوم بتحرير الكتب والرسائل والخلاصات بالاعمال والتقارير وحتى اوامر الوزراء والسلاطين ولذلك فانه ينبغى ان يجيد صفة الترسل ومراجعة الكتب والرسائل الرسمية وضبطها ووصفها فى صيغتها النهائية . وحيث انه "معرض للنظر فى امور العلم لما يعرض فى مجالس السلاطين ومقاصد احكامهم فى امثال ذلك مع ماتدعو اليه عشرة الملوك فى القيام على الادب والتخلق بالفضائل ،مع مايضطر اليه فى الترسل ،وتطبيق مقاصد الكلام من البلاغة واسرارها"[٢] . ويجب ان يكون ملما بفن الخطوط وخطه حسن جميل ،لاينقل كلام السلطان الى الامراء والحكام .

---

(١) عبدالنعيم حسنين – سلاجقة ص/ ١٦٢ .

(٢) ابن خلدون – المقدمة ص/ ٢١٥ .

(١١) وظيفة العميد :

وهى من الوظائف التى عرفت فى عهد الدولة السلجوقية ،وذلك انه حينما يفتح السلاجقة اقليما ،او يستولون على منطقة ،فان السلطان يبادر فيعين عليها عميدا لادارتها ،فهناك عميد العراق ،وعميد اصفهان وعميد خراسان . وينحصر عمل العميد فى الناحية الادارية ،ويعاون الشحنة فى ذلك . وقد يتعاونان فى قيادة الجيوش فى حالات الشغب والفتن التى تحدث ،وخاصة التى كانت تحدث بين السنة والشيعة بغية السيطرة على الوضع العام والعمل على استتباب الامن ،ويتولى العميد بعد ذلك مسؤولية حل المشاكل التى تحدث فى المنطقة التى يديرها ،كما يتولى قيادة الجيوش بالاشتراك مع الشحنة لمحاربة الاعداء .

ومما تجدر ملاحظته ان منصب العميد يتمتع بصلاحيات اكبر كثيرا من سلطات الشحنة . ولتوضيح ذلك يمكن ان نذكر بان عميد العراق تمتد سلطاته الى جميع انحاء القطر فى حين تقتصر سلطات الشحنة على مدينة واحدة مثل شحنة بغداد وشحنة البصرة وغيرهما .

ولقد جرى تعيين اول عميد على العراق من قبل السلطان طغرلبك عند وصول السلاجقة بغداد وقضائهم على البويهيين وتوليهم مسؤولية الحكم فى ديار الخلافة العباسية . فقد جرى تعيين ابى نصر احمد بن على عميد على العراق وقد وصف بالشجاعة والفتوة والاقدام والرغبة فى عمل الخير والتقوى واقامة المنشآت الخيرية والاوقاف وقد فتح مدينة واسط سنة (٤٤٨هـ/١٠٥٦م) كما كلفه السلطان بمهمة عسكرية

فى الجزيرة [١] . غير ان فترة توليه المنصب لم تستمر طويلا اذ سرعان ماقتل جبرا بعد خروج البساسيرى على الخلافة والسلطنة فى محاولته الفاشلة لنقل السلطة الى الفاطميين سنة (٤٥٠هـ/١٠٥٨م) [٢] .

وممن تقلد هذا المنصب "سورب المعتز" عميدا على اصفهان [٣] . وكان حكام اصفهان يلقبونه بالعميد . كما عين محمد بن المنصور النسوى عميدا على خراسان [٤] . وقد خدم هذا العميد السلطان داود بن ميكائيل ابن سلجوق واستمر فى منصبه حتى عهد السلطان معز الدين بن الحرث سنجر بن ملكشاه حيث توفى يوم السبت الحادى والعشرين من شوال سنة اربع وتسعين واربع مائة [٥] . وكان ذا شخصية قوية ونفوذ قوى وجرأة وحسن سياسة ،مما جعله يبقى فى وظيفته طيلة عهد ثمانية من السلاطين والملوك السلاجقة [٦] .

واما العراق فقد تعدد الذين ولوا منصب العميد عليه ،وذلك بسبب سوء تصرف بعضهم ،واستغلال البعض ،وتدخل بعضهم فى شئون الخليفة .

---

(١) ابن الجوزى – مرآة الزمان ص/ ١١ – ١٢ .

(٢) ابن الاثير – الكامل ٨/٨٤ .

(٣) الراوندى – راحة الصدور ص/ ١٥٤،١٥٥،ناصر خسرو – سفرنامه ص/١٥٤.

(٤) الحسينى – اخبار الدولة السلجوقية ص/ ٣٢ .

(٥) الحسينى – اخبار الدولة السلجوقية ص/ ٣٣ .

(٦) ن . م . س ص/ ٣٣ .

وفى سنة (٤٥٠هـ/١٠٥٨م) اصبح ابو الفضل الهمدانى عميدا على العراق ،فاستطاع هذا اعادة سيطرة الخلافة والسلطنة ،والقضاء على من يخالف مثل مافعل مع ابى الغنائم بن فسانجس.[1] وفى سنة (٤٥٢هـ/١٠٦٠م) عين ابو الفتح المظفر بن الحسين عميدا على العراق ،واستمر حتى ربيع الاول سنة (٤٥٣هـ/١٠٦١م) حيث عزله السلطان وولى مكانه ابا احمد بن عبدالواحد بن الخضر النهاوندى ،ولقبه رئيس العراقيين .[2] وفى ثانى عشر رجب سنة (٤٦٠هـ/١٠٦٢م) ورد الى بغداد ابو العباس الخوافى عميدا من جهة السلطان .[3]

ومما هو جدير بالذكر هنا ،ان اهل همدان قد ثاروا على العميد وقتلوه مع جماعة سبعمائة رجل من اصحاب السلطان والشحنة .[4] وكانت ثورتهم على السلطان السلجوقى بعد وفاة السلطان طغرلبك . كما رجع اهل الرها عما كانوا عليه من الطاعة للسلطان لان العميد الذى ولاه عليهم استقصى احوالهم .[5]

وكان متولى منصب العميد يلعب دورا كبيرا فى نقل اخبار الاقاليم

---

(١) ابن الجوزى ـ مرآة الزمان ص/ ١٥ .

(٢) ابن الجوزى ـ مرآة الزمان ص/ ٧٢،٧٧ .

(٣) ابن الاثير ـ الكامل ١٠٦/٨، البندارى ـ آل سلجوق ص/ ٣٦ .

(٤) سبط ابن الجوزى ـ مرآة الزمان ص/ ١٠٧ .

(٥) ن . م . س ص/ ٢٤٠ .

او المنطقة التى يتولى امرها الى السلطان السلجوقى ،ففى سنة (٤٧٩هـ/١٠٨٦م) رفع العميد ابو على امر ابن جهير الى السلطان وذكر بانه اقتطع الاموال والجواهر والامتعة لنفسه .(١)

وانه قد كثرت الشكايات والشناعات عليه ولذلك فقد عزله السلطان وكان العميد يعمل على استخلاص اموال السلطان من الخلافة وانفاذها،وقد يؤدى ذلك احيانا الى اتخاذ بعض الاجراءات التعسفية التى قد تطول الخليفة واقطاعاته . وقد ينجم عن ذلك تأزم شديد فى العلاقات العباسية السلجوقية . وهذا مافعله العميد ابو نصر حينما قدم الى بغداد مطالبا الديوان بمائة الف دينار من اقطاعه واقطاع حواشيه فقد ادخل يده فى الاقطاع وصرف نواب الخليفة عن اقطاعاته وولاها الاعاجم .(٢) وكان عميد العراق يتدخل فى شئون الخليفة وقد يضع يده على جميع اقطاعاته ،فقد ارسل الخليفة المقتدى بامر الله سنة (٤٧٣هـ/١٠٨٠م) الشيخ ابا اسحق الشيرازى الى السلطان ملكشاه والى وزيره نظام الملك يشكو من عميد العراق ابى الفتح بن ابى الليث حيث استجيب الى ما التمسه الخليفة ورفعت يد العميد من جميع اقطاعات الخليفة .(٣)

وهناك من العمداء من يجعل الناس يرتاحون اليه ،ويعمل على تحسين

---

(١) ن . م . س ص/ ٢٤١ .

(٢) ابن الجوزى ـ م . س ص / ١٧٧ .

(٣) القلقشندى ـ مآثر الانافة ٢/٢ .

العلاقات العباسية السلجوقية ،فحينما ورد الى بغداد العميد ابو سعد المستوفى سنة (٤٥٩هـ/١٠٦٦م) فرح اهل بغداد بقدومه لانه كان عفيفا عن المال والحريم ،اضافة الى انه قد اقام السياسة وامن الناس اضافة الى قيامه بانشاء مدرسة كبيرة ببغداد .(١)

ومن الجدير بالملاحظة ان عميد العراق كان يلعب دورا بارزا فى تطوير العلاقات العباسية السلجوقية ذلك انه الوسيلة الاساسية التى تنقل الى السلاجقة اخبار العراق وتطورات اوضاعه واحواله ومشاكله ومع ان السلاطين السلاجقة ووزرائهم كانوا يقومون بزيارات متكررة لبغداد وفقا لمقتضيات الحكم ،فان ثقافتهم الفارسية وعاداتهم وتقاليدهم المغايرة لعادات وتقاليد اهل العراق ،ونزوعهم للاستقرار فى بلاد خراسان حيث ينفردون بالزعامة ويستشعرون الحرية المطلقة بالتصرف خلافا لبغداد التى يشعرون فيها بتبعيتهم الاسمية للخلافة ،قد دفعهم الى الاعتماد على عميد العراق لينوب عنهم فى ادارة شؤونه وترتيب اموره وضمان مصالحهم على الدوام فيه .

ان تدقيق مصادر المعلومات يكشف عن ذكر لعدد من كبار رجال السلطنة السلجوقية ممن تسلموا منصب العميد فى العراق خلال فترة البحث. (٢) وقد سبقت الاشارة الى بعضهم كالعميد ابى نصر احمد بن على

---

(١) سبط ابن الجوزى – مرآة الزمان ص/ ١٣٣ .

(٢) البندارى – آل سلجوق ص/ ١٥، ابن الاثير – الكامل ٨/ ٨٣ – ٨٤، سبط ابن الجوزى – مرآة الزمان ص/ ١١ .

ويشير سبط ابن الجوزى الى العميد المكنى بابى على[(١)]. وممن تسلم المنصب ابو الفتح المظفر الحسينى حيث اصبح عميدا للعراق عام (٤٥٦هـ/١٠٦٤م)[(٢)]. وفى رجب سنة (٤٦٠هـ/١٠٦٧م) ورد ابو العباس الخوافى بغداد من جهة السلطان[(٣)]،ولم نعثر فى المصادر عن معلومات تشير الى الفترة التى تولى فيها العميد الخوافى وظيفته،لكن ابن الاثير يذكر فى احداث سنة (٤٦٩هـ/١٠٧٦م) بانه قد توفى فيها : " رئيس العراقيين ابو احمد النهاوندى الذى كان عميد بغداد "[(٤)]. وفى آخر فترة البحث ترد معلومات عن تولى كمال الملك ابى الفتح الدهستانى منصب عميد العراق خلال احداث العراق خلال السنوات (٤٧٩ – ٤٨٢هـ/١٠٨٦ – ١٠٨٩م)[(٥)]. والراجح انه قد انتقل المنصب الى "الاعز ابى المحاسن عبدالجليل بن على الدهستانى" فى سنة (٤٨٢هـ/١٠٨٩م)[(٦)]. واخيرا ترد الاشارة الى العميد محمد الجوزقانى ولعله كان آخر من تسلم المنصب خلال فترة البحث[(٧)].

---

(١) سبط ابن الجوزى – مرآة الزمان ص / ٢٤١.

(٢) ابن الاثير – الكامل ٩٨/٨، القلقشندى – مآثر الانافة ٢/٢.

(٣) ابن الاثير – الكامل ١٠٦/٨.

(٤) ن. م. س ١٢٤/٨.

(٥) ابن الاثير – الكامل ١٤٠/٨ – ١٥٣.

(٦) ن. م. س ١٤٨/٨ – ١٥٣.

(٧) البندارى – آل سلجوق ص / ٩٢.

(١٢) وظيفة الشحنة :

من الوظائف التى استحدثت فى العصر السلجوقى ،وصاحب هذه الوظيفة يعين من قبل السلطان ،والوظيفة اشبه ماتكون بوظيفة المحافظ فى عصرنا الحاضر،حيث يتمتع صاحبها بسلطات ادارية وعسكرية ،وهو المسئول عن ادارة المدينة والمحافظة على امنها (١) . وهو نائب السلاجقة ببغداد وممثلهم لدى الخليفة العباسى (٢) .

ومن يتقلد هذه الوظيفة يسمى "شحنة" وتسمى الوظيفة "شحنكية" (٣) وهو كما لاحظنا عند بحث وظيفة العميد ،ان العميد يعاونه فى ادارة المدينة ،فوظيفة العميد اعم واشمل اذ ان وظيفة العميد تشمل النظر فى ادارة العراق بكامله ،بينما وظيفة الشحنة خاصة بمدينة معينة فى العراق او غيره مثل شحنة بغداد ،وشحنة البصرة ،وشحنة ميافارقين وشحنة انطاكية .

ان من يتولى منصب الشحنة يكون تابعا لوظيفة العميد ،فمثلا عندما فتح السلطان ملكشاه انطاكية سنة (٤٧٩هـ/١٠٨٦م) ابقى العميد السابق فى منصبه ،واضاف اليه احد الحجاب شحنة له (٤) ،فهو يعاون العميد فى

---

(١) ابن النظام الحسينى ـ العراضة ص/ ٤٧،حسين امين ـ العراق ص/ ٢٠١،مجلة سومر م ٢ ج ٢٠١ ،ص/ ٢٢٠ .

(٢) زيمباور ـ الاسرات الحاكمة ص/ ٣٣٧ .

(٣) ابن النظام الحسينى ـ العراضة ص/ ٤٧،بدرى محمد فهد ـ تاريخ العراق ص/ ١٣١ .

(٤) سبط ابن الجوزى ـ مرآة الزمان ص/ ٢٤٠ .

الشئون الادارية ،والاعمال العسكرية ،وخاصة في القضاء على الفتن وخاصة تلك التى كانت تحدث بين السنة والشيعة . كما يقوم على حفظ سلامة المدينة واشاعة الامن فيها . ولاهمية هذه الوظيفة فى الدولة فان متوليها قد يتعرض للمخاطر وربما اهله معه وكذلك العميد . وقد تعرض بعضهم للقتل،كما حصل لشحنة مدينة همدان وعميد الاقليم اللذين قتلا على يد اهالى همدان .(١) وقد يتدخل الشحنة فى بعض الاحيان فى عزل وزير الخليفة ،وان من اسباب عزل الخليفة المقتدى بامر الله لوزيره ابى شجاع محمد بن الحسين الروزراورى ان شحنة بغداد سعد الدولة كوهرائين سار بنفسه الى اصفهان شاكيا من ابى شجاع .(٢)

والذين تقلدوا هذا المنصب كان بعضهم يحاول ان يحصل على الاموال بطرق عدة ،فقد ازال الخليفة فى سنة (٤٦٩هـ/١٠٧٦م) المواخير والمفسدات وكانت مغلة للشحنة ،فاعطاه الخليفة من عنده الف دينار تعويضا عما اصابه من تقلص فى الايرادات.(٣)

ومن الذين تقلدوا هذا المنصب الامير برسق الذى يبدو انه كان قد تولاه عند دخول السلاجقة بغداد حتى سنة (٤٥١هـ/١٠٥٩م)(٤) . حين

---

(١) ن . م . س . ص / ١٠٧ .

(٢) ابن الاثير ـ الكامل ١٥٤/٨،ابن خلدون ـ العبر ٤٧٦/٣ .

(٣) سبط ابن الجوزى ـ مرآة الزمان ص / ١٩١ .

(٤) ابن الاثير ـ الكامل ٨٧/٨ ـ ٨٨ .

استقدمه السلطان طغرلبك بعد ان ضمن هذه الوظيفة ابو الفتح المظفر بن الحسين لمدة ثلاث سنوات .(١)

وفى سنة (٤٥٦هـ/١٠٦٤م) اقام السلطان الب ارسلان الامير "ايتكن السليمانى" شحنة على بغداد ،وقد وصل الى بغداد برفقة قافلة ابنة الخليفة وفى خدمتها .(٢) غير ان الخليفة لم يرض بتوليته ،وذلك لان ابنه قتل احد الغلمان الدارية .(٣) وقد فر الامير ايتكن السليمانى الى حلوان ،(٤) ونزل السلطان الب ارسلان عند طلب الخليفة فعزله وعين سعد الدولة كوهرائين شحنة لبغداد محله .

وقد ابدى الخليفة رضاه على هذا الاجراء ووافق على ان يستقبل الشحنة الجديد باحتفال كبير . وقد لاقى الشحنة كوهرائين هذا قبولا وتقريبا من الخليفة العباسى الذى شكر له سياسته الناجحة التى اتبعها فى بغداد . وقد خصه الخليفة بالتكريم ولقبه بلقب "وزير الوزراء" واقطعه نصف اقطاع الوزير فخر الدولة ابن جهير .(٥) ومن الاعمال التى

---

(١) ابن الاثير - م . س ٨٩/٨ . والواقع ان المظفر قد ضمن وظيفة شحنة بغداد بمبلغ ٤٠٠ الف دينار . ويذكر البندارى - آل سلجوق ص/ ٤٥ (ان تعيينه كان سنة ٤٦٤هـ وهو وهم) .

(٢) ن . م . س ٩٨/٨ .

(٣) البندارى - آل سلجوق ص/ ٤٥ .

(٤) الراوندى - راحة الصدور ص/ ١٧٢ .

(٥) البندارى - آل سلجوق ص/ ٤٥ .

تدل على اخلاص سعد الدولة للسلطان الب ارسلان ، انه حينما اقدم يوسف الخوارزمى على محاولته اغتيال السلطان بالسكين بحضور سعد الدولة فان الاخير قد القى بنفسه على السلطان ليفديه بروحه فى محاولة فاشلة لانقاذه فاصيب هو ايضا (١) . واستمر سعد الدولة كوهرائين فى ولايته على شحنة بغداد فى عهد السلطان ملكشاه حتى سنة (٤٨٢هـ/١٠٨٩م) حيث عين السلطان ملكشاه نجم الدولة خمارتكين الشرابى الطغرائى شحنة على بغداد (٢) .

---

(١) الراوندى ـ راحة الصدور ص/ ١٩٢ ، ابن نظام الحسينى ـ العراضة ص/ ٤٧ .

(٢) ابن الاثير ـ الكامل ١٤٨/٨ ، ١٥٣ .

(١٣) الساقــى :

من الوظائف التى عرفت فى عهد الدولة السلجوقية ،ويطلق هذا اللقب فى البلاط السلجوقى على موظف يتولى الاشراف على مد السماط فى المناسبات والاعياد والمواسم ،عند استقبال السلطان للملوك واعيان الدولة والسفراء،كما يتولى تنظيم الخدمة اثناء الاحتفالات مثل تقطيع اللحوم ومباشرة الضيوف بالخدمة على المائدة ،وتقديم الماء والمشروبات الاخرى اثناء وبعد الطعام ويعلل القلقشندى سبب التسمية بان الاسم وضع فى البداية لسقى المشروبات فقط ،ثم استحدث له بعد ذلك بعض الخدمات الاخرى تباعا ،ويضيف بانه ربما يكون قد لقب بذلك لان سقى المشروبات هوآخر عمله الذى يختم به وظيفته (١) ٠

وقد عقد محمد بن على بن سليمان الراوندى ، الذى كان يعمل كاتبا فى الموسسات الادارية السلجوقية فى خراسان فصلا مطولا عن الشراب (٢) ،حاول فيه ان يقدم بعض الاستدلالات الشرعية التى تبيح شرب النبيذ ،كما ابدى وجهات نظر خاصة وغريبة فيما يتصل بشرب الخمر ،وتلك محاولة مكشوفة للدفاع عن شيوع عادة الشرب المحرم بين نسبة عالية من السلاجقة٠ وهو يعكس الى حد بعيد مدى اهتمام السلاجقة بالشراب وولعهم به وبالتالى

---

(١) القلقشندى ـ صبح الاعشى ٤٥٤/٥،حسين امين ـ العراق ص/ ٢٠٢،مجلة سومر العراقية م ٢٠،ج١،٢ ،ص/ ٢٢١ ٠

(٢) وعنوانه :"فصل فى الشراب" ،راحة الصدور ص/ ٥٧٨ ـ ٥٩١ ٠

السبب الذى من اجله حرصوا على اختيار الساقى الذى ينبغى ان يكون امينا كتوما ثقة حريصا على عدم افشاء اسرارهم التى تهذى بها السنتهم بعد ان يثقل عليهم الشراب. ومن ذلك نتبين مدى اهمية وخطورة هذه الوظيفة فى الادارة السلجوقية والامن السلجوقى. اضف الى ذلك فان الراوندى يذكر عند تعرضه لآداب المنادمة انه ينبغى ان يكون النديم حسن الوجه طيب الخلق ،عظيما مهذب الاخلاق متحليا بانواع العلوم له المام بمختلف الفنون مطلعا على تاريخ الملوك حافظا للاشعار عالما بآداب الملك فى وقت الحفل والحرب والاكل والصيد . قادرا على ضبط نفسه بين من لايعرفهم ولايعرفونه ،وان يجتهد فى معرفة اختلاف اهواء الناس والوقوف على مدى فهمهم ومقدار كياستهم وانما يتوفر ذلك بثمان خصال "الرفق ،والحلم ،صيانة الذات ومعرفة النفس ،طاعة الملوك وتحرى رضاهم ،مراعاة حرمة الصديق بمعرفته جيدا وعدم افشاء سره دقة الشخص فى كتمان سره واسرار الناس ،توخى رضا الناس ،القدرة على حفظ اللسان والتحدث بقدر الحاجة ،وان يجعل شعاره الصمت فى المحافل "(١) .

وقد احب السلاجقة الطعام ،وتأنقوا فيه ،وتفننوا فى الوانه واولعوا بتنوعه والاسراف فى اعداده وفى تزيين الموائد بالورود والرياحين(٢). ولعل فى ذلك مايعطى ملامح الموظف المسؤول عن الشراب والطعام فى بلاط السلطان السلجوقى وهو مايباشره "الساقى" من الاعمال .

---

(١) الراوندى ـ راحة الصدور ص/ ٥٦٣ ـ ٥٦٦ .

(٢) عبدالنعيم حسنين ـ دولة السلاجقة ص/ ١٦٦ .

(١٤) الطشت دار :

وظيفة سلجوقية صاحبها هو الخادم الذى يتولى الاشراف على غسل ونظافة السلطان .

والطشتدار الخادم الذى يقدم لسيده "الطشت" ويقوم على وضوئه ونظافته .[1] ويختار لهذه الوظيفة من يتولاها من بين الاشخاص المقربين للسلطان والمخلصين له وذلك لاهمية الوظيفة وانفراد متوليها بالسلطان فى اوقات مختلفة فى الليل والنهار . وقد كان لمتولى هذه الوظيفة اقطاعات خاصة ،فقد كانت خوارزم فى زمن السلاجقة مجرد اقطاع مخصص لمتولى وظيفة (الطشتدار) .[2]

وينقل الراوندى[3] مايفيد ان المدعو "قتلغ " كان يشغل منصب

---

(١) ارمينوس – تاريخ بخارى ص/ ١٤٧ .

(٢) ن ٠م ٠ س ص/ ١٤٧ .

الطس : اناء من نحاس لغسل اليد تعريب تشت . والطست والطشت والطيسة لغات فيه (ادى شير – الالفاظ الفارسية ص/ ١١٢) والطشت دار لفظ فارسى مركب من مقطعين ،الاول الطست (بالسين المهملة بفتح الطاء واسكان السين المهملة بشين معجمة) والآخر "دار" ومعناه ممسك ،فيكون المعنى " ممسك الطست" (القلقشندى – صبح الاعشى ٤٦٩/٥،ابن الاثير – تاريخ الباهر ص/ ٧٩) .

(٣) الراوندى – راحة الصدور ص/ ٤٨٥،٤٨٩ .

الطشت دار فى عهد السلطان ارسلان ،وبانه اعترف فى عهد السلطان طغرل بانه لعب دورا حاسما فى انهاء حياة والده السلطان رسلان حيث قال : " لقد نقدنى علاء الدولة بموافقة الاتابك محمد عشرة آلاف دينار وكلفنى ان اعطى اباك شرابا ساما فى الحمام آخذا بثأر اخيه ... فنفذت ماأشار على به "[1] . واضاف مخاطبا السلطان طغرل : " ولقد اردت ان افعل بك مافعلته بابيك"[2] . وهذه الرواية تكشف الى جانب امور كثيرة خطورة منصب الطشت دار ومايتاح له خلال خلوته بالسلطان من امور كما تكشف ان من واجبات الطشت دار تأمين حياة السلطان فى الحمام وتقديم المشروبات المناسبة له . وذلك كله يؤكد مدى خصوصية الوظيفة وخطورتها وانها لم تكن مقتصرة على مجرد توفير ادوات النظافة للسلطان . وذلك مايدعو الى ادراجها ضمن الوظائف المهمة فى الدولة ذلك ان عدم التدقيق فى اختيار المرشح للمنصب قد يعرض حياة السلطان للخطر مما يؤكد اهمية هذا المنصب .

---

(١) الراوندى ـ راحة الصدور ص/ ٤٨٨ .

(٢) ن . م . س ص/ ٤٨٨ .

(١٥) العـــارض :

اطلق هذا الاسم على الموظف السلجوقى الذى يتقلد الاشراف على ديوان عرض الجيوش. (١) ويتولى العارض عادة تنظيم سجلات الجنود وصرف مرتباتهم ،وهو المسئول عن تهيئة وتسليح الجيش واعداده وتموينه. والراجح فان الاصل التاريخى لهذا المنصب يمكن ان يجرى تتبعه من خلال دراسة الهيكل التنظيمى لديوان الجند وتطوره فى الدولة الاسلامية خلال عصر صدر الاسلام وماتلاه ٠ وبقدر مايتصل الموضوع بوظيفة العرض فان ذلك من ضمن تشكيلات ديوان الجند وارتباطه الوثيق والمباشر بعملية عرض الجند وكذلك العمل الميدانى مع الجند فى بعض الاحيان ٠٠ وقد توصل احد الباحثين المعاصرين الى ان "مما يدل على اهميته ان بعض الكتاب قد جعله ديوانا مفردا له اعماله الخاصة " (٢) ٠ ويروى البعض ان اول من اوجد ديوان العرض ،بالتالى منصب العارض ،هو الخليفة هارون الرشيد. (٣) فى حين تذكر بعض المصادر الى "ان اول من صير ديوان العرض هو المأمون" (٤) ويشير التنوخى عند استعراضه لمراحل مقاومة العباسيين لتمرد الزنج والقرامطة بانه "كان هناك ديوان للعرض كان عليه الصاحب بن اكال

---

(١) عباس اقبال ــ الوزارة ص/ ٢٣ ٠

(٢) عبدالعزيز السلومى ــ ديوان الجند ص/ ٢١٩ ــ ٢٢٠ ٠

(٣) شوقى ابو خليل ــ هرون الرشيد امير الخلفاء ص/ ٨٣ ٠

(٤) اليعقوبى ــ مشاكلة الناس لزمانهم ص/ ٣١ ٠

وكان له كتاب عليه وعلى امره كله " [١] .

وقد يتولى العارض امر مساعدة الشحنة فى استعراض الجيش وانتقاء المقاتلين المبرزين عند الحاجة فقد كان سعد الدولة شحنة بغداد يعد الجيش للغزو ومعه العارض. [٢]

لذلك تعد وظيفة مهمة فى الدولة السلجوقية من الناحية العسكرية التى تهتم بالضبط والربط . كما ان وظيفة العارض هى احدى المناصب الادارية الخمسة المهمة فى الدولة ، التى اوجدوا لها نوابا يتولون مهام المنصب اثناء غياب المتولى . [٣]

ان شيوع صفة النزعة العسكرية للحكم السلجوقى قد زاد من اهمية ومكانة وظيفة العارض. ويظهر ان حكام الاقاليم الخاضعة للسلطنة السلجوقية وهم فى غالبيتهم من افراد الاسرة الحاكمة كانوا يعينون فى اقاليمهم عددا من الموظفين بينهم من ينوب عن العارض ،كما انهم كانوا يتخذون الجند ويستعينون بالقبائل فى تكوين الجيش التابع لكل منهم . [٤] وهنا يبرز دور العارض الذى يشرف على تنظيم وتدريب

---

(١) التنوخى ـ نشوار المحاضرة ١٨٢/٨ .

(٢) ابن النظام الحسينى ـ العراضة ص/ ٤٧ .

(٣) عباس اقبال ـ الوزارة ص/ ٢٣ .

(٤) عبد النعيم حسنين ـ دولة السلاجقة ص/ ١٤٥ .

الجند وعرضهم بغية تميزهم حسب كفاءتهم[1] . فيختار من ذوى الشكيمة ومن المعروفين بالقوة والبأس ممن تفننوا فى الفروسية والمبارزة فى القتال وكانت لهم خبرتهم الاساسية فى نطاق عملهم الجديد .

---

(١) السلومى – ديوان الجند ص/ ٢٢٠ .

(١٦) الاسفهسالار :

كلمة فارسية معناها قائد الجيش[1]، ويذكر القلقشندى ان معناها "مقدم العسكر"[2] ويتولى صاحب هذا المنصب مهمة تقدم الجيش فى وقت الحرب. وان اختيار الشخص المناسب لهذا المنصب ليس بالامر الهين ويكون اختياره وتعيينه من قبل السلطان شخصيا، ويختار عادة من بين الاشخاص الذين يشتهرون بالصرامة والقوة والكفاءة العسكرية[3].

وكان ارسلان البساسيرى اسفهسلارا فى آخر عهد البويهيين فى عهد الخليفة القائم بامر الله[4]. وكان مقربا من الخليفة وعلى علاقة وثيقة به. وهذا يدل على ان الوظيفة فارسية المنشأ وانها كانت معروفة فى الادارة والحكم فى البلدان التى استولى عليها السلاجقة. وحيث ان السلاجقة لم يتحرجوا من اقتباس المثل والتقاليد والتنظيمات من الامم الاخرى التى ورثوها او سيطروا على بلدانها فان المتوقع ان يكون هذا المنصب من بين ما اقتبسوه من التنظيمات البويهية. وتذكر المصادر بان نظام الملك كان فى بدايته يشتغل فى جملة من كان فى

---

(١) ابن النظام الحسينى ـ العراضة ص/ ٧٧.

(٢) القلقشندى ـ صبح الاعشى ٨/٦ : وهو مركب من لفظين فارسى، وتركى فاسفه بالفارسية بمعنى المقدم، ويسلار بالتركية بمعنى "العسكر".

(٣) كمال حلمى ـ السلاجقة ص/ ١٢٣.

(٤) ابن النديم ـ بغية الطلب ص/ ٥١

خدمة الامير بيجير اسفهسلار خراسان[(١)] .

ويظهر انه كان لكل اقليم من الاقاليم التابعة للسلطنة السلجوقية اسفهسلارا يتولى اعباء قيادة الجند فى اوقات الازمات او المعارك ولعل متولى هذا المنصب كان يتمتع بامتيازات معينة اوان له سلطات واسعة تمكنه من الارتفاق وتجميع الثروة ذلك ان ابن الجوزى يشير الى بعض اسفهسلارية بغداد الذين تعرضوا للقتل او المصادرة فى بعض الازمات[(٢)] .

---

(١) البندارى ـ آل سلجوق ص/ ٥٨ .

(٢) ابن الجوزى ـ مرآة الزمان ص/ ٧ .

(١٧) الاتابيك :

الاتابيك معناها السيد الوالد اى المربى[١] . وهذا اللقب يعطى لمن يفوضه السلطان بتربية احد اولاده الصغار[٢] . وتصريف امورهم وحمايتهم وكانت طبيعة عملهم تسمح بتدخلهم فى اكثر شؤون السلاطين الخصوصية كما كانوا مؤتمنين على الابناء مما يسمح لهم بالوصول الى السلطان فى اى وقت يشاؤون ،وجعلهم يطلعون على ادق تفاصيل الاوضاع السياسية والادارية ومشاكل الحكم . وقد وصل الامر ببعضهم الى ان يلعبوا دورا اساسيا فى تنصيب من تحت حمايتهم من الامراء الى منصب السلطنة[٣] .

والاتابيك مرتبط بصورة خاصة بالفترة السلجوقية بالرغم من ان اصوله قد تعود الى النظام الاجتماعى وتقاليد الاتراك فى باديتهم وموطنهم الاصلى ،وتبعا لما جاء فى اخبار السلاجقة فى المصادر فقد كان

---

(١) ابن النظام الحسينى ـ العراضة ص/ ١٢٤،وهو اسم مركب من بك وهى معروفة واتا ومعناها الأب .

(٢) ابن العبرى ـ مختصر الدول ص/ ٣٤٤ .

(٣) مثال ذلك مافعله الاتابيك كمشتكين جاندار الذى كان مربيا للامير بركيارق بن ملكشاه والذى تمكن من ايصال الامير الى كرسى السلطنة بعد وفاة والده رغم كل المؤامرات التى حصلت ضده والتى قادتها زوجة ابيه تركان خاتون .

الراوندى ـ راحة الصدور ص/ ١٤٠،وانظر هيفاء البسام ـ نظام الملك ص/ ٣٠ .

لالب ارسلان مربيا (اتابكا) خلال حياة ابيه وهو (قطب الدين كول ساريـــه)[١] واصبح هذا اللقب خاصا لمربى ولاة العهد،وكان يتولى اضافة الى وظيفتـه الاساسية ادارة شئون المدينة التى جرت عادة السلاطين توليتها لولـى عهدهم ٠

وقد تطور هذا اللقب حتى اصبح يعطى للعظماء كلقب شرف[٢]٠ فقـد منح لقب الاتابيك الى الوزير نظام الملك من قبل السلطان ملكشاه بعـد اعتلائه العرش تكريما له واعترافا بفضله[٣] ٠ ومن هذا يتضح ان وظيفـة الاتابيك فى اصولها الاولى هى ذات مدلول اجتماعى ،ثم اخذت شكلا مغايـرا يتجه الى الميل نحو السيطرة والتحكم بل انه تعدى ذلك بعد وفـاة ملكشاه ،فقد تمكن عدد من الاتابكة الاكفاء من ذوى الحزم والتدبير مـن الوصول الى مناصب الحكم والسيطرة والتحكم فى عدد من اقاليم الدولة[٤] ٠

---

(١) بويل ـ تاريخ ايران ص/ ٢٣٩ ٠

(٢) ابن العبرى ـ تاريخ مختصر الدول ص/ ٣٤٤ ٠

(٣) محمد بن الشحنة ـ روضة النواظر ورقة / ٥١،سيد امير علـى مختصر تاريخ العرب ص/ ٢٧٧ ٠

(٤) تامارا راميس ـ السلاجقة ص/ ١٠٠ ،وانظر خواندمير غياث الديـن حبيب السير ٥٥١/٢،نصر الدين عبد الجليل ـ كتاب النقض ص/ ٢٣ ٠

(ب) الدواوين فى الادارة السلجوقية :

لقد تعددت وتنوعت الدواوين فى السلطنة السلجوقية ،ولاشك فى ان بعض تلك الدواوين ترجع الى اصول اسلامية متقدمة ،فى حين نشأ البعض الآخر فى اطار الظروف والحاجات والتقاليد التى مر بها السلاجقة ويمكن ان نشير بشكل خاص فى هذا المجال الى ديوانى عرض الجيوش والرسائل والانشاء حيث ان مما لاشك فيه ان ديوان عرض الجيوش يرجع فى نشأته الى ديوان العرض الذى تأكد ظهوره ضمن المؤسسات الادارية للدولة العباسية فى العصر العباسى الاول . وبالتحديد فى عهد هرون الرشيد وولده المأمون وهو ما اشرنا اليه عند استعراضنا لوظيفة العارض ضمن دراسة المناصب الادارية فى الادارة السلجوقية . والواقع فان ديوان العرض المشار اليه آنفا انما هو تطور ايجابى لديوان الجند الذى بدأ ظهوره فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ،وتطور ضمن اطار احتياجات واوضاع الخلافة الاسلامية بعد ذلك فى العصر الاموى والعباسى الاول حيث ترد اشارات كثيرة فى المصادر عن مجلس العرض فى ديوان الجند .(1)

اما ديوان الرسائل والانشاء فى الادارة السلجوقية ،فلا شك فى انه هو الآخر قد تطور عن ديوان الرسائل الذى كان يعرف احيانا باسم

---

(١) السامرائى ـ المؤسسات الادارية ص/ ٢٥٤ ـ ٢٦٣ ، السلومى ـ ديوان الجند ص/ ١٩٩ ـ ٢٢٧ .

"ديوان الانشاء" (١) والذى يعود فى نشأته الى صدر الدولة الاموية ،وهو ماسوف نتعرض له عند دراستنا للديوان ٠

ولابد لنا قبل ان نتعرض لدراسة الدواوين السلجوقية بشىء من التفصيل من ان نشير الى انه قد كان لكل ولاية ديوان خاص يشرف على شؤونها المختلفة وينظم العلاقة بين ادارة الولاية ومقر السلطنة ،كما ينسق الصلات بينها وبين غيرها من ولايات الدولة الاخرى ٠ (٢)

اما فى مقر السلطنة فان السلطان هو الذى يصرف امور الولايات كافة بمساعدة الوزير ورؤساء الدواوين المركزية ٠ وقد كان لكل ديوان رئيس يستعين بعدد من الموظفين فى القيام بالواجبات والاغراض المناطة بالديوان ٠ (٣) وسوف نستعرض فى الصفحات التالية اهم الدواوين السلجوقية ومقوماتها وواجباتها على ضوء ماتقدمه المصادر من معلومات٠

---

(١) الخوارزمى ـ مفاتيح العلوم ص/ ٧٨،ميخائيل عواد ـ اقسام ضائعة من كتاب الوزراء ص/ ٧٧،السامرائى ـ المؤسسات الادارية ص/ ٢٧٥ ـ ٢٨١ ٠

(٢) عبدالنعيم حسنين ـ دولة السلاجقة ص/ ١٤٦ ٠

(٣) ن ٠ م ٠ س ص/ ١٤٦ ٠

(١) الديوان السلطانى :

يعد من اهم الدواوين فى الدولة ،وهو يرتبط مباشرة بالسلطان السلجوقى . ويشرف على جميع مرافق الدولة . ويتولى الوزير او الصدر او السيد الاكبر تصريف امور الديوان السلطانى . ويتعامل الديوان مباشرة مع اوامر السلطان التى يصدرها مشافهة الى الوزير او عن طريق الامير الحاجب الكبير ا وقد جرت العادة على ان يتولى الوزير تقديم النصائح للسلطان حينما يستدعيه ليستشيره فى الامور المهمة ،وان يشرف بجانب ذلك على كافة دواوين الدولة المركزية وعلى اوضاع الولايات التى تخضع مباشرة للسلطنة.

ولاشك فى ان هذا الديوان قد لعب دورا بارزا فى رسم سياسة الدولة الخارجية والداخلية لذلك فانه يعد من اهم الدواوين فى الدولة السلجوقية . ومما يذكر ان الوزير نظام الملك كان قد عمل فى بداية حياته الوظيفية فى الديوان السلطانى.(١) وقد ذكر ناصر خسرو بانه كان من المتصرفين فى اموال السلطان واعماله . وبانه اشتغل فى الديوان السلطانى.(٢)

---

(١) السبكى ـ طبقات الشافعية ١٣٦/٣ .

(٢) ناصر خسرو ـ سفر نامه ص/ ٣٣ .

(٢) ديوان الرسائل والانشاء :

لقد عرف هذا الديوان عند المسلمين واهتموا به اهتماما كبيرا وكان يسمى احيانا بديوان الانشاء (١) . وقد كانت تجرى فى هذا الديوان كتابة العهود والتقليدات (٢) . وكان "صاحب الديوان" يتغير بتغير الوزير (٣) .

اما فى عهد السلاجقة فقد اخذ هذا الديوان طابعا خاصا ،فقد يطلقون على متولى هذا الديوان لقب (الوزير) او "الصاحب" (٤) . ويهتم هذا الديوان بتولى اى انجاز صادر عن السلطان او ديوان السلطنة من جميع المكاتبات الرسمية وتنظيم علاقات الدولة فى الداخل والخارج (٥) . والمرشح لتولى هذا الديوان ينبغى ان يكون متصرفا فى جميع فنون المكاتبات مكملا للمعانى،مع رصانة الاسلوب ،ومتمهر فى اصول التراسل ،وان يكون عارفا بوجوه المعانى . وان يكون ثقة كتوما فان اطلاعه على اسرار الدولة وخفاياها يتطلب منه حفظ الامانة والمحافظة على الاسرار وان يكون مجتهدا للوصول الى الرأى الصائب .

وممن تقلد هذا المنصب ناصر خسرو الذى قال : " كانت صناعتى

---

(١) الخوارزمى – مفاتيح العلوم ص/ ٧٨ .

(٢) السامرائى – المؤسسات ص/ ٢٧٥ .

(٣) عواد – اقسام ضائعة ص/ ٧٧ .

(٤) عباس اقبال – الوزارة ص/ ٥٦،كمال حلمى – السلاجقة ص/ ٢١١ .

(٥) عبدالنعيم حسنين – السلاجقة ص/١٦٦،كمال حلمى – السلاجقة ص/ ٢١١ .

الانشاء"[1] . وممن تقلد هذا المنصب ابو الرضا فضل الله بن محمد كمال الدولة بن ابى نصر المتاح بن القاضى احمد الزوزنى الذى اضيف الى رياسته ديوان الانشاء تولى على ديوان الاشراف ،واستمر حتى سنة (٤٧٦هـ/١٠٨٣م) ثم شغل منصبه ولده سيد الرؤساء ابو المحاسن ،ويوصف الاخير بانه كان من امهر الكتاب الفرس. ثم عهد السلطان الى "خواجه شهاب الدين ابى بكر عبيدالله مؤيد الملك بن خواجه نظام الملك" بتولى ديوان رسائله ،وقد اختار ابا اسماعيل الطغرائى نائبا له . ثم احيلت هذه الوظيفة الى احد كتاب الرسائل الحاذقين وهو كمال الدولة نعنى به اديب ابا جعفر محمد بن احمد الزوزنى ونال لقب كمال الدولة بعد استعفاء مؤيد الملك[2] وقد خلف كمال الملك الكاتب تاج الملك ابا الغنائم مرزبان الشيرازى الذى استمر فى وظيفته حتى وفاة السلطان ملكشاه ،وكان نائبه كيامجير الدولة ابو الفتح على بن حسين الاردستانى[3] .

ويتولى العمل مع صاحب الديوان ونوابه جماعة من الكتاب يتولون مختلف الوظائف الكتابية فى الديوان كوظيفة مثل المنشئين وكتاب الرسائل والمحررين والناسخين وغيرهم ممن يناط بهم تحرير الاوامر

---

(١) ناصر خسرو ـ سفر نامه ص/ ٣٣ .

(٢) عباس اقبال ـ الوزارة ص/ ٥٨ .

(٣) ن . م . س ص/ ٥٩ .

السلطانية والفرمانات والمراسلات والمكاتبات المختلفة[1] .

ومن هذا يتضح ان ديوان الانشاء والرسائل فى الدولة السلجوقية ديوان قائم بذاته ،له اختصاصاته واعماله المناطه به ،فصاحب هذا المنصب يكون مصاحبا للسلطان كما يجلس فى حضرته فى مجلس القضاء ويكون فى صحبته فى الغزوات والمعارك ويتولى مكاتبة الامراء والحكام سواء من الديوان او من موقع المعركة ،فى حين ان صاحب ديوان الطغراء يكون مع السلطان فى حالة غياب الوزير خواجه بزرك .

ان من اسلوب الادارة الاسلامية الموروث فى الادارة السلجوقية ان يتقلد الوزير الاشراف الكامل على اعمال الدواوين . والامثلة على ذلك كثيرة وخاصة فى الدولة السلجوقية فقد كان ابو الرضا بن فضل الله ابن محمد كمال الدولة مشرفا بالاضافة الى عمله فى الوزارة على ديوان الانشاء وديوان الاشراف .

---

(١) عباس اقبال – الوزارة ص/ ٥٩،كمال حلمى – السلاجقة ص/ ٢١١ .

(٣) ديوان الاستيفاء :

يطلق على من يتولاها "مستوفى" ومرتبته فى الدولة السلجوقية تلى مرتبة الوزير ،ويعد هذا الديوان مهما وخطيرا ذلك ان مايقوم به فى غاية الاهمية ،وهو ضبط اموال المملكة والعمل على حفظها (١) . اضافة الى الاشراف على الحسابات الخاصة التى تتعلق بالجيش السلجوقى .

ويظهر من دراسة مراسيم (فرمان) تعيين متولى ديوان الاستيفاء ان الديوان كان يشبه وزارة المالية فهو المسؤول عن تنظيم ايرادات الدولة ومصروفاتها ،كما يتولى الاشراف على جميع الضرائب واموال الدولة المستحقة بذمة الامراء دون ادنى تقصير . وهذا مايجعله من اهم الدواوين التى تخدم السلطنة فى اوقات الازمات والحروب كما تخدمها فى زمن السلم والاستقرار (٢) . ويظهر من تحليل اختصاصات الديوان التى وردت فى احد الفرمانات بان الغرض من انشاء فروع الديوان فى الولايات (٣) هو "ضبط اموال الولاية التى تتعلق به مصالح الجيش المنصور وادارة الديوان المعمور وماتقوم عليه قواعد نظام الملك من الاستقامة والعدل بين الجيش والاستقامة والعدل بين الرعية ،وضبط اموال المملكة

---

(١) اقبال ـ وزارات عهد سلاطين بزرك سلجوقى ص/ ٢٦ .

(٢) عبدالنعيم حسنين ـ دولة السلاجقة ص/ ١٤٧ .

(٣) نشرة عباس اقبال فى كتابه المذكور آنفا ص/ ٢٦ ـ ٢٧ .

والعمل على حفظها"[(١)] . وقد ورد فى ثنايا الفرمان وصف رياسة ديوان الاستيفاء بانها : "اكبر منصب من مناصب ارباب القلم "[(٢)] . كما ورد فيه وصف اهمية عمل الديوان بانه :"يتوقف عليه نظام المملكة ومصلحة الرعية فى موازنة الموارد والمصروف وضبطه ،وليحيط باصول الادارة ، وفروعها والاطلاع على اسباب الاختلال فى كل ظرف وحال "[(٣)] .

ومما يشير الى سعة اختصاصات متولى الديوان وكبير اهميته فى الدولة ان مراسيم التعيين تتضمن "على ان يعتبر كل مدبرى حسابات ديوان الحضرة السلطانية والمستوفى لاعمال المملكة وكتاب الوزارة نوابا عنه "[(٤)] .

وقد الزم السلاطين السلاجقة "ديوان الوزارة حماها الله تعالى بتوقير (متولى ديوان الاستيفاء) واحترامه وتمكينه من عمله والمبالغة فى احتشامه وان يراعى جانبه باقصى ماتبلغ حدود الرعاية واعتبار درجته اعمر الدرجات. وان يقروا قراراته فى الرسوم والمراسيم والايجاب والاقطاع والاطلاق ووجهه العام وان يرجعوا اليه فى كل مايتعلق بمهمة ديوان الاستيفاء واعتبار مقرراته محل اعتمادنا فى تقرير المعاملات

---

(١) عباس اقبال - الوزارة ص / ٢٦ - ٢٧ .

(٢) ن . م . س ص/ ٢٦ - ٢٧ .

(٣) ن . م . س.

(٤) ن . م . س.

وتحرير المحاسبات وكلامه حجة فى اثبات الصكوك "[١] . وهذا يعكس مدى اهمية الديوان واشرافه المباشر على كل مايتصل بالاجراءات المالية فى فرض الضرائب واساليب تحصيلها والموافقة على الضمانات والاقطاعات واستيفاء حقوق السلطنة منها ،بل واكثر من ذلك فان السلطان قد منح مقررات الديوان موافقته واعتماده المسبق فى كافة الامور المتصلة بالمعاملات وامور الحسابات . كما اعتمد رأى الديوان كحجة اثبات فى قضايا التملك .

---

(١) عباس اقبال ـ الوزارة ص/ ٢٧ .

(٤) ديوان الاشراف الكبير :

ويتولى هذا الديوان (المشرف) ويقوم هذا الديوان بضبط الحسابات "فى وجوه المعاملات وابوابها المفروزة فصول نفقاتها عن فصول رواتب الحشم ونفقاتهم وتدقيق مجاميع الواردات والمصروفات ،وعمل الموازنة اللازمة بينهما ،وذلك يشبه الى حد كبير اعداد الميزانية العامة للدولة . وهذا الديوان متمم لديوان الاستيفاء فى اعمال مترابطة معه ولهذا الديوان فروع فى كل ولاية من ولايات السلطنة ويتولاها نواب عن المشرف يعرف الواحد منهم بالمشرف النائب ،وهى تابعة لديوان الاشراف الكبير ومرتبطة به"(١).

وكان ابو الرضا فضل الله بن محمد كمال الدولة بن ابى نصر المتاح بن القاضى يتولى ديوان الاشراف الكبير ابتداء من تأسيس السلطنة حتى سنة (٤٨٦هـ/١٠٩٣م) حيث خلفه فى رياسة الديوان ولده سيد الرؤساء ابو المحاسن معين الملك محمد (٢).

وقد نشر عباس اقبال فرمانا سلطانيا بتعيين الخواجة عميد الدين مشرفا نائبا فى ولاية جرجان تضمن توجيها بأن "لايغفل عن الصغيرة والكبيرة التى تمر عليه وان يقف وقوفا تاما على الوارد والصادر فلايفوت النقير والقطمير من سجلاته ،وعلى ان لاتكون اية قسمة فى سراى

---

(١) حسين امين - العراق ص/ ١٩٩،كمال حلمى - السلاجقة ص/ ٢١١ .

(٢) عباس اقبال - الوزارة ص/ ٥٤ .

الرياسة حماها الله بدون اطلاع منه ،وان يسجل كل الوارد والمصروف بشكل مفصل ويبعث بنسخة منه الى ديوان الاشراف "[1] . وذلك بلا ادنى شك يشير الى مدى اهمية الديوان وعلاقته المباشرة بديوان الاستيفاء واختصاصاته ودوره البارز فى اعداد مفردات الموازنة وتنفيذها . ويستفاد من ملاحظة اخيرة وردت فى الفرمان مار الذكربانه كان يساعد المشرف النائب مجموعة من الموظفين يعرفون ب "المعية " الذين يتألفون من الوكلاء والنواب والمختارين فى ارباع المدن والقرى اضافة الى الاتراك والتازيك الذين يظهر انهم كانوا الموكلين بحراسته وحمايته[2] وتنفيذ قراراته .

---

(١) عباس اقبال - الوزارة ص/ ٣١ - ٣٢ .

(٢) ن . م . س .

(٥) ديوان عرض الجيوش :

وصاحب هذا الديوان يعرف بالعارض او متولى ديوان العرض ،والاصول التاريخية لنشأة هذا الديوان ترتبط كما لاحظنا فى دراستنا لوظيفة العارض التى اسلفنا الحديث عنها ،بنشأة ديوان الجند وتطوره فى الدولة الاسلامية ،وقد تحدثت كثير من المصادر عن اشراف الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين رضى الله عنهم على عرض الجيوش وان ذلك قد تطور كثيرا عبر العصور حتى ان قد ظهر مجلس مختص فى ديوان الجند عرف باسم "مجلس العرض" عده الدارسون من بين المجالس المهمة فى ديوان الجيش بحكم ارتباطه الوثيق بعملية عرض الجند وتدريبهم (١) وقد اشرنا فيما سبق الى تاريخ تأسيس اول "ديوان عرض" فى الدولة الاسلامية وانه كان فى عصر الخليفة المأمون العباسى (٢) . ونظرا لما للعرض من اهمية بالغة فى تدريب الجند ورفع معنوياتهم فقد كان الخلفاء يتولون الاشراف على عرض جندهم بانفسهم للتأكد من سلامتهم واخلاصهم واستكمالهم لعدتهم واسلحتهم (٣) .

---

(١) السلومى – ديوان الجند ص/ ٢١٩ – ٢٢٠ .

(٢) اليعقوبى – مشاكلة الناس لزمانهم ص/ ٣١،وانظر ابو خليل – هرون الرشيد امير الخلفاء ص/ ٨٣ .

(٣) الطبرى – تاريخ الرسل والملوك ٨/٥٥٤،٥٢، البطلينوس – الاقتضاب ص/ ٧٥، التنوخى – نشوار المحاضرة ٨/١٨٢، الكندى – الولاه والقضاه ص/ ١٠٧،وانظر السامرائى – المؤسسات ص/ ٢٥٤، السلومى – ديوان الجند ص/ ٢٢١ .

ولهذا الديوان وظيفة غاية في الاهمية ذلك انه كان يتولى امر تدريب الجيوش واعدادها وتسليحها وتموينها ونقلها والانفاق عليها اضافة الى ادامة التدريب والعرض لكي يبقى الجند على الدوام على اهبة الاستعداد لتنفيذ اوامر السلطان السلجوقي في حالات السلم والحرب على السواء ،ولم تكن هذه المسؤوليات بالامور اليسيرة وخصوصا عندما ندرك ماقامت به الجيوش السلجوقية من اعمال وماحققته من انتصارات وكذلك حينما نتتبع خطوط سيرها الممتدة من اقاصي المشرق حتى البحر المتوسط . ولعل ذلك هو مادفع الوزير الحكيم نظام الملك الى ان يقترح بأن تهيأ لاغراض الجيش مستودعات وقلاع في مناطق موزعة مختلفة تجهز ويخزن فيها الكثير مما يحتاجه الجند في تحركاتهم ،وان تكون مواقعها مناسبة تنسجم مع خطوط مواصلات الجند وخطوط تحركاتهم المتوقعة والراجح ان هذا الاقتراح العملي قد جرى تنفيذه بدليل ان السلطان ملكشاه لم يعان من مشاكل التموين.(١)

ويشرف على عملية الدفع للجيش النظامي والامراء مكتب التفتيش العسكري المسمى "ديوان العرض" او "ديوان الجيش".(٢)

وتصرف المرتبات في الدولة السلجوقية للجيش عن طريق مختلط اذ يصرف للجند جزء من رواتبهم نقدا،كما تلغى عنهم الضرائب في جزء

---

(١) بويل - تاريخ ايران ص/ ١٣٠ .

(٢) ن . م . س ص/ ١٣٠ .

آخر ،ويعوضون بالاقطاع عن الجزء الاخير من رواتبهم ويعود الفضل في تثبيت الاقطاعيات الحربية لجميع الجند السلجوقيين إلى الوزير الجليل نظام الملك، الا انه حينما ادرك بان فرق الفرسان المندرجة اسماؤهم في سجلات ديوان عرض الجيوش لم توزع عليهم الا اقطاعات محدودة الغلة اضافة الى انها موزعة في اقاليم السلطنة الواسعة . فانه عارض فكرة انقاص عدد الجند السلجوقي الذين بلغ تعدادهم في حدود سبعين الف جندي . ورأى بانه اذا لم يكن اي من الجند قد تسلم اقطاعا مجزيا فان استحقاقاتهم ينبغي ان تحسب بشكل دقيق وان يجري صرفها على شكل نقود بعد ان يستقطع منها ماتسلموه من اقطاعات او اموال عند بداية الحملات العسكرية(١) .

وديوان الجيش بالاضافة الى ذلك يقوم بتنظيم شؤون الجند وتنظيم سجلات باسمائهم وصفاتهم ورواتبهم ومايتصل بالامور العسكرية اضافة الى صرف مرتباتهم . والاشراف على تسليحهم ،واعدادهم وتموينهم ،وقد ازدادت اهمية الديوان في العصر السلجوقي باضطراد ذلك انه عصر شاعت فيه الحروب التي باشرها سلاطين السلاجقة وخصوصا في فترة البحث.

لقد كان الجيش السلجوقي في بداية تأسيسه عبارة عن مجموعة من المقاتلين الاشداء من ابناء القبائل التي كانت تحيا حياة البداوة والتي شاع لديها الغزو والتنقل وعدم الاستقرار . وقد تأصلت فيهم صفات

---

(١) البنداري - آل سلجوق ص/ ٥٥ .

عسكرية متميزة كالقدرة على المجالده المستمرة والخشونة والجلد ،ثم انخرطت فى صفوف الجيش السلجوقى القبائل التركمانية التى ظهر من بينها العديد من القادة العسكريين المتميزين ومن امثلة ذلك القائد التركمانى ارتق زعيم مجموعة الدوغرمجية التركمان والذى منحه السلطان ملكشاه اقطاعا فى حلوان مكافأة على ماحقق من انتصارات للسلاجقة فى الاناضل والبحرين والجزيرة ٠ ولذلك فان من الممكن القول بان التركمان قد ارتبطوا فى خدمة الدولة السلجوقية وكانوا عنصرا مهما من عناصر الجيش السلجوقى ٠ كما ضم السلاجقة الى قواتهم العسكرية مجموعات من العناصر الكردية والمماليك وذلك لقوة تحملهم وميزاتهم العسكرية وطبيعة نشأتهم العسكرية (١) ٠

---

(١) ابن الاثير ـ الكامل ٨/١٣٤ ـ ١٣٧،٠ ١٤٠ ـ ١٤٤،وانظر حسين امين العراق ص/ ٢٠٦ ٠

(٦) ديوان الطغراء :

يعد من الدواوين المهمة فى الدولة ،وقد يعرف بالديوان السلطانى وصاحب هذا الديوان كما عرفنا يطلق عليه الطغرائى (١) . وهو يتمتع كما سبق ان اوضحنا عند تعرضنا للوظيفة بامتيازات مهمة حيث تنتقل اليه اختصاصات الوزير وصلاحياته حين يغيب الوزير عن عاصمة السلطنة لاى سبب كان (٢) .

ومهمة هذا الديوان تشمل اضافة الى ماسبق العمل على ايصال الرسائل والكتب الى السلطان ومايرد منه ،ومايصدر عنه من الاوامر الموقعة بتوقيعه والممهورة بخاتمه المذيله بشعاره . وقد عرف هذا الديوان فى الدولة العباسية بديوان الانشاء (٣) ،ثم عرف فى الدولة السلجوقية بديوان الطغراء (٤) . وتقدم المصادر معلومات متنوعة عن فروع الديوان ومجالسه التى يتألف منها يفهم منها ان تنظيما جديدا قد استحدث ،ذلك ان ديوان الطغراء قد توسعت تشكيلاته وتنوعت اختصاصاته

---

(١) الطغراء هى طرة المكتوب حيث يكتب فى اعلا البسملة بقلم غليظ القاب الملك وكانت تقوم عندهم مقام خط السلطان بيده على المناشير والكتب . انظر المقريزى ـ الخطط ٢٢٦/٢ .

(٢) آل سلجوق ص/ ٩٢ .

(٣) السامرائى ـ المؤسسات ص/ ٢٧٥ ـ ٢٨١ .

(٤) المقريزى ـ الخطط ٢٢٦/٢ ،حسن الباشا ـ الالقاب الاسلامية ص/ ١٠ .

حيث تبعه ديوان آخر هو ديوان الرسائل والانشاء[1] . وهو الذى يتولى تحرير الكتب والفرامين والرسائل والتبليغات . وكان يحتوى على عدد كبير من المجالس المتخصصة للانشاء والتحرير والنسخ وغيرها ويعمل فيه عدد كبير من الكتاب من مختلف الاختصاصات[2] . ممن يشترط فيهم السرية التامة والكفاءة العالية[3] .

وقد نقل لنا مؤلف تاريخ وزراء السلاطين العظام قطعة من فرمان بتعيين صاحب الديوان وردت فيها الاشارة الى انه قد جرى " تفويضه مهام نيابة ديوان الوزارة "[4] . وانه قد " عهد له زمام الامر والنهى والحل والعقد لمهمات الملك ومصالح الدين والدولة ليدير ذلك كله بكفايته وفضله وفطنته وبما عهد فيه وماعرف به فيتم التنظيم والترتيب برأيه الصائب الذى توجبه كليات مصالح الممالك حرسها الله فيريح بذلك بالنا، ويتولى تعين وجوه الارزاق ورواتب الخدم والحشم .."[5] كما تضمن الفرمان التعريف بمهمة ديوان الانشاء التى تقتضى ان يعنى حتى باليسير من الامور والاعتناء والاهتمام بما ينشؤه "الكتاب"، ويكتبه

---

(١) آل سلجوق ص/ ٩٢، عباس اقبال - م . س ص/ ٢٩ - ٣٠ .

(٢) اقبال - م . س ص/ ٢٢ ، ٢٩، وانظر احمد كمال حلمى - السلاجقة ص/ ٢١٠ - ٢١١ .

(٣) حلمى - م . س ص/ ٢١١ .

(٤) اقبال - المصدر السابق ص/ ٢٩ - ٣٠ .

(٥) اقبال - المصدر السابق ص/ ٢٩ - ٣٠ .

"امناء الاسرار" و"الثقات الذين يعرفون خفايا الملك فيولى تحاريرهم الامعان والوقوف على دقائق الالفاظ والمعانى التى يستهدفونها ومعرفة مايحتوى عليه كل مكتوب من قيم عقلية ومواهب ومايترتب عليه من نتائج ... لكى لايصدر مثل او خطاب موجه للادنيين او الابعدين من جهات الدنيا الا وقد تضمن كل مصالح الحياة وفوائدها "(١) . وقد تضمن الفرمان تسمية المتولى للديوان بلقب "اكفى الكفاه" و"كفى الاكفاء" وقد سبق ان اوضحنا مكانته السابقة بين موظفى الادارة السلجوقية .

---

(١) ن . م . س .

(جـ) ادارة الاقاليم .

(١) الامـــــارات :

تميزت الادارة السلجوقية بمميزات خاصة ارتبطت بمثل قبائل الغز وتقاليدهم . وقد يتضح ذلك فى طريقتهم فى ادارة الاقاليم التى سيطروا عليها . ويمكن القول بان الصفة العائلية او الاسرية كانت السمة المميزة عند اختيارهم للامراء حكام الاقاليم اذ كانوا يحرصون على ان يبقى الحكم فى اطار اسرتهم . وهذا مايمكن ملاحظته منذ بداية عهدهم . اما التقسيمات الادارية للسلطنة فهى الاخرى تعود الى عصر التأسيس ،فقد كانت ادارة الدولة تعتمد فى تنظيمها على اساس نظام الولايات المرتبطة والتى تخضع للعاصمة المركزية . وتشير المصادر المعتمده الى ان الاخوين طغرلبك وجغرى بك قد اجتمعا " مع عمهما موسى بن سلجوق الذى كان يطلق عليه اسم (يبغو كلان) مع ابناء اعمامهم وكبار قومهم وقواد جنودهم وتعاهدوا على الاتحاد والتعاون فيما بينهم " (١) . وذلك فى اعقاب انتصارهما الساحق على السلطان مسعود فى خراسان .

لقد عد احد الباحثين الافاضل التقسيمات الادارية للسلطنة السلجوقية من بواكير اعمال السلطان طغرلبك بعد اعتلائه العرش واعلانه

---

(١) الراوندى ـ راحة الصدور ص/ ١٦٥ .

نفسه سلطانا على الدولة السلجوقية.[1] كما اضاف بانه "قد عين على كل اقليم منها واحدا من افراد اسرته"[2] . والواقع ان ذلك لم يبعد عن الحقيقة فرغم ان التقسيمات الادارية واعلان تشكيل "الولايات" السلجوقية قد حصلت فى مرحلة التأسيس فى اعقاب القضاء على خطر الغزنويين ،غير ان عملية التقسيم الادارى واقراره كانت عملية جماعية اشترك فيها جميع امراء الاسرة السلجوقية الذين اشرنا الى انهم قد اجتمعوا وتعاهدوا على الاتحاد والتعاون ذلك انهم قرروا فى اعقاب ذلك الاجتماع الاتصال بالخلافة العباسية وكسب اعترافها الشرعى بهم ،فارسلوا الى الخليفة العباسى رسالتهم المشهورة والتى تعرضنا لها عند متابعة العلاقات العباسية - السلجوقية ،ثم "مالبثوا بعد انانفذوا هذه الرسالة ان قسموا الولايات وعينوا على كل ناحية واحد منكبارهم والمقدمين فيهم فاتخذ "جغرى بك" وهو اكبر اخوته مدينة مرو دارا لملكه واختص باكثر خراسان ،وتنصب "موسى كلان" على ولاية بست وهراة وسجستان ومايجاور ذلك من النواحى التى يستطيع فتحها،وتنصيب "قاورد"[3] وهو اكبر اولاد جغرى بك على ولاية الطبسين ونواحى كرمان" فاذا ما اخذنا ذلك بنظر الاعتبار واضفنا اليه حقيقة ان طغرلبك قد تيسر له بعد ذلك

---

(١) عبدالنعيم حسنين - دولة السلاجقة ص/ ١٤٤ .

(٢) ن . م . س ص/ ١٤٤ .

(٣) الراوندى - م . س ص/ ١٦٧ .

"استخلاص مدينة الرى فاتخذها دارا للملك ،ثم ارسل ابراهيم بن ينال الى مدينة همدان والامير ياقوت الى ابهر وزنجان ونواحى اذربيجان والامير قتلمش الى جرجان ودامغان "[١] . ادركنا ان التقسيمات قد حصلت فى اطار تفاهم وتعاون الاسرة الحاكمة وليس وفق رأى طغرلبك واجتهاده بل وحتى قبل ان يعلن طغرلبك نفسه سلطانا على السلاجقة . اضف الى ذلك فان التدقيق فى النصوص آنفة الذكر يكشف عن ان التقسيمات الاولى للادارة السلجوقية كانت - قبل التوسع نحو الجنوب والغرب - تتألف من خمسة ولايات اصبحت كلها تتبع العاصمة التى اتخذها طغرلبك وهى مدينة الرى . وقد تمكن طغرلبك بعد سنة (٤٤٧هـ/١٠٥٥م) من القضاء على البويهيين فورثت دولة السلاجقة ممتلكاتهم وهكذا اصبحت كل من بلاد فارس والاهواز[٢] .

وفى سنة (٤٤٨هـ/١٠٥٦م) استولى على تكريت[٣] . والموصل وبلد وسنجار[٤] .

وهكذا فقد تمكن السلاجقة خلال فترة قصيرة ان يتحولوا من مجرد سلطنة اقليمية جديدة تحل محل سلطنة زائلة فى اقاليمها الى قوة اسلامية كبيرة لها كيانها وتأييد الخلافة العباسية وتمتد اقاليمها من اقاصى المشرق الاسلامى وحتى سواحل البحر الابيض المتوسط .

---

(١) ن . م . س ص/ ١٦٨ .

(٢) ابن الاثير - الكامل ٧٢/٨ - ٧٣ .

(٣) ن . م . س ٧٧/٨ .

(٤) ن . م . س ٧٨/٨ .

وكان حكام الاقاليم يعينون عددا من الموظفين لمساعدتهم ،كما ان السلطان يصدر الفرمان الخاص بتعيين كبار الموظفين فى العاصمة ونوابا عن ادارات الدواوين وكبار الموظفين فى الولايات. وقد اتخذ امراء الاقاليم الجيوش الاقليمية السلجوقية التى حافظت على قيم السلاجقة ومثلهم وتقاليدهم ،كما استعانوا بالقبائل والعناصر البشرية المحلية فى تدعيم قواتهم (١).

ومن الجدير بالملاحظة ان امراء الاقاليم وجيوشهم كانوا خلال فترة البحث تحت تصرف السلطان فى اى وقت يشاء ذلك ان السلطة المركزية كانت قوية مرهوبة الجانب لذلك فقد كانت الادارة مركزية وقوية والدولة على العموم متماسكة وقد استمرت هذه السمة الى نهاية عصر ملكشاه حيث بدأ الضعف يعصف بالسلطنة فانعدمت الوحدة والانسجام بين اجزاء الدولة السلجوقية فاصبح امراء الاقاليم يصرفون شؤون اقاليمهم على حسب اجتهاد كل منهم وتقديره لمصالحه الخاصة . وذلك يشير الى التفكك والتصادم والى تحول اسلوب الادارة الى اللامركزية . وقد ساعد ذلك على بروز ادوار بعض المراكز الحضرية حيث ازدادت اهمية بعضها بدرجة تنسجم مع دور الامير الذى يحكم فيها (٢).

---

(١) عبدالنعيم حسنين ـ دولة السلاجقة ص/ ١٤٥ .

(٢) الراوندى ـ راحة الصدور ص/ ١١٠،وانظر عبدالنعيم حسنين ـ م . س ص/ ١٤٥ .

وهكذا فان تقسيم الدولة اداريا الى ولايات يرأس كل ولاية منها امير ينوب عن السلطان السلجوقى ويخضع له كان كما قال احد الباحثين "سلاحا ذا حدين، فقد ادى الى تماسك الدولة وترابطها فى اوقات القوة "(١) وهى الفترة التى افردت لها هذه الدراسة ، فى حين انه كان فى اوقات الضعف عاملا من عوامل تفككها وتمزقها .

ولعل مما يزيد فى الارباك وحيرة الدارسين ، ان الادارة السلجوقية كما نلاحظ لم تصل الى درجة من التطور والنضج بحيث تعين الحدود الفاصلة بين الاختصاصات الادارية المختلفة وذلك امر واضح من دراسة الوظائف والدواوين على السواء، ولعل السبب فى ذلك يعود الى تأثير التقاليد والمثل القبلية ولهذا فمتى ماكان الموظف او رئيس الديوان او الامير قويا ، يتسع نفوذه وتكثر الاعمال المنوطه به . ومن آثار البداوة الواضحة فى الادارة السلجوقية الغاء ديوان البريد ، حيث ادى ذلك الى قطع الصلة بين السلاطين وعمالهم فى الاقاليم وادى الى قوة مكانة امراء الاقاليم تدريجيا وخصوصا فى فترة الضعف والتردى .

---

(١) عبدالنعيم حسنين ـ دولة السلاجقة ص/ ١٤٦ .

(٢) الاتابكيات :

وهذا نوع من انواع الادارة الاقليمية التى كانت سائدة عند السلاجقة . وقد عرفنا ان اصل هذه التسمية انها كانت تطلق على الشخص الذى يقوم بتربية احد ابناء السلطان ،ورعايته ،وفى الوقت نفسه يكون مسئولا عن ادارة المدينة التى يقطعها السلطان لابنه الصغير،وتحت ستار هذه الرعاية التى اعطيت لهم ،فان بعضهم قد استغلها فى تقوية نفوذهم ومراكزهم حتى انهم وصلوا الى درجات مرموقة فى الحكم وكان للاتابك وفق تقاليد السلاجقة الاولوية فى زواج ام الطفل الذى يقوم برعايته عندما يطلقها السلطان (١). وكان بعض الولاة الاكفاء من ذوى الحزم والتدبير فى بلاد فارس قد جعلوا من انفسهم حكاما على كثير من الاقاليم الفارسية بعد وفاة السلطان ملكشاه . كما اتخذ بعضهم لنفسه لقب (اتابك) دون الالتفات الى هذه الصفة (٢) . وقد كان الامراء فى الاساس هم من المماليك الارقاء او الموالى . ولم يكن وضعهم مساويا لوضع الامراء الاحرار ،وقد استطاعوا ان يصلوا الى اعلا المناصب فى الدولة ،ثم اصبح لهم هم انفسهم مماليك ،وكما ذكرنا انه حدث فى بعض الحالات ان تزوج كل من الارقاء والموالى من البيت الحاكم ،ولم يكن

---

(١) يذكر زامباور (مثل هذا الاتابك تزوج ام الطفل الذى يقوم برعايته) الاسرات الحاكمة ص / ٣٤٣،٣٤٧،٣٤٩ .

(٢) تاماراريس ـ السلاجقة ص/ ١٠٠ .

هناك وصمة اجتماعية . وان من تعاليم الدين الاسلامى ،فان ممتلكات المملوك تورث لسيده لكن السلاجقة كانوا يجعلون التركة لسلالته . وكان بامكان المماليك ان يحصلوا على حريتهم اما عن طريق المال حيث كانوا يشترون حريتهم او ان تمنح لهم بواسطة السلطان او تؤخذ اغتصابا ذلك انه اذا ماوصل المملوك الى تسلم مركز من مراكز القوة فانه يتحول تلقائيا الى انسان حر.(١) ويذكر صاحب كتاب تاريخ ايران بأن الامراء ينقسمون بصورة عامة الى ثلاث مجموعات ،فمنهم الجالسون فى بلاط السلطان،ومنهم امراء الاقطاعيات ومنهم الامراء المتمولون وهؤلاء يقدمون خدماتهم لمختلف القواد ويستولون على الاقاليم اذا سنحت الفرصة.(٢) ولكن هذا التقسيم لم يكن دقيقا كما يظهر ،فقد ازداد الاتابكة وخاصة بعد وفاة ملكشاه ،حيث اصبح من المعتاد ان تمنح الاقطاعيات للامراء الصغار من اعضاء الاسرة الحاكمة(٣) ،وفى هذه الحالة فان الاقطاعية تدار بواسطة الاتابك ، الذى يتحكم تدريجيا فى كل شىء والذى يحصل على الحرية فى حكم المقاطعة التى تبقى عادة مرتبطة ارتباطا وثيقا بالسلطان والمركز ،وهذا من الاسلوب الذى يميز السلاجقة فى حكم الاقاليم . غير ان مما لاشك فيه هو ان هذا التطور لم يحصل خلال

---

(١) بويل - تاريخ ايران ص/ ٢٢٥ .

(٢) ن . م . س ص/ ٢٢٥ .

(٣) ابن الاثير - التاريخ الباهري ص/ ١٢ .

فترة البحث وان كانت جذوره قد نمت وتطورت ضمنها .

ومن اشهر الاتابكيات فى الفترة التالية المباشرة اتابكية الموصل نسبة الى عماد الدين زنكى ابن قسيم الدولة اقسنقر الحاجب صاحب حلب (١) ويذكر الراوندى ان ملكشاه اعطى الموصل لـ "جكرمش" (٢) .

وبعد ذلك اخذت الاتابكيات فى الانتشار والاتساع ،وقد حصر زيمباور الاسر الاتابكية فى العصر السلجوقى وخاصة خلال الفترة التالية لنطاق البحث . ونشير هنا مثلا الى اتابكية الموصل والشام وسنجار والجزيرة واربل واذربيجان وفارس (٣).

---

(١) زامباور ـ الاسرات الحاكمة ص/ ٣٤٣ (اعطى ملكشاه حلب لقسيم الدولة)

(٢) الراوندى ـ راحة الصدور ص/ ٢٠٣ .

(٣) زامباور ـ الاسرات الحاكمة ص/ ٣٤٠ ـ ٣٥٦ . وانظر احمد كمال حلمى السلاجقة فى التاريخ والحضارة ص/ ١٤٧ ـ ١٥٧ .

(٣) سياسة الاقطاع واثرها فى الادارة السلجوقية :

ظهر الاقطاع مبكرا فى الدولة الاسلامية ،والمصادر الاسلامية تتحدث باسهاب عن اقطاعات الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين رضى الله عنهم (١) . وقد استمرت الدولة الاسلامية فى تطبيقها لمنح الاقطاعات طوال العصرين الاموى والعباسى . غير ان مما ينبغى التنبه اليه هو ان مضامين الاقطاع الاسلامى خلال فترة صدر الاسلام لم ترتبط باية تطورات سياسية او عسكرية او اجتماعية كما لم تتضمن اية نواحى سلبية بازاء مصلحة اى من الدولة او المجتمع على السواء (٢) .

ولقد حصل تطور خطير فى العلاقات الزراعية فى العراق والمشرق الاسلامى عامة منذ استيلاء البويهيين على السلطة فى بغداد ذلك انهم واجهوا ازمة مالية مستعصية مستحكمة ،كما انهم لم يكونوا من ذوى الخبرة فى التنظيم الاقتصادى كذلك فانهم ساروا وفق سياسة زراعية خطيرة عادت عليهم وعلى الدولة العباسية والمجتمع الاسلامى فى الاقاليم التى حكموها

---

(١) قدم الاستاذ احمد عبدالله خياط رسالة علمية ممتعة عن "الاقطاع فى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين " نال بها درجة الماجستير فى النظم الاسلامية من كلية الشريعة بجامعة ام القرى عام ١٤٠٠هـ .

(٢) كان الاقطاع عبارة عن منح السلطان المقطع لقطعة ارض لمصلحة المقطع لغرض استغلالها والافادة من خيراتها . انظر الخوارزمى مفاتيح العلوم ص/ ٤٠، السامرائى ـ الزراعة فى العراق خلال القرن الثالث الهجرى (فصل الاقطاع)

بافدح الخسائر اضافة الى ماينجم عنها من خراب الاراضى الزراعية في السواد وغيره . ذلك ان معز الدولة البويهى قد منح الاقطاعات لجنده دون اى حساب او اعتبار لمصلحة بيت المال .(١)

ولم يكتف الامير عضد الدولة فى الالتزام بسياسة سلفه فى منح الاقطاعات للجند من الاراضى المملوكة لبيت المال ،بل انه تجاوز ذلك وتطرف كثيرا فى العدوان على اراضى الاوقاف التى توسع فى منح جنده الاقطاعات منها دون اى اعتبار لحقوق الآخرين فيها او التزام بوقفية الواقف.(٢)

ان الدراسة المتفحصة لاوضاع الزراعة فى العصر البويهى(٣) تشير الى ان الكثير من القادة والجند الذين منحوا الاقطاعات قد اهملوا عمارة ما اقطعوا ،وقد شجعهم على ذلك قدرتهم على رد اقطاعاتهم - بعد ان يحصل خرابها - وحصولهم على البديل عوضا عن اقطاعاتهم المردودة والخربة حيث كان من حقهم ان يعوضوا عنها حيثما يختارون(٤) وقد تفاقمت المساوىء حين شاع الاعتماد على الوكلاء فى الاشراف على

---

(١) مسكويه - تجارب الامم ٩٧/٢ .

(٢) الروذراورى - ذيل تجارب الامم ص/ ٧١ .

3) Samarrai, H.S.C Agricult ure in Irag during the Brd Century A.H.PP 128 - 154

(٤) مسكويه - تجارب الامم ٧٩/٦،وانظر طرخان - النظم الاقطاعية ص/ ٢٣ .

الاقطاعات والمحاسبة على ايراداتها ذلك ان الاخيرين لم يميزوا بين الحلال والحرام ،وكان كل غرضهم جمع اكبر كمية من الاموال لانفسهم ولموكليهم ولهذا فانه ليس من المستغرب ان يلجأوا الى ظلم المزارعين ومصادرتهم مما اضعف قدرتهم وطاقتهم على الاستمرار بعد ان يئسوا من جدوى الزراعة تحت ظل مثل تلك الظروف.(١) ومن الغريب ان هذه الاخطار لم تواجه المزارعين فى اراضى الدولة - التى ترجع اصولها الى اراضى الخراج والصوافى تاريخيا - فحسب بل انها تعدت ذلك الى "اراضى الملك الخاص" التى يمتلكها اهل اليسار من المواطنين ،بجانب اراضى الوقف وقد سبقت الاشارة اليها ،حيث كان الامير البويهى يقطع وارداتها الى القادة او الجند.(٢) وقد توصل احد الباحثين(٣) الى ان ملاك الاراضى الزراعية حينما يجدون انفسهم مثقلين باعباء دفع " ضرائب ثقيلة " تجبى منهم باساليب قسرية ،اضافة الى ماكانوا يرغمون على دفعه الى الجباه الجشعين او الوكلاء فانهم قد يضطرون الى التفتيش عمن يحميهم من ذلك الظلم . وقد يجدون "حماية" مناسبة من لدن بعض كبار رجال الدولة المتنفذين ،وفى مثل هذه الحالة فان ملاك الارض الحقيقيين يتنازلون "صوريا" عن ملكية اراضيهم الى شخص "الحامى" ويتعهدون بدفع الضرائب

---

(١) مسكويه - م . س ٩٧/٦ - ٩٨.

(٢) السامرائى - الزراعة ص/ ١٣٤ .

(٣) السامرائى - م . س ص/ ١٨٨ .

الخفيفة مضافا اليها نسبة معينة من الانتاج السنوى ، او مبلغ معلوم يتفق عليه من البداية الى شخص الحامى مقابل حمايته للارض من ان يدخلها احد من الجباه او الوكلاء، حيث يقوم الشخص الحامى بدفع استحقاق بيت المال على الارض التى نقلت ملكيتها اليه مباشرة الى الديوان فى العاصمة او مركز الاقليم • غير ان الخطورة هى ان هذا التطبيق الذى عرف باسم "الالجاء" (١) يؤدى قطعيا الى نقل الملكية فعليا الى الشخص الحامى او ورثته بمرور الوقت ويتحول الملاك الحقيقيون الى مجرد مزارعين اعتياديين وهكذا فانهم يخسرون كل شئ (٢) • وبهذه الطريقة تحولت ملكية نسبة عالية من ارض الملك الخاص الى القادة وكبار المتنفذين الذين "ملكوا البلاد واستعبدوا الناس" (٣) •

ولقد تحكم الجند فى الارض الممنوحة اليهم وسكانها ونوعية زراعتها ولم يكن يدخل بيت المال شيئا من الاقطاعات اذ ان كل ماحققته الاقطاعات فى هذه الفترة هو توجيه الجند لاستلام رواتبهم من اقطاعاتهم (٤) التى لم يكونوا يعيشون بها فى واقع الحال كما اسلفنا ، بل يقوم

---

(١) الخوارزمى - مفاتيح العلوم ص/ ٥٧ •

(٢) الجهشيارى - الوزراء ص/ ١١٨، ابن الفقيه الهمدانى - مختصر كتاب البلدان ص/ ٢٨٢، الاصطخرى - المسالك والممالك ص/ ١٥٨، وانظر السامرائى - الزراعة ص/ ١٨٨ •

(٣) مسكويه - تجارب ٢/١٧٢ - ١٧٥ •

(٤) ن • م • س ٢/٩٨ - ٩٩ •

وكلاؤهم بتنفيذ توجيهاتهم وجمع الواردات[(١)].

ويفهم من نص اورده العماد الاصفهاني[(٢)]، بان نظام الاقطاع الذي طبقه بنو بويه قد استمر تنفيذه في بداية الحكم السلجوقي، وان السلاجقة قد واجهوا النتائج السيئة للتطبيقات البويهية[(٣)].

ويرجع الفضل في مواجهة تلك السلبيات وفي اعادة تنظيم اقتصاد الدولة السلجوقية والعباسية على السواء وفي ادارتها الدقيقة وتحقيق تحسن شامل في الاوضاع الى الوزير نظام الملك الذي كان هو اول من طبق ما اصطلح على تسميته فيما بعد بالاقطاع الحربي[(٤)]. ويقول المقريزي "واول من عرف انه فرق الاقطاعات الملك ابو علي الحسين بن علي بن العباس وزير الب ارسلان ... وذلك لان مملكته اتسعت فرأى ان يسلم الى كل مقطع قرية او اكثر او اقل، على قدر طاقته"[(٥)].

ويتلخص هذا النظام المبتكر في ان الاقطاع لايمس رقبة الارض المقطعه

---

(١) يرى بويل دون ان يقدم مصادر معلوماته بان هذه الاقطاعات غير قابلة للتوريث وانها عرضه لاعادة التوزيع بين فترة واخرى وهذا توهم وربما نجم عن كونه تابع قضية الاقطاعات المرجوعة بسبب خرابها بويل – تاريخ ايران ٢٣١/٥.

(٢) آل سلجوق ص/ ٥٥.

(٣) ن. م. س.

(٤) نظام الملك – سياسة نامه ص/ ٣٢.

(٥) المقريزي – الخطط ١٥٣/٣.

بلانه يتعلق بخراجها فقط ،كما انه لايتضمن اية سيطرة للمستفيد من الاقطاع على المشتغلين فى الارض. والمستفيد من الاقطاع خاضع لسلطة الحكومة وهو ملزم بعدم اساءة استعمال اقطاعه وبالالتزام بما تفرض عليه الدولة من واجبات فى المقابل. واخيرا فان الاقطاع السلجوقى محدود الزمن وهو مرتبط بحسن الاستثمار وباستمرار الخدمة فى الدولة وبخلافه فان الاقطاع الممنوح يكون عرضة للاسترجاع (١). وهكذا فان هذا التنظيم لايتعارض مع الملكية الفردية ولايمسها ولايعتدى على اراضى الملك العام والاوقاف وهو كما اسلفنا يتعلق بالانتاج دون الارض (٢).

ويعلق العماد الاصفهانى على نتائج تطبيق هذه السياسة فيذكر بأن الوزير نظام الملك قد رأى بأن "الاموال لاتحصل من البلاد لاختلالها ولايصح منها ارتفاع لاعتلالها ،ففرقها على الاجناد اقطاعا وجعلها لهم حاصلا وارتفاعا ،فتوافرت دواعيهم على عمارتها ،وعادت فى اقصر مدة الى احسن حالة من حليتها ،وربما قرر لواحد من الجند الف دينار فى

---

(١) نظام الملك ـ سياسة نامه ص/ ٣٢ ـ ٣٣، الدورى ـ مقدمة فى التاريخ الاقتصادى العربى ص/ ٨٩.

(٢) وقد ترتبط النظرة السلجوقية الى الارض بالمثل والتقاليد القبلية التى ورثها السلاجقة جيلا بعد آخر ،ذلك ان زعمائهم يرون بان حكمهم يمتد الى حيث يرتحلون وقومهم. وهكذا فهو لايرتبط بمساحة معينة او محددا بحدود ثابتة من الارض. كما كان لكل قبيلة نصيبها من اراضى الرعى يتولى زعيم القبيلة توزيعها على بطون قبيلته.
انظر: البنداري ـ آل سلجوق ص/ ٢٣٤، ٢٥٢ ـ ٢٥٣.

السنة فوجه نصفه على بلد من الروم ونصفه على وجهه فى اقصى خراسان وصاحب القرار راضى " (١) .

ان تطبيق الاقطاع الحربى على هذا المستوى واتخاذه نظاما عاما للدولة قد حصل فى عهد السلطان ملكشاه ،وذلك بناء على مشورة الوزير نظام الملك (٢) . وكان الهدف من تطبيق هذا النظام مزدوجا ،فمن الناحية الادارية فانه يخفف العبء عن الحكومة المركزية ،كما انه يعطى الفرصة لامراء الاقاليم والمدن الرئيسية الى التفرغ للاشراف على حكم المناطق التى يقطعونها . فالامير المقطع سيكون اقدر على العناية باقطاعه واستغلاله على احسن وجه وذلك سيؤدى دون شك الى تحسين الاوضاع الاقتصادية للدولة والمقطعين على السواء (٣) . وقد استعاضت الدولة بتطبيق هذا النظام عن دفع رواتب القواد والجند (٤) . فامنت شر الفتنة والاضطرابات فلقد كان على الامير المقطع مقابل استغلاله للاقطاع الذى منح له ان يدفع نفقة الجند التابعين له . وكان الاقطاع يعود الى الدولة بمجرد وفاة الامير المقطع . وقد لايسمح لصاحب الاقطاع بان يواصل

---

(١) البندارى – تاريخ دولة آل سلجوق ص/ ٥٥ .

(٢) البندارى – آل سلجوق ص/ ٦٠، السبكى – طبقات الشافعية ١٣٩/٣ .

(٣) البندارى – م . س ص/ ٦٠ .

(٤) نظام الملك – سياسة نامه ص/ ١٣٥،٧، السبكى – طبقات الشافعية ١٣٩/٣ .

استغلال اقطاعه سوى سنتين او ثلاث سنوات[١]. وهذا يدل على ان الاقطاع الحربى كان اقطاع استغلال ولم يكن اقطاع تمليك . اما اقطاع التمليك فلم تلجأ اليه الدولة الا فى اضيق الحدود ، اذ كان منحه قاصرا على امراء البيت السلجوقى . وان من اسباب سياسة ملكشاه ووزيره نظام الملك فى تحديد مدة قصيرة لانفاذ الاقطاع الحربى لاتتجاوز السنتين او الثلاث سنوات هو الرغبة فى منع الظلم هن الرعية من جهة ولكى لايكون الاقطاع مصدر قلق للدولة اذا ما امتد لفترات طويلة اذ قد يلجأ الامراء المستفيدون الى بناء القلاع والقصور وقد يدفعهم ذلك الى التفكير بالتمرد والعصيان والاستغلال[٢].

ولقد وضح الوزير نظام الملك العلاقة بين المقطع والسكان فقال "ينبغى لاهل الاقطاع ان يعلموا ان ليس لهم على الرعية من الامر الا ان يجبوا منهم المال الحق الذى عهدت اليهم جبايته بالحسنى فاذا جبوه وجب ان يأمن الناس على انفسهم ونسائهم واموالهم وعيالهم ويطمئنوا على اسبابهم وضياعهم ومالاهل الاقطاع عليهم بعد ذلك من سبيل ... وكل من سار من المقطعين من الناس بغير ذلك وجب ان تغل يداه وان يسترد اقطاعه ،وان يؤاخذ على ذلك حتى يعتبر به الآخرون ليعلموا ان الملك والرعية للسلطان جميعا "[٣] .

---

(١) نظام الملك ـ سياسة نامه ص/ ٧٠

(٢) نظام الملك ـ سياسة نامه ص/ ٧٠

(٣) نظام الملك ـ سياسة نامه ص/ ٦١ .

وقد نبه الوزير نظام الملك الى الاجراءات والتدابير التى ينبغى اتخاذها اذا مابلغه من الرعية استغلال صاحب الاقطاع او ظلمه للرعية فقد ذكر بانه :" اذا بدت على الرعية علائم التلف ،وهجست الريبة فى النفس بان القائلين مغرضون ،وجب ان يندب على الفوار الى الخواص من لايرقى الى ساحته الريب فيما يبعث فيه من اعمال ،وان يرسل الى تلك الناحية متذرعا بذريعة ما ،فيجوس فيها شهرا ،يفحص عن حال المدينة والرستاق ويرى العمران والخراب ،ويستمع الى قول كل قائل فى حق صاحب الاقطاع والعامل ويعود بالخبر اليقين. ذلك لأن الوكلاء يلقون اعذارهم ويلتمسون الذرائع بقولهم :" انهم لنا خصماء ،فلاتلقوا لقولهم بالا،لانكم ان فعلتم جرأوا علينا وفعلوا مايشتهون. اما المعتمدون والقائلون فيعجزون عن بذل النصح للسلطان او لأصحاب الاقطاع المغرضين مالم يتبينوا صورة الحال فيخرب العالم لهذا السبب وتبتئس الرعية وتتأذى وتجبى الاموال بغير حق "(١).

ويتضح من ذلك ،بجانب حرص الادارة السلجوقية على انفاذ العدالة والانصاف ان المقطعين كانوا يقيمون فى المدن وينوب عنهم فى ادارة اقطاعاتهم وكلاء يختارونهم للقيام بذلك. وهذا الاجراء هو تطبيق معدل لنظام الوكلاء البويهى.

ولعل طبيعة الاقطاعات السلجوقية الموزعة فى اكثر من منطقة

---

(١) نظام الملك ـ سياسة نامه ص/ ١٧١.

للفرد الواحد كانت تستلزم اتخاذنظام الوكلاء لانجاز الاعمال التي تناط بهم . كما يفهم من النص ان حقوق المقطع على المزارعين كانت مالية فقط من الوجهة النظرية . وان كنا نشك فى ذلك فقد سيطر المقطعون عن طريق وكلائهم على الارض فكانت حرية المزارعين فى الغالب محدودة اضافة الى انهم هم المسؤولون عن دفع الضرائب الاضافية ورسوم الوكلاء . وقد كثر التجاوز عليهم كما شمل التجاوز اصحاب الاراضى الصغيرة من المزارعين المجاورين للاقطاعات مما اضطرهم الى "الالجاء" رغبة فى حماية انفسهم من شرار الجباه[1] . وهذا ادى الى التوسع فى الملكيات الكبيرة وتقليص الملكيات الصغيرة . ومع ان محاولة الوزير نظام الملك كانت جاده فى توفير الحماية القانونية للمزارعين والفلاحين من الظلم والتجاوزات من خلال ماكتبه فى " سياسة نامه " فى هذا المجال[2] . الا ان تلك النصوص لم تجد نفعا ،فقد تطور الاقطاع العسكرى او الحربى تدريجيا ولم يعد ينصب على توجيه حقوق بيت المال من الانتاج او حتى الضرائب . بل تحول تدريجيا الى وسيلة من وسائل التملك للارض فاصبح "وراثيا" يمارس فيه المستفيد من الاقطاع صلاحيات واسعة

---

(١) خصص الاستاذ الدكتور حسام الدين السامرائى فى كتابه "الزراعة فى العراق" بحثا ضافيا عن "الاقطاع" ص/ ١٢٨ ـ ١٤٥،كما بحث موضوع "الضرائب الاضافية الثقيلة التى دفعت اصحاب الاراضى الى الالجاء" ص/ ١٥٥ ـ ١٩١ .

(٢) نظام الملك ـ سياسة نامه ص/ ٦١،١٧١ مثلا .

فى الارض وزراعتها وحقوق استثمارها فى مقابل الخدمة العسكرية واعداد عدد معين من الجند (١). والراجح ان يكون نظام الملك قد وضع نصب عينه الاقطاع العسكرى حينما اثبت تلك الاعتراضات والتحذيرات التى سبقت الاشارة اليها . وهذا يعكس فى الواقع مدى اهتمام السلاجقة بالارض وحرصهم على توسيع الرقعة الزراعية ،اضافة الى اقرار العدالة .

ومما تجدر ملاحظته انه كان فى انحاء السلطنة السلجوقية تداخل واسع فى استعمال المصطلحات فقد يستخدم تعبير "اقطاع" فى المصادر للتعبير عن العديد من انواع المنح وان كان الغالب هو منح ادرار الارض المقطعة فى مقابل الخدمات الحربية او العسكرية او لغرض دفع رواتب الجند . وقد تصرف المنح التى توهب للامراء السلاجقة بالاقطاعات وهى الاصل التاريخى للاتابكيات وقد تذكر المصادر "الاقطاع" حيث يرد فيها بمعنى الضمان ،فقد عقد طغرلبك ضمان بغداد على ابى سعد القاينى بثمانية وخمسين الف دينار وسمى اقطاعا (٢). كما قد يمنح الخليفة اقطاعا يستغله لتغطية نفقاته ويعرف باقطاع الخلافة (٣). وقد يمنح الاقطاع للوزير ،وذلك امتدادا للتقليد العباسى فيما عرف باقطاع الوزارة . ومن التطبيقات التى حصلت فى الاقطاع خلال فترة البحث ان السلطان الب ارسلان

---

(١) الدورى ــ مقدمة فى التاريخ الاقتصادى العربى ص/ ٩٦ ــ ٩٧ .

(٢) البندارى ــ آل سلجوق ص/ ٢٧ . اقطاع زوجات السلاطين .

(٣) ن . م . س ص/ ٢٢ .

قد منح شرف الدولة ابا المكارم مسلم بن قريش فى سنة (٤٥٧هـ/١٠٦٤م) هيت والانبار وحربى والسن والبوازيج اقطاعا .(١) وفى عام (٤٥٨هـ/١٠٦٥م) اقطع السلطان الب ارسلان اقليم مازندران للامير اينانج بيغو واقطع بلخ لاخيه سليمان بن داود "جغرى بك" واقطع خوارزم لاخيه ارسلان ارغو ،واقطع مرو لابنه ارسلان شاه ،واقطع صغانيان وطخارستان لاخيه الياس ،واقطع ولاية بغشور ونواحيها لمسعود بن ارناش ،وهو من اقارب السلطان ،كما اقطع اسفزار لمودود بن ارتاش.(٢) وكان ذلك قد تم بمناسبة اختيار الب ارسلان ملكشاه وليا للعهد .

كما تذكر المصادر بان السلطان ملكشاه قد منح " خواص اتباعه الاقطاعات من اقصى ولايات الشام الى ساحل المحيط ،فاعطى مدينة حلب لقسيم الدولة .. "اقسنقر"،واعطى "الرها" لعماد الدولة بوزان ،واعطى "الموصل" لـ كجرمش.(٣)

ولما تحقق للسلطان ملكشاه النصر على خان سمرقند واسره(٤) " ذهب

---

(١) البندارى ـ آل سلجوق ص/ ٣٣ .

(٢) ابن الاثير ـ الكامل ١٠/ ٥٠ .

(٣) الراوندى ـ راحة الصدور ص/ ٢٠٣ .

(٤) يقال ان اسم الملك السمرقندى هو احمد بن سليمان خان (الراوندى راحة الصدور ص/ ٢٠٣) وانظر ابن الاثير ـ الكامل ١٤٨/٨ حيث جعل اسمه احمد خان بن خضر خان اخو شمس الملك الذى كان قبله وهو ابن اخى تركان خاتون زوجة السلطان ملكشاه نفسه وكان صبيا ظالما قبيح السيرة يكثر مصادرة الرعية فنفروا منه وكتبوا الى السلطان سرا يستغيثون به .

الى "اوزكند" وانقذ الولاه واصحاب الاقطاع الى حدود "الخطا" و"الختن" ونصف كل واحد منهم على مدينة من المدن ،واقتلع من هذه الديار العادات المبتدعة والرسوم المستحدثة والقوانين الجائرة "[١] .

وللتدليل على شيوع الاقطاعات فى مختلف ولايات السلطنة وكذلك للتدليل على كثرتها ذكر مؤلف كتاب راحة الصدور بان "الجند الذين يلازمون ركاب السلطان ملكشاه ،ممن اثبتت اسماؤهم فى الجرائد الديوانية يبلغون ستة واربعين الف فارس وزعت اقطاعاتهم على سائر بلاد المملكة حتى اذا نزلوا باية ناحية منها كانت نفقاتهم وعلوفة دوابهم معدة مهيأة "[٢] .

وان نحن امعنا التدقيق فى اوضاع العراق فى العصر السلجوقى فان مايمكن ان نتوصل اليه هو ان هذا الاقليم قد قسم الى عدد من الاقطاعات وزعت بين افراد البيت السلجوقى الحاكم والولاه ومتولى مناصب الشحنة[٣] . وقد استمر الوضع على هذا الحال طوال العصر السلجوقى نظرا لاعتماد الادارة على هذا النظام الذى يهيىء الطبقة العسكرية التى تتولى امر الولايات . وهكذا فقد لعب نظام الاقطاع دورا بارزا فى استقرار الادارة فى العصر السلجوقى وتنظيمها ،واصبح سمة من سمات هذا

---

(١) الراوندى ـ راحة الصدور ص/ ٢٠٣ .

(٢) ن . م . س ص/ ٢٠٤ ـ ٢٠٥ .

(٣) ابن الجوزى ـ المنتظم ٩/ ٧٧،١٠٣،١٠٤ .

العصر،وخاصة فى عهد السلاطين العظام حتى وفاة السلطان ملكشاه (٤٨٥هـ/١٠٩٢م) غير ان هذا النظام رغم تدقيق الوزير نظام الملك وسياسته الشديدة فى ضرورة تطبيق القواعد الصحيحة والعدالة ،فان المستفيدين من الاقطاع مالوا الى الاستغلال واستغلوا الرعية استغلالا سيئا ،وبدلا من ان يؤدى نظام الاقطاع الى تحسين الاحوال الاقتصادية اصبح عاملا من عوامل افقار البلاد واضعافها ،لان الامير المقطع لم يكن همه غير جباية اكبر قدر من الاموال من الفلاحين عن طريق فرض مختلف انواع الضرائب الاضافية ،وعد اكثرالمقطعين اقطاعهم ملكا وراثيا واخذوا فى الاساءة الى الفلاحين ومعاملتهم باقسى انواع الشدة فاستشرى الظلم وانتشر الفساد (١) .

الامر الذى انتهى بمعظمهم الى ترك زراعة الارض ،وهكذا كان تطبيق النظام الاقطاعى عاملا من العوامل التى ادت الى اضعاف الدولة وسوء حالتها الاقتصادية والى زوال وحدة الدولة وتفككها والارتباك الاداري الحاد الذى اصاب مؤسساتها (٢) .

---

(١) بويل ـ تاريخ ايران ٥/ ٤٠

(٢) البندارى ـ آل سلجوق ص/ ٢٥٢ ـ ٢٥٣ .

(د) الشرطـــــــة :

والشرطة من المؤسسات الادارية التى ورثتها الدولة السلجوقيـــــة من العهود الاسلامية . وتعد وظيفة متولى الشرطة وصاحب الشرطـــــــة من الوظائف الادارية المهمة فى العصر السلجوقى . والحقيقة فان هـــــذا النظام كان معروفا عند البويهيين كما انه كان شائعا فى العصـــــور العباسية حيث كان يتولاه احد القادة التنفيذيين من علية القوم ،ومـــن اهل العصبية والقوة (١) . ويمكن القول بان هذا النظام يرجع فى تطـــوره الى بداية ظهور نظام العسس فى عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطـــاب رضى الله عنه ثم نظمت الشرطة فى خلافة امير المؤمنين على بن ابى طالب رضى الله عنه وسمى رئيسها صاحب الشرطة ،وكانت الغاية من وضعها فـــى البداية مساعدة القضاه فى اجراءات التقاضى ومساعدة الحكومة فى تنفيـــذ الاحكـــام (٢) .

اما السلاجقة فقد اهتموا بالشرطة اهتماما كبيرا ،فقد كان لكـــل امير من امراء السلاجقة حرس خاص واتباع ،ويرأس هؤلاء شخص يعـــــرف (بصاحب الحرس) (٣). ومن شدة حرص السلاجقة وتدقيقهم فى اختيار صاحب الحـرس نص نظام الملك فى كتابه بانه "ينبغى اتخاذ الاحتياط فى امر الحـــــرس

---

(١) حسن ابراهيم حسن ـ تاريخ الاسلام ٣٤٥/٤ .

(٢) حسن ابراهيم حسن ـ النظم الاسلامية ص/ ١٩٠،صبحى الصالح ـ النظـــم الاسلامية ص/ ٤٠ .

(٣) عبدالنعيم حسنين ـ دولة السلاجقة ص/ ١٦٦،تاماراريس ـ السلاجقـــة ص/ ١٠٣ .

وحراس الابواب واصحاب النوبة والخواص ،ويجب ان يعرف كل هؤلاء الاشخاص الذين يشرفون عليهم حق المعرفة وان تعلم احوالهم جميعا ماظهر منها ومابطن ويجب السؤال عن ذلك كل يوم لانهم اميل الى الطمع لرقة حالهم واكثر انخداعا بالمال "(١) .

ومهمة صاحب الحرس الاشراف على الجند الذين يحافظون على النظام ويعملون على استتباب الامن ،ومراقبة المشبوهين السياسيين وقد تتضمن مهامه كذلك امورا خطيرة تشمل القضاء على من يوكل اليه بامر القضاء عليه .(٢) وكان السلاجقة لايبخلون فى دفع الرواتب الكبيرة لهم . على ان هذا المنصب ومايتبعه من اختصاصات قد واجه ضربة حاسمة من السلطان وان السلطان الب ارسلان الذى لم يعتقد بجدواه ،قرر رغم نصيحة وزيره نظام الملك ، الغاء هذا النظام قائلا : " اذاقمت بتعيين صاحب حرس فسوف لن يلتفت اليه ويهتم به اصدقائى المخلصون لانهم يتمتعون بثقتى ولن يحاولوا ارشاده لانهم واثقون من اخلاصهم وصداقتهم ومودتهم لى بينما سيقوم اعدائى ومعارضى من جهة اخرى بعقد اواصر الصداقة معه ويهبون له المال ،فمن الواضح ان صاحب الحرس هذا سيقدم لى التقارير السيئة عن اصدقائى . والتقارير الجيدة عن اعدائى .."(٣) . ومع ذلك فقد

---

(١) نظام الملك ـ سياسة نامه ص/ ١٦٤ .

(٢) عبدالنعيم حسنين ـ دولة السلاجقة ص/ ١٦٦،تاماراريس ـ السلاجقة ص/ ١٠٣ .

(٣) تاماراريس ـ السلاجقة ص/ ١٠٣ ـ ١٠٤ .

ابقى السلطان الفراشين الذين كانوا يعملون فى قصره ومقر ادارته وكان عددهم يربو على المائة وهم موزعون نوبتين .[1] كما كان يعمل لدى الوزيرنظام الملك ثمانون فراشا . وهذه الارقام كبيرة اذا ماقورنت بما لدى بعض الامراء الآخرين مثل نائب الشام .[2] اضف الى ذلك فقد كان للسلطان جماعة من الحرس تعرف (بالجمدارية) مكلفة بحراسته وامنه وكانت مجموعات منهم تقف على الدوام على اهبة الاستعداد فى مداخل مجلسه حيث تصطف على الجانبين وقد اشارت بعض المصادر الى ان عددهم فى كل نوبة يصل الى "ثمانين جمدارا ملبسين احسن الملابس"[3] ،ولاتقدم المصادر معلومات دقيقة عن طبيعة عمل الجمدارية هؤلاء،والراجح انهم موكلون بمسؤولية حفظ النظام وتنظيم حماية كاملة للسلطان والوزير والامراء فى مقراتهم فى حين يكون الاعتماد فى تنقل السلطان او كبار الرسميين على مايرافقه من القادة العسكريين والاجناد .[4]

---

(١) السبكى ـ طبقات ٣/١٣٨ .

(٢) ن . م . ص ٣/١٣٨ .

(٣) ن . م . ص ٣/١٣٩ .

(٤) الراوندى ـ راحة الصدور ص/ ١٠٤ .

الفصلُ الرابعُ

التداخل في الاختصاصات الإداريّة العباسيّة والسلجوقية

الفصل الرابع

التداخل فى الاختصاصات الادارية العباسية والسلجوقية

المبحث الاول : الخليفة العباسى والسلطان السلجوقى

المبحث الثانى : الوزير العباسى والوزير السلجوقى

المبحث الثالث : علاقة الاقاليم بمقر الخلافة ومقر السلطة السلجوقية

المبحث الرابع : الفتوحات السلجوقية واثرهـــا

الفصل الرابع

التداخل فى الاختصاصات الادارية العباسية والسلجوقية

لقد دبت حالة الضعف فى الادارة العباسية منذ ايام الخليفة المتوكل على الله العباسى (٢٣٢ – ٢٤٧هـ/٨٤٧ – ٨٦١م) فقد وجد الجند الاتراك فرصتهم الذهبية فى التدخل فى امور الادارة بعد ان لعبوا الدور الرئيسى فى ايصال المتوكل الى الخلافة . وعاشت الدولة العباسية فترة فوضى الجند التركى التى ابتدأت باغتيال الخليفة المتوكل واستمرت تسع سنوات (٢٤٧ – ٢٥٦هـ/٨٦١ – ٨٦٩م) انحطت فيها هيبة الخلافة واقترف الجند فيها شتى الفضائح واستضعفوا الخلفاء فكان الخليفة فى ايديهم كالاسير ان شاءوا ابقوه وان شاءوا خلعوه ،وان شاءوا قتلوه ،مما شجع امراء الاطراف على الانفصال ولاسيما فى مصر وبلاد فارس. وكادت فترة الفوضى تنتهى بانتصار الاتراك واوشكت سلطة الخلافة على الانهيار غير انوصول الخليفة المعتمد على الله الى الخلافة قد ادى الى توقف الاتراك عن اثارة الاضطرابات وذلك لانه كان صنيعة لاحد كبار قادتهم موسى بن بغا .

كما ان قيام صاحب الزنج بالثورة فى القسم الجنوبى من العراق ونجاحه فى اجتياح العراق الجنوبى قد جعل الاتراك يحسون بخطورة الموقف ولذلك فانهم اذ عنوا بقيادة الجيش المتمثلة فى الامير العباس ابى احمد الموفق . وقدواجهت الدولة العباسية اضافة الى الزنج خطر

الصفاريين • على ان اكبر فشل تعرض له الموفق كان في سياسته مع احمد ابن طولون الذى استقل بمصر وفشل الموفق فى اخضاعه بالقوة وكانت النتيجة ان ضم ابن طولون بلاد الشام الى مصر تحت حكمه • ولقد انتعشت الخلافة فى عهد الخليفة المعتضد الذى اتبع مع الامراء المنفصلين سياسة المساومة واللين وتمكن من اعادة بعض الاقاليم الى تبعية الدولة ويبدو ان للوئام الحاصل بين القوة الادارية والجيش اثرا يذكر في استرجاع الخلافة بعض مكانتها • وتمكن الخليفة المكتفى من استرجاع السيادة على بلاد الشام ومصر ،كما وثق علاقته بامراء الاطراف واكد سيادة الخلافة العباسية عليهم • غير ان وفة المكتفى تمثل نهاية فترة الاستقرار والهدوء النسبى الذى عاشته الخلافة ذلك لان حكم الخليفة المقتدر بالله يمثل رجوع التصادم بين العناصر المتنفذة ،وتراجع سلطان الخلافة الذى ادى الى استحكام الازمة المالية فى العقد الثالث من القرن الرابع الهجرى والذى نجم عن انقطاع الموارد بسبب تفاقم خطر الامراء المتغلبين ،حيث تغلب البويهيون فى فارس والرى واصفهان وبلاد الجبل ،واستقل بنو حمدان بالموصل وديار بكر وديار ربيعة وديار مضر • وسيطر الاخشيديون على مصر وبلاد الشام ثم خلفهم الفاطميون وسيطر السامانيون على خراسان واستمروا فى حكمها حتى ازاحهم الغزنويون ثم ظهرت شخصية امير الامراء على مسرح الاحداث فى الخلافة لكى يصبح الخليفة ظلا لوحدة الامة • ويمثل وصول البويهيين الى مقر الخلافة العباسية والتبدل الذى نجم عن ذلك استمرارا متطورا لعصر امراء الامراء

فى اتجاهاته فقد بقى الخليفة شبحا للسيادة وساد الاتجاه العسكرى فى مؤسسات الدولة وحل الامراء الجدد محل القدامى[١] . غير ان بعض التطورات قد زادت من تردى وضع الخلافة ذلك ان البويهيين – وهم عناصر اجنبية – سيطروا على الدولة بجيش اجنبى وانشأوا امارة وراثية تظاهرت باحترام الخلافة بقصد الحصول على تأييد العامة فى الوقت الذى فقد فيه الخليفة الكثير من بقايا الحرمة والنفوذ التى كانت له . والواقع انهم لايؤمنون بحق العباسيين فى الخلافة[٢] . غير انهم استبقوهم لاعتبارات سياسية[٣] .

---

(١) مسكويه – تجارب ٨٤/٦ – ٨٥، الدورى – دراسات ص/ ٢٤٧ – ٢٤٨، السامرائى المؤسسات ص/ ٨١ .

(٢) ابن حول – تفضيل الترك على سائر الاجناس ص/ ٣٢ .

(٣) الدورى – دراسات ص/ ٢٤٨ .

المبحث الاول : الخليفة العباسى والسلطان السلجوقى

يعد الخلفاء العباسيون انفسهم خير الناس ،وان الامامة باقية فيهم الى يوم القيامة ،وان من تمسك بهم رشد وهدى ،ومن ناوئهم ضل وغوى.(١) ورغم ان الخلافة العباسية كانت فى غاية الضعف لما سببه البويهيون لها . غير ان هناك دافعا داخليا ،وهو الدافع المعنوى المتمثل فى التفاف الامة حولهم وايمانها بخلافتهم قد ظل قويا (٢) ،وهذا ماكان يدفع الحكام المتغلبين الى التقرب منهم لكى يكسبوا سلطنتهم الصفة الشرعية ويذكر الراوندى انه لم يوجد فى ملة الاسلام بعد الخلفاء الراشدين وخلفاء بنى العباس من هم اشد ورعا واعلى قدرا من سلاطين آل سلجوق (٣) والواقع فان السلاجقة قد اولوا الخلافة العباسية عظيم احترامهم وعملوا منذ البداية على التقرب من الخليفة العباسى والحصول على موافقته على تحركاتهم فى بلاد المشرق التى صوروها بصيغة الالتزام بالشريعة والخلافة .

والواقع فان الرسالة التى وجهها زعماء السلاجقة الى الخليفة القائم بامر الله بعد ان استفحل امرهم ،تمثل اول اتصال مباشر بينهم

---

(١) البندارى - آل سلجوق ص/ ٢٢ .

(٢) البيرونى - الآثار الباقية ص/ ١٣٢ .

(٣) الراوندى - راحة الصدور ص/ ١١٦ .

وبين الخلافة وكان قصدهم فى الغالب تعريف الخلافة العباسية بحالهم ومحاولة كسب ثقتها وتعاطفها ضمانا للحصول على الاعتراف الشرعى بالحكم . ذلك ان اغلب بلاد الغزنويين كانت قد اصبحت تحت سلطانهم (١) فاتخذ الامير جغرى بك من مرو عاصمة له . ويبدو انه كان طموحا فقد بدئت الخطبة باسمه على المنابر ابتداءا من اول جمعة من شهر رجب سنة (٤٢٩هـ/١٠٣٧م) . وقد استولى الامير طغرلبك على نيسابور بعد شهرين من ذلك التاريخ ،ففى رمضان سنة (٤٢٩هـ/١٠٣٧م) دخل طغرلبك نيسابور صلحا (٢) . وكان من المتوقع ان يقوم السلاجقة فى اعقاب ذلك بغارات يستبيحون بها البلاد كعادتهم فى مثل هذه المناسبات غير ان الامير طغرلبك تمكن من منعهم من ذلك احتراما واجلالا لحرمة شهر رمضان (٣) .

ولقد حفظ لنا مؤرخ السلاجقة الراوندى نص الرسالة التى وجهها امراء السلاجقة الى الخليفة القائم بامر الله وذكر بانهم قد كتبوا جريا على مقتضى العقل والكفاية كتابا الى امير المؤمنين القائم بامر الله قالوا فيه : " اننا معشر ال سلجوق قوم اطعنا دائما الحضرة النبوية المقدسة واحببناها من صميم قلوبنا ولقد اجتهدنا دائما فى

---

(١) الراوندى ـ راحة الصدور ص/ ١٦٦ ـ ١٦٧ ، العماد الاصفهانى زبدة النصرة ص/ ٧ ـ ٨، الجوزجانى ـ طبقات ناصرى ص/ ١٣٢ .

(٢) البندارى ـ ال سلجوق ص/ ٨ .

(٣) ن . م . س . ص/ ٨ .

غزو الكفار واعلان الجهاد ،وداومنا على زيارة الكعبة المقدسة وكان لنا عم مقدم محترم بيننا اسمه اسرائيل بن سلجوق،قبض عليه يمين الدولة محمود بنسبكتكين بغير جرم او جناية ،وارسله الى قلعة "كالنجر" ببلاد الهند فبقى فى اسره سبع سنوات حتى مات ،واحتجز كذلك فى القلاع الاخرى كثيرا من اهلنا واقاربنا . فلما مات محمود واجلس فى مكانه ابنه مسعود لم يقم على مصالح الرعية واشتغل باللهو والطرب فلاجرم اذا طلب منا اعيان خراسان ومشاهيرها ان نقوم على حمايتهم. ولكن مسعودا وجه اليناجيشه فوقعت بيننا وبينه معارك تناوبناها بين كر وفر وهزيمة وظفر حتى ابتسم لنا الحظ الحسن فانحاز الينا آخر عون لمسعود ومعه جيش جرار وظفرنا بالغلبة بمعونة الله عز وجل بفضل اقبالنا على الحضرة النبوية المقدسة المطهرة ،وانكسر مسعود واصبح ذليلا ،وانكفأ علمه وولى الادبار تاركا لنا الدولة والاقبال . وشكرا لله على ما افاء علينا من فتح ونصر ،فنشرنا عدلنا وانصافنا على العباد وابتعدنا عن طريق الظلم والجور والفساد ،ونحن نرجو ان نكون فى هذا الامر قد نهجنا وفقا لتعاليم الدين ولامر امير المؤمنين "[(١)] .

وقد ارسل السلاجقة هذا الخطاب مع معتمدهم ابى اسحق الفقاعى وهو الذى كان يتولى اعمالهم فى تلك الفترة مع الوزير السالار ابى القاسم الكوبانى[(٢)] . ومالبثوا بعد ان ارسلوا هذه الرسالة ان بدأوا فى

---

(١) الراوندى ـ راحة الصدور ص/ ١٦٦ ـ ١٦٧ .

(٢) ن . م. س ص/ ١٦٧ .

تقسيم الولايات فيما بينهم ،وعينوا على كل ناحية واحدا من كبارهم والمقدمين فيهم .(1)

وما ان وصلت رسالتهم الى الخليفة القائم بامر الله ،حتى بادر بارسال رسوله ابى بكر الطوسى برسالة وجهها الى الامير طغرلبك فى نيسابور ولم توضح المصادر الاسباب التى دعت الخليفة الى ان يتجاوز الاخ الاكبر ومقدم السلاجقة الامير داود جغرى بك ويراسل عوضا عنه اخاه الاصغر الامير طغرلبك . ولعل ذلك قد حصل بمشورة رسول السلاجقة ومعتمدهم الامير ابى اسحاق الفقاعى ،حيث كان الاخير عارفا بحقائق الامور عن علاقات امراء السلاجقة وترابطهم . وخاصة ان عملية توزيع الامارات فيما بين الامراء السلاجقة قد تمت بعد ارسالهم الرسالة وهو امر لم يبلغ بعد مسامع الخليفة فى بغداد .(2) ويظهر ان الخليفة القائم بامر الله ،حرصا منه على توثيق العلاقات مع السلاجقة فى اعقاب اطلاعه على مذهبهم ورسالتهم وبعد ان علم بشدة بأسهم وقوتهم قد بادر الى ايفاد احد كبار رجاله الثقات المخلصين وهو القاضى هبة الله محمد المأمون الهاشمى مع رسوله الشخصى وزوده برسائل طيبة " وامره بان يتقرب من طغرلبك حتى يحضره الى بغداد لتتشرف دار الخلافة بحضوره "(3)

---

(1) ن . م . س ص/ ١٦٧ .

(2) الراوندى -راحة الصدور ص/ ١٦٧، الاصفهانى- زبدة النصر ص/ ٨ .

(3) الراوندى - م . س ص/ ١٦٧،حمد الله المستوفى - تاريخ كزيده ص/٣٥٤.

كما ارسل معه الخلعة واللواء الى طغرلبك دليلا على اعترافه بشرعية ولايته ورضاه عن اعماله (١) . ويبدو ان رسول الخليفة وموفده الشخصى قد وصلا الى الرى فى وقت غير مناسب ذلك ان الامير طغرلبك كان مشغولا فى حروبه المتصلة ضد خصومه ،ولذلك فانهما قد اضطرا للانتظار الطويل حيث يذكر الراوندى بان : " هبة الله مكث عند طغرلبك ثلاث سنوات لانه كان مشغولا بفتح النواحى والولايات " (٢) . ومع ذلك فقد استقبل امراء السلاجقة وعلى رأسهم طغرلبك رسول الخليفة العباسى وموفده الشخصى بالاجلال والاكرام واظهروا احترامهم للخلافة وولائهم وطاعتهم وعبوديتهم للخليفة ،واظهروا كبيراغتباطهم باعتراف الخليفة بسلطتهم واضفاء الصفة الشرعية على حكمهم لذلك فانهم خلعوا على رسول الخليفة وموفده عددا كبيرا من الخلع ،واظهروا الفخار والمباهاه برسالة الخليفة العباسى اليهم (٣) .

والراجح ان يكون كل من الخليفة العباسى والسلاجقة قد توحدت وجهتهم فى اتجاه واحد اى انهما قد وجدا مصلحة مشتركة وقاعدة صلبة لتعاون وثيق فقد وجد كل من الطرفين مصلحته فى ازالة الوجود البويهى

---

(١) الراوندى - راحة الصدور ص/ ١٦٨ - ١٦٩،رشيد الدين - جامع التواريخ م٢ جـ ص/ ١٩ - ٢٠ .

(٢) الراوندى - راحة الصدور ص/ ١٦٩،وانظر ابن الاثير - الكامل ٦٧/٨.

(٣) الاقسرابى - مسامرة الاخبار ومسايرة الاخيار ص/ ١٤ .

الذى قاست منه الخلافة الامرين ،والذى يمثل بقاؤه خطرا على آمال السلاجقة فى بلاد فارس. وهكذا يمكن ان نفسر السبب الذى من اجله كان الخليفة يلح على استقدام طغرلبك الى بغداد عاصمة الخلافة .

ولقد اتبع الخليفة القائم بامر الله سياسة هادئة متحفظة فقد اقنع الملك الرحيم - آخر ملوك بنى بويه - بوجوب التعاون مع طغرلبك وبعد ان اطمأن الى الموقف بادر الى اصدار الامر "بان يخطب باسم طغرلبك على منابر بغداد وان ينقشوا اسمه على السكة ولقبوه ."السلطان ركن الدولة ابو طالب طغرلبك محمد بن ميكائيل يمين امير المؤمنين" وذكروا بعد اسمه اسم الملك الرحيم ابى نصر بن الهيجاء والقابه "[1] .

ان هذه التطورات تعنى انالخليفة العباسى حاول اتباع سياسة توفيقية مرحلية ضمانا لابعاد الخلافة عن خطر الصراع بين البويهيين الذين كانواحتى ذلك الوقت يتحكمون فى العراق ويسيطرون على مقاليد الامور فى بغداد وبين قوات السلاجقة التى كانت على اتم استعداد لدخول العراق والتى كانت قد اقتربت كثيرا فوصلت الى مدينة حلوان على

---

(١) الراوندى - م . س ص/ ١٦٩،رشيد الدين - جامع التواريخ م٢جص/ ٥٠. والملاحظ ان الراوندى قد كنى والد الملك الرحيم بذلك فى حين ان المعروف ان كنيته فى المصادر "ابو كاليجار" . وقدتوهم الراوندى حين جعل تاريخ الحدث عام ٤٣٧هـ فى حين ان الراجح هو ان ذلك قد تم فى سنة ٤٤٧هـ وقبل دخول السلطان طغرلبك بغداد . انظر ابن الاثير - الكامل ٧١/٨،وابن الوردى - تتمة المختصر ٣٥٥/١ .

الحدود الشرقية للعراق والتى لاتبعد كثيرا عن عاصمة الخلافة (١) . وهي تعنى فى الوقت نفسه ان الخليفة العباسى كان يرحب بوصول السلاجقة وبأن البويهيين قد ادركوا انه ليس فى مقدورهم المقاومة وان من المصلحة ان يكونوا تابعين لدولة السلاجقة على امل ان يتاح لهم البقاء فى بعض المراكز المتقدمة (٢) . وربما ادخل الخليفة فى حساباته ان يستفيد من الاوضاع الجديدة فى محاولة اقصاء الدعايات الفاطمية التى انتشرت وابعاد الخلافة عن المخاطر الكبيرة المتوقعة فيما اذا قدر للفاطميين ان يسيطروا على العراق وخاصة ان نفوذهم كان قدتعاظم بين الجند الديالمة (٣) .

وصلت قوات السلطان طغرلبك الى مشارف العاصمة العباسية وارسل الى الخليفة يستأذنه فى الدخول (٤) . وقد بادر الخليفة القائم بامر الله الى انتداب الوزير ورئيس الرؤساء "الى لقائه فى موكب عظيم من القضاه والنقباء والاشراف والشهود والخدم واعيان الدولة ،وصحبه اعيان الامراء من عسكر الملك الرحيم . فلما علم طغرلبك بهم ارسل الى طريقهم الامراء ووزيره ابا نصر الكندرى ،فلما وصل رئيس الرؤساء الى السلطان ابلغه

---

(١) ابن الاثير – الكامل ٧١/٨ .

(٢) ن . م . س ص/ ٧١،وانظر الراوندى – م . س ص/ ١٦٩ .

(٣) سرور – النفوذ الفاطمى ص/ ١٠٠ .

(٤) وكان ذلك فى ٢٢ رمضان سنة ٤٤٧هـ . انظر ابن الاثير – الكامل ٧١/٨ .

رسالة الخليفة - بالاذن له - واستحلفه للخليفة وللملك الرحيم وامراء الاجناد "[١] .

دخل السلطان السلجوقى طغرلبك عاصمة الخلافة يوم الاثنين ٢٥ رمضان سنة (٤٤٧هـ/١٠٥٥م)[٢] . ونزل بباب الشماسية فى الجهة الشمالية من بغداد[٣] .

ان هذه المعلومات توضح ان دخول السلاجقة الى العراق ووصولهم الى العاصمة قد لاقى الترحيب والرضى وانه لم يتخذ شكل حملة حربية حتى من الناحية الشكلية خلافا لما حاول البعض وصف الحادثة به[٤] . فقد استقبلتهم وفود رسمية وشعبية كبيرة واذن الخليفة العباسى لهم بدخول العاصمة بعد ان استأذنه السلطان فى ذلك ،كما امر الخليفة بان تقدم له الكثير من العطايا والهدايا ،وامر ان يبنى له مقر مناسب على شاطىء دجلة الشرقى فى القسم المحاذى للعاصمة من ناحية الشمال الغربى[٥] .

ولقد حصلت فى العاصمة بعض الحوادث المؤسفة التى عكرت الهدوء والاستقرار وعملت على تأزم حاد فى العلاقات مع السلاجقة وقع من جرائها

---

(١) ن . م . س ٧١/٨ .

(٢) ن . م . س ٧١/٨ .

(٣) ن . م . س ٧١/٨ ،رشيد الدين - جامع التواريخ م٢ جه ص/ ٢٢ .

(٤) حسين امين - تاريخ العراق فى العصر السلجوقى ص/ ٦٠ .

(٥) رشيد الدين - جامع التواريخ م٢ جه ص/ ٢٢ - ٢٣ .

العديد من القتلى فى صفوفهم وادى الى ردود فعل سريعة كان لها اثرها الكبير فى تأزيم العلاقات العباسية السلجوقية والى حصول مفارقات غير متوقعة فى موقف العامة فى بغداد اضافة الى ماصاحب ذلك من فوضى واضطراب .

لقد تمثلت الشرارة الاولى فى الحقيقة بسوء تفاهم نجم عن الحاجز اللغوى بين العامة وجند السلطان طغرلبك الذين دخلوا بغداد لشراء مايحتاجون من الميرة والتموين . وقد مر اليوم الاول بسلام وهدوء فقد التزم الجند بالنظام وحسن المعاملة كما احسن الناس معاملتهم[1] . الا انه حصل ان جاء بعض الجند فى اليوم الثانى وهو الثلاثاء ٢٦ رمضان ٤٤٧هـ/١٠٥٥م وحاولوا الاستفسار من احد المواطنين عن موضع بيع التبن وعلوفة الخيل ،غير انه لم يفهم مايريدون وغلب عليه الفزع "فاستغاث عليهم وصاح العامة بهم ورجموهم وهاجوا عليهم"[2] . وسمع الناس الصياح فظنوا ان الملك الرحيم البويهى قد عزم على قتال السلاجقة مما ادى الى تجمع الكثير من العامة الذين "اقبلوا من كل حدب ينسلون يقتلون من الغز – السلاجقة – من وجد فى محال بغداد"[3] .

ان مما يلفت النظر فى هذه الحادثة هو ان عامة اهل السنة قد

---

(١) ابن الاثير – الكامل ٧١/٨ .

(٢) ن . م . س ٧١/٨ .

(٣) ن . م . س ٧١/٨ .

تكاثفوا فى موقف موحد ضد السلاجقة خلافا لما هو متوقع بل انهم لم يكتفوا بما حصل ولم "يقنعوا بما عملوا حتى خرجوا ومعهم جماعة من العسكر الى ظاهر بغداد يقصدون العسكر السلطانى "[(١)] . اما المتشيعة فالراجح انه قد غلبت عليهم عقيدتهم فى "التقيه" ذلك انهم خلاف ماكان متوقعا "لم يتعرضوا الى الغز بل جمعوهم وحفظوهم"[(٢)] . وقد بلغ طغرلبك مافعله اهل الكرخ من توفير الحماية لجنوده ورعايتهم لهم لذلك فانه اصدر امره باحسان معاملتهم[(٣)] .

ولقد كان رد فعل الجنود السلاجقة فظيعا ،ذلك انهم تصدوا لمن خرج اليهم من العامة لمقاتلتهم فقتلوا كثيرا منهم واسروا بعضهم وهرب الباقون . وقد اتبع الجند السلاجقة ذلك باستباحة العديد من احياء الرصافة ببغداد قتلا ونهبا " واشتد البلاء على الناس وعظم الخوف ونقل الناس اموالهم الى باب النوبى وباب العامة وجامع القصر "[(٤)] مما ادى الى تعطيل الصلاة فيه لكثرة الناس وشدة الزحام والخوف.

وقد حمل السلطان طغر لبك الملك الرحيم البويهى وجنوده مسئولية ماحدث فى العاصمة من حوادث مؤسفة وفوضى .

---

(١) ابن الاثير - الكامل ٧١/٨ .

(٢) ن . م . س ٧١/٨ .

(٣) ن . م . س ٧١/٨ - ٧٢ .

(٤) ن . م . س ٧٢/٨ .

ولعل طغرلبك قد ادرك المخاطر التى تنطوى على معايشته للبويهيين فى عاصمة الخلافة . لذلك فانه قد امر بالقبض على الملك الرحيم وامراءه رغم انه قد بذل لهم الامان ورغم ان الخليفة قد امرهم بالوصول الى السلطان وبذل لهم الامان كما انه ارسل اليهم رسولا لتبرئتهم مما نسب اليهم من تهم ،وبذلك وضع نهاية للوجود البويهى . وقد ارسل الملك الرحيم مقيدا الى احدى قلاع الرى حيث بقى معتقلا فيها حتى وفاته (١) .

ولقد اثار تصرف السلاجقة بازاء العامة ،وتصرف السلطان ازاء الملك الرحيم وامراءه ،وازاء رسول الخليفة ووساطته حفيظة الخليفة القائم بامر الله والراجح فانه قد بذل جهودا جادة فى محاولة الاحتفاظ بقوته ومكانته فى مقابل السلاجقة ،فقد " ارسل الخليفة الى السلطان ينكر ماجرى من قبض الرحيم واصحابه ونهب بغداد ويقول انهم انما خرجوا اليك بامرى وامانى فان اطلقتهم والا فانا افارق بغداد فانى اخترتك واستدعيتك اعتقادا منى ان تعظيم الاوامر الشريفة تزداد وحرمة الحريم تعظم وارى الامر بالضد " (٢) .

---

(١) يذكر ابن الاثير انه ارسله الى قلعة السيروان . فى حين يذكر الراوندى بانه ارسله الى قلعة طبرك بالرى . وعلى كل فهما متفقان على خبر اعتقاله ونفيه . وقد بقى الملك الرحيم معتقلا حتى وفاته فى سنة (٤٥٠هـ/١٠٥٨م) . ابن الاثير ـ الكامل ٧٢/٨، الراوندى راحة الصدور ص/ ١٦٩ .

(٢) حفظ ابن الاثير نص رسالة الخليفة فى الكامل ٧٢/٨ .

غير ان جهود الخليفة هذه لم تلق الاستجابة المطلوبة فرغم ان السلطان طغرلبك قد اطلق بعض الامراء المعتقلين لديه ،فانه صادر جميع الاقطاعات لجند الملك الرحيم ،كما صادر اموال الاتراك البغداديين "وانتشر الغز السلجوقية فى سواد بغداد فنهبوا من الجانب الغربى من تكريت الى النيل (١) . ومن الشرقى الى النهروانات واسافل الاعمال واسرفوا فى النهب ... وخربوا السواد واجلوا اهله عنه " . اضافة الى انه قد قام بتضمين البصرة والاهواز الى احد المتضمنين (٢) بمبلغ (٣٦٠) الف دينار سنويا مما يشير الى انه قد بدأ يمارس صلاحيات استبدادية واسعة دون اعتبار لاحد .

ولعل تلك التصرفات كانت رد فعل عفويا ناجما عن الاحداث التى حصلت والمقاومة والاضطرابات العنيفة التى صاحبتها مما بلور الاتجاه العام فى العراق فى اتجاه سلبى غالب ،زاد من حدة الاوضاع الاقتصادية المتردية التى وصل اليها الاقليم بعد المصادرات والنهب الواسع النطاق الذى شمل مختلف المناطق . والراجح ان يكون طغرلبك قد ادرك الموقف

---

(١) النيل هو الفرع الجنوبى من نهر الصراة الكبيرة التى تربط بين دجلة والفرات الى الجنوب من سواد بغداد شمال البطائح . انظر سهراب ـ كتاب عجائب الاقاليم السبعة ص/ ١٨٤ ـ ١٨٥
El Samarraie- Agricl turin In Iraq P.20

(٢) عرفه ابن الاثير فى الكامل باسم "هزار سب بن بنكير بن عياض " ٨/٥٧٢.

السائد ،ذلك انه ما ان بلغته اخبار التحركات العسكرية التى اخذ يقوم بها القائد البويهى البساسيرى[1] حتى بدأ يتصرف بحكمة وبعد نظر ،فقد قام بخطوة قصد منها توثيق علاقة السلاجقة بالبيت العباسى . ومن المحتمل ان يكون قد قصد على المدى البعيد ان يصل الى الخلافة من تربطه بالامراء وشائج القربى والنسب اذ تتحدث المصادر عن مصاهرة تمت بين الخليفة القائم بامر الله والبيت السلجوقى الحاكم وذلك زواج الخليفة من خديجة ابنة داود جغرى بك اخى السلطان طغرلبك ولاشك فى ان مثل هذا الزواج قد دعم العلاقات بين الطرفين وعمل على استقرار اوضاع العراق لصالح السلاجقة . غير ان مالم تذكره المصادر بوضوح هو ما اذا كان الخليفة كان هو البادىء فى الخطبة الراغب فيها وفى نتائجها ام ان ذلك قد جرى بتدبير السلطان طغرلبك وتنفيذا لارادته .

ان مانقله ابن الاثير عن هذه المناسبة لايوضح الكثير ،فهو يذكر جلوس الخليفة القائم جلوسا عاما ويعدد كبار الشخصيات الذين حضروا المجلس وفى مقدمتهم الوزير الكندرى وزير طغرلبك وبعض الامراء الاتراك

---

(١) قائد تركى الاصل كان من مماليك بنى بويه خدم الخليفة القائم بامر الله العباسى فقدمه على اقرانه وقلده الامور فى بغداد باسرها خلال الفترة الاخيرة من الحكم البويهى . ولمعلومات اوفى انظر ابن تغرى بردى ـ النجوم الزاهرة ٢/٢،ابن خلكان ـ وفيات الاعيان ١٧٢/١ .

من عسكر طغرلبك . كما يذكر ان الذى عقد النكاح هو رئيس الرؤساء وان الخليفة قد قبل بنفسه النكاح ،كما اشار الى شهود الحفل وهم نقيب النقباء ابو على بن ابى تمام . وعدنان بن الشريف الرضى ونقيب العلويين واقضى القضاه الماوردى (1) . اما المصادر الاخرى فقد قدمت المعلومات بتحفظ وايجاز (2) ودون ان تقدم اية اجابة عن التساؤلات المارة الذكر مما يعين الباحث على الوصول الى الحقيقة . ويمكن ان نقدم معلومة اوردها ابن الاثير فى سياق حديثه عن الموضوع فيها بعض الاضافات ذلك انه ذكر ان "خاتون قد اهديت الى الخليفة فى هذه السنة (٤٤٨هـ) فى شعبان وكانت والدة الخليفة قد سارت ليلا وتسلمتها واحضرتها الى الدار" (3) . مما يمكن ان يوضح ان السلاجقة هم الجانب الذى قدم "الهدية" اضافة الى انهم الجانب المستفيد من هذه المصاهرة على كل حال .

ومما يلفت النظر ان يكون السلطان طغرلبك قد اقام فى بغداد فترة طويلة تجاوزت السنة فى هذه الزيارة الاولى لدار الخلافة حيث دخل بغداد فى اواخر رمضان سنة (٤٤٧هـ/١٠٥٥م) كما اسلفنا . "وامر بعمارة دار المملكة فعمرت وزيد فيها وانتقل اليها فى شوال من نفس السنة

---

(١) ابن الاثير – الكامل ٧٤/٨ .

(٢) البندارى – ال سلجوق ص/ ١٠ – ١١، ابو الفدا – تاريخ ١٨٣/٢، وانظر عبدالنعيم حسنين – دولة السلاجقة ص/ ٣٨، حسين امين – السلاجقة ص/ ٦١ .

(٣) ابن الاثير – الكامل ٧٤/٨ .

ثم عقد للخليفة على ابنة اخيه جغرى فى شهر محرم سنة (٤٤٨هـ/١٠٥٦م) ثم نقلت اليه فى شعبان من السنة نفسها، بل وكادت السنة ان تنتهى وهو مقيم فى بغداد دون ان يلتقى بالخليفة فى اى مناسبة كانت. ويكتفى الراوندى بالاشارة الى انطغرلبك لما وصل بغداد "ذهب الى الحرم والسدة الشريفة وقدم فروض الطاعة والتعظيم، فلما انصرف عائدا، ونزل باب النوبة ارسل امير المؤمنين فى عقبه الهدايا الغالية وكثيرا من الاموال والنعم "[1]. مما قد يوحى للباحث بانهما قد التقيا وهو امر لم يحصل ولعله اراد ان يظهر للرأى العام مدى احترامه للخليفة بالوصول الى دار الخلافة. وعلى العكس من ذلك يقدم ابن الاثير معلومات تمثل الوجه الآخر من الرواية وتكشف عن مدى ماكان يحس به الخليفة من امتعاض نتيجة اقامة طغرلبك وقواته فى بغداد والتى امتدت اكثر من سنة[2] وماصاحبها من تضييق اقتصادى على السكان الذين اصابهم الكثير من الجور والظلم والعنت.

وقد اورد ابن الاثير ان الخليفة القائم بامر الله قد امر "وزيره رئيس الرؤساء ان يكتب الى عميد الملك الكندرى وزير السلطان طغرلبك يستحضره، فاذا حضر قال له عن الخليفة : ليعرف السلطان ما الناس فيه من الجور والظلم ويعظه ويذكره، فان ازال ذلك وفعل ما امر الله به

---

(١) الراوندى ـ راحة الصدور ص/ ١٧٠.

(٢) دخل بغداد فى ٢٥ رمضان ٤٤٧هـ وبقى فيها حتى العاشر من ذى القعدة ٤٤٨هـ فكانت اقامته فيها ثلاثة عشر شهرا ونصف الشهر.

والافيساعد الخليفة على الانتزاح عن بغداد ليبعد عن المنكرات "[١] .

ومع ان السلطان قد اعتذر عن سوء الاوضاع "بكثرة العساكر وعجزه عن تهذيبهم وضبطهم "[٢] وامر باتخاذ بعض الاجراءات الايجابية مثل قيامه "باخراج الجند من دور العامة وامر ان يظهر من كان متخفيا وازال التوكيل عمن كان وكل به "[٣] . واظهر العزم "على الرحيل عن بغداد للتخفيف عن اهلها"[٤] ،فان ابن الاثير يؤكد بانه لم يكن جادا بل انه كان مترددا وانه لم يغادر الا بعد ان بلغته اخبار استيلاء البساسيرى على الموصل وعند ذلك "تجهز وسار عن بغداد عاشر ذى القعدة ومعه خزائن السلاح وكان مقامه ببغداد ثلاثة عشر شهرا واياما لم يلق الخليفة فيها "[٥] .

ان هذه التطورات تكشف عن ان السلطان وادارته كانوا هم الذين قد تولوا رعاية مصالح الدولة العباسية اضافة الى السلطنة وان السلاجقة كانوا يتحكمون فى العاصمة ولم يكن فى مقدور الخليفة الا ان ينقل الى السلطان مطالبه عند الضرورة عن طريق وزيره رئيس الرؤساء الذى كان على مايظهر قادرا على استدعاء وزير السلطان باسم الخليفة .

---

(١) ابن الاثير - الكامل ٧٧/٨ .

(٢) ن . م . س ٧٧/٨ .

(٣) ن . م . س ٧٧/٨ .

(٤) ن . م . س ٧٧/٨ .

(٥) ن . م . س . ٧٧/٨ .

ان هذه الفترة تمثل التجربة الاولى فى العلاقات بين الخليفة العباسى والسلطان السلجوقى وهى لم تجر فى الواقع على وتيرة موحدة ولم تحكمها التوجهات الذاتية لكلا الطرفين اذ قد لعبت الظروف الاستثنائية والاحداث الطارئة دورها الفاعل فى رسم خط تلك العلاقات وهى وان كانت ايجابية فى بدايتها ونهايتها فقد تخللها خليط غير متسق من سلبيات وحالات تجاوز وتصادم وعدم اكتراث يكفى ان نشير الى ان الخليفة قد صمم فى مناسبتين منهما كما لاحظنا مغادرة مقر خلافته والانتقال الى اى مكان آخر تخلصا من الاحراج وتعبيرا عن احتجاج شديد على الاوضاع المتردية التى وجد انه لم يعد قادرا على التأثير الفاعل فيها .

اما المرحلة الثانية من العلاقات المباشرة بين الخليفة القائم بامر الله والسلطان السلجوقى طغرلبك فقد تمثلت بدايتها فى استعادة السلطان السيادة على الموصل بعد دحر القوات الموالية للعبيديين التى تعاون فى تنظيمها دبيس بن مزيد الاسدى صاحب الحلة ، بالتعاون مع داعية الفاطميين المؤيد فى الدين هبة الله بن موسى بن عمران (١) . والتى انضم اليها قريش بن بدران صاحب الموصل بعد معركة سنجار (٢) . وكانت هذه

---

(١) الدكتور محمد كامل حسين – ديوان المؤيد فى الدين ص/ ١٨، ويعتقد ايفانوف ان اسم ابيه هو الحسينى وليس موسى كما ورد فى النصوص والديوان Ivanov the Creed of The Fatimide P.5

(٢) ابن الاثير – الكامل ٧٧/٨ .

القوات تحت قيادة التركى الشيعى ابى الحارث ارسلان بن عبدالله المشهور بالبساسيرى (١) .

انحدر السلطان طغرلبك من الموصل الى بغداد بعد ان شتت جيش العبيديين بقيادة البساسيرى ،وعين اخاه ابراهيم بن ينال حاكما عليها ولما وصل السلطان الى مشارف العاصمة العباسية خرج وزير الخليفة القائم بامر الله رئيس الرؤساء الى السلطان "فابلغه سلام الخليفة واستيماته فقبل الارض وقدم رئيس الرؤساء جاما من ذهب فيه جواهر والبسه فرجيه جاءت معه من عند الخليفة ووضع العمامة على مخدته فخدم السلطان وقبل الارض" وهذا يشير الى المكانة العظيمة التى احتلها السلطان فى الدولة ،فهو يعين اخاه على الموصل دون مشاورة الخليفة ويوفد الخليفة له وزيره لاستقباله وخدمته وتقديم هداياه والطافه اليه . ويظهر ان السلطان قد استفاد من التجربة السابقة مع العامة فى بغداد ،كما انه لم يرغب فى استشارة الخليفة او غيره لذلك فانه امر جنده باحترام حقوق الآخرين وعدم الاعتداء " ولم يمكن احدا من النزول فى دور الناس" (٢) . وعند وصول السلطان الى عاصمة الخلافة بادر الى طلب الاذن بالاجتماع مع الخليفة لاول مرة فى تاريخ علاقتهما

---

(١) ابن الاثير – اللباب ١٢١/١، ابن خلكان – م . س ١٧٢/١، ابن تغرى بردى – النجوم الزاهرة ٦٤/٢ .

(٢) ابن الاثير – الكامل ٨٠/٨ .

ببعضهما . وقد اذن له فى ذلك " وجلس الخليفة يوم السبت لخمس بقين من ذى القعدة جلوسا عاما وحضر وجوه عسكر السلطان واعيان بغداد وحضر السلطان فى الماء واصحابه حوله فى السميريات[(١)] فلما خرج من السميرية اركب فرسا من مراكب الخليفة فحضر عند الخليفة ،والخليفة على سرير عال ... وعليه بردة النبى صلى الله عليه وسلم وبيده القضيب والخيرزان فقبل السلطان الارض وقبل يده واجلس على كرسى فقال الخليفة لرئيس الرؤساء : قل له انامير المؤمنين شاكر لسعيك حامد لفعلك مستأنس بقربك ،وقد ولاك جميع ماولاه الله من بلاده ورد عليك مراعاة عباده ،فاتق الله فيما ولاك ،واعرف نعمته عليك فى ذلك واجتهد فى نشر العدل وكف الظلم واصلاح الرعية . وامر الخليفة باضافة الخلع عليه فقام الى موضع لبسها فيه وعاد ،وقبل يد الخليفة ووضعها على عينيه وخاطبه الخليفة بملك المشرق والمغرب ،واعطى العهد وخرج وارسل الى الخليفة خدمة كثيرة منها خمسين الف دينار وخمسين مملوكا اتراكا من اجود مايكون ومعهم خيولهم وسلاحهم[(٢)] " .

---

(١) نوع من الزوارق الكبيرة شاع استعمالها فى انهار العراق منذ عهد الموفق بالله وحروبه المتصلة مع الزنج .

(٢) ابن الاثير - الكامل ٨٠/٨،ويقول الراوندى : " ثم ولاه الخليفة حكم العالم وقرر له السلطنة على ممالك العراقيين والجبال(قهستان) راحة الصدور ص/ ١٧٠،وانظر سبط ابن الجوزى - مرآة الزمان ص/ ٢٤ - ٢٥،ابو الفدا - تاريخ ١٧٦/٢ .

ان هذا التطور يشير الى تطورايجابى فى العلاقات العباسية التركية ولعل الخليفة كان قد احس بخطرتآمر بنى مزيد من مركزهم فى الحلة القريبة من بغداد مع البساسيرى وشيع العراق والقرامطة بتوجيه من العبديين مما احرج مكانته وهدد وجوده فكان طغرلبك والسلاجقة هم القوة الوحيدة التى كان من الممكن ان تنصره وتخلصه من المخاطر دون ان يفقد مكانته او مركزه . ومع خطورة عهد التوليه الذى منحه الخليفة للسلطان ،فان الواقع التاريخى يشير الى ان ذلك لم يكن سوى تقرير امرواقع والاعتراف بالسلطة المطلقة التى باشرها السلطان فعلا قبل منحه عهد التولية ذلك . اما السلطان فربما وجد انه ليس هناك مايبرر استحداث مشاكل مع الخليفة مادام مقرا بسلطانه معترفا بشرعية مايمارس من اعمال واختصاصات مطلقة . اضافة الى انه ليس هناك مايبرر استحداث ازمة اذ يظهر ان السلطان لم يكن يطمح بتولى منصب الخلافة ولايؤمن بالقضاء عليها بل انه يجد ان المصلحة تقتضيه اظهار تعظيم الخليفة والمبالغة فى احترامه ضمانا لتوجه سليم من العامة وابتعادا عن مشاكل الصراع الذى لامبرر له .

ويبدو ان التقليد والعهد الشفوى قد جرى وضعه فى "كتاب عهد" قرئ بمحضر الخليفة صدر منه خلال الاحتفال المذكور ،وقال الخليفة للسلطان :" اعمل بموجبه ،ثم قال : امرك بما امرك الله بهوانهاك عما نهى الله عنه . وهذا منصور بن محمد نائبنا لديك وخليفتنا عندك

فاحتف به وارعه فانه الثقة الامين "[١] .

ويبدو ان كلا الطرفين قد بذل جهده فى اظهار التزامه وحفظه لحقوق الطرف الآخر وان كانت هناك احتمالات كبيرة اخرى تثير الشكوك حول طبيعة التصرفات والاجراءات المتخذه . ومن ذلك مثلا العدد الكبير من الحراس السلاجقة الذين بعثهم طغرلبك الى الخليفة . ولابد انهم كانوا من المخلصين للسلطان الذين كانوا يراقبون الامور ويصل الى السلطان منهم كل مايجرى فى دار الخلافة . فى حين ان الخليفة قد اعلم السلطان بتعيين نائب ينوب عن الخليفة فى حضرة السلطان ويخلفه عنده وهذا وان كان يخدم قضايا التنسيق وحل المشاكل وتوضيح الامور ،فانه ايضا يضع احتمال الافادة منه فى التعرف على اوضاع السلطنة ومشاكلها ومواقفها .

سلم السلطان طغرلبك الموصل واعمالها الى اخيه ابراهيم بن ينال كما سبق واسلفنا ،بعد هزيمة البساسيرى ،وقبل توجه السلطان الى بغداد ولقائه بالخليفة . غير ان ابراهيم بن ينال قام فى اول سنة (٤٥٠هـ/١٠٥٨م) بمغادرة الموصل متوجها الى اقليم الجبال ،دونما اى سبب واضح . وقد اتاح ذلك الفرصة للبساسيرى وقريش بن بدران لاحتلالها ومحاصرة قلعتها ثم هدمها . وقد " نسب السلطان طغرلبك رحيله

---

(١) سبط ابن الجوزى ـ مرآة الزمان ص/ ٢٦ .

(اى ابراهيم بن ينال) الى العصيان وارسل اليه رسولا يستدعيه "(١) ،وقد استجاب ابراهيم بن ينال الى طلب السلطان فرجع الى بغداد(٢) . وقد بادر السلطان بعد ذلك بالتوجه الى الموصل "فلم يجد احدا ،وكان قريش والبساسيرى قد فارقاها فسار السلطان الى نصيبين يتتبع آثارهم ويخرجهم من البلاد "(٣) . وفى هذه المرحلة قام ابراهيم بن ينال بتكرار عملية مفارقة السلطان فقد تخلف فى الطريق وتوجه الى همدان(٤) . ويفسر الراوندى حركة ابراهيم بن ينال هذه ويقول بان ذلك كان "طلبا للملك"(٥) اما ابن الاثير فيعلق على ذلك بقوله :" وكان قد قيل ان المصريين كاتبوه والبساسيرى قد استماله واطمعه فى السلطنة والبلاد "(٦) . وينسجم التفسير الاخير مع ماورد فى سيرة المؤيد فى الدين(٧) ،وكذلك الاشارات التى اوردها ابن الجوزى(٨) .

---

(١) ابن الاثير ـ الكامل ٨٢/٨ .

(٢) ن . م . س ٨٢/٨ .

(٣) ن . م . س ٨٣/٨ .

(٤) الراوندى ـ راحة الصدور ص/ ١٧١، ابن الاثير ـ المصدر الاول ٨٣/٨ .

(٥) الراوندى ـ راحة الصدور ص/ ١٧٧ .

(٦) ابن الاثير ـ الكامل ٨٣/٨ وقارن بما اورده ابن الجوزى فى المنتظم ١٩٠/٨ .

(٧) د.محمد كامل حسين ـ سيرة المؤيد فى الدين ص/ ١٧٤ ومابعدها .

(٨) ابن الجوزى ـ المنتظم ١٩٠/٨ .

ترك السلطان طغرلبك مطاردة البساسيرى وغادر العراق مسرعا الى همذان متعقبا ابراهيم بن ينال اذ يبدو انه لم يكن يرغب فى ان يعطيه فرصة الاستقرار فى همذان مما يزيد من خطره على السلطنة والخلافة ويظهر ان تقدير السلطان للامور كان دقيقا وان مخاوفه كانت فى محلها فقداجتمع مع ابراهيم بن ينال الكثير من الاتراك ،" وحلف لهم انه لايصالح اخاه طغرلبك ولايكلفهم المسير الى العراق وكانوا يكرهونه لطول مقامهم وكثير اخراجاتهم "[1] . لذلك لم يتمكن طغرلبك من اخضاعه وازدادت قوة ابراهيم بن ينال بانضمام ولدى اخيه اليه بقواتهما[2] الكثيفة مما دفع السلطان طغرلبك الى التراجع الى الرى والاستقرار فيها وقد بذل قصارى جهده بعد ذلك لتجميع مؤيديه من الامراء وخاصة ابناء اخيه داود وقواتهم[3] . وقد استطاع السلطان طغرلبك ان يوقع الهزيمة بقوات ابراهيم بن ينال التى تقدمت الى الرى وان يأسره ومن معه من الامراء وان يضع حدا لحياته خنقا فى التاسع من جمادى الآخرة سنة (٤٥١هـ/١٠٥٩م)[4] .

احس الخليفة القائم بامر الله بالخطر بعد حصول الانقسام بين

---

(١) ابن الاثير – الكامل ٨/٨٥ .

(٢) وهما محمد واحمد ابنا اخيه ارتاش.

(٣) وهم الب ارسلان ،وياقوت وقاورت .

(٤) الراوندى – راحة الصدور ص/ ١٧١، ابن الاثير – الكامل ٨/٨٥ . وانظر الاصبهانى– زبدة النصر ص/ ١٥ – ١٦ .

السلاجقة ومغادرة السلطان العراق الى الرى ،وحاول ان يجنب الخلافة كارثة محققة كان يتوقعها اذا ما انتصرت القوات الموالية للعبيديين بقيادة البساسيرى . ولذلك فانه حاول استبقاء زوجة السلطان ووزيره الكندرى ومن معهما من السلاجقة معه فى عاصمة الخلافة . كما حاول تأليف الناس حوله " وفرق غلالا كثيرة على الناس " . غير ان جهود الخليفة لم تفلح فقد غادر الوزير السلجوقى الكندرى بغداد تصحبه خاتون زوجة السلطان طغرلبك " وسار معه من كان ببغداد من الاتراك"(١) ،مما ترك بغداد مكشوفة للطامعين دون وجود من يدافع عنها . وارسل الخليفة الى نور الدولة دبيس بن مزيد "يأمره بالوصول الى بغداد فورد اليها فى مائة فارس"(٢) . وحاول اقناع الخليفة ان يترك بغداد ويتحول الى واسط لكى يساهم هو وهزارسب فى دفع الخطر عن الخليفة الى ان يصل السلطان غير ان مشورته لم تقبل فغادر بغداد مع فرسانه الى ديالى على امل ان يقتنع الخليفة بالرأى فيلحق به(٣) .

لقد تمكن البساسيرى من دخول بغداد فى الثامن من ذى القعدة سنة (٤٥٠هـ/١٠٥٨م) والتغلب على معارضيه . ويذكر ابن الاثير ان ذلك كان

---

(١) ابن الاثير ـ الكامل ٨٣/٨ .

(٢) ن . م . س .

(٣) ن . م . س . وهذا يدحض ما اورده الدكتور حسين امين فى تاريخ العراق ص/ ٦٨ استنادا الى ان دبيس قد اشترك فى الهجوم على بغداد مع البساسيرى .

"سبب ميل العامة الى البساسيرى ، اما الشيعة فللمذهب ، واما السنية فلما فعل بهم الاتراك "[١] . ولعل ذلك كان وراء احساس الخليفة بالخطر على مركزه وعلى الخلافة . وكان من نتيجة ذلك ان خضعت العاصمة للبساسيرى ،وتم نفى الخليفة الى "عانه" بعد ان نجح قريش بن بدران من منع البساسيرى من قتله .

واعلنت الخطبة للخليفة المستنصر الفاطمى وهو امر له دلالته بالنسبة لبقاء الخلافة العباسية[٢] . " ولما خطب البساسيرى للمستنصر العلوى بالعراق ارسل اليه بمصر يعرفه مافعل "[٣] . وسار البساسيرى من بغداد نحو واسط والبصرة فاستولى عليها . واراد قصد الاهواز ،"فانفذ صاحبها هزارسب بن نبكين الى البساسيرى من يتوسط عنده فى ان يصطلح معه " على مال يحمله اليه فلم يجب البساسيرى على ذلك وقال لابد من الخطبة للمستنصر والسكة باسمه فلم يفعل هزارسب ذلك ورآى البساسيرى ان طغرلبك يمد هزارسب بالعساكر فصالحه واصعد الى واسط "[٤] . وقد ضرب البساسيرى الدنانير باسم الخليفة المستنصر الفاطمى وهى التى عرفت بالدنانير المستنصرية[٥] .

---

(١) ابن الاثير - الكامل ٨٣/٨ .

(٢) ابن الجوزى - المنتظم ١٩٦/٨ .

(٣) ابن الاثير - الكامل ٨٤/٨ .

(٤) ن . م . س ٨٥/٨ .

(٥) ابن الجوزى - المنتظم ١٩٦/٨، ابن الاثير - الكامل ٨٤/٨ - ٨٥ .

حاول السلطان طغرلبك ،وقد وصلته اخبار العراق ،ان ينهى الازمة ويعيد الخلافة العباسية الى فاعليتها ويرجع الخليفة الى مقر حكمه وعاصمته عن طريق المفاوضة والمساومة فى اول الامر " فارسل الى البساسيرى وقريش فى اعادة الخليفة الى داره على الايدخل طغرلبك العراق ويقنع بالخطبة والسكة ،فلم يجب البساسيرى الى ذلك "(١) . مما حدا به الى الاندفاع الى العراق عن طريق قصر شيرين (٢) . وفى هذه الاثناء وصلت الى السلطان طغرلبك رسالة استغاثة عاجلة من الخليفة القائم بامر الله اوصلها اليه ايتكين السليمانى شحنة بغداد السابق وقد نقل الراوندى فقرة مؤثرة جاء فيها : " بحق الله ادرك الاسلام ،فقد ساد العدو اللعين واخذ ينشر مذهب القرامطة "(٣) . وقد اجاب السلطان على رسالة الخليفة برسالة تبعث على الطمأنينة والسكينة (٤) . كتبها له "عميدالملك الصفى ابو العلاء حسول"(٥) . ثم اتجه الى بغداد ومعه جندكثيف(٦)

---

(١) ابن الاثير ـ الكامل ٨/٨٥ .

(٢) ن . م . س . وقصر شيرين قريبة من حلوان على الحدود الشرقية للعراق مما يلى العاصمة بغداد .

(٣) الراوندى ـ راحة الصدور ص/ ١٧٢ .

(٤) ن . م . س . ص/ ١٧٣ .

(٥) كان يتقلد للسلطان ديوان الرسائل وكان من ائمة الكتاب ومضرب المثل فى الكتابة والبلاغة .

(٦) يصف الراوندى كثافة الجند فيقول بان "معه جند اهتزت الارض لوطأتهم واضطربت الجبال من كثرتهم " . ص/ ١٧٥ .

فلما وصل بغداد تدارك الاحداث " وارسل وزيره الكندرى والامراء والحجاب واصحبهم الخيام العظيمة والسرادقات والتحف .. فوصلوا الى الخليفة وخدموه " [١] . وحين وصل موكب الخليفة الى النهروان فى الرابع والعشرين من ذى القعدة سنة (٤٥١هـ/١٠٥٩م) "خرج السلطان الى خدمته فاجتمع به وقبل الارض بين يديه ،وهنأه بالسلامة ،واظهر الفرح بسلامته ،واعتذر من تأخره بعصيان ابراهيم وانه قتله عقوبة لما جرى منه من الوهن على الدولة العباسية ،وبوفاة اخيه داود بخراسان وانه اضطر الى التريث حتى يرتب اولاده بعده فى المملكة " [٢] . وقد تقدم طغرلبك فى المسير ووصل بغداد قبل موكب الخليفة "وجلس فى باب النوبى مكان الحاجب ووصل الخليفة فقام طغرلبك واخذ بلجام بغلته حتى صار على باب حجرته" [٣] وهكذا اعاد السطان السلجوقى الخليفة القائم بامر الله العباسى من منفاه الى دار الخلافة وتخلصت الخلافة من خطر كبير هددها بالفناء وعادت الخطبة والسكة خالصة للخليفة وبالمقابل فقد اثنى الخليفة على السلطان طغرلبك كثيرا واضاف الى القابه لقبا جديدا له دلالته هو "ركن الدين" اعترافا بفضله على الخلافة [٤] .

---

(١) ابن الاثير ـ الكامل ٨٦/٨ .

(٢) ن . م . س ٨٦/٨ .

(٣) ن . م . س ٨٦/٨ .

(٤) الراوندى ـ م . س م / ١٧٥ .

اما البساسيرى فقد عزم على الهروب الى بلاد الشام ،وسار في طريق الكوفة فانفذ السلطان طغرلبك "بعد استقرار الخليفة في داره جيشا عليهم خمارتكين الطغرائى في الفى فارس نحو الكوفة ... وسار طغرلبك في اثرهم "(١).

وقد تمكن الجيش من تحقيق انتصار ساحق على البساسيرى الذى قتل في المعركة ،وحمل رأسه الى السلطان الذى امر بحمله الى بغداد حيث "طيف به وصلب قبالة باب النوبى" من دار الخلافة(٢) . وقد تعاظم نفوذ السلطان بعد ذلك كثيرا .

ان اهم مايلفت النظر في علاقة الخلافة بالسلطنة السلجوقية في هذه المرحلة رغبة السلطان في طلب نفقاته ونفقات جيوشه وارزاقهم اثناء قدومهم الى العراق من الخليفة العباسى . ويذكر الراوندى بانه لم تكد تمضى بضعة ايام على القضاء على البساسيرى حتى استدعى السلطان طغرلبك وزيره عميد الملك وكلفه برسالة الى الخليفة فحواها :

"ان مصالح الدين والملك تلزمنى المجئ الى بغداد في كل وقت ومعى جند كثير وجيش جرار متفرق في نواحيها فارجو ان تعين لى الارزاق حتى استعين بها على النفقات التى ننفقها "(٣) . وقد حاول الوزير

---

(١) ابن الاثير ـ م . س ٨٦/٨ .

(٢) ابن الجوزى ـ المنتظم ٢١٢/٨، الراوندى ـ م . س ص/١٧٥، ابن الاثير م . س ٨٦/٨ ـ ٨٧ .

(٣) الراوندى ـ م . س ص/ ١٧٥ .

الكندرى ان يؤخر انفاذ هذه الرسالة على امل ان يقوم الخليفة من تلقاء نفسه بذلك . وقد تصادف فى الوقت نفسه وصول رسالة من الخليفة القائم بامر الله الى السلطان يطلب فيها منه مالا لنفقاته . وكان الجواب الذى اعده وزير السلطان على لسانه بعد ان توقف عن انفاذ الرسالة السابقة : " ان احمد الله كثيرا فلقد كنت افكر فى هذا الامر وسأحدث الوزير حتى تدبيره " (١) .

وهكذا فان الخليفة العباسى ،عوضا عن ان يكون هو المسؤول الاول من الناحية المالية فى الدولة العباسية ،قد القى زمام المسؤولية الى السلطان الذى احالها الى وزيره عميد الملك الكندرى " وبعد ذلك طلب الكندرى كتاب قانون بغداد وحدد الاموال السلطانية وعين ارزاق الخليفة " (٢) .

وهكذا اطلقت يد السلطان السلجوقى فى التصرف بحرية كاملة فى مالية العراق وواردات الخلافة ،فقد "انحدر السلطان طغرلبك الى واسط بعد فراغه من امر بغداد فرأها قد نهبت وحضر عند هزار سب بن بنكين وضمن واسطا ابو على بن فضلان بمائتى الف دينار ،وضمن البصرة الاغر ابو سعد سابور بن المظفر ،وعبر السلطان الى الجانب الشرقى من دجلة وسار الى قرب البطائح فنهب العسكر مابين واسط والبصرة والاهواز واصعد

---

(١) ن . م . ص / ١٧٦ .

(٢) الراوندى ـ م . س ص / ١٧٦ ،وانظر حمد الله مستوفى ـ تاريخ كزيده ص / ٣٤٨ .

السلطان الى بغداد فى صفر سنة اثنين وخمسين " واربعمائة[(١)] .

اقام الخليفة والسلطان دعوات طعام متبادلة تكريمية حضرها اعيان البلد من العلماء وكبار الرسميين[(٢)] ،وعمل السلطان على استقرار الاوضاع فى العاصمة ،وقرر ان يترك فيها وزيره عميد الملك الكندرى لتمشية الامور[(٣)] . وعين الامير برسق شحنة على بغداد ،وعقد ضمان وارداتها على "ابى الفتح المظفر بن الحسين ثلاث سنين باربع مائة الف دينار " .

وبعد ذلك غادر السلطان عاصمة الخلافة الى بلاد الجبال فى طريقه الى اذربيجان حيث استقر فى مدينة تبريز[(٤)] . ويذكر ابن الاثير بعد ذلك ان السلطان قد اقدم اول سنة ٤٥٥هـ وبعد عودته من ارمينية الى بغداد على "عقد ضمان بغداد على ابى سعيد القاينى بمائة وخمسين الف دينار فاعاد ما اطلقه رئيس العراقيين من المواريث والمكوس وقبض على الاغر ابى سعد ضامن البصرة وعقد ضمان واسط على ابى جعفر بن حقالب بمائتى الف دينار "[(٥)] .

---

(١) ابن الاثير – الكامل ٨٨/٨ .

(٢) ن . م . س ٨٩/٨ .

(٣) الراوندى – م . س ص/ ١٧٦ .

(٤) الراوندى – م . س ص/ ١٧٦ .

(٥) ابن الاثير – م . س ٩٤/٨ .

ويظهر ان السلطان طغرلبك كان يطمع فى مصاهرة الخليفة والزواج من احدى كريمات البيت العباسى وهى ابنة الخليفة القائم بامر الله العباسى وقد اعلن فى مقر سلطنته فى الرى " بان همته سمت به الى الاتصال بهذه الجهة النبوية وبلغ من ذلك مالم يبلغه سواه من الملوك "(1) . وفى سنة (٤٥٣هـ/١٠٦١م) كان قد انتدب قاضى الرى للقيام باجراءات الخطبة . وقد حاول الخليفة القائم بامر الله صرف النظر عن مثل هذا الامر وارسل مندوبا من قبله الى السلطان "وامره ان يستعفى فان اعفى (اى عن الخطبة) والا تمم الامر على ان يحمل السلطان ثلثمائة الف دينار ويسلم واسطا واعمالها "(2) . وقد اشتد الضغط على الخليفة وكاد ان يغادر عاصمة الخلافة وتأزمت الامور حين تعرض الخليفة الى تهديد مباشر من الوزير السلجوقى عميد الملك الكندرى . وقد فشلت جميع محاولات الخليفة وارغم فى النهاية على الموافقة (3) .

---

(١) ابن الاثير – م . س ٩٢/٨ . يذكر بعض المؤرخين (انها اخت الخليفة) جامع التواريخ م٢ جـ٥ ص/ ٢٦،ابن نظام – العراضة ص/ ٤٣،وفى متن راحة الصدور ص/ ١٧٦ ان الذى اشار على السلطان بالزواج من ابنة الخليفة زوجة السلطان عند احتضارها قالت اجتهد فى الوصلة بابنة الخليفة لتنال شرف الدنيا والآخرة واوصت بجميع مالها لبنت الخليفة (ابن الجوزى – مرآة الزمان ص/ ٧٥) .

(٢) ابن الاثير – الكامل ٩٢/٨ .

(٣) الحسينى – اخبار الدولة السلجوقية ص/ ٢١،ابن الاثير – م . س ٨ / ٩٢ – ٩٣،ويذكر الراوندى بان عميد الملك الكندرى مازال يضيق الخناق على عمال الخليفة ويوقف ارزاقهم حتى اضطره الى اجابة مطلبه . راحة الصدور ص/ ١٧٦ – ١٧٧ .

ويظهر ان الخليفة كان محرجا جدا من اتمام هذا الزواج وان دعاية مضادة داخل العاصمة قد ظهرت وعبر الناس عن سخطهم بكتابة العبارات اللاذعة على جدران المساجد[(١)] .

ولذلك فانه ارسل " قاضي قضاة بغداد مع السيده الى تبريز ليعقد زواجها هنالك واذن له في ان يكون مهرها اربعمائة درهم من الفضة ودينارا واحدا من الذهب وهو مهر سيدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام"[(٢)] . ان اجراءات العقد قد تمت بعد وصول ركب ابنة الخليفة الى تبريز حيث اقيمت" الافراح ووزعت الصدقات وعقد قاضي القضاة خطبة النكاح"[(٣)] ثم خرج طغرلبك من تبريز قاصدا الري ليتم الزفاف فيها باعتبارها دار ملكه غير انه مرض في سفره ومالبث ان توفي " في رمضان سنة خمس وخمسين واربعمائة ،وعادت السيدة ومعها مهرها الى بغداد"[(٤)] ، دون ان تتحقق رغبته في ان يرزق بولد من سيدة عباسية وان يرتبط بالاسرة السلجوقية برباط النسب العباسي[(٥)] .

---

(١) ابن الاثير ـ الكامل ٩٣/٨ .

(٢) الراوندي ـ راحة الصدور ص/ ١٧٧ .

(٣) الراوندي ـ راحة الصدور ص/ ١٧٧ .

(٤) ن . م . س ص/ ١٧٧ ـ ١٧٨ .

(٥) ذكر ابن الاثير في الكامل ٩٤/٨ خبرا عن اصرار السلطان ان تزف له ابنة الخليفة في بغداد ،وان الخليفة قد عارض ذلك ونتيجة الاصرار السلجوقي وافق على ان تنقل ابنته الى دار المملكة ـ قصر =

وعند محاولة تقويم العلاقة بين الخليفة والسلطان خلال هذه المرحلة فان بالامكان القول بان امور الدولة قد جمعت بيد السلطان بشكل واضح فهو صاحب القوة والغلبة ، وهو الذى حل محل الامير البويهى بعد ان ازاحه وقضى على تسلطه ، كما انه كان يتصرف على الاغلب من منطقة القوة والتسلط، ويمكن القول بان ضعف الخليفة القائم بامر الله وضيق افقه وتردده قد ساعد كثيرا على رسم واقع الحال ذلك انه اخذ يطالب السلطان بتوفير الاموال عوضا عن ان يفرض وجوده ويعيد تشكيل مؤسسات الدولة الادارية والمالية ، وهذا ادى بطبيعة الحال الى استفادة السلطان من الظرف ومباشرة عملية منح المناطق عن طريق الضمان والتسلط على الجبايات فى العاصمة وماجاورها والاستفادة من "قانون الجباية " فى بغداد ضمانا لاستيفاء الاموال وتعيين مايحتاج اليه الخليفة فى نفقته وهذا يعنى انه اصبح - من الناحية المالية - خاضعا

= السلطان - فى منتصف صفر سنة ٤٥٥هـ حيث اجلست "على سرير ملبس بالذهب ودخل السلطان اليها وقبل الارض وخدمها ولم تكشف الخمار عن وجهها ،ولاقامت هى له وحملها شيئا كثيرا من الجواهر وغيرها وبقى كذلك يحضر كل يوم يخدم وينصرف" كما يذكر انه سار من بغداد فى ربيع الاول الى الرى عن طريق الجبل ولم يصطحب ابنة الخليفة بل ابنة اخيه زوجة الخليفة "لانها شكت اليه اطراح الخليفة لها فاخذها معه" وانه مرض فى سفره وتوفى بعد ذلك ، وهذه الاخبار فضلا عن تناقضها مع ما اجمعت عليه المصادر المعاصرة فانها تدعو الى الشك فى حقيقة تعامل السلطان مع زوجته مهما كانت منزلتها .

لرأى السلطان ووزيره . ولعل الامر فى ناحية الادارة اكثر وضوحا حيث اصبحت الاقاليم خاضعة للسلطان السلجوقى بل انه اخذيشرف حتى على عاصمة الخلافة العباسية ذاتها .

ومن الاساليب التى تؤكد استئثار السلطنة بالسلطة الادارية دون الخلافة تلك الوظائف المستحدثة مثل وظيفتى " الشحنة " و" العميد" وهى قد ضمنت تجريد الخلافة العباسية من اختصاصاتها حتى فى العراق، وكما عرفنا من دراستنا للوظائف الادارية فان وظيفة الشحنة تشبه وظيفة المحافظ ،كما ان متوليها يعد مسئولا عن ادارة المدينة . اما وظيفة العميد فهى تتمتع باختصاصات اكبر ،ذلك ان الشحنة كان مسئولا عن ادارة المدينة فى حين كان العميد مسئولا عن الاشراف على اقليم كامل وقد اعطى ابن دحية صورة عن حال الخلافة فى هذه الفترة فقال " لايتعدى حكمه بابه ،ولايتجاوز جنابه "(١) .

ولقد لعب الوزير السلجوقى عميد الملك الكندرى دورا كبيرا فى تحديدمخصصات الخليفة المالية(٢)، اضافة الى انه قد وصلت المجابهة بينه وبين الخليفة حدا جعله يقدم على تهديده مباشرة بتعريض حياته الى

---

(١) ابن دحية – النبراس فى تاريخ بنى العباس ص/ ١٣٩ – ١٤٠، الطبرى نشأة السلافة ورقة / ١٣٥ .

(٢) الراوندى – راحة الصدور ص/ ١٧٦، ابن الاثير – التاريخ الباهر ص/ ٩١ – ٩٢ .

الخطر ان هوامتنع عن تزويج السلطان .

والسلطنة السلجوقية في عهد السلطان الب ارسلان احسن حالا مما كان عليه في عهد السلطان طغرلبك .

وكان بداية عهد السلطان الب ارسلان في سنة (٤٥٦هـ/١٠٦٤م) حين استلم منصب السلطان بعد وفاة عمه طغرلبك عن طريق القوة والاستيلاء ذلك ان طغرلبك كان قد عهد لابن اخيه الاصغر سليمان بن داود جغري بك وكان الب ارسلان طامعا في عرش السلطنة وهوالاكبر من اولاد داود جغري بك كما انه كان يلقى تأييدا ودعما من عدد كبير من الامراء السلاجقة . وقد نافسه في المنصب ابن عمه شهاب الدين قتلمش بن اسرائيل . لكن الب ارسلان تمكن من احراز الانتصار الحاسم على قوات منافسه الذى لقى حتفه في المعركة . وهذا جعل الب ارسلان يتفرد في منصب السلطان بدون منازع . ان هذا يؤكد بطبيعة الحال ان الخليفة العباسى لم يكن يلعب اى دور في الاحداث ولافى التأثير في من يتولى منصب السلطنة كما يؤكد ان الب ارسلان قد وصل الى المنصب نتيجة عدة عوامل اهمها كفاءته وتصميمه اضافة الى توفر الحنكة والخبرة السياسية لدى وزيره نظام الملك الذى لعب دورا اساسيا في وصوله الى منصب السلطان[(١)].

وقد بدأ السلطان الب ارسلان عهده بخطوة طيبة تجاه الخليفة العباسى القائم بامر الله ذلك انه بادر الى تأمين عودة ابنة الخليفة

---

(١) ابن الاثير ـ الكامل ٩٨/٨ .

الى بغداد . وبالمقابل ارسل اليه الخليفة القائم بخلع السلطنة والهدايا . كما اعلن عن منحه عددا من الالقاب التشريفية[(١)] اذ صدر الامر الى الخطباء بالدعاء له على المنابر بعد الخليفة بعبارة :"اللهم اصلح السلطان المعظم شاهنشاه الاعظم ملك العرب والعجم سيد ملوك الامم ضياء الدين غياث المسلمين ظهير الامام كهف الانام عضد الدولة وتاج الملك ابا شجاع الب ارسلان "[(٢)] .

وقد شافه الخليفة الرسل بتقليد الب ارسلان للسلطنة كما سلم الخلع اليهم بمشهد من الخلق[(٣)] . ثم ارسل الخليفة بكتاب كبير الى السلطان الب ارسلان ناعتا اياه بارفع الالقاب والصفات والشكر العظيم مانحا له التفويض الكامل فى امور الدولة والحل والعقد .

ويظهر من تتبع تاريخ السلطان الب ارسلان انه لم يقم باية زيارة للخليفة فى بغداد ،كما انه لم تتح له الفرصة لزيارة العراق مركز الخلافة العباسية طيلة فترة حكمه[(٤)] التى امتدت قرابة العشر سنوات ،ذلك لان اوضاع السلطنة والاخطار التى هددت سيادتها قد اشغلته عن ذلك . وربما كان لاستيلائه على السلطة عن طريق القوة ،وموقف الخليفة منه مادفعه الى سلوك طريق الاحترام والتعاون مع الخلافة .

---

(١) الذهبى ـ دول الاسلام ص/ ٢٦٨ .

(٢) سبط ابن الجوزى ـ مرآة الزمان ص / ١١٣ .

(٣) ابن الاثير ـ الكامل ٩٧/٨ .

(٤) تولى الب ارسلان السلطنة السلجوقية خلال الفترة (٤٥٥ ـ ٤٦٥هـ/١٠٦٣ ـ ١٠٧٢م) وقدتوهم الراوندى فجعلها ١٢ سنة . راحة الصدور ص/ ١٨٥.

ويبدو من خلال دراسة النصوص انه اقترح على الخليفة ان يكرمه بلقب "الولد المؤيد" وانه قد اجيب الى ذلك[(١)] . وبانه حالما وصلته رسل الخليفة بالخلع قام بارتدائها وبايع للخليفة[(٢)] . وقد اظهر السلاجقة ،كما فعلوا منذ البداية التقدير والاجلال للخليفة العباسى وكثيرا ما كان يرسل السلطان الب ارسلان اخبار انتصاراته على الاعداء وخصوصا على النصارى ،والروم فى آسيا الصغرى الى الخليفة ،وحين حقق الب ارسلان انتصاره الشهير فى معركة ملاذكرد على ارمانوس الذى وقع اسيرا زف البشرى الى الخليفة حيث "قرأ" كتاب الفتح ببغداد فى دار الخلافة "واصدر الخليفة القائم بامر الله كتابا " بخط الخليفة بالثناء على الب ارسلان والدعاء له "[(٣)] .

وفى سنة (٤٥٨هـ/١٠٦٥م) عهد الب ارسلان بولاية عهد السلطنة الى ولده ملكشاه ،وخلع على جميع الامراء "وامرهم بالخطبة له فى جميع البلاد التى يحكم عليها ففعل ذلك "[(٤)] غير انه لم يستشر الخليفة فى مثل هذه الخطوة الخطيرة ولم يأخذ الاذن منه مما يشير الى مدى اعتداده بنفسه . ومن الغريب انه عاد سنة (٤٦٤هـ/١٠٧١م) فارسل الى الخليفة

---

(١) ابن الاثير - الكامل ٩٨/٨ .

(٢) ن . م . س ٩٨/٨ .

(٣) الراوندى - راحة الصدور ص/ ١٨٧ - ١٩٠، ابن الاثير - الكامل ١٠٠/٨ .

(٤) سبط ابن الجوزى - مرآة الزمان ص/ ١٣٢، وانظر الراوندى - م . س . ص/ ١٩٤، ابن الاثير - الكامل ١٠٣/٨ .

القائم بامر الله العباسى يطلب منه "ان يأذن فى ان يجعل ولده ملكشاه ولى عهده فاذن" [١] ،وارسل الخليفة فى هذه المناسبة الخلع مع وزيره عميد الدولة بن جهير للسلطان الب ارسلان ولولده ملكشاه ولى العهد [٢] .

وفى سنة (٤٥٩هـ/١٠٦٦م) توفى ضامن البصرة ابو سعد الاغر على باب السلطان السلجوقى فى الرى ،" وعقدت البصرة وواسط على هزارسب بثلاثمائة الف دينار" [٣] . مما يشير الى استمرار سياسة السلاجقة فى التفرد بالادارة والاشراف المالى المباشر على جميع اقاليم الدولة العباسية ومن ضمنها العراق ومدنه .

ويبدو ان تحسنا واضحا فى علاقات الخلافة بالسلطنة كان سائدا فى اغلب الاحيان فى هذه الفترة ،وكانت مقترحات الخليفة القائم بامر الله تلقى كل عناية وهى تنفذ فى الغالب ذلك لانه يعرف حدود تدخله ولايرغب على مايظهر فى تكرار حالة التصادم التى كانت هى السمة الغالبة طوال الفترة السابقة . من دلائل ذلك رجوع ارسلان خاتون اخت السلطان الب ارسلان وزوجة الخليفة القائم الى بغداد وهو مؤشر على اتساق العلاقات وتوثيقها وقد استقبلت بما يناسبها من قبل وزير الخليفة

---

(١) ابن الاثير ـ الكامل ١١١/٨ .

(٢) ن . م . س ١١١/٨ .

(٣) ن . م . س ١٠٥/٨ .

فخر الدولة بن جهير[1].

ويظهر ان تنسيقا ماقد حصل بين خطط السلطان الب ارسلان وتوجهات الخلافة. بل ان السلطان عد نفسه المدافع عن الاسلام ضد اعدائه من النصارى والمتشيعة وقد نجم عن ذلك تحسن فى اوضاع الخلافة العباسية وفى مكانة اهل السنة بشكل عام . ومن ذلك عودة امارة حلب الى سيادة الخلافة العباسية والخطبة فيها طواعيه للخليفة القائم بامر الله والسلطان الب ارسلان ،بعد ان رأى اميرها محمود بن صالح بن مرداس "اقبال دولة السلطان وقوتها وانتشارها دعوتها"[2] . وقد ارسل الخليفة الى امير حلب الخلع وفى الوقت نفسه سار السلطان الب ارسلان الى حلب واصر على ضرورة الغاء البدع من الاذان وكان له ما اراد فاقر امير حلب على امارته وانفذ الاخير اموالا طائلة الى السلطان[3].

غير ان هذا التوافق الهادىء فى الخطوات والعلاقات الطيبة لم يكن هو الصفة الدائمة التى تصبغ علاقات الخلافة بالسلطنة فى هذه الفترة ،وقد كان هناك مايعكر صفو العلاقات فى بعض الاحيان ،فلقد قام رئيس العراقيين النهاوندى وشحنة بغداد اتيكين السليمانى بالتدخل فى شؤون الخلافة فى بغداد ،وعز ذلك على الخليفة فامر وزيره فخر الدولة

---

(١) ابن الاثير ـ الكامل ١٠٥/٨،وكان ذلك فى جمادى الاولى سنة (٤٥٩هـ/١٠٦٦م) .

(٢) ابن الاثير ـ الكامل ١٠٨/٨ .

(٣) ن . م . س ١٠٩/٨ .

ابن جهير فاغلظ عليهما ،غير ان رئيس العراقيين اغاظه ذلك فارسل الى الخليفة يشكو من الوزير ابن جهير ويعلمه بان السلطان غير موثر له . لكن جواب الخليفة قد تضمن الثناء على الوزير . وكان من نتائج ذلك ان تطاول رئيس العراقيين ابن النهاوندى على وزير الخليفة ذلك انه ادخل يده فى اقطاع الوزير . بل انه تعدى ذلك وامتدت على مصالح الخليفة ذاته حتى سيطر على الضياع العليا والسفلى التى هى من الاقطاعات الخاصة بالخليفة القائم بامر الله[(١)] ،غير ان الخليفة لم يترك الامور تسير على اهواء النواب السلاجقة ،ذلك انه قام بعد ذلك بقليل بارسال مذكرة الى السلطان طلب منه فيها عودة زوجته ارسلان خاتون شقيقة السلطان الى دار الخلافة وفى الوقت نفسه تضمنت المذكرة شكاية الخليفة من النواب وتصرفاتهم السيئة ومن تعرضهم لاقطاعه واقطاع حاشيته[(٢)] .

ولم تقتصر التجاوزات على نواب السلاجقة فى بغداد ،ذلك ان السلطان الب ارسلان نفسه قد تجاوز حدوده وتدخل فى الشئون الخاصة بالخليفة ففى سنة (٤٦٤هـ/١٠٧١م) اقدم السلطان ودون استئذان الخليفة او اعلامه على تعيين ابى العلاء محمد بن الحسين وزيرا للخليفة ولقبه "بوزير الوزراء" واقطعه نصف اقطاع الوزير فخر الدولة ابن جهير ،وقد عد

---

(١) سبط ابن الجوزى ـ مرآة الزمان ص/ ١١٦ ـ ١١٧ .

(٢) ن . م . س ص/ ١٣٢ .

الخليفة القائم بامر الله هذا العمل تدخلا مباشرا فى شؤونه . ورفض ان يستقبل الوزير الجديد او ان يحتفى به عند وصوله[(١)] .

والواقع فان هذا العمل لم يكن الاول الذى يقوم به السلطان الب ارسلان والذى يتضمن تدخلا فى شؤون الخلافة ،ذلك انه كان قد عين قبل ذلك ايتكين السليمانى شحنة على بغداد ،فسار الى السلطان واستخلف ابنه فى منصبه ،دونما اعتبار لرأى الخليفة حيث كانت بغداد مقر حكمه وعاصمة خلافته . وقد تصرف ابنه بصورة متعجرفة وظالمة حين قتل احد مماليك دار الخلافة . وقد انفذ الخليفة "قميصهمن الديوان الى السلطان ووقع الخطاب فى عزله "[(٢)] غير ان الادارة السلجوقية على مايظهر قد تجاهلت خطاب ديوان الخلافة ذلك انالوزير نظام الملك كان يعنى بالسليمانى . وعلى عكس ماكان متوقعا وعوضا عن تنفيذ ارادة الخليفة فى عزل شحنة بغداد عن منصبه ،فان اوامر السلطنة صدرت بتكريمه واضافة تكريت الى اقطاعه .[(٣)] وقد اغاظ ذلك العمل الخليفة على مايظهر كثيرا فقد كوتب والى تكريت من ديوان الخلافة بالتوقف عن تسليمها خلافا لامر السلطنة . ولما رأى السلطان ووزيره "اصرار الخليفة على الاستقالة من ولايته شحنكية بغداد سير سعد الدولة كوهرائين الى بغداد شحنة

---

(١) البندارى – دولة آل سلجوق ص/ ٤٥ .

(٢) ابن الاثير – الكامل ١١١/٨ .

(٣) ن . م . س ١١١/٨ .

عليها وعزل السليمانى عنها اتباعا لما امر به الخليفة القائم بامر الله . ولما ورد سعد الدولة خرج الناس لتلقيه وجلس وجلس له الخليفة ".[1]

وفى سنة (٤٥٩هـ/١٠٦٦م) اغدق السلطان على وزير الخليفة فخر الدولة ابن جهير الهدايا والخلع دون استئذان من الخليفة ،وكان الوزير يلبسها فى دار الخلافة ،وينتقل الى بيت النوبى للتهنئة بذلك مما دفع الخليفة الى ان يحقد عليه كثيرا بسبب ذلك .[2]

وفى سنة (٤٦١هـ/١٠٦٨م) تدخل السلطان الب ارسلان فى مسألة تعيين وزير الخليفة ذلك انه شفع عند الخليفة بتعيين ابى العلاء بعد ان فارق فخر الدولة ابن جهير الوزارة ،غير ان الخليفة لم يرض به واصر على اعادة ابن جهير الى المنصب .[3] غير ان هذه الاحداث كانت استثنائية اذ ان الغالب فى العلاقات كما اسلفنا الاتساق والتعاون ففى سنة (٤٦٣هـ/١٠٧٠م) وفى اعقاب معركة ملاذكرد الفاصلة ،اعترف السلطان السلجوقى بتبعيته للخلافة العباسية حينما قام باسر ارمانوس ملك الروم حيث قال له :" الست الفاعل بابن المحلبان رسول الخليفة كذا وكذا ؟ فقم الآن واكشف رأسك وشد وسطك واومئ الى ناحية الخليفة وقبل الارض ففعل . فقال السلطان : اذا كنت انا وانا اقل الملوك الذين فى

---

(١) البندارى ـ دولة ال سلجوق ص/ ٤٥، ابن الاثير ـ الكامل ١١١/٨ .

(٢) سبط ابن الجوزى ـ مرآة الزمان ص/ ٢٥٠ .

(٣) ن . م . س ص/ ٢٥٤ ـ ٢٥٥ .

طاعته فعلت بك مافعلت" ثم كتب السلطان الى الخليفة كتابا يبشره فيه بالنصر ،كما سبق واسلفنا ،ويشرح له ماجرى بين الجيش الاسلامى وجيش الروم وبعث بعمامة ملك الروم وبالصليب وبما اخذ من الروم الى دار الخلافة (١) . وقد كان لهذا الانتصار صداه الواسع فى ارجاء اراضى الخلافة العباسية المختلفة ،بل وفى ديار الاسلام بشكل عام ،وقد بعث الخليفة القائم بامر الله خطاب شكر وامتنان وتهنئة الى السلطان الب ارسلان منحه فى ثناياه عددا كبيرا من الالقاب التشريفية والتفخيمية فقد خاطبه بقوله :"الولد السيد الاجل ،المؤيد المنصور المظفر،السلطان الاعظم ،مالك العرب والعجم ،سيد ملوك الامم ،ضياء الدين ،غياث المسلمين ظهير الايمان ،كهف الانام ،عضد الدولة القاهرة ،تاج الملة الباهرة سلطان ديار المسلمين ،برهان امير المؤمنين حرس الله تمهيده ،وجعل من الخيرات مزيده " (٢) . ومع ان مثل هذه الالقاب متوقعه فى مثل تلك المناسبة التى هزت المشاعر،فانها على كل حال تعكس المدى الكبير فى تحسين العلاقات وحالة الانسجام الكبير الذى ساد علاقات الخلافة العباسية بالسلطنة السلجوقية خلال هذه المرحلة ،اضافة لما تعكسه

---

(١) سبط ابن الجوزى ــ مرآة الزمان ص/ ١٥١ .

(٢) الراوندى ــ راحة الصدور ص/ ١٨٩،ابن الاثير ــ م . س ١١٠/٨،ابن القلانسى ــ ذيل تاريخ دمشق ص/ ٩٩ ــ ١٠٥،البندارى ــ دولة ال سلجوق ص/ ١٤١ ــ ١٥٥ ،الحسينى ــ اخبار الدولة السلجوقية ص/ ٤٦ .

من مدى عزم السلاجقة على الاسهام فى حماية حدود الدولةالاسلامية والدفاع عن الثغور الاسلامية .

وفى السنة التالية (٤٦٤هـ/١٠٧١م) تذكر السلطان الب ارسلان بانه لم يستأذن الخليفة القائم بامر الله بشأن جعل ولاية العهد لولده ملكشاه فارسل الى الخليفة يستأذنه فاذن له الخليفة كما اسلفنا ولعل السبب فى ذلك يعود الى احساس السلطان بان ماوصلت اليه العلاقات بين الطرفين من تطور تحتم عليه القيام بمثل ذلك العمل اعترافا تكريميا بتبعيته للخلافة .

وفى المقابل ارسل الخليفة القائم بامر الله عميد الدولة بن جهير بالاذن فى تسمية الامير ملكشاه وليا لعهد السلطنة وارسل معه الخلع للسلطان ولولده ملكشاه ،كما "امر عميد الدولة بان يخطب ابنة السلطان الب ارسلان من (زوجته) سفرى خاتون لولى العهد المقتدى بامر الله فلما حضر عند السلطان خطب ابنته فاجيب الى ذلك وعقد النكاح بظاهر نيسابور وكان عميد الدولة الوكيل فى قبول النكاح ونظام الملك الوكيل من جهة السلطان فى العقد "[(١)] .

وفى سنة (٤٦٥هـ/١٠٧٢م) آلت السلطنة الى ملكشاه بعد ان قتل السلطان الب ارسلان على يد احد الخارجين على الدولة فى بلاد

---

(١) سبط ابن الجوزى ـ مرآة الزمان ص/ ١٤١ ـ ١٥٥، البندارى ـ ال سلجوق ص/ ٤٣، ابن الاثير ـ الكامل ١١١/٨ .

ماوراء النهر ،وانتهت باغتياله فترة متميزة من العلاقات الطيبة[1] بين الخلافة والسلطنة .

تسلم السلطان ملكشاه سلطنة السلاجقة عند طعن والده وقبيل وفاته ويذكر ابن الاثير بانه بعد ان بايعه الجند الذين كانوا معه فانه ارسل الى بغداد طالبا اعلان الخطبة له وانه قد خطب له على منابرها[2] وقد انشغل السلطان الجديد فى المشاكل والحروب الداخلية التى حصلت بسبب منافسة عمه قاورت بيك له على السلطنة . غير انه تمكن فى النهاية من ان يحسم الموقف لصالحه[3] . وفى اعقاب ذلك اعطى وزيره نظام الملك تفويضا جعل امور السلطنة كلها صغيرها وكبيرها اليه وحلف له واقطعه اقطاعات اضافية وخلع عليه ومنحه العديد من الالقاب التشريفية[4] .

ان ادراك حقيقة هذا التصرف على اى حال ،ضرورى لوضع العلاقات العباسية السلجوقية فى محلها ،ذلك ان تصرفات الوزير نظام الملك يمكن ان تعد من الوجهة العملية تعبيرا عن ارادة السلطان .

---

(١) ابن العماد ـ شذرات الذهب ٣١٨/٣،وانظر الراوندى ـ م . س ص/ ١٩١ الحسينى ـ اخبار الدولة السلجوقية ص/ ٥٤، الاصفهانى ـ ال سلجوق ص/٢٤،حمد الله مستوفى ـ تاريخ كزيده ص/ ٤٤٢، ابن الاثير ـ الكامل ١١٢/٨ .

(٢) ابن الاثير ـ الكامل ١١٣/٨ .

(٣) ن . م . س ١١٤/٨،وانظر زبدة النصر ص/ ٤٨،تاريخ كزيده ص/ ٤٤٣ .

(٤) ابن الاثير ـ الكامل ١١٤/٨ ـ ١١٥ .

وتؤكد المصادر على ان الادارة السلجوقية العليا قد انتدبت سعد الدولة كوهرئين الى عاصمة الخلافة لغرض حضور مراسيم عقد العهد للسلطان ملكشاه والاعتراف بشرعيته ولايته وتسلم لواء السلطنة نيابة عنه من الخليفة العباسى القائم بامر الله . وقد تم ذلك فعلا فقد "جلس الخليفة القائم بامر الله ووقف على رأسه ولى العهد المقتدى بامر الله ،وسلم الخليفة الى كوهرائين عهد السلطان ملكشاه بالسلطنة وقرأ الوزير اوله ،وسلم اليه ايضا لواء عقده الخليفة بيده ،ولم يمنع يومئذ احدا من الدخول الى دار الخلافة فامتلأ صحن السلام بالعامة "(١) مما يؤكد اعلان العهد على عموم الناس فى عاصمة الخلافة .

وفى منتصف شعبان سنة (٤٦٧هـ/١٠٧٤م) توفى الخليفة القائم بامر الله الذى وصفه احد المعاصرين من مؤرخى الفترة بانه " ليس له من الخلافة الا الاسم ،لايتعدى حكمه بابه ولايتجاوز جنابه "(٢) ،وبويع ولى عهده المقتدى بامر الله عبدالله بن محمد القائم بالخلافة وحضر البيعة مؤيد الملك بن نظام الملك والوزير فخر الدولة بن جهير

---

(١) ابن الاثير - الكامل ١١٨/٨ - ١١٩،وانظر ال سلجوق ص/ ٤٧ وكان ذلك فى صفر سنة (٤٦٦هـ/١٠٧٣م) .

(٢) الطبرى - نشأة السلافة ورقة /١٣٥آ،ابن دحية - النبراس فى تاريخ بنى العباس ص/ ١٤٢ - ١٥٠،وانظر ابن العربى - محاضرة الابرار ٨٥/١،ابن دقماق - الجوهر الثمين فى سيرة الملوك والسلاطين ورقة / ٦١ ب .

وابنه عميد الدولة واعلام وفقهاء واعيان العاصمة . وقد اقر الخليفة المقتدى بامر الله "فخرالدولة بن جهير على وزارته بوصية الخليفة الراحل وسير عميد الدولة بن جهير الى السلطان واخذ البيعة وكان مسيره فى شهر رمضان وارسل معه من انواع الهدايا مايجل عن الوصف"(١) وهكذا حصل تبادل فى الادوار خلال اقل من سنتين بين الخليفة العباسى والسلطان السلجوقى فى مسألتى العهد واخذ البيعة .

ويبدو ان الخليفة المقتدى بامر الله كان كما تصفه المصادر "قوى النفس عظيم الهمة من رجال بنى العباس"(٢) ذلك انه بدأ باصلاحات عامة فى العاصمة العباسية التى كانت قد دب فيها الخراب والدمار من كثرة الفتن والحرائق والفيضانات وانعدام العمارة والاصلاح . وقد "عظمت الخلافة اكثر مما كان قبله وانعمرت ببغداد عدة محال فى خلافته"(٣) وقد امر باخراج المفسدات والخواطىمن بعد وخرب الخمارات ودور الزوانى والمغانى وخرب ابراج الحمام ومنع اللعب بها وامر الناس بالتزام الاخلاق الاسلامية الفاضلة ،ومنع اصحاب الحمامات ان يصرفوا فضلاتها الى دجلة والزمهم بحفر آبارلتلك المياه القذرة صيانة لمياه الشرب الى غير ذلك من الاصلاحات العمرانية والاجتماعية والصحية(٤) . ولعله قصد

---

(١) ابن الاثير - الكامل ٨/١٢٠ - ١٢١ .

(٢) ن . م . س ٨/١٧٠ .

(٣) ن . م . س ٨/١٧٠ .

(٤) ن . م . س ٨/١٧٠ .

من كل ذلك بجانب الاصلاح استعادة مكانة الخلافة وفاعليتها بعد ان مضى عليها فترة طويلة من الجمود امتدت منذ التسلط البويهى عام (٣٣٤هـ/٩٤٥م) ولعل المقتدى بذلك قد قصد تقليص صلاحيات وكلاء السلطان وموظفيه فى العاصمة توطئة لما هو اكبر من ذلك . ومن الممكن على ضوء ذلك تفسير اسباب الصراع الحاصل بين الخليفة وبين عميد العراق وغيره من النظار والمتضمنين والتى تطورت الى درجة دفعته الى ان يستعين بالشيخ ابى اسحاق الشيرازى ليحمل له رسالة الى السلطان ووزيره "تتضمن الشكوى من العميد ابى الفتح بن ابى الليث عميد العراق وامره ان ينهى مايجرى على البلاد من النظار" (١) . وقد وصل الشيخ الشيرازى الى السلطان ونظام الملك فاكرماه "واجيب الى جميع ما التمسه ولما عاد اهين العميد وكسر عما كان يعتمده ورفعت يده عن جميع مايتعلق بحواشى الخليفة" (٢) ،وذلك مايؤكد وصول الخليفة المقتدى الى تحقيق بعض النجاح فى مسعاه ،كما انه يشير الى ان علاقة الخليفة لم تكن متأزمة مع السلطان . بل على العكس من ذلك فان فى الامكان القول بانها كانت طيبة . ولقدكان الصراع مع وكلاء السلاجقة فى العراق عامة وفى بغدا بخاصة . والوسيلة التى كان هؤلاء يلجأون اليها

---

(١) ابن الاثير - الكامل ١٣١/٨ .

(٢) ن . م . س ١٣٢/٨ .

لاذلال الخليفة والتحكم به هى السيطرة على اقطاعات الخليفة والحاشية [١] .

ان هذا الوضع يعكس مدى ماوصلت اليه الخلافة من ضعف مادى وماوصلت اليه الادارة السلجوقية من تسلط على الشؤون المالية [٢] . والراجح فان تلك هى احدى الوسائل الفعالة ،بجانب وسائل اخرى ، التى كانت تستعمل لارغام الخلفاء على النزول الى مطالبهم وتحقيق رغباتهم [٣] . وقد يلجأ وكلاء السلطان الى التحايل وابلاغ السلطان بتقارير كاذبة يفترون بها على الخليفة او يضعون اللوم على وزيره مما ينجم عنه تدخل السلطان ووزيره لعزل وزير الخليفة مما يشكل ضغطا نفسيا وادبيا كبيرا على الخليفة العباسى وامثلة ذلك كثيرة . ولعل من ابرز امثلة ذلك ما اقدم عليه كوهرائين بغداد سعد الدولة حين امر ان تضرب على بابه الطبول وقت الصلاة تشبها بالخلفاء،مالم تجر به العادة من قبل حيث ان السيادة الشرعية للخليفة العباسى وان ذلك امر يتصل بالعبادات . وحينما امر الخليفة المقتدى بامر الله بمنعه من ذلك ،اتهم الوزير فخر الدولة ابن جهير بانه وراء ذلك الاجراء،واظهر بان معه كتابا من السلطان ملكشاه الى الخليفة يتضمن عزل الوزير وعدم مراجعته فيه ،وان لاينفذ

---

(١) سبط ابن الجوزى ـ مرآة الزمان ص/ ١٧٨ .

(٢) البندارى ـ ال سلجوق ص/ ٥٥ .

(٣) الصابى ـ رسوم دار الخلافة ص/ ١٣٦، ابن الجوزى ـ المنتظم ٣٠/٨ .

الى دار الخلافة فى بغداد رسول من خراسان ،وان لايكون فيها غلمان اتراك للخاص ولاللخدم والاتباع [(١)] . وقد اجاب الخليفة بان فخر الدولة بن جهير ليس هو الوزير ،وانما الوزير ولده عميد الدولة وحيث انه غائب فان والده ينوب عنه [(٢)] ،فلم يرض بذلك سعد الدولة بل طلب من اصحابه احراق حريم دار الخلافة ونهبه وكان وهو سكران يقول : " سلم الوزير الى والا دخلت واخذته وان كلمنى انسان قتلته [(٣)] " . حتى اضطر الخليفة الى عزل الوزير ،ولم يترك الشحنة مكانه حتى رأى امر العزل [(٤)] . ويبدو ان الخليفة المقتدى قد ادرك ان افضل مايمكنه ان يتصرف به لقمع سلطان عميد العراق وكوهرائين بغداد وغيرهما هو ان يتزوج من ابنة السلطان ملكشاه وقد اوفد الخليفة وزيره فخر الدولة بن جهير لهذا الغرض سنة (٤٧٤هـ/١٠٨١م) الذى تمكن بعد جهد كبير ،اسهمت فيه ارسلان خاتون زوجة الخليفة القائم بامر الله بقسط من ان يحصل على موافقة زوجة السلطان على ذلك بعد ان اشترطت جملة شروط قاسية على الخليفة فقد " شرطت ان يكون الحمل المعجل خمسين الف دينار ،وانه لايبقى سرية ولازوجة

---

(١) ابن الجوزى ـ المنتظم ٣١٧/٨، البندارى ـ ال سلجوق ص/ ٥٥ ،سبط ابن الجوزى ـ مرآة الزمان ص/ ١٩٥ ـ ١٩٦ .

(٢) البندارى ـ ال سلجوق ص/ ٥٥،سبط ابن الجوزى ـ مرآة الزمان ص/١٩٦.

(٣) ابن الجوزى ـ المنتظم ٣١٨/٨،سبط ابن الجوزى ـ مرآة الزمان ص/١٩٥.

(٤) ابن خلدون ـ العبر ٤٧٤/٣، القلقشندى ـ مآثر الانافة ٢/٢ .

غيرها ولايكون مبيته الاعندها " . وقد اجيبت الى ذلك فاعطى السلطان يده وعاد فخر الدولة الى بغداد[(١)] . وقد تاخر تنفيذ العرس الى سنة (٤٨٠هـ/١٠٨٧م) وكان عرسا مشهورا[(٢)] .

وفى شعبان من العام نفسه وردت كتب السلطان الى الخليفة يسأله ان يأمر بالدعاء لولده الامير احمد بن ملكشاه من قبل الخطباء فى المساجد ،وكان السلطان قد جعله ولى عهده فتقدم الخليفة الى خطباء المنابر بذلك ولقبه "ملك الملوك عضد الدولة وتاج الملة عدة امير المؤمنين" ونثر الدنانير على الخطباء[(٣)] .

ويظهر ان علاقات الخليفة العباسى بالسلطان قد تحسنت فى اعقاب ذلك وبعد المصاهرة ،ذلك ان المعلومات التى تقدمها المصادر تشير الى ان السلطان قد اشغل نفسه بالفتوح والصيد حتى سنة (٤٧٩هـ/١٠٨٦م) حين دخل بغداد لاول مرة " بعد ان فتح حلب وغيرها من بلاد الشام والجزيرة "[(٤)]

---

(١) سبط ابن الجوزى ـ مرآة الزمان ص/ ٢١٣ ـ ٢١٤، ابن الاثير ـ الكامل ١٢٩/٨ ـ ١٣٠ .

(٢) الذهبى ـ العبر ٣٤٢/٢، دول الاسلام ١٠/٢، ابن الجوزى ـ تحفة الالباء ورقة /٩٨ب ، المنتظم ٣٠٢/٩، ابن الاثير ـ الكامل ١٢٩/٨ ـ ١٣٠، سبط ابن الجوزى ـ مرآة الزمان ص/ ٢٤٦، اليافعى ـ مرآة الجنان ١٣٢/٣ .

(٣) سبط ابن الجوزى ـ مرآة الزمان ص/ ٢٤٦ .

(٤) ابن الاثير ـ الكامل ١٤٣/٨ .

وقد عكست هذه الزيارة مدى احترام السلطان ووزيره وتقديرهما للخليفة العباسى ذلك ان السلطان قد بادر بارسال العديد من الهدايا الى الخليفة وكذلك فعل وزيره نظام الملك ثم قام السلطان ومن معه من الامراء بزيارة مقر الخلافة "ودخل الى الخليفة فخلع عليه الخلع السلطانية ،ولما خرج من عنده لم يزل نظام الملك قائما يقدم اميرا اميرا الى الخليفة وكلما قدم اميرا يقول : هذا العبد فلان بن فلان واقطاعه كذا وكذا وعدة عسكره كذا وكذا الى ان اتى على آخر الامراء" وقد اعاد الخليفة فى هذه المناسبة ماسبق ان جرى مع السلطان طغرلبك حيث انه قد "فوض الى السلطان امر البلادوالعباد وامره بالعدل فيهم" وطلب السلطان ان يقبل يد الخليفة فلم يجبه الى ذلك فسأل ان يقبل خاتمه فسمح له به وخلع عليه وعلى وزيره (١). وقد "امر السلطان ان يزاد فى اقطاع وكلاء الخليفة نهر برزى من طريق خراسان وعشرة آلاف دينار من معاملة بغداد" (٢) ،كما اسقط المكوس والاجتيازات فى العراق .

ان هذه التطورات على كل حال ،قد اعادت العلاقة بين الخليفة والسلطان الى سابق عهدها من حيث ايجابية العلاقة وتسلط السلطان واستبداده .

وفى ذى القعدة سنة (٤٨٠هـ/١٠٨٧م) ولد للخليفة من بنت السلطان

---

(١) ابن الاثير ــ الكامل ١٤٣/٨ ــ ١٤٤ .

(٢) ن . م . س ١٤٤/٨ .

ملكشاه ولد اسماه جعفرا وكناه ابا الفضل[1] . وربما كان ذلك مايحلم به السلاجقة من مصاهراتهم مع الخلفاء العباسيين من انجاب هذا الحفيد الذى سوف يبذلون قصارى جهدهم فى سبيل تنصيبه خليفة فى المستقبل وبذلك يضمنون ولاءه التام لدولتهم والوئام الكامل بين الخلافة والسلطنة وبعد عامين من زواج الخليفة من ابنة السلطان ارسلت ابنة السلطان الى ابيها تشكو الخليفة ،وقد طلب السلطان من الخليفة ارسال ابنته فارسلها ومعها ولده منها جعفر[2] . وقد سار معها سائر ارباب الدولة ومشى فى محفتها سعد الدولة كوهرائين وخدم دار الخلافة والاكابر وخرج الوزير وشيعهم الى النهروان . وقد وصلت الخاتون الى اصبهان فاقامت بها بضعة اشهر ثم توفيت . وقد جلس الوزير ببغداد للعزاء واكثر الشعراء مراثيها ببغداد وبعسكر السلطان[3] .

والراجح ان هذه الحادثة قد اثرت كثيرا على العلاقة الحسنة بين الخليفة العباسى والسلطان السلجوقى ،فقد اشارت المصادر الى وصول السلطان ملكشاه الى بغداد للمرة الثانية وانه "نزل بدار المملكة ونزل اصحابه متفرقين .. وامر بعمارة جامع السلطان .. وابتدأ بعده

---

(١) ن . م . س ١٤٦/٨،سبط ابن الجوزى ـ مرآة الزمان ص/ ٢٤٦ .

(٢) ابن الجوزى ـ المنتظم ٤٦/٩ ـ ٤٧، ابن الاثير ـ الكامل ١٥٠/٨، السبكى طبقات الشافعية ٣٢٤/٤ .

(٣) ابن الاثير ـ الكامل ١٥٠/٨ وكان ذلك فى ذى القعدة سنة (٤٨٢هـ/١٠٨٩م)

نظام الملك وتاج الملك والامراء الكبار بعمل دور لهم يسكنونها اذا قدموا بغداد . وهذا يشير الى وجود خطة سلجوقية الى التردد المتكرر على عاصمة الخلافة ،والاقامة لفترات طويلة غير ان مما يلفت النظر هو ان السلطان لم يقابل الخليفة رغم امتداد اقامته فى العاصمة العباسية كما انه اقدم على اتخاذ قرارات مهمة منها توجيه امراء الشام السلاجقة الى تصفية الوجود العلوى فى سواحل بلاد الشام ووضع خطة غزو مصر ومنها توجيه امير التركمان وجماعة من امراء السلطان بقيادة سعد الدولة كوهرائين لاستعادة الحجاز واليمن (١) . وكل ذلك لم يكن بعلم الخليفة العباسى ولابامره اومشورته مما يؤكد ان السلطان قد تجاهل وجود الخليفة بشكل متعمد .

واخيرا نجد ان امر الاساءة الى الخليفة المقتدى بامر الله قد تكشف وبلغ حده من تطرف السلطان ملكشاه فى تفكيره الى حد لم يسبقه اليه احد من سلاطين السلاجقة من قبل ،وذلك فى تصميمه على عزل الخليفة العباسى . ففى سنة (٤٨٥هـ/١٠٩٢م) قصد السلطان ملكشاه بغداد للمرة الثالثة والاخيرة ،وقد تغيرت نيته على الخليفة ،وهو عازم على الشر وارسل الى الخليفة يأمره بضرورة ان يترك بغداد للسلطان وان يتوجه الى اى بلد يريد . وقد انزعج الخليفة من هذا التصرف الخطير ،وطلب من السلطان ان يمهله شهرا على الاقل ،لكى يدبر امره غير ان السلطان

---

(١) ابن الاثير ـ الكامل ٨/١٦٠ ـ ١٦١ .

رفض ان يمهله حتى ولاساعة واحدة ،وبعد ان تردد الرسل بينهما ونتيجة لوساطة الوزير السلجوقى تاج الملك ابى الغنائم ،وافق ملكشاه على ان يمهل الخليفة عشرة ايام . لم تمض هذه المهلة حتى كان السلطان قد قضى نحبه ،وكفى الله الخليفة شره . (١)

وكما اسلفنا فان ما اقدم عليه السلطان من ضغوط على الخليفة وماينطوى عليه ذلك من نتائج لم يجرؤ احد من السلاطين السلاجقة قبل ملكشاه ان يفكروا فيه . فهو يعنى عزل الخليفة العباسى وطرده من عاصمة الخلافة العباسية العتيدة . ولعل ذلك كان نتيجة توفر البديل الذى يمكن ان يواجه به الرأى العام .

ويعلق بعض المؤرخين على تلك الخطوة الخطيرة التى اقدم عليها السلطان ملكشاه بان الذى شجعه على تنفيذها هو ان الخليفة المقتدى بامر الله قد رزق بولد من ابنة السلطان ملكشاه وان السلطان قد طلب من الخليفة ان يجعل ولاية العهد لولده هذا غير ان الخليفة لم يوافق على ذلك ،لانه كان قد اخذ ولاية العهد لابنه الاكبر

---

(١) ابن الجوزى ـ المنتظم ٦١/٩ ـ ٦٢، ابن خلكان ـ وفيات الاعيان ٢٨٨/٥، السبكى ـ طبقات الشافعية ٤٢٦/٢، القرمانى ـ اخبار الدول وآثار الاول ص/ ١٧٣، ابن طباطبا ـ الفخرى ص/ ٢١٦، السيوطى ـ تاريخ الخلفاء ص/ ١٤٠، ابن دقماق السراجى ـ جواهر الثمين فى سير الملوك والسلاطين ورقة / ٦١ .

المستظهر بالله[1] . ويمكن ان ندرك الحال المزرى الذى وصل اليه الخليفة المقتدى بامر الله وطبيعة علاقة السلاجقة به من نص اورده الراوندى ذكر فيه ان تركان زوجة السلطان ملكشاه "قد بذلت الاموال الطائلة ..... وانها كانت تتودد الى الامير جعفر ولد الخليفة ... وكانت تناديه فى حضور ابيه المقتدى بعبارة : يا امير المؤمنين"[2] .

ويضيف الراوندى خبرا آخر يعطى مؤشرا واضحا له دلالته فى توضيح موقف السلاجقة فى هذه الفترة من الخلافة ومطامعهم الحقيقية فيها حين يذكر بانه قد "كان العزم قبل وفاة ملكشاه ان يبنوا دارا للخلافة وحرما ملحقا بها فى اصفهان فى سوق العسكر ... وان يقيموا الامير جعفر فيها"[3] . والغريب ان الراوندى يؤكد بان الخليفة قد احس بهذا الامر[4] .

---

(١) الراوندى – <u>راحة الصدور</u> ص/ ٢١٦، السبكى – <u>طبقات الشافعية</u> ٣٢٦/٤ .

(٢) السبكى – م . س ٤ / ٢١٦ .

(٣) ن . م . س ٢١٦/٤ .

(٤) ن . م . س ٢١٦/٤ .

المبحث الثانى : الوزير العباسى والوزير السلجوقى

لقد تضاءلت اهمية الوزارة فى الدولة العباسية منذ مقتل الخليفة المتوكل على الله حيث استبد الاتراك فى ادارة الدولة ،غير ان منصب الوزير كان على الدوام من المناصب التشريفية المرموقة التى يتنافس عليها عدد من شيوخ الكتاب حتى خلافة الراضى بالله حيث استحكمت الازمة المالية[(١)] . وقد اضطر الخليفة فى ذلك الوقت الى مراسلة ابن رائق وهو احد الامراء المتغلبين على واسط والبصرة ،حيث انه قلده "الامارة ورياسة الجيش وجعله امير الامراء،ورد اليه تدبير اعمال الخراج والضياع واعمال المعاون فى جميع النواحى وفوض اليه تدبير المملكة وامر ان يخطب له على جميع المنابر فى المماليك ..."[(٢)] .

وكان من النتائج المترتبة على تصرف الخليفة هذا ان "بطل امر الوزارة فلم يكن الوزير ينظر فى شئ من امور النواحى ولا الدواوين ولا الاعمال ولا كان له غير اسم الوزارة "[(٣)] .

وقد استمرت حالة الوزير العباسى على هذا الوضع حتى وفاة الخليفة

---

(١) السامرائى – المؤسسات ص/ ٧٦ – ٩٩ .

(٢) ابن مسكويه – تجارب ٥/ ٣٥ – ٣٥٢،ابن الاثير – الكامل ١١٣/١ .

(٣) ابن مسكويه – م . س ٥/ ٣٥ – ٣٥٢،ابن الاثير – م . س ١١٣/٨ .

الراضى بالله . ولقد اشترك آخر وزراء الراضى مع كل من سبق له الاشتراك[١] فى الوزارة ومع وجهاء الدولة فى ترشيح الخليفة المتقى بالله بناء على اوامر امير الامراء .[٢] ومع ان كثيرين قدتتابعوا على منصب الوزارة فلم يكن للخليفة العباسى اثر كبير فى اختيارهم انما كان امير الامراء هو الذى يختارهم وان كان التقليد يجرى من قبل الخليفة .[٣]

ان وصول البويهيين الى السلطة فى مقر الخلافة العباسية والتبدل الذى نجم عن ذلك يمكن عده استمرارا لعهد امراء الامراء فى اتجاهاته من حيث استبداد الامراء البويهيين بالسلطة وتعسفهم واستهتارهم .

وقد ابطل البويهيون رسم الوزارة ، اذ لم يبق للخليفة حاجة بالوزير ،وقام كاتب الاميرمقام الوزير وفقد الوزراء النفوذ الذى كانوا يتمتعون به بجانب الخلافة العباسية . واصبح للامير البويهى وزيره فكان تحت رحمته لاحول له ولاقوة . ويبدو ان البويهيين لم يهتموا باختيار العناصر الكفوءه لمنصب الوزيركما انهم اخذوايعينون شخصيتين لمنصب الوزارة احدهما يقيم فى فارس والثانى فى بغداد .[٤]

---

(١) الصولى ـ اخبار الراضى والمتقى ص/ ١٨٣ .

(٢) ابن مسكويه ـ تجارب الامم ٢/٦، الصولى ـ اخبار الراضى والمتقى ص/ ١٨٧ ـ ١٩١ .

(٣) السامرائى ـ المؤسسات ص/ ١٠١ .

(٤) ابن الاثير ـ الكامل ١٤٥/٧ .

وبالجملة فقد زال نهائيا منصب وزير الخلافة "لان الوزارة صارت من جهة البويهيين"[١] .

وفى سنة (٤٤٧هـ/١٠٥٥م) دخل السلاجقة بغداد ،وكان ذلك ايذانا ببدء عصر جديد استرجع فيه الخليفة عددا من سلطاته واختصاصاته وخصوصا حقه فى وجود وزير خاص به يختاره ويتولى امر تعيينه وتوجيهه وعزله . وقد وزر للخليفة القائم بامر الله عند دخول السلاجقة بغداد الوزير محمد بن جهير الذى لقب بلقب فخر الدولة[٢] . ومنذ ذلك التاريخ عاد نظام الوزارة العباسى الى الظهور حيث حاول الخلفاء اختيار الوزراء من بين من عرفوا بالعلم والمعرفة الواسعة وقوة الشخصية والتجربة فى اعمال الادارة .

ويقابل ذلك ان السلاطين السلاجقة كان لهم وزراؤهم قبل وصولهم الى العراق[٣] .

وقد عاصر احداث الفترة موضوع البحث كل من الوزيرين عميد الملك ابى نصر الكندرى وخلفه الوزير نظام الملك الذى استمر فى تولى المنصب

---

(١) ابن طباطبا ـ الفخرى ص/ ٢١٢ .

(٢) ن . م . س ص/ ٢١٨ .

(٣) تولى منصب الوزارة خلال الفترة التى سبقت دخولهم بغداد (انظر الفصل الثانى) .

حتى نهاية فترة البحث تقريبا (١) .

وقد كان الوزير السلجوقى هو المساعد الاول للسلطان يأتمر بامره ويقدم له النصح والمشورة . وكانت له - كما نلاحظ من خلال دراسة منصبه ضمن وظائف الادارة السلجوقية - سلطات واسعة فهو يشرف على جميع الدواوين فى الادارة السلجوقية (٢) .

ويظهر انهم كانوا يختارونه من بين الشخصيات العالية الثقافة ذلك ان الصفة الغالبة عليهم كانت هى البداوة وكان يسيطر عليهم الاحساس بالحاجة الماسة الى ان يتمتع وزيرهم بالعلم والاخلاق الحميدة والمعرفة الواسعة بنظم السلاجقة وقوانين مملكتهم واخبار ملوكهم وسيرهم ومثلهم (٣) .

وهكذا فقد كان للخليفة العباسى وزيره وللسلطان السلجوقى وزيره ،وحيث ان التداخل فى اختصاصات الخليفة والسلطان كان كبيرا وخصوصا اذا ما اخذنا بنظر الاعتبار تفويض الخليفة للسلطان بالنظر فى كل ماوراء بابه ،فان من المتوقع ان يحصل تداخل وتصادم فى اختصاصات

---

(١) بعد اغتيال نظام الملك تولى الوزارة للسلطان ملكشاه الوزير تاج الملك ابو الغنائم المرزبان بن خسرو فيروز الفارسى غير انه لم يبق فى منصبه سوى شهر واحد تقريبا . راحة الصدور ص/ ٢٠٧،٢٠٨ .

(٢) السمرقندى العروضى - جهار مقالة ص/ ٢٣ (ترجمه عبدالوهاب عزام ويحيى الخشاب) .

(٣) عباس اقبال - الوزارة فى عهد السلاطين السلاجقة العظام ص/ ٢٥ .

كل من الوزيرين السلجوقى والعباسى ذلك ان كلا منهما يستمد قوته وسلطاته من سيده . وحيث ان السلطان قد استبد بالسلطة وكاد ان يتفرد بها فقد اصبح الوزير السلجوقى اكثر نفوذا وسطوة وخاصة فى فترة البحث والتى تغطى فترة السلاطين السلاجقة العظام .(١)

ومنذ الوهلة الاولى التى وصل فيها طغرلبك ووزيره عميد الملك ابو نصر محمد بن منصور الكندرى الى بغداد ، اخذ الوزير السلجوقى فى فرض سلطته وسيطرته وباشر تدخله فى الشئون العباسية .

ففى سنة (٤٤٧هـ/١٠٥٥م) قبض عميد الملك على الوزير الاغر ابى سعد وزير الملك الرحيم ثم اطلقه ،واطلق يده فى الحل والعقد والحبس والاطلاق وجعله تابعا له وعول عليه وفوض اليه النظر فى امور العراق .(٢)

وفى العام نفسه حينما توفى قاضى القضاة الحسين بن على بن ماكولا خوطب الوزير عميد الملك الكندرى فى تولية قاضى القضاة ابى عبدالله محمد بن الدامغانى .(٣)

ولم تقف سيطرة وتدخل الوزير الكندرى عند هذا الحد ،ذلك انه باشر بعقد الضمان على المدن الرئيسية فى بلاد العراق ففى سنة (٤٤٨هـ/١٠٥٦م) عقد ضمان البصرة والاهواز واعمالها على تاج الملك

---

(١) حسين امين – م . س ص/ ١٩١، احمد شريف – العالم الاسلامى فى العصر العباسى ص/ ٥٨٠ .

(٢) البندارى – دولة ال سلجوق ص/ ١٢ .

(٣) ن . م . س ص/ ١٢ .

ابى كاليجار هزارسب ،واطلق يده فى جميع الاقطاعات والمعاملات فى البصرة وخوزستان .(١)

وفى السنة نفسها ولى الوزير الكندرى ابا الغنائم بن فسانجس واسطا واعمالها .(٢)

وفى سنة (٤٥٠هـ/١٠٥٨م) اولى السلطان طغرلبك الثقة التامة للوزير ورئيس الروساء فى تأديب الجند ،بعد ان شكا رئيس الروساء فساد الجند .(٣)

وفى سنة (٤٥١هـ/١٠٥٩م) حدث حريق ببغداد واحرقت دار الكتب التى كان قد اوقفها الوزير البويهى شابور بن اردشير وقد اخذ عميد الملك الكندرى ماسلم من الكتب من الحريق .(٤) وذلك يبين مدى قوة نفوذه واستئشاره بالامور دون اية معارضة.

وفى سنة (٤٥٣هـ/١٠٦١م) لعب الوزير السلجوقى عميد الملك دورا كبيرا فى انهاء الخلاف بين السلطان طغرلبك والخليفة القائم بامر الله حينما طلب السلطان يد ابنة الخليفة القائم حيث تمكن فى النهاية من انهاء الازمة ومنع اى مضاعفات لها .(٥)

---

(١) سبط ابن الجوزى ـ مرآة الزمان ص/ ١ .

(٢) ن . م . س ص/ ١ .

(٣) ن . م . س ص/ ٢٨ .

(٤) ابن الاثير ـ الكامل ٨٨/٨، البندارى ـ دولة ال سلجوق ص/ ٢٠ .

(٥) البندارى ـدولة ال سلجوق ص/ ٢١ .

وفى العام نفسه حينما رغب الخليفة القائم بامر الله فى تعيين ابى الفتح منصور بن احمد بن دارست وزيرا له ،تدخل عميد الملك الكندرى الوزير السلجوقى وكتب عن السلطان للخليفة ،بان السلطان كاره لاستقدامه واستخدامه ،وانه لم يكن اهلا لهذا المنصب ،ولكن الخليفة لم يعر ذلك الاعتراض اهتمامه . فلما وصل ابن دارست الى بغداد فى الثامن من ربيع الاول سنة (٤٥٣هـ/١٠٦١م) افيضت عليه خلع الوزارة .[١] وكان عميد الملك يأمل فى الوصول الى التسلط على وزارة الخلافة مستغلا سوء التفاهم الذى كان يشوب علاقة الخليفة بالسلطان ،بسبب طلب الاخير يد ابنة الخليفة ،وموقف الخليفة فى البداية .

وحينما طلب طغرلبك من وزيره ان يحمل رسالة الى الخليفة فحواها "ان مصالح الدين والملك تلزمنى المجىء الى بغداد فى كل وقت ،ومعى جند كثير وجيش جرار متفرق فى نواحيها فارجو ان تعين لى الارزاق حتى استعين بها على النفقات التى ننفقها "[٢] فانه قد عومل فى دار الخلافة معاملة الند لوزيرالخليفة ،فقد قابله وزير الخليفة وابلغه بانه هو الآخر يحمل رسالة من الخليفة الى السلطان - فرجع وزيرالسلطان عميد الملك الكندرى كاتما سره ولم يخبره بشىء عن رسالة السلطان الى

---

(١) ن . م . س ص/ ٢٤ .

(٢) الراوندى - راحة الصدور ص/ ١٧٥ .

الخليفة[١] . واخبر الوزير عميد الملك الكندرى السلطان طغرلبك بوصول وزير الخليفة وابلغه احتمال ان يكون قد جاء ليطلب مالا للخليفة وقال : "فاذا تحدث فى هذا الشأن فقل له انى احمد الله كثيرا فلقد كنت افكر فى هذا الامر وسأحدث الوزير حتى يدبره"[٢] .

وقد اتاحت هذه الحادثة للوزير السلجوقى فرصة ذهبية للتسلط على الادارة المالية للخلافة العباسية فارتفع شأنه كثيرا حتى انه " طلب قانون بغداد وحدد الاموال السلطانية وعين ارزاق الخليفة "[٣] . وهكذا واعتبارا من هذا التاريخ اصبح الوزير السلجوقى يتمتع بسلطات اوسع ونفوذ اكبر عمليا فهو يتدخل فى شئون جباية الاموال من اقليم العراق ويشرف على الضمان ومايرد من الاموال ويقرر المبالغ التى ينبغى صرفها فى مقر الخلافة العباسية وعاصمتها بغداد .

وهكذا فقد اصبح للوزير الكندرى مكانة مرموقة خاصة لدى الخليفة العباسى القائم بامر الله حتى انه لقبه ب "سيد الوزراء"[٤] ، ومما يؤكد ذلك انه قد اعطاه تفويضا عاما فى عقد زواج ابنته الى السلطان طغرلبك وقال له : نحن نرد الامر الى رأيك ، ونعول فيه على امانتك

---

(١) الراوندى – م . س ص/ ١٧٦ ، رشيد الدين – جامع التواريخ م٢ج٥ص/٢٥ .

(٢) الراوندى – م.س ص/ ١٧٦ .

(٣) الراوندى – راحة الصدور ص/ ١٧٦ ، رشيد الدين – جامع التواريخ م٢ ج٥ ص/ ٢٦ .

(٤) البندارى – دولة ال سلجوق ص/ ٢٠ .

ودينـــــك .(١)

وبعد ان آلت الوزارة العباسية الى فخر الدولة محمد بن محمد بـــن جهير ،فانه استطاع ان يستميل بعض الاطراف المتاخمة للعراق وان يدخلها فى طاعة الخليفة .(٢)

وفى سنة (٤٦٢هـ/١٠٦٩م) تحسنت العلاقة بين الوزير السلجوقــــى والوزير العباسى حيث صاهر نظام الملك وزير السلطان ابن الوزيـــر العباسى ،فقد زوج نظام الملك ابنته "زبيدة" لعميد الدولة ابى منصـــور محمد بن فخر الدولة الوزير بن جهير .(٣) وبلغ من متانة هذه العلاقـــة درجة ان الوزير السلجوقى نظام الملك اخذ يخبر وزير الخلافة بتطـــورات داخلية سلجوقية ،حيث ورد فى شعبان سنة (٤٦٥هـ/١٠٧٢م) كتاب نظام الملـــك الى الوزير ابن جهير بوقعة كانت بين السلطان ملكشاه وعمه الحرث قاورت باعمال همدان .(٤) وبلغ من تحسن مكانة الوزير العباســـى انه فى سنـــة

---

(١) ن . م . س ص/ ٢٢ .

(٢) ابن طباطبا – الفخري ص/ ٢٩٤ .

(٣) ابن الاثير – الكامل ١٠٨/٨، البندارى – دولة ال سلجوق ص/ ٣٧، سبـــط ابن الجوزى – مرآة الزمان ص/ ١٤١ ، الصفدى – الوافى ١٢٤/١، الفارقى تاريخ الفارقى ص/ ٢٠٧، الاصبهانى – خريدة القصر ٩٢/١ (ويذكـــر ابن الجوزى – المنتظم ٥٦/٩ وابن طباطبا – الفخري ص/ ٢٩٧ ان اسمها صفية . ويبدو انه تزوج اثنتين من بنات نظام الملك اولاهما زبيـــدة ماتت سنة ٤٧٠هـ/١٠٧٧م ،ثم تزوج بعدها صفية سنة ٤٧١هـ/١٠٧٨م) .

(٤) سبط ابن الجوزى – مرآة الزمان ص/ ١٦٠ .

(٤٦٧هـ/١٠٧٤م) قام عميد الدولة ابن الوزير جهير فخر الدولة بمصالحة شخصية بين ملكشاه وبين شمس الملك صاحب ماوراء النهر وقال ملكشاه "لولا عميد الدولة ماصالحته حتى انزل على سمرقند "(١) .

غير ان العلاقات لم تستمر على ذلك طويلا، وفى العام نفسه تأزمت العلاقة بين الوزير السلجوقى والوزير العباسى بسبب ذم الناس فى بغداد للوزير نظام الملك ذلك انه كان فى بناء المدرسة النظامية قد غصب اراضى بعض الناس واخذ انقاضهم . كذلك لما شاع من اشارته على السلطان ملكشاه بقتل محمد قاورت ،وقتل عمته "كوهر خاتون " ،وقد اتهم الوزير نظام الملك وزير الخليفة ابن جهير بتحريض الناس ضده(٢) . وفى العام التالى ازداد تأزم العلاقات بين وزير السلطان ووزير الخليفة بسبب الصراع المذهبى ونشوب الفتنة بين الحنابلة والشافعية فى بغداد حيث جرى قتل عدد من اتباع الشافعية فى سوق المدرسة النظامية وقد لجأ الحنابلة الى الوزير العباسى واظهروا شفاعته ،فنسب نظام الملك الى ابن جهير المشاركة فى تلك الفتنة(٣) .

وفى سنة (٤٧٠هـ/١٠٧٧م) حدثت فتنة بين الحنابلة والشافعية ،قتل فيها احد الشافعية ،واستطاع اصحاب الخليفة وخدمه من تفريق الناس

---

(١) ن . م . س ص/ ١٧٢ .

(٢) ن . م . س ص/ ١٧٦ .

(٣) البندارى ـ ال سلجوق ص/ ٥٤، السيوطى ـ تاريخ الخلفاء ص/ ٤٢٤ .

وحمل القتيل الى الديوان فاغتاظ الوزير نظام الملك عند سماعه ذلك واصدر امره الى عميد العراق بان يدخل يده فى بعض اقطاع الخدم الذين نسبت اليهم الفتنة (١) .

وفى سنة (٤٧١هـ/١٠٧٨م) عزل الخليفة المقتدى وزيره فخر الدولة نزولا عند رغبة نظام الملك الذى اتهم فخر الدولة بتدبير تلك الفتن كما كتب نظام الملك لشحنة بغداد بالقبض عليه وعلى اتباعه . لكن اعيد مرة اخرى للوزارة بسبب توسط ابنه عميد الدولة لدى الوزير نظام الملك وقد كتب الاخير الى شحنة بغداد "باعادته الى الخدمة وزيادته فى الحرمة والتماس الخليفة فى الاغضاء عن زلته (٢) " . وكان ابنه عميد الدولة قد عين وزيرا بدلا عنه حيث عزل الخليفة المقتدى بامر الله بمشورة نظام الملك ولكنه اعيد الى الوزارة فى ذى القعدة من سنة ٤٧١هـ بعد ان رضى عنه الوزير نظام الملك ،وارسل فى ذلك كتابا للخليفة يشير برده "وان احدا لايقوم مقامه واننى مارضيت عنه وزوجته بولدى ورميت كل عداوة كانت من جهتى وصافيته الا لقربه من الخدمة (٣) " .

وفى سنة (٤٧٠هـ/١٠٧٧م) توفيت بنت الوزير نظام الملك زوجة

---

(١) سبط ابن الجوزى – م . س ص/ ١٩٣ .

(٢) البندارى – ال سلجوق ص/ ٥٥، ابن طباطبا – الفخرى ص/ ٢٩٤ ، الاصبهانى – خريدة القصر ٩٢/١، ابن خلكان – وفيات الاعيان ١٢٨/٥ .

(٣) سبط ابن الجوزى – مرآة الزمان ص/ ١٩٩ .

عميد الدولة الوزير العباسي ،وجلس الوزير وولده للعزاء ودفنت بدار الوزير بباب عمورية ،ولم تكن العادة جارية بالدفن فيما يدور عليه بسور .(١)

وفي سنة (٤٧٤هـ/١٠٨١م) اعيد عميد الدولة الى الوزارة رغم ان الخليفة كان يميل الى استيزار ابي شجاع لعقله وتركه مخالطة الاعاجم . ولكن نزولا عند رغبة نظام الملك كلف الخليفة عميد الدولة بالوزارة وكان نظام الملك قد كتب الى الخليفة يشير عليه باقصاء ابي شجاع عن الوزارة وبابعاده عن بغداد .(٢) وحينما اعيد الوزير ابوشجاع من اصفهان في رجب سنة (٤٧٥هـ/١٠٨٢م) حاول السلاجقة فرض ارادتهم بمنع الوزير العباسي من مباشرة اعماله ،وذلك بان يلزم داره بباب المراتب ولايركب الى دار الخليفة . وقد اذعن الوزير العباسي لمطالب السلاجقة غير ان الخليفة كان يرفض ذلك ويصر على مباشرة وزيره لاختصاصاته . وقد كتب الخليفة الى الوزير السلجوقي يستنكر ذلك ويستقبح فعل السلاجقة وموقفهم من وزيره .(٣)

ويشير سبط ابن الجوزي الى ان نظام الملك زوج عميد الدولة ابن جهير بابنته الثانية ،فحين صرف عميد الدولة وزوجته من بغداد الى

---

(١) ن . م . س ص/ ١٩٣ .

(٢) ن . م . س ص/ ٢١١ .

(٣) ن . م . س ص/ ٢١٦ .

اصفهان خصم الوزيرنظام الملك لابنته زوجة عميد الدولة عمارتين سكنت وبناتها من عميد الدولة فى احداهما . اما الثانية فقد خصصها لاقامة حفيداته اى بنات عميد الدولة من زوجته السابقة ، اى ابنة الوزير التى سبق ان توفيت سنة ٤٧٠هـ (١) .

وفى شعبان سنة (٤٧٦هـ/١٠٨٣م) استوزر الخليفة ابا شجاع محمد بن الحسين ولقبه بظهير الدين مؤيد الدولة سيد الوزراء صفى امير المؤمنين (٢) وقد استمر فى منصبه هذا حتى سنة (٤٨٤هـ/١٠٩١م) حيث عزل .

ويرجح المؤرخون ذلك لعدة اسباب ، منها رغبة الوزير نظام الملك فى ان يولى احد ابنائه فى هذا المنصب (٣) ، وقد ذكر البعض ان الوزير ابا شجاع قد الزم اهل الذمة بلبس الغيار ، واختلافه فى هذا مع نظام الملك بسبب موقفه من وكيل السلطان ملكشاه ، ابى سعد بن سمحا اليهودى متضمن البصرة (٤) .

وربما يكمن السبب الحقيقى فى رغبة نظام الملك بعزل ابى شجاع انه قد ولى الوزارة رغم اعتراضه عليه ومكاتبته للخليفة فى ذلك اضافة الى ان تعينه قد تم بعزل عميد الدولة صهر الوزير السلجوقى

---

(١) سبط ابن الجوزى ـ مرآة الزمان ص/ ٢٢٣ .

(٢) ن . م . س ص/ ٢٢٤ ، السيوطى ـ تاريخ الخلفاء ص/ ٤٢٤ .

(٣) ابن تغرى بردى ـ النجوم الزاهرة ١٣٢/٥ .

(٤) ابن الاثير ـ الكامل ١٥٤/٨ ، ابن خلدون ـ العبر ٤٧٥/٣ .

عن الوزارة ، اضف الى ذلك ان ابا شجاع قد اظهر كفاية ودراية عظيمة في الوزارة ، حيث لم يكن في الوزراء من يحفظ امر الدين وقانون الشريعة مثله[(١)] . فضلا عن عدم محاباته في الدين ، ووقوفه ضد رجال الادارة السلجوقية واطماعهم[(٢)] . وقد جاء كتاب السلطان ملكشاه صريحا بعزله مما اضجر الخليفة واثار العامة . وقد خرج التوقيع بصرفه عن الوزارة في التاسع عشر من صفر[(٣)] ، حيث اعيد اليها عميد الدولة ابن جهير[(٤)] .

ولكن الامور لم تستمر وفق آراء الوزير السلجوقي نظام الملك فقد ظهر له معارض شديد وهو تاج الملك ابو الغنائم وزير تركان خاتون زوجة ملكشاه . وقد عمل الاخير بكل مافي وسعه على اقصاء نظام الملك عن الوزارة . وقد ساعدته زوجة السلطان تركان خاتون ، في ذلك بما كان لها من تأثير على زوجها السلطان حتى تمكنت من ان توغر صدر زوجها (السلطان) ضد نظام الملك[(٥)] .

وقد قتل نظام الملك سنة (٤٨٥هـ/١٠٩٢م) على يد رجل من الديلم[(٦)]

---

(١) الاصبهاني - خريدة القصر ٧٨/١ .

(٢) ابن الجوزي - المنتظم ٥٦/٩ ، البنداري - ال سلجوق ص/ ٧٨ .

(٣) البنداري - ال سلجوق ص/ ٧٨ .

(٤) ن . م . س ص/ ٧٨ ، ابن الجوزي - المنتظم ٥٦/٩ .

(٥) الراوندي - راحة الصدور ص/ ٢٠٧ - ٢٠٩ .

(٦) الراوندي - راحة الصدور ص/ ٢٠٩ ، ابن الجوزي - المنتظم ٢٦٧/٩ ، ابن الاثير - الكامل ١٦٣/٨ .

ثم استوزر السلطان بعده تاج الملك ابا الغنائم (١) .

وتشير المصادر الى انه قد خصص لوزير الخليفة العباسى راتب سنوى مقداره مائة الف دينار سنويا اما الوزير السلجوقى فقد كانت له بدلا من الراتب السنوى عدد من الاقطاعات مضافا اليها عشر واردات الدولة من واردات الاقطاعات (٢) .

وكانت لكل من وزير الخليفة ووزير السلطان تقاليد خاصة فى الاختيار واصدار اوامر التعيين وتقاليد التنصيب والتشريف والخلع ينبغى مراعاتها .

---

(١) ابن خلكان ـ وفيات الاعيان ١٣١/٢ ، اليافعى ـ مرآة الجنان ١٣٨/٣ .

(٢) ابن واصل ـ تاريخ الواصلين (مخطوط) ٣/١ ، ابن طباطبا ـ الفخرى ص/٢٧٢ القزوينى ـ اثار البلاد ص/ ٤١٢ ، وانظر ايضا حسين امين ـ العراق ص/ ١٩٣ ، العالم الاسلامى فى العصر العباسى ص/ ٥٨٠ ـ ٥٨١ ، جرجى زيدان ـ تاريخ التمدن الاسلامى ١٤٠/٢ .

المبحث الثالث : علاقة الاقاليم بمقر الخلافة ومقر السلطنة السلجوقية

لم يقتصر التداخل في الاختصاص على مابين الخليفة العباسي والسلطان السلجوقي ،ولاعلى مابين الوزير العباسي والوزير السلجوقي بل تعدى ذلك الى علاقات الاقاليم ببعضها وعلاقة تلك الاقاليم بمقرالخلافة ومقر السلطة السلجوقية .

والواقع فان مدى مايتمتع به كل من الطرفين من علاقة بالاقاليم يعتمد على مدى ايمان الناس بسلطة كل منهما من جهة ،وبما يتمتعان به من قوة عسكرية حقيقية من جهة ثانية ،وبما يهيئانه للعناصر المساعدة على حكم الاقاليم من منافع ومصالح خاصة او مشتركة من جهة ثالثة.

ولاشك فى ان ايمان العامة فى انحاء الدولة الاسلامية بالخلافة العباسية كان عميقا . اثبتت الخلافة العباسية على الدوام قدرتها على تجاوز الازمات التى جابهتها بسبب ايمان الناس بها والتفافهم حولها ،وقد تكرر حصول ذلك على مدى العصرين العباسيين الاولين وكان واضحا بشكل بارز فى ماحققته الخلافة من انتصارات على الزنج والقرامطة . كما حققته بصورة اخرى حين كان الامراء المتغلبون فى الاطراف يضطرون الى خطبة ود الخليفة وارسال الوفود الى العاصمة فى محاولات متصلة للحصول على اعتراف الخليفة بهم حكاما تابعين له

وليرسل اليهم الخلع واللواء ويعقد لهم على امارة الاقليم ليظهروا امام الناس فى اقاليمهم بالمظهر الشرعى للحاكم وليضمنوا بذلك ولاء الناس وطاعتهم . ومع ان التغلب البويهى قد افقد الخلفاء العباسيين الكثير من حقوقهم وامتيازاتهم ،ومع ان الامير البويهى قد فقد كل احترام او تقدير للخليفة العباسى وسلبه اختصاصاته من الناحية العملية فقد ابقى البويهيون الخلافة العباسية قائمة تمويها على الرعية وتيسيرا للامور ،وكان الامراء البويهيون يترضون الخلفاء ويظهرون لهم الطاعة ارضاء للعامة بعد ان شعروا بقوة نفوذهم فى الاوساط الشعبية . ومع ان الخلافة قدتدهورت اوضاعها وبلغت درجة كبيرة من الضعف والتداعى واستقلت عمليا عنها اقاليمها الخارجية حيث السامانيون فى بلاد خراسان وماوراء النهر والغزنويون فى خراسان الى الهند ،والبريديون فى اغلب القسم الجنوبى من العراق والاهواز ،وحيث سيطر القرامطة على البحرين واليمامة والفاطميون على مصر وبلاد الشام والحجاز واليمن بحيث لم يبق للخليفة العباسى دور فعلى الا فى مدينة بغداد وسوادها والسلطة الفعلية للامير البويهى المتغلب ،فان الخليفة لم يفقد مكانته فى قلوب الناس ولم يفقد تأثيره الدينى فى رسم صورة الامراء فى اذهان شعوبهم ومدى ايمانهم بشرعية حكمهم وطاعتهم .

ان وصول السلاجقة الى العراق قد وضع حدا للتسلط البويهى على الخلافة ،غير ان احداث الصراع الدامى الذى شهدته العاصمة العباسية فى اعقاب دخول السلاجقة بغداد ،وماترتب عليه من تبلور موقف العامة

ضدهم قد جعل صورة التسلط البويهى تبدو وكأنها تتكرر . والواقع ان التماثل الحاصل قد نجم عن استيلاء عناصر اعجمية متغلبة على عاصمة الخلافة بغض النظر عن التكييف الرسمى الذى حصل لتحسين الصورة . ولقد حل استبداد السلطان السلجوقى محل استبداد الامير البويهى مع فارق واحد هو ان طغرلبك كان مسلما يحرص على اداء الفرائض وهو يعتقد بآراء مذاهب اهل السنة ،ومن هذا المنطلق فانه كان يؤمن بالخلافة العباسية غير انه يؤمن فى الوقت ذاته بان الحاكم الذى اختاره الله للحكم "فى حدود دينه وفرضه" وبان الله تعالى قد خصه باحسانه ،وبذلك فهو يرى بانه صاحب الفضل على الخلافة فى انه انقذها من تسلط خصومها وحماها من المخاطر . ومن هنا اخذ سلاطين السلاجقة يتدخلون فى شؤون الخلافة .

اما من ناحية القوة العسكرية ،فان الخلافة العباسية قد فقدت اغلب امكاناتها العسكرية منذ تسلط امراء الامراء عليها فى خلافة الراضى والمتقى . وقد اصبحت القوة العسكرية فى عصر التسلط البويهى خاضعة تماما لسلطة الامير البويهى ،وكان وصول السلاجقة الى العراق ودخولهم الى العاصمة قد تم على شكل قوات عسكرية منظمة تحت قيادة السلطان وهى قوات مخلصة له ،ارتبطت مصلحتها به وبقيت موالية له على الدوام ،فى الوقت الذى سرحت فيه قوات البويهيين السابقة وصودرت اقطاعاتها ،كما اخرجت العناصر التركية التى تسكن بغداد والتى لم تنضم الى القوات السلجوقية فيها منعا لاحتمال تآمرها مع الخصوم . اما

الخليفة العباسي فقد بدأت قوته العسكرية بالضمور منذ عصر امرة الامراء وما ان سيطر امراء بنو بويه على بغداد حتى اجهزوا على ماتبقى منها وقد كان على ذلك الحال عند وصول السلاجقة الى العراق . وهكذا فلم يكن للخلافة العباسية في هذه الفترة جيش خاص بها ،وانما عدت قوات السلاجقة الخاضعة للسلطان هي القوات التي يعتمد عليها في اقرار الامن والدفاع عن الدولة من مخاطر الاعداء والطامعين .

ومما عزز قوة السلاجقة ووثق من علاقتهم بالاقاليم المختلفة للدولة الاسلامية اضافة الى سيطرتهم العسكرية والمالية ،اقدامهم على الارتباط برباط المصاهرة مع عدد كبير من امراء الاقاليم والحكام المحليين وبالمقابل فقد كان امراء الاقاليم يدركون اهمية ترابطهم مع البلاط السلطاني حتى ان البعض منهم قد تمكن من تكوين صداقات او ارسلوا ممثلين عنهم الى مقر السلطنة لغرض تنسيق علاقاتهم مع الادارة السلجوقية ولكي يعطيهم صورة واضحة عن التطورات الحاصلة والاوامر الصادرة مما يهيئ لهم فرصا افضل من اجل مراعاة مصالحهم .

ولقد كان لنظام الاقطاع السلجوقي ـ وقد تحدثنا عنه بالتفصيل في موضعه المناسب في هذا البحث ـ اثره الكبير في ربط الاقاليم المختلفة بادارة السلطنة السلجوقية برباط وثيق تمثلت فيه المصلحة المشتركة لجميع الفرقاء ،فهو رمز الاعتراف بالتبعية الفعلية للسلطان السلجوقي كما انه يهيئ فرصا ممتازة لتوفير المصالح المادية للامراء والقادة وفي الوقت نفسه فانه يعمل على استغلال الارض والايدي العاملة بشكل جيد

يمتنع فيه الظلم والتعسف على المزارعين . في حين ان علاقة الاقاليم المختلفة بالخلافة مثلت انعكاسا لعلاقة السلطان بها ونظرته اليها والتى تتمثل فى انها رمز وحدة الامة والتى لها الاختصاصات الدينية التى تمنح صفة الشرعية لحكم الامراء فى الاقاليم ،من اجل ضمان اذعان الرأى العام وخضوعه لسلطانهم .

وعند استعراض علاقات الاقاليم بالخلافة والسلطنة خلال الفترة موضوع الدراسة يتبين ان السلطان السلجوقى كان يلعب الدور الاول المؤثر فى الاحداث على مجريات الامور .

ففى سنة (٤٤٨هـ/١٠٥٦م) فتح السلطان طغرلبك تكريت وحاصر قلعتها وقد راسل صاحبها عيسى بن خميس السلطان فى الصلح ،واقر على نفسه بثلاثة آلاف دينار فى الوقت الذى اعلنت فيه بعض الاقاليم الجنوبية والشرقية من العراق تبعيتها لصاحب مصر ،فقد خطب الامير محمود بن الاخرم الخفاجى للمصريين فى الكوفة والحلة والعين وشفاتا وسورا . كما خطب ابن فسانجس له فى واسط . وهكذا اقتصر حكم الخلافة فى العراق على مدينة بغداد وسوادها وسر من راى وتكريت(١)وفى العام التالى سلم ثمال بن صالح الكلابى حلب لصاحب مصر (٢).

وفى سنة (٤٥١هـ/١٠٥٩م) التف عدد من امراء الاقاليم الى جانب

---

(١) ابن الجوزى ـ مرآة الزمان ص/ ١٤ .

(٢) شمس الدين الذهبى ـ دول الاسلام ٢٦٤/١ .

السلطان طغرلبك فى حربه ضد اخيه ابراهيم بن ينال ،فقد انضم اليه الامراء قاورت بك صاحب كرمان ،وياقوت ،والب ارسلان اولاد اخيه داود مما مكنه من القضاء على ابراهيم .(١)

اما ابو كاليجار هزارسب المتضمن للبصرة والاهواز فقدكان عنده الوزير عميد الملك الكندرى الذى استوفى منه مبلغا من المال وثيابا وخيلا وتجهيزات اخرى وسار بها نحو السلطان الى اصفهان .(٢)

وفى العام نفسه تصالح دبيس بن مزيد امير الاسديين فى الحلة(٣) مع السلطان طغرلبك وقدحضرالى خدمته .(٤)

وفى سنة (٤٥٢هـ/١٠٦٠م) تمكن صاحب بالس عطية بن الروقلية الكلابى من حصار الرحبة وابطل الخطبة للخليفة القائم بامر الله العباسى والسلطان طغرلبك وخطب للمستنصر الفاطمى .(٥)

وفى سنة (٤٥٥هـ/١٠٦٣م) اتخذ الخليفة القائم بامر الله بعض الاجراءات لمقابلة الاحتمالات الناجمة عن وفاة السلطان طغرلبك فقد كاتب اصحاب الاطراف : مسلم بن قريش امير العقيليين ودبيس بن مزيد

---

(١) ابن الجوزى – م . س ص/ ٢٨ .

(٢) ن . م . س ص/ ٥٠ .

(٣) سبط ابن الجوزى – مرآة الزمان ص/ ١٠٢ .

(٤) ابن العبرى – تاريخ مختصر الدول ص/ ٣٢١ .

(٥) سبط ابن الجوزى – م . س ص/ ٧١ .

امير الاسديين ،واباكاليجار هزارسب وابا الفتح وابا النجم ابنى ورام وبدر بن مهلهل امراء الاكراد يطلب منهم الحضور الى بغداد ،فلم يستجب احد منهم واكتفوا بارسال اعذارهم ،واعلن كل منهم مطالبه حتى ان مسلم بن قريش الذى خصه الخليفة بخلعة كان يضمر الشر بالخليفة (١) .

وفى سنة (٤٦٢هـ/١٠٦٩م) تمكن الخليفة القائم بامر الله من استمالة محمد بن جعفر بن ابى هاشم حاكم مكة ،حيث بذل له الاموال مما دفعه الى ان يخطب للخليفة العباسى فقط فى ذلك الموسم . وفى العام التالى بعث له السلطان الب ارسلان السلجوقى باموال كثيرة ،فخطب له وللخليفة بنفسه (٢) .

ويبدو ان صاحب حلب محمود بن صالح الكلابى قد ادرك مدى قوة السلاجقة ولذلك فانه بادر بالخطبة للعباسيين فى سنة (٤٦٢هـ/١٠٦٩م) حيث اخبر سكان حلب بانه "هذه دولة عظيمة نخافها ،وهم يستحلون دماءكم للتشيع ،فاجابوا الى ذلك بعد ان كانت قد بدرت منهم بوادر الرفض والمعارضة (٣) " .

وفى سنة (٤٦٤هـ/١٠٧١م) تدخل السلاجقة بشكل مباشر فى الادارة

---

(١) سبط ابن الجوزى – م . س ص/ ١٠٢ – ١٠٥ .

(٢) القلقشندى – مآثر الانافة ١/١٤٦ – ١٤٧، السيوطى – تاريخ الخلفاء ص/ ٤٢١ .

(٣) الذهبى – العبر ٣/٢٥٠ .

الداخلية للعراق . فقد تنكر السلطان الب ارسلان للامير مسلم بن قريش فاخذ منه الانبار ،كما اخذ منه اقليم حربى والذى منحه لاخته خاتون زوجة الخليفة العباسى وكذلك وضع السلاجقة ايديهم على هيث ،وعانات والبس ،والبوازيج واعمال الموصل ولم يبق فى يد مسلم الا ماكان يتولاه فى زمن السلطان طغرلبك . (١)

وفى سنة (٤٦٥هـ/١٠٧٢م) حدثت تطورات فى العلاقات بين امراء الاقاليم والسلاجقة فقد اطلع مسلم بن قريش على مكاتبات جرت بين ابى جابر بن مقلاب كاتبه وشروين الحاجب وبين السلطان فى حقه ،وانهما طلبا من السلطان ان يقبض عليه وان يقيم شروين وشحنة من اصحاب السلطان مقامه يجمع المال . (٢)

وفى العام نفسه اتبع السلاطين السلاجقة اسلوبا حاسما فى التخلص من منافسيهم من الاسرة الحاكمة السلجوقية ،فقد قضى ملكشاه على عمه قاورت خنقا بالقوس. كما كحل اولاد قاورت بك وكانوا خمسة . وقد ذكرت بعض المصادر انما ذلك قد تم بتدبير من الوزير نظام الملك واشارته . (٣)

وفى سنة (٤٦٦هـ/١٠٧٣م) اشتد الصراع بين العلويين وبين السلاجقة

---

(١) سبط ابن الجوزى ــ مرآة الزمان ص/ ١٥٦ .

(٢) ن . م . س ص/ ١٥٩ ــ ١٦٠ .

(٣) ن . م. س ص/ ١٦٣ ــ ١٦٤ .

من اجل الحصول على اعتراف اهل الحرمين بشرعية كل منهما والخطبة له وقدانتهى الامر بتوثيق علاقة السلاجقة مع امراء الحرمين ،فقد حملت اليهم كسوة الكعبة المشرفة . والاموال المقررة لابن ابى القاسم ولاصحابه من السلطان ،كما فرق على العبيد فى الحرمين مالا كثيرا ،فى حين فشلت المحاولة العلوية (١) .

وفى عام (٤٦٨هـ/١٠٧٥م) تسلم اتسز الخوارزمى دمشق وخطب بها للخليفة المقتدى بامر الله (٢) . وعندما حاول السلطان ان ينفذ اخاه تاج الدولة تتش الى الشام ارسل اتسز الخوارزمى كتابا الى نظام الملك قال فيه :" انا الخادم الطائع النائب فى هذه الاعمال التى افتتحتها بنفسى غير ان اكلفه فيها مؤنة ولاطلبت معونة واقمت الدعوة وما احلته بما اقدر عليه من حمل الاموال وقد بلغنى ماعليه العزم من انفاذ الامير تاج الدولة تتش..." (٣) . ولما اطلع نظام الملك على كتابه بعث اليه بهدايا السلطان وصرف السلطان عن تنفيذ فكرته ،وبذلك ضمن استمرار ولاء بلاد الشام وتبعيتها للخلافة والسلطنة وهو ماكان يرغب فيه الوزير .

وفى سنة (٤٦٩هـ/١٠٧٦م) استطاع ابو طالب بن ابى تمام الزين وفطلخ ادراز امير الكوفة من اخذ البيعة فى مكة للخليفة والسلطان

---

(١) سبط ابن الجوزى ـ مرآة الزمان ص/ ١٧٠ ـ ١٧١ .

(٢) الذهبى ـ دول الاسلام ٣/٢ .

(٣) سبط ابن الجوزى ـ م . س ص/ ١٧٨ .

بعد ان خلعا على اميرها .[1]

وفى سنة (٤٧٠هـ/١٠٧٧م) ارسل نظام الملك رسالة مهمة الى امير الكوفة خطلخ ادراز تبين مكانة الخليفة، والهيبة والاجلال الذى تحيطه به ادارة السلاجقة التى تحاول اظهارمدى التبعية الاقليمية للخلافة وقد نقل سبط ابن الجوزى تلك الرسالة التى جاء فيها : " ايها السلار سيف الدولة وفقك الله للرشد ان قوام الدين والدنيا ومصالح البلاد والعباد وسكون الدهماء ونظام الاحوال كلها معقودة بابهة المواقف الشريفة المقدسة النبوية الامامية المقتدية ..." .[2]

وفى سنة (٤٧١هـ/١٠٧٨م) اتبع ملكشاه اسلوب اللين والمهادنة مع بعض امراء الاقاليم، فقد خرج الى قلعة سمرقند، بعد ان علم بعصيان صاحبها، فقبض عليه، لكنه عفى عنه . واعاده الى منصبه وارسله الى مقر عمله .[3]

وفى العام نفسه اضطربت اوضاع الحجاز بسبب انقطاع المؤونة فلقد امتنع كل من الخليفة العباسى والسلطان السلجوقى عن الانفاق على طريق الحج وتأمينه وذلك حينما طلب منهما خطلخ ادراز امير الكوفة

---

(١) سبط ابن الجوزى – مرآة الزمان ص/ ١٩١ .

(٢) ن . م . س ص/ ١٩٢ .

(٣) رشيد الدين – جامع التواريخ م٢ ج ٥ ص/ ٤٥ .

ذلك فى حين كانت المؤونة مستمرة فى وصولها من مصر (١) ٠

وفى سنة (٤٧٢هـ/١٠٧٩م) حصلت ازمة بين الخلافة والسلطنة بسبب قتل ابن علان اليهودى ضامن البصرة بعد مصادرة اربعمائة الف دينار من امواله وكان سبب هلاكه ناجم عن سوء العلاقة بين نظام الملك وبين سعد الدولة الكوهرائين وخمارتكين الشرابى وكان ابن علان منسوبا الى رعاية نظام الملك (٢) ٠ فى حين تذكر بعض المصادر بان الذى قتل ابن علان اليهودى هو ابو الفضل بن التركمانى بواسط ،وذلك بسبب فعله القبيح مع المسلمين (٣) ٠

وفى العام نفسه حصل بعض التحسن فى العلاقة بالعلويين ،وذلك عندما وقف العميد ابو نصر القرية المعروفة بالمالكية من طريق خراسان على مشهد موسى بن جعفر ،ومن شدة حبه للعلويين فانه تكلف بالانفاق على زواج عدد كبير منهم وعلى ختان اطفالهم (٤) ٠

وفى العام نفسه قام امير الكوفة خطلخ ادراز بترتيب خاص لتأمين قافلة الحجاج فى طريقها من بغداد الى مكة ،بان خرج من اصفهان وقد اجتمع اليه الحجاج ،وخرج بهم على القاعدة فى اكربتهم وخفارتهم (٥) ٠

---

(١) سبط ابن الجوزى ــ مرآة الزمان ص/ ١٩٨ ــ ١٩٩ ٠

(٢) ن ٠ م ٠ س ص/ ٢٠١ ٠

(٣) ن ٠ م ٠ س ص/ ٢٠٠ ٠

(٤) ن ٠ م ٠ س ص/ ٢٠٠ ــ ٢٠١ ٠

(٥) ن ٠ م ٠ س ص/ ٢٠٢ ٠

وفى سنة (٤٧٣هـ/١٠٨٠م) فتح مؤيد الملك بن نظام الملك قلعة تكريت التى تسلمها من مسلم بن المهرباط ،وضرب الدنانير باسم مؤيد الملك ،غير ان الخليفة العباسى انكر ذلك وابطل الدنانير (١) . كما تمكن الامير تاج الدولة تتش من القبض على امير بنى كلب وذلك لانه قد وجدت مع الاخير مكاتبات جرت بينه وبين صاحب مصر . وذلك بطبيعة الحال يعكس مدى تدقيق السلاجقة ومراقبتهم للامراء خشية اتصالهم بصاحب مصر (٢) كما فرض على السلطان بهاء الدولة منصور امير ميافارقين اربعين الف دينار فى كل سنة (٣) .

وفى سنة (٤٧٥هـ/١٠٨٢م) استقر الحال بان على الفردوسى والى انطاكية ان يحمل الى السلطان فى كل سنة مال الهدنة ،كما سار مسلم ابن قريش الى شيراز وكان قد تغلب عليها ابن منقذ ،واستقر الامر على ان يدفع لمسلم عشرة آلاف دينار (٤) . وفى العام التالى توفى سلطان شاه اسحق بن قاورت بك بكرمان فاقر السلطان اخاه مكانه ،بعد ان جاءت امه بهدايا للسلطان (٥) .

---

(١) البندارى ـ ال سلجوق ص/ ٧٢،سبط ابن الجوزى ـ م . س ص/ ٢٠٧ .

(٢) سبط ابن الجوزى ـ مرآة الزمان ص/ ٢٠٧ .

(٣) البندارى ـ ال سلجوق ص/ ٧٢ .

(٤) سبط ابن الجوزى ـ م . س ص/ ٢١٥ .

(٥) ن . م . س ص/ ٢٢٤ .

وفى عام (٤٧٧هـ/١٠٨٤م) وصلت بعض العلاقات الاقليمية بالسلطنة الى درجة كبيرة من التردى حيث حاول الامير منصور بن مروان صاحب ميافارقين ،ان يوهم السلاجقة بانه عاجز ماديا وانه لم يعد يملك شيئا واظهر انه قد اقترض مالا بالربا ،مما دفع السلطان السلجوقى الى ان يصر على ان يعيد ما اخذ منه . وعندما وصل كتاب وزير الخليفة ابن جهير الى السلطان يخبره بانه استولى على اربعة حصون ،وان اهل ميافارقين قد كاتبوا بالتسليم فقد اجاب السلطان بالموافقة على ذلك وان تكون له ميافارقين . غير انه بعد ذلك اظهر الرغبة فى مصاهرة السلطان واستعد لدفع مبلغ ستين الف دينار وهكذا فما يفهم من الجند هو ان صاحب ميافارقين كان يضلل ويدعى الفقر ،فى حين تبين انه كان صاحب ثروة وطموح كبيرين (١).

وفى سنة (٤٧٩هـ/١٠٨٦م) ارسل يوسف بن تاشفين صاحب سبتة ومراكش الى الخليفة المقتدى بامر الله يطلب منه ان يمنحه الصفة الشرعية وان يقلده على مابيده فاقره على ذلك (٢).

وفى سنة (٤٨٢هـ/١٠٨٩م) دخل فى طاعة السلطان السلجوقى وخدمته

---

(١) سبط ابن الجوزى ـ مرآة الزمان ص/ ٢٣٣ .

(٢) السيوطى ـ تاريخ الخلفاء ص/ ٤٢٤ ـ ٤٢٥ .

ملك كاشغر[1] وكانت الخطبة تقرأ باسم السلطان[2] .

وفى سنة (٤٨٤هـ/١٠٩١م) قدم السلطان الى بغداد وكان فى خدمته نواب النواحى ،وصاحب دمشق اخو الامير تتش ،ونائب حلب اقسنقر ،وقد بالغوا فى خدمته[3] .

وبين البندارى من جهة ثانية اسلوب نظام الملك فى الادارة وتنظيم العلاقة مع الاقاليم المختلفة فى الدولة فيذكر بانه كان قد وظف على ملوك الاطراف وعلى اقاليم الممالك والامصار ،حمولا لخزانة السلطان يحملونها ،وان يوصلها خدم وقرر معهم الحضور الى الخدمة وموالاة الخدمات للحضرة ،كذلك تأمين العساكر للسلطنة وانه قد نجح فى سياسته هذه فقد ملأ الخزائن بالاموال ،كما امن الجيوش والعساكر للدولة[4] . التى بها استطاع السلاجقة وعن طريقها ان يفرضوا سيطرتهم على اكبر مساحة من الاراضى وذلك ماسيكون موضوع مناقشة البحث عند التعرض للفتوحات السلجوقية .

وقد لعبت المصاهرة والارتباطات الاسرية دورا كبيرا فى تجديد

---

(١) اليافعى ـ مرآة الجنان ١٣٣/٣، الذهبى ـ دول الاسلام ١٠/٢ ـ ١١ .

(٢) عباس اقبال ـ الوزارة ص/ ١٦ .

(٣) الذهبى ـ دول الاسلام ١٢/٢ .

(٤) البندارى ـ دولة ال سلجوق ص/ ٦٠ ـ ٦١ .

العلاقة بين السلاجقة والعباسيين بالاقاليم وربط تلك الاقاليم بالسلطنة .

ففى سنة (٤٤٨هـ/١٠٥٦م) تزوج السلطان طغرلبك اخت تاج الملوك ابى كاليجار هزارسب بن بتكين بن عياض الكردى ،وقد عقد له ضمان البصرة والاهواز واعمالها لهذه السنة ثلثمائة الف دينار وستين الف . واطلق يده فى جميع الاقطاعات والمعاملات بالبصرة ،وخوزستان ،كما اقطعه ارجان ،واذن له فى ان يذكر اسمه فى الخطبة بهذه الاعمال دون غيرها وقد اعترض الديلم البصريون والخوزستانيون على ذلك فقال لهم السلطان يفعل تاج الملوك مايراه (١) .

وبعد معركة ملاذكرد ،وبعد ان اعفى السلطان الب ارسلان عن الامبراطور الرومى ارمانوس ، اراد الاخير ان يتقرب من السلطان فتعهد بان يزوج بناته من اولاد السلطان الب ارسلان (٢) .

وفى سنة (٤٦٩هـ/١٠٧٦م) تزوج احد امراء الديالمة من ارملة الخليفة القائم عمة السلطان ملكشاه ،فقد تزوج الامير على بن ابى منصور فرامرز بن علاء الدولة ابى جعفر بن كاكوية بارسلان خاتون بنت داود عمة السلطان ملكشاه (٣) .

وفى سنة (٤٧٣هـ/١٠٨٠م) عندما قصد السلطان ملكشاه كرمان لقتال

---

(١) سبط ابن الجوزى ـ مرآة الزمان ص/ ١ .

(٢) سيد امير على ـ مختصر تاريخ العرب ص/ ٢٧٥ .

(٣) البندارى ـ ال سلجوق ص/ ٤٥ ،سبط ابن الجوزى ـ مرآة الزمان ص/ ١٨١ .

سلطان شاه بن قاورت رأى الاخير ان يطيعه ،وبعد ان امنه خرج الى السلطان ملكشاه من القلعة وقبل الارض بين يديه فقام السلطان واجلسه الى جانبه وتحالفا وزوجه ابنته وعاد السلطان الى اصفهان (١) .

واخيرا يمكن الاشارة الى ان السلطان ملكشاه ،قد زوج ابنه من ابنة خاقان صاحب بلاد ماوراء النهر ،كما تم زواج ولده ارسلان شاه من ابنة صاحب غزنة مما عزز الائتلاف بينهما وبين السلطنة السلجوقية (٢) .

---

(١) سبط ابن الجوزي ـ م ٠ س ص/ ٢٠٦ .

(٢) ابن العماد ـ شذرات الذهب ٢٩٧/٣ .

المبحث الرابع : فتوحات السلاجقة واثرها

لقد استطاع السلاجقة فى فترة وجيزة ان يكونوا دولة مترامية الاطراف ،بلغت اقصى اتساع لها فى عهد السلطان ملكشاه بعد جهود كل من السلطان طغرلبك ،والسلطان الب ارسلان فى هذا المجال . وقد اصبحت لهم امبراطورية شاسعة ،وعلى درجة عظيمة من الاتساع،فقد امتدت من كاشغر شرقا الى بحر مرمرة ،والى بيت المقدس غربا ،ومن بحر قزوين شمالا الى بلاد الحجاز جنوبا ،وقد اشتملت هذه الدولة على ولايات كثيرة وهذا ماسيتعرض له البحث خلال استعراضه للفتوحات السلجوقية .

عندما وصل السلطان طغرلبك الى بغداد واستقبله الخليفة العباسى لاول مرة فانه قد توجه بتاجين يرمزان الى سلطانه على العرب والعجم كما خلع عليه سبع خلع ،ترمز للممالك الاسلامية السبعة[(١)] . وبعد ثلاثة اشهر من اقامة طغرلبك فى بغداد ،تحرك بجيوشه الى اطراف الموصل فاقتحمها فاتحا ،كما ادخل فى طاعته ديار بكر ،وسنجار[(٢)] .

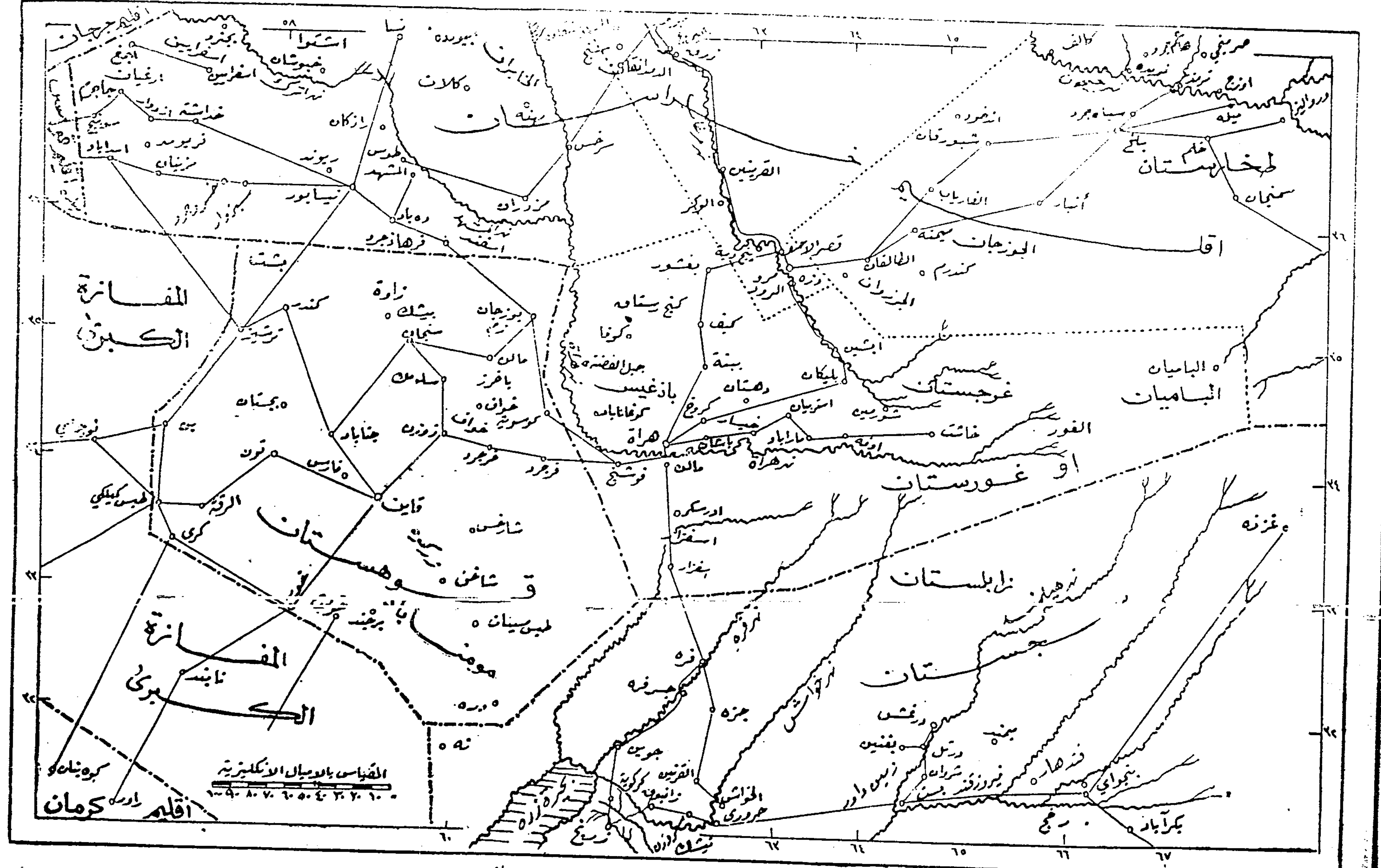
وقد فتح السلطان طغرلبك سنة (٤٤٩هـ/ ١٠٥٧م) قلعة كشاف ،وكانت لمجلى بن زرع ،فاخذ منها غلاتا كثيرة واصنافا مختلفة من الاموال[(٣)] ،وبذلك

---

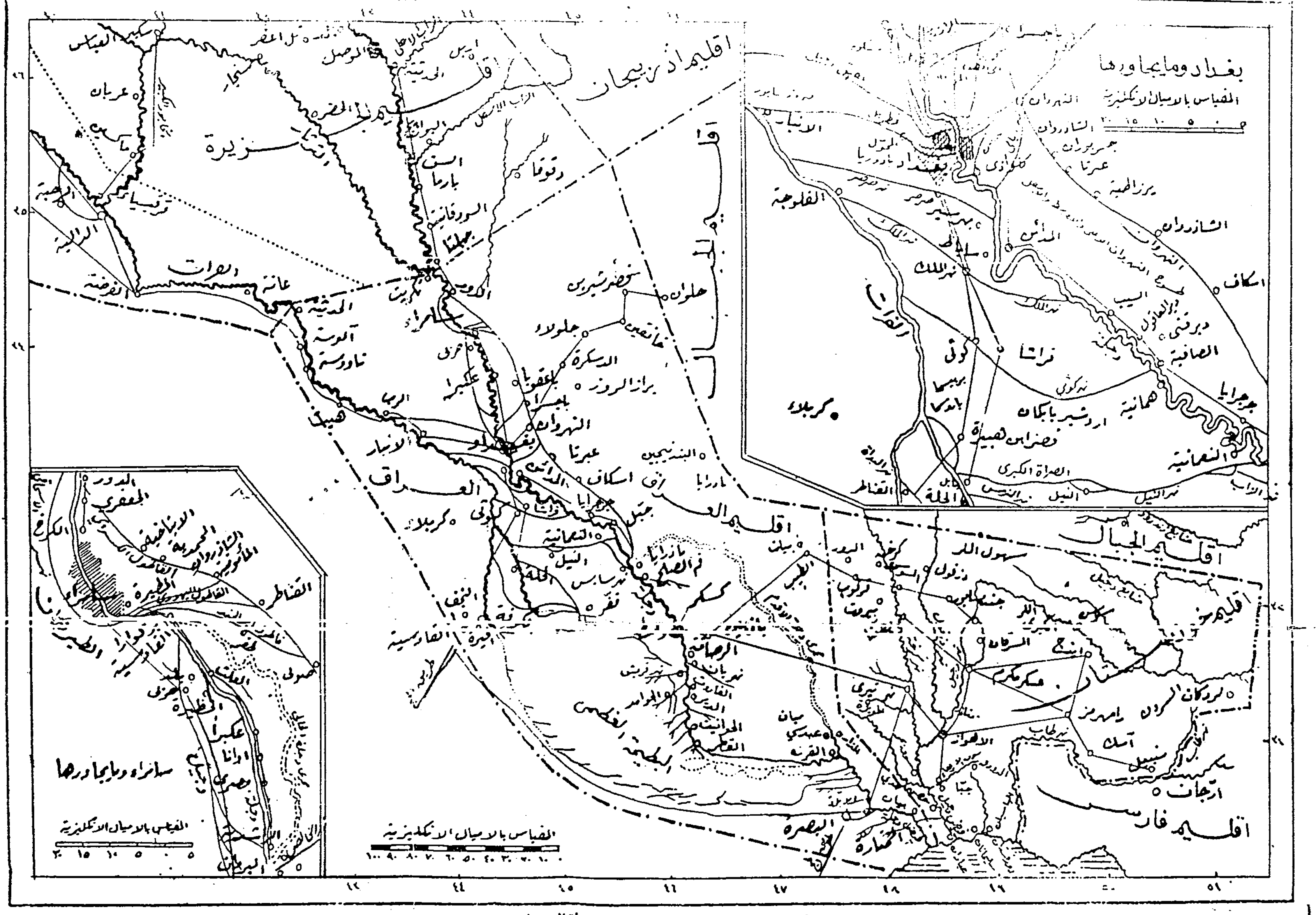
(١) ابن الجوزى ـ المنتظم ١٨٣/٨ .

(٢) عباس اقبال ـ الوزارة ص/ ١٥ .

(٣) ابن الجوزى ـ مرآة الزمان ص/ ١٥ .



اقليما خراسان وقوهستان ، مع قسم من اقليم سجستان



اقليما العراق وخوزستان مع قسم من أقاليم الجزيرة

يكون طغرلبك قد ادخل فى طاعته جماعة من امراء الجزيرة ومابين النهرين ،كما دخلت فى طاعته بلاد العراق الجنوبية (١) .

اما الب ارسلان سلطان الدولة السلجوقية بعد عمه طغرلبك الذى لم يكن له عقب ،فقد تمثلت فى شخصيته شجاعة الاتراك ،وفروسيتهم ،فلقد امضى السنوات التسع من حكمه (٤٥٥ - ٤٦٥هـ/ ١٠٦٣ - ١٠٧٢م) فى حروب مستمرة ضد البيزنطيين حاملا لواء الجهاد ونشر الاسلام . ويمكن ان تعد هذه الفترة من تاريخ السلاجقة بمثابة ملحمة من ملاحم الفروسية التى اعادت الى الاذهان مجد المسلمين الاوائل .

ففى سنة (٤٥٥هـ/ ١٠٦٣م) دخلت الرى فى طاعته بعد حروب طاحنة مع قتلمش ،كما سار سليمان اخو السلطان الى شيراز (٢) .

وفى العام نفسه سار السلطان من بلخ الى نيسابور لما كثر الارجاف بموت عمه السلطان طغرلبك (٣) .

وفى سنة (٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م) غزا السلطان الب ارسلان بلادالنصارى ،فسار من الرى واخضع كلا من اذربيجان ،ونقجوان ،وبلاد الكرخ ،وقلعة سرمادى وهى ذات مياه جارية وبساتين اضافة الى قلاع اخرى حيث سلم تلك القلاع الى امير نقجوان (٤) .

---

(١) عباس اقبال - الوزارة ص/ ١٥ .

(٢) سبط ابن الجوزى - مرآة الزمان ص/ ١١٠ .

(٣) م . س ص/ ٩٩ .

(٤) احمد دحلان - الفتوحات الاسلامية ١٧٧/١ .

كما استطاع الامير ملكشاه بن السلطان الب ارسلان مع وزيره نظام الملك من اخضاع مدينة (مريم نشين) الحصينة وكان لها سور عظيم من الاحجار الكبار الصلبة المشدودة بالرصاص والحديد .(١)

ثم سار السلطان الب ارسلان وابنه ملكشاه والوزيرنظام الملك الى (تسبيذ شهر) التى تم فتحها بعد حروب عنيفة استشهد فيها كثير من المسلمين .(٢) ومنها سار السلطان الب ارسلان الى مدينة (اغا لال) وهى ايضا مدينة حصينة عالية الاسوار . شاهقة البنيان وذات موقع استراتيجى تقع من جهة الشرق والغرب على جبل عال ،وعلى الجبل عدة حصون ،ومن الجانبين الآخرين نهر كبير ،(٣) وقد تمكن المسلمون من الانتصار بعد حصار طويل وقتال ضارى اشترك السلطان بنفسه فيه . وقد ملكها السلطان الب ارسلان وغنم السلاجقة المسلمون من المدينة مالا كثيرا .(٤)

ومنها سار السلطان الى ناحية (فرس) ومدينة (آنى) بعد ان اخضع كلا من (دسل ورده) و(نوره) . ومدينة آنى تعد اول اعمال بلاد الروم ،وهى حصينة شديدة الامتناع لاترام ،ثلاثة ارباعها على نهر ارس والربع الآخر

---

(١) احمد دحلان ـ الفتوحات الاسلامية ٢٧٧/١ ـ ٢٧٨ .

(٢) ن . م . س ٢٧٨/١ .

(٣) الحسينى ـ اخبار الدولة السلجوقية ص / ٣٧ .

(٤) احمد دحلان . م . س ٢٧٨/١، الحسينى ـ اخبار الدولة السلجوقية ص / ٣٧ ـ ٣٨ .

على نهر عميق شديد الجريان لو طرحت فيه الحجار الكبار لاخذها • والطريق الى هذه المدينة يمر على خندق عليه سور من الحجار الصم ،وهى بلدة كبيرة عامرة اما سكانها فكثيرون ،وبها مايزيد على خمسمائة بيعة وقيل الف بيعة ودير ،وبها سبعمائة الف دار وكان المسلمون قد يئسوا من فتحها ،لولا عناية الله سبحانه وتعالى ،فقد حدث شئ لم يكن فى الحسبان ،حيث انهدمت قطعة كبيرة من السور بغير سبب معروف ،فدخلها السلطان وحازها بعد معارك طاحنة (١) •

وفى سنة (٤٥٧هـ/١٠٦٤م) دخل السلطان الب ارسلان الى بلاد ماوراء النهر ،فنزل قرب مدينة "جند" فنزل صاحبها الى خدمته ،فاحسن السلطان اليه واقره عليها (٢) •

وفى سنة (٤٥٩هـ/١٠٦٦م) اخضع السلطان الب ارسلان مدينة كرمان ،وقد كان عليها الملك قرا ارسلان وكان له وزيرجاهل زين له عصيان السلطان فاستجاب لدعوة الوزير ،فتوجه اليه السلطان حتى اخضع كرمان وهرب الملك ،ثم استعطف السلطان وعاد ،فاقره على حكم كرمان واحسن اليه (٣) •

---

(١) سبط ابن الجوزى – مرآة الزمان ص/ ١١٧ – ١١٨ ،الحسينى اخبار الدولة السلجوقية ص/ ٣٨ – ٤٠، احمد دحلان – م • س ١/٢٧٨–٢٧٩•

(٢) الذهبى – دول الاسلام ١/ ٢٦٨ ، الذهبى – العبر ٣/٢٤١ • ابن العماد الحنبلى – شذرات الذهب ٣/٣٠٤ • ومن المعروف ان "سلجوق" من دقماق وهوجد السلاطين السلاجقة مدفون فى هذه المدينة •

(٣) الحسينى – م • س ص/ ٤١ •

وفى سنة (٤٦٣هـ/١٠٧٠) وهى السنة التى وقعت فيها المعركة الحاسمة بين السلاجقة المسلمين والروم النصارى وهى موقعة (ملاذ كرد) والتى هيأ الله تعالى فيها للسلطان الب ارسلان تحقيق نصر عزيز وكبير للمسلمين على الروم وامبراطورهم ارمانوس كان قد بدأ تحرش الروم بالسلاجقة منذ عام ٤٦١هـ حينما وصل ملك الروم الى مدينة حلب فى مائتى الف مقاتل ،وفيها ابن محمود بن الروقلية وابن خان والغز وبنو كلاب ،وكان هجوم الروم قويا وكثيفا مما ادى الى تراجع المسلمين عنها .(١) وقد استولى الروم على بعض الحصون مثل حسنى رعم وارتاج . وقد تابع الروم اعتداءاتهم على المسلمين فاحتلوا منبج ،واقاموا لهم قاعدة متقدمة فيها فى سنة (٤٦١هـ/١٠٦٨م) .(٢) وفى هذه السنة سار السلطان من همدان قاصدا بلاد الروم وفى ذى الحجة عادت حلب الى سلطة الخلافة والسلطنة الرسمية .(٣)

وقبل ان نتابع اخبار المعركة التى خاضها السلطان والمسلمون لابد ان نتعرف على الاحداث والظروف التى مرت على السلطان قبل خوضه هذه المعركة ،كان مسيره من همدان فى ذى القعدة سنة (٤٦٢هـ/١٠٦٩م) ، وفتح كلا من ارجيش ،ومنازكره من بلد اخلاط . وكان اريسغى التركى

---

(١) سبط ابن الجوزى ـ مرآة الزمان ص/ ١٣٦، البندارى ـ ال سلجوق ص/ ٣٧.

(٢) اليافعى ـ مرآة الجنان ٨٥/٣ .

(٣) سبط ابن الجوزى ـ مرآة الزمان ص/ ١٤٢ .

زوج اخت السلطان ومعه جماعة من الجند الناوكية قدخرجواعلى السلطان ولجأوا الى بلاد الروم ،فلما علم امبراطور الروم بدخولهم ،ارسل قوة بقيادة ميخائيل لقتاله ،وقد حاول اريسغى تجنب الاصطدام العسكرى واوضح بانه قد دخل بلادهم ملتجئا من السلطان ،فلم يصدقوه • وقد قامت معركة ضارية بين الطرفين انتهت بانتصار اريسغى ،واسر ميخائيل ،غير انه بادرالى اطلاق سراحه فى مقابل ان يجيره امبراطور الروم ولايسلمه الى الافشين التركى رسول السلطان • وقد رفض الروم تسليم اريسغى التركى الى الافشين التركى الذى بادر باخبار السلطان ماحصل له مع الروم • (١)

وقد جرت بعد ذلك احداث الرها التى نزلها السلطان ،ووافق اهلها على ان يدفعوا له خمسين الف دينار على ان ينصرف عنهم ،وبعد وقف القتال ،رفضواتسليم مبلغ الجزية حتى يحرق السلطان آلات الحرب ويعدمها وقد صدق السلطان مخاوفهم فامر باحراق آلات الحصار وتدميرها غير انهم ما ان تم ذلك حتى رجعوا عن تعهدهم بدفع المال مما اغاظ السلطان ولما انصرف عنهم دون ان يحقق شيئا استخرج اهلها القتلى وقطعوا رؤوسهم ليحملوها لملك الروم • (٢)

اضافة الى كل ذلك فقد تأخر عليه خبر رسوله الافشين التركى

---

(١) ن • م • س ص/ ١٤٦،٣٤ – ١٤٧ •

(٢) ن • م • س ص/ ١٤٤ •

الذى بعثه فى اثر اريسغى كما تقاعس من بقى معه من الجند من عسكر طغرلبك عن القتال وخبت نفوسهم لتأخر ارزاقهم (١) .

وفى وسط هذه الاحداث والظروف ،ورد الخبر الى السلطان الب ارسلان بخروج ملك الروم ارمانوس فى جمع لايحصى عدده ،ولايحصر مدده (٢) . "قاصدا بلاد الاسلام ،وكان جيشه يضم مائة الف مقاتل ،ومائة الف نقاب ،ومائة الف جرجى ،ومائة الف صانع ،واربعمائة عجلة تجرها ثمانمائة جاموس عليها نعال ومسامير ،والفا عجلة عليها السلاح والمجانيق وآلة الزحف وكان فى عسكره خمسة وثلاثون الف بطريق ومعه منجنيق يمده الف رجل ومائتا رجل ،ووزن حجرة عشرة قناطير ،وكل حلقة من مائتى رطل بالشامى وكان فى خزانته الف الف دينار،ومائة الف ثوب ابريسم ومن السروج الذهب والمناطق والمصاغات بمثل ذلك (٣) ،وقد اجتمع اليه من اوباش الروم والارمن والفرس والبجناك ،والغز ،والفرنج ،وقد حلفوا هؤلاء انهم يزعجون الخليفة ويقيمون مقامه الجاتليق ويخربوا المساجد ويبنون البيع (٤) وقد وصلوا الى اعمال اخلاط (٥) " .

---

(١) ن . م . س ص/ ١١٤ .

(٢) ابن العبرى ـ تاريخ مختصر الدول ص/ ٣٢٢ .

(٣) سبط ابن الجوزى ـ م . س ص/ ١٤٨ .

(٤) الحسينى ـ الدولة السلجوقية ص/ ٤٧ .

(٥) الذهبى ـ دول الاسلام ١/٢٧٢ .

وقد انزعج السلطان الب ارسلان من اخبار التقدم المعادى وتوجه الى اذربيجان فورا ،ولم يصحبه الجيش. بل رافقته خاصته وبعض حرسه وقد ترك زوجته (خاتون) ونظام الملك فى تبريز (١) ، وترك ابنه ملكشاه مع فوج من عساكره بكورة حلب ،ومن مدينة خوتج (٢) باذربيجان توجه السلطان الب ارسلان فى خمسة عشر الف فارس من الشجعان والرجال الذين تجمعوا تحت لوائه للجهاد فى سبيل الله ،ومع كل واحد منهم فرس يركبه (٣) ولم يتمكن الب ارسلان من جمع العساكر لبعدها وقرب العدو . وقد وصل السلطان الى مقاطعة اخلاط وعلى ربوة تشرف على معسكر العدو ورآوا بالعين المجردة خيمة ارمانوس. وقد هلع جند السلطان حينما رآوا كثرة جنود العدو (٤) . وقد انسحبت بعض قوات السلطان (٥) مما دفعه الى ان يتفادى الاصطدام بالروم والدخول معهم فى حروب لايعلم نهايتها الا الله سبحانه وتعالى ،لذلك فقد بادر وراسل ملك الروم فى طلب المهادنة غير ان ملك

---

(١) رشيد الدين ـ جامع التواريخ م٢ جـ٢ ص/ ٣٢ (مترجم) .

(٢) الحسينى ـ م . س ص/ ٤٦ .

(٣) الحسينى ـ م . س ص/ ٤٧، ابن العبرى ـ تاريخ مختصر الدول ص/ ٣٢٢.

(٤) رشيد الدين ـ جامع التواريخ م٢ جـ٢ ص/ ٣٣ ـ ٣٤ .

(٥) رشيد الدين ـ م . س م٢ جـ٢ ص/ ٣٢،سيد امير على ـ مختصر تاريخ العرب ص/ ٢٧٥ .

الروم اجاب بانني لااهادن الا بالري (١) . وقد نقلت بعض المصادر المتأخرة مرويات غير مؤكدة تشير الى ان السلطان قد عرض ان يدفع للروم مبلغا معينا من المال كل سنة وان عرضه قد رفض (٢) ،ولقد انزعج السلطان لذلك وقرر ان يخوض معركة فاصلة مع الروم . وقد استشار السلطان العلماء والمشايخ الذين معه فقالوا له ان اليوم جمعة ،وان الخطباء فى كافة البلاد سواء فى المشرق او المغرب مشغولون اليوم بالدعاء على المنابر لجند الاسلام ،ونصحوه بان ينتهز المسلمون الفرصة ويغتنموها ويأمر بالهجوم فى ذلك اليوم وفى الوقت نفسه (٣) . وقيل ان هذا كان رأى الامام الفقيه ابى نصر محمد بن عبدالملك البخارى الحنفى (٤) . فى حين ذكر البعض بان ذلك كان رأى الملك محمد وانشمند (٥) .

فجمع السلطان اصحابه وقت الصلاة وخطب فيهم قائلا : الى متى ننتظر ونحن فى نقص وهم فى زيادة ،اريد ان اخرج نفسى عليهم فى هذه الساعة التى يدعو فيها جميع خطباء المسلمين لنا على المنابر فان

---

(١) ابن العبرى - م . س ص/ ٣٢٢،رشيد الدين - م . س م١ جه ص/ ٣٢ .

(٢) رشيد الدين - م . س م٢ جه ص/ ٣٢ .

(٣) الكريم الاقسرائى - مسامرة الاخبار ص/ ١٦ - ١٧ (مترجم) .

(٤) البندارى - دولة ال سلجوق ص/ ٤٢،الذهبى - دول الاسلام ٢٧٢/١ ، الحسينى - زبدة التواريخ ص/ ١١٣ .

(٥) رشيد الدين - جامع التواريخ م٢ جه ص/ ٣٤ .

نصرنا الله عليهم ،والا مضينا شهداء الى الجنة فمن احب ان يتبعني فليتبع ومن احب ان ينصرف فلينصرف مصاحبا فما هاهنا اليوم سلطان وانما انا واحد منكم .. فقالوا : ايها السلطان نحن عبيدك ومهما فعلت تبعناك .(١)

واما السلطان فقد رمى القوس والنشاب من يده وشد ذنب فرسه بيده ،وفعل جميع عسكره مثل فعله (٢) ،ولبس البياض وتحنط للموت ،ولما خالطوهم نزل السلطان وعفروجهه بالتراب ،واكثر الدعاء والبكاء .(٣)

وفى تلك الساعة الحاسمة التى كان فيها الخطباء فى ظهر يوم الجمعة على المنابر " حمل السلاجقة حملة رجل واحد ،وبصيحة ارتجت لها صحراء (ملاذ كرد) وحملوا على الاعداء كالسيل الهامر ،وتكون مشيئة الله ان هب اعصار كاد ان يهزم المسلمون منه ،فنزل السلطان من الفرس وسجد

---

(١) سبط ابن الجوزى – م . س ص/ ١٤٨،ومما يذكر انه كان الخليفة القائم بامر الله قد امر بالدعاء على المنابر وعمل نسخة الدعاء ،ودفعه الى الخطباء،وهو من انشاء ابى سعيد بن موصلايا ،وهو "اللهم اعل راية الاسلام .." وفى آخر الخطبة : انصر جيوش المسلمين وسراياهم .

(٢) الحسينى – اخبار الدولة السلجوقية ص/ ٤٧ – ٤٨ .

(٣) سبط ابن الجوزى – م . س ص/ ١٤٩، الحسينى – م . س ص/ ٤٩ – ٥٠ .

(٤) الذهبى – دول الاسلام ٢٧٢/١ .

لله تعالى وقال : اللهم توكلت عليك وتقربت بهذا الجهاد اليك ،وعفرت وجهى بين يديك وخرجت بعصارة كبدى وعيناى نضاحتان من البكاء وسالفتاى رشاحتان من الدماء فان كنت تعلم من ضميرى خلاف ما اقول بلسانى فاهلكنى ومن معى .... حتى انعكست مهاب الرياح واعمت عيون الكفار ..."(١).

فحمل السلاجقة عليهم واحاطوا بهم من كل جانب ،وعملوا فيهم السيوف وتناثرت اشلاء جند ملك الروم على الارض وقد اذاق الله الروم هزيمة نكراء ،لم يتوقعوها مع كثرة عددهم وعتادهم ،فى حين كانت قوة السلاجقة قليلة من ناحية العدد والعدة ،غير انهم كانوا اقوياء بايمانهم بالله سبحانه وتعالى .

وقد اسر عدد كبير من جند الروم ، وكان من بين الاسرى ملك الروم نفسه ارمانوس الرابع الذى عامله السلطان معاملة كريمة ،وانتهى الامر بأن بان عقد معه الصلح على شروط اهمها ان يدفع الامبراطور عن رأسه وعن جميع الاسرى البيزنطيين فدية كبيرة مقدارها الف الف وخمسمائة الف دينار . (٢) وان يتعهد بان يدفع جزية سنوية مقدارها ٣٦٠ الف دينار وان يقوم عند الحاجة بمد السلطان بعشرة آلاف فارس مقاتل عندما يطلب ذلك . وتعهد الامبراطور باطلاق سراح كل اسير مسلم فى بلاد الروم . (٣) وبان

---

(١) الحسينى ـ م . س ص / ٥١ .

(٢) سبط ابن الجوزى ـ مرآة الزمان ص / ١٥٠ ، الذهبى ـ دول الاسلام ٢٧٣/١ .

(٣) سبط ابن الجوزى ـ مرآة الزمان ص / ١٥٠ .

يرسل كل يوم الف دينار الى الخزانة الخاصة (١) .

غير ان ارمانوس لم يقدر له البقاء على العرش لتنفيذ هذه الشروط اذ خلعه البيزنطيون عن العرش قبل عودته الى مقر عرشه (٢) بعث السلطان الب ارسلان الى الخليفة العباسى برسالة يشرح له فيها ماجرى ،وقد بعث مع البشرى بعمامة ملك الروم والصليب وما اخذ من الروم وذلك في ثالث وعشرين من ذى الحجة فسر الخليفة والمسلمون وزينت بغداد ،وعملت القباب (٣).

وبمناسبة هذا الانتصار الكبير ارسل امير المؤمنين القائم بامر الله كتاب تهنئة الى السلطان الب ارسلان حيث خاطبه فيه بقوله :"الولد السيد الاجل المؤيد المنصور المظفر السلطان الاعظم مالك العرب والعجم سيد ملوك الامم ضياء الدين غياث المسلمين ظهير الامام كهف الانام عضد الدولة القاهرة تاج الملة الباهرة سلطان ديار المسلمين برهان امير المؤمنين حرس الله تمهيده وجعل من الخيرات مزيده (٤)".

ان هذه المعركة قد قررت مصير آسيا الصغرى التى اصبحت اعتبارا من هذا التاريخ ولاية عين السلطان عليها ابن عمه سليمان بن قتلمش

---

(١) رشيد الدين - جامع التواريخ م٢ جـ٥ ص/ ٣٧ (مترجم) .

(٢) ابن العبرى - تاريخ مختصر الدول ص/ ٣٢٣ .

(٣) سبط ابن الجوزى - مرآة الزمان ص/ ١٥٢ .

(٤) الحسينى - م . س ص/ ٥٣. - زبدة التواريخ ص/ ١١٥.

الذى اثبت انه حاكم حكيم وعادل ،فقد استطاع ان يضع يده على ثلاثة اربـاع آسيا الصغرى ،ثم وسع ملكه الى هلسبونت شمالا والى البحر الابيض المتوسط جنوبا ،كما اتخذ من مدينة نيقيه وهى احدى مدن الاناضول عاصمة له ،غير انه انتقل الى قونية ،بعد ان استولى الصليبيون على الاولى [١] .

وفضلا عن ذلك فقد نجح الب ارسلان فى الحيلولة دون توسع الفاطميين فى شمال بلاد الشام ،فقد استطاع ان يستعيد مدينة حلب فى سنة (٤٦٣هـ/١٠٧٠م) بعدان حاصر الشام وآمد والرها [٢] .

وكانت نهاية الب ارسلان تتويجا رائعا لحياة الفروسية التى اشتهر بها ،فبعد انتصاره على الامبراطور الرومانى ،اضطر الى التوجه الى بلاد ماوراء النهر لاخضاع امراء بخارى وسمرقند الذين خرجوا عن طاعته والذين حاولوا الاستقلال ببلاد ماوراء النهر ،وقد عبر الب ارسلان على رأس قواته نهر جيجون بعد ان عقد عليه جسرا ،واستطاع ان يعبر هو وجنده الذين يقدر عددهم بما يزيد عن مائتى الف فارس وقد استغرق عبور جند السلطان نيفا وعشرين يوما [٣] . وكان قصده شمس الملك تكين بن طغماج ،صاحب سمرقند وبخارى وماوراء النهر ،وقد استباحت مقدمة

---

(١) سيد امير على ـ مختصر تاريخ العرب ص/ ٢٧٦ .

(٢) الذهبى ـ دول الاسلام ٢٧١/١، السيوطى ـ تاريخ الخلفاء ص/ ٤٢١ .

(٣) ابن العبرى ـ تاريخ مختصر الدول ص/ ٣٢٣ ـ ٣٢٤، ابن العماد الحنبلى ـ شذرات الذهب ٣١٨/٣ .

السلطان سواد بخارى ،ومرت مقدمته بقلعة بيرون (١) حيث اغتيل السلطان الب ارسلان .

خلف السلطان الب ارسلان ابنه السلطان ملكشاه وفى عهده بلغت الدولة السلجوقية اقصى اتساع لها ،ففى آسيا الصغرى جنى السلاجقة ثمرات انتصارهم على الامبراطور البيزنطى فى موقعة ملاذكرد،فقد استطاع سليمان قطلموش وضع يده على ثلاثة ارباع آسيا الصغرى ،كما دخلت سورية ضمن املاك السلاجقة وكانت قبل ذلك يتقاسمها البيزنطيون فى الشمال ،والفاطميون فى الجنوب . وفى عهد ملكشاه كان الاتراك السلاجقة قد ازدادوا قدما فى الاسلام ،وتأثروا بالحضارة الاسلامية لذلك اتخذ قتال السلاجقة طابع حماية الاسلام والحضارة الاسلامية من غارات الاعداء التخريبية . ومما يذكر هنا ان طغرلبك كان جافا خشن الطباع لم تصقله الحضارة بعد ،فى حين كان الب ارسلان قد تأثر الى حد ما بالفكر الاسلامى والحضارة الاسلامية ،وذلك بسبب انصرافه الى الحرب وقضائه معظم سنوات حكمه التسع فى ميادين القتال .

وفى عهده بلغت الدولة السلجوقية اقصى اتساع ،فامتدت من كاشغر شرقا الى بحر مرمرة ،والى بيت المقدس غربا ،ومن بحر قزوين شمالا

---

(١) سبط ابن الجوزى ـ مرآة الزمان ص/ ١٦٥،فى حين يذكر رشيد الدين وكريم الاقسرابى (ان القلعة تعرف برزم) م٢ جه ص/ ٤٠،مسايرة الاخبار ص/ ١٨ .

الى بلاد الحجاز جنوبا .(١)

وفى سنة (٤٦٥هـ/١٠٧٢م) سير ملكشاه اخاه تاج الدولة تتش الى الشام وقرر معه فتح ديار مصر والمغرب ،واستخلاصها من العلويين .(٢)

وفى شوال من العام نفسه وردت كتب اشتر التركمانى مقدم النادكية بفتح بيت المقدس ،واقامة الخطبة العباسية والدعوة للعباسيين والسلاجقة .(٣)

وفى سنة (٤٦٧هـ/١٠٧٤م) تمكن ملكشاه من اخضاع بلاد ماوراء النهر واخذ بثأر ابيه ،فقد اسر بغاتكين اخا شمس الملك بن طغماج خان صاحب بخارى وسمرقند ،ثم عقد صلحا معهم .(٤)

وفى العام نفسه وفى محرم اخضع ترمذ ،وخلع على اخى الخاقان واشار الى القائد الامير سوتكين بعمارة القلعة واحكامها ،وفوض امارة خراسان الى اخيه الملك شهاب الدولة تكش ،وعاد السلطان الى بلخ ومنها سار الى الرى .(٥)

---

(١) ابن الاثير ـ التاريخ الباهر ص/ ١١ .

(٢) محمد كرد على ـ خطط الشام ٢٦٣/١ .

(٣) سبط ابن الجوزى ـ مرآة الزمان ص/ ١٦٩ .

(٤) سبط ابن الجوزى ـ مرآة الزمان ص/ ١٧٢،ابن نظام الحسينى (كان ذلك عام ٤٧١هـ) العراضة ص / ٦٣ .

(٥) الحسينى ـ اخبار الدولة السلجوقية ص/ ٦٠ ـ ٦١ .

وفى سنة (٤٦٨هـ/١٠٧٥م) اعيدت الخطبة للخليفة العباسى على منبر دمشق وكان ذلك على يد اقسيس الخوارزمى وهو احد الامراء من عسكر السلطان ملكشاه لان الشام ودمشق كانتا موضع صراع مستمر بين السلاجقة واخرى للعلويين[(١)] .

وفى سنة (٤٦٩هـ/١٠٧٦م) سارملكشاه الى خوزستان (الاهواز) ودخل البصرة واقام بها يوما شاهد المد والجزر[(٢)] .

وفى سنة (٤٧١هـ/١٠٧٨م) استطاع المصريون ان يحاصروا دمشق وان يستولوا عليها وعلى فلسطين ،وكان ثغر صور وطرابلس فى يد قاضيهما لاطاعة لامير الجيوش عليهما ،وتمكن تاج الدولة تتش اخو السلطان ملكشاه من فتح حلب ودمشق . كما تمكن من الاستيلاء على حماة[(٣)] . وقد اطاعه صاحب حمص ،واقره تاج الدولة عليها[(٤)] .

وفى سنة (٤٧٣هـ/١٠٨٠م) اعاد ملكشاه النظر فى التشكيلات العسكرية للجيش السلجوقى ذلك انه اسقط سبعة آلاف رجل من الارمن المتشبهة بالترك[(٥)] .

---

(١) سبط ابن الجوزى ـ مرآة الزمان ص/ ١٨٠، ابن العبرى ـ تاريخ مختصر الدول ص/ ٣٣٤ .

(٢) سبط ابن الجوزى ـ مرآة الزمان ص/ ١٨١ .

(٣) سبط ابن الجوزى ـ م . س ص/ ٢٠٠، الذهبى ـ دول الاسلام ٢/٥ .

(٤) سبط ابن الجوزى ـ مرآة الزمان ص/ ٢٠٣ .

(٥) البندارى ـ ال سلجوق ص/ ٧١ .

وفى سنة (٤٧٥هـ/١٠٨٢م) استطاع السلاجقة من فتح حصن طرسوس احد حصون الروم[(١)] • وفى العام التالى سلم ابن الصيقل قلعة بعلبك الى تاج الدولة تتش[(٢)] •

وفى سنة (٤٧٧هـ/١٠٨٤م) فتح سليمان شاه بن تتلمش مدينة نيقيه وجميع مايليها من طرسوس واذنه ومصيصه وعين زربه[(٣)] •

وقد قدم امير الاتراك على سليمان شاه الذى كان مسيطرا على نواحى البيره والرها وحدود ديار بكر ،واخبره بان ملك انطاكية وجندها قد خرجوا الى بعض النواحى ،وانه يمكنه ان يفتحها بالف رجل ،فاختار سليمان شاه الف رجل وتوجه بهم الى انطاكية ،وكان يجد السير فى الليل ، اما فى النهار فكان يقيم فى الوديان ،حتى وصل انطاكية فى منتصف ليل اليوم الخامس (رجب) وكان اهل المدينة نائمون وهم فى غفلة واستطاع بعض الجند فتح باب المدينة مما يسر لهم فتح انطاكية وبعد ان امنوا الناس ،وطلبوا منهم عدم الخروج من دورهم ، وقد عامل سليمان شاه اهل انطاكية معاملة حسنة تتسم بالرقة واللين ،وقد ابلغ سليمان السلطان بهذا الفتح • وكان رد السلطان ان اقره على انطاكية

---

(١) سبط ابن الجوزى – م • س ص/ ٢١٧ •

(٢) ن • م • س ص/ ٢٢٠ •

(٣) سبط ابن الجوزى – م • س ص/ ٢٢٩، الذهبى – دول الاسلام ٧/٢ •

وحلب،غير ان تاج الدولة تتش اخا السلطان ملكشاه قد سارع الى قتله وفى الوقت نفسه تلطف مع رسول السلطان الذى جاء بخطاب تولية سليمان شاه على انطاكية وحلب ،واكرمه واعاده من حيث اتى ومعه الخلعة المخصصة لسليمان شاه ،وعندما سمع ملكشاه بمقتل سليمان شاه ،غضب من اخيه على فعلته ،وكتب له عتابا وتهديدا شديدا ،واقر قلج ارسلان احد ابناء سليمان شاه الذى ظهرت عليه علامات الرشد والنجابة والشجاعة مكانه (١) . وفى العام نفسه من ذى الحجة فتحت مدينة ملطية على يد خال لسليمان بن قتلمش (٢) . وفى عام (٤٧٩هـ/١٠٨٦م) جرى قتال بن سليمان بن قتلمش وتاج الدولة تتش من اجل تملك حلب ،فعلم بذلك السلطان فسار فى جيش من اصبهان فهرب اخوه تتش عنها ،ثم سلمها الى نائبه تسليم الدولة اقسنقر (٣) . وبينما كان السلطان بحلب ارسل اليه الامير نصر بن على بن المقلد بن المنقذ الكنانى صاحب شيراز بالدخول فى طاعة السلطان وسلم اليه اللاذقية وكفرطاب واخامية فوافق السلطان على الصلح واقره على شيراز (٤) .

---

(١) سبط ابن الجوزى ـ م . س ص/ ٢٢٩، الكريم الاقسرابى ـ مسامرة الاخبار ص/ ١٩ ـ ٢١ ، السيوطى ـ تاريخ الخلفاء ص/ ٤٢٤ .

(٢) سبط ابن الجوزى ـ م . س ص/ ٢٣٣ .

(٣) الذهبى ـ دول الاسلام ٩/٢، محمد كرد على ـ خطط الشام ٢٦٨/١ .

(٤) ابن الاثير ـ التاريخ الباهر ص/ ٨، محمد كرد على ـ خطط الشام ٢٦٨/١ .

وفى سنة (٤٨٤هـ/١٠٩١م) استولت الفرنج على جميع جزيرة صقلية التى كانت قد فتحها المسلمون بعد المائتين من الهجرة ،وحكم فيها ال الاغلب دهرا الى ان استولى العبيدى المهدى على المغرب [1].

وفى سنة (٤٨٥هـ/١٠٩٢م) سير السلطان جيشا الى اليمن وكان يقوده جنق التركمانى فافتتحوا اكثر اليمن وتوفى التركمانى ،وتولى مكانه برنقش صاحب متلقى امير الحاج [2].

وفى هذه السنة عزم السلطان على غزو مصر ،واخذهامن الرافضة وقد شرع فى تجهيز الجيش لهذه المهمة [3].

واما آخر حدود مملكة ملكشاه من ناحية التركستان فهى اوزكند وكانت اطراف اوزكند سبع قرى صغيرة فى اسفل الجبل [4].

ومن نتائج هذه الحروب التى خاضها السلاجقة فى عهد سلاطينها الثلاثة العظام انهم استطاعوا ان يكونوا امبراطورية كبيرة مترامية الاطراف فهى تملك بلاد ماوراء النهر ،وبلاد الهياطلة ،وبلاد الروم والجزيرة ،والشام ،والعراق ،وخراسان ،والحجاز وغير ذلك [5]. كما

---

(١) السيوطى ـ تاريخ الخلفاء ص/ ٤٢٥ .

(٢) الحسينى ـ اخبار الدولة السلجوقية ص/ ٧٢، الذهبى ـ دول الاسلام ١٣/٢ .

(٣) الذهبى ـ دول الاسلام ١٣/٢ .

(٤) رشيد الدين ـ جامع التواريخ م٢ جـ ص/ ٤٦، النظام الحسينى العراضة ص/ ٦٤ .

(٥) الذهبى ـ العبر ٣٠٩/٣ .

استطاعوا ان يملكوا من مدينة كاشغر الترك الى بيت المقدس طولا (شرقا وغربا) ومن القسطنطينية وبلاد الخرز الى بحر الهند عرضا (شمالا وجنوبا)[١] .

والواقع فان السلاجقة تمكنوا من ان يوقفوا زحف الروم على حدود الدول الاسلامية ،بعد معركة ملاذكرد . وقد اتجهوا بعد ذلك الى الاستقرار فى بلاد آسيا الصغرى والتأقلم فيها ،اذ وجدوا فيها شبها كبيرا ببلادهم الاصلية التركستانية كما دخلت سورية ضمن املاك السلاجقة وكما انتزع السلاجقة من البيزنطيين مدينتى انطاكية والرها فقدانتزعوا من الفاطميين مدينة بيت المقدس. وبهذه الحروب استطاع السلاجقة ان ينشروا الاسلام فى المناطق التى لم يسبق ان وصلها . فحينما فتح ابن قتلمش طرسوس بعث ابن قتلمش الى ابن عمار وقاضى طرابلس يستدعى لها قاضيا وخطيبا[٢] .

واستطاع السلاجقة ان يبرزوا الحضارة الاسلامية ،التى اخذت تتأثر بها تلك المناطق ،وقد اسهم فى ذلك نظام الملك وزير السلطان الب ارسلان والسلطان ملكشاه حيث انه شجع العلم والعلماء والادباء ، وبهذا انتشرت الحضارة الاسلامية وفى الوقت نفسه كان لهذه الحروب نتائج سلبية على السلاجقة انفسهم ،فان هذه الحروب قد ولدت الحقد والكراهية

---

(١) الذهبى ـ دول الاسلام ١٣/٢، العبر ٣٠٩/٣ .

(٢) سبط ابن الجوزى ـ مرآة الزمان ص/ ٢١٧ .

بين افراد البيت السلجوقى نفسه ،فقد قتل الكثير من الامراء والحكام السلاجقة ،وذلك بسبب الغيرة ،وبعد معركة ملاذ كرد اضطر السلطان الب ارسلان الى التوجه الى بلاد ماوراء النهر لاخضاع امراء بخارى وسمرقند الذين خرجوا عن طاعته . وكان هؤلاء الامراء من الاتراك ومن بنى عمومة السلاجقة ،الذين دفعتهم عوامل الغيرة والحسد الى الخروج عليهم ،وقد لقى فيها السلطان ملكشاه حتفه على يد يوسف الخوارزمى . كما ان كثيرا من الامراء السلاجقة قد قتلوا ،وبعضهم قد سملت عيونهم فقد خلف ملكشاه امبراطورية كبيرة ،وبعد وفاته فى سنة (٤٨٥هـ/١٠٩٢م) دخلت هذه الدولة الكبيرة القوية دور الضعف ،اذ سرعان ماتفككت وسيطرت عليها الحروب الاسرية الدموية سواء كانت بين ابناء ملكشاه واخويه وابناء عمومته او بين ابنائه واحفاده .

بحر الخزر

اقليم اذربيجان

اقليم جرجان

دهستان

كردستان

اقليم مازندران

اقليم قومس

خراسان

المفازة الكبرى

خوزستان

اقليم فارس

كرمان

قوهستان

المقياس بالاميال الانكليزية

١٠٠ ٩٠ ٨٠ ٧٠ ٦٠ ٥٠ ٤٠ ٣٠ ٢٠ ١٠ ٠

اقليما الجبال وجيلان ، مع اقاليم مازندران وقومس وجرجان

كى لسترنج ــ بلدان الخلافة الشرقية ص/ ٢٢٤ .

نتائج البحث

نتائج البحث

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الامين وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته الى يوم الدين .

وبعد .. يعيش العالم الاسلامى فى هذه الايام مايمكن ان يسمى باليقظة الاسلامية وهى يقظة ذات ابعاد متعددة فعلى الصعيد السياسى تعمل المجتمعات الاسلامية جاهدة على اقامة المجتمع الاسلامى الذى يطبق عقيدة الاسلام ويخضع لشريعته كما نجد جهودا مكثفة فى كثير من الدول الاسلامية ليطبق التشريع الاسلامى فى مختلف مناحى الحياة وعلى الصعيد الفكرى نجد جهودا طيبة تبذل نحو بعث الفكر الاسلامى بمختلف فروعه بلغة العصر واسلوبه ،وعلى الصعيد المالى تتركز الدعوة بنشاط على البحث عن نظام اقتصادى جديد يستمد اصوله من الاسلام يتلافى مثالب الحضارة الوضعية القائمة .

ويهتم العالم العربى والاسلامى بالدراسات الاسلامية وفى مقدمتها دراسة الادارة ونظام الحكم فى محاولة جادة لاستقراء التطبيقات الاسلامية عبر العصور والافادة منها فى معالجة المشاكل التى تواجه المجتمع الاسلامى المعاصر والمساهمة فى رسم خطوط المستقبل .

ان الدراسة التى نقدمها هى جزء من الاهتمامات التى اشرنا اليها آنفا فى نطاق الادارة الاسلامية وهى تمثل فترة امتزاج وتلاقح بين مجال الفكر الادارى الاسلامى وتطبيقاته وبين الانماط التى رفدت منها

الادارة الاسلامية والمتمثلة هنا بالادارة السلجوقية التى تمثل خليطا من اصول متعدده يغلب عليها التقاليد والعادات القبلية السلجوقية والتى تأثرت الى حد بعيد بالمثل والاساليب الفارسية .

ولقد اثبتت هذه الدراسة خطل التصورات الاستشراقية والغربية الزاعمة والقائلة بان بداية الفكر الادارى فى التاريخ الانسانى هى بداية القرن التاسع عشر الميلادى . ذلك ان هذه الدراسة تعكس وجود فكر ادارى متميز عند العرب المسلمين وعند العناصر التى امتزجت بهم وآمنت بدينهم وانضمت الى دولتهم مما يتقدم نقطة البداية الافتراضية قرابة عشرة قرون او يزيد وهو امر له اهميته ودلالته فى دراسة التاريخ الادارى العالمى . والواقع فان هذه الدراسة تكشف عن مدى الغفلة او الخطأ الذى وقع فيه الدارسون عفوا او عمدا حينما اهملوا دراسة تاريخ الادارة الاسلامية والفكر الادارى الاسلامى كنمط متميز فى الادارة افادت منه الحضارة الانسانية عبر العصور مما يوحى بان اساليب الادارة الحديثة انما هى فى الواقع امتداد متطور ان لم نقل عيال على انماط الادارة العربية الاسلامية .

ولقد هيأت هذه الدراسة الفرصة الملائمة للكشف عن جوانب غامضة فى تاريخ الادارة الاسلامية فى مرحلة الامتزاج والتطور مما مكن من التوصل الى معلومات مهمة عنها وعن سير الاعمال فى الدولة الاسلامية وعن مؤسساتها وتنظيماتهاووظائفها واساليب ادارتها ذلك ان دراسة الادارة فى العصر السلجوقى قد بينت طبيعة التنظيمات القائمة وكشفت عن مدى

ترابط الاجهزة الحكومية المختلفة والقاء اضواء كاشفة لمدى التعاون والتناقض بين وجهات نظر الخليفة العباسى والسلطان السلجوقى واثر ذلك فى سير مؤسسات الدولة الادارية .

ولقد اثبتت هذه الدراسة بان الفترة التى عاشتها الخلافة العباسية فى اعقاب سقوط البويهيين ووصول السلاجقة الى بغداد هى منفترات النهوض الاساسية فى تاريخ الدولة العباسية خلال العصر الثانى ذلك ان خلفاء بنى العباس قد استعادوا هيبة الخلافة ونفوذها السياسى وشيئا من نفوذها الادارى والمالى .

فقد استعادوا مثلا منصب الوزير العباسى ولعبوا دورا كبيرا فى اختيار وزرائهم . كما عملوا على اعادة تنظيم الدواوين اضافة الى تأكيدهم على فكرة وحدة الدولة الاسلامية مما كان له دلالة كبيرة فى الادارة ونظمها .

ولقد بذلت هذه الرسالة جهدا متواصلا فى متابعة التطور الحاصل فى الادارة الاسلامية والناجم عن التأثيرات الحضارية الاجنبية وعن اثر المثل والاعراف الادارية الوافده . وحاولت تشخيص آثار العناصر الطارئة وذلك كان فى الواقع السبب الكامن خلف محاولة تقديم الصورة الشاملة للادارة العباسية ـ السلجوقية بشكل موحد متداخل،ومحاولة التعرف على واقعها ،الناجم عن الامتزاج والتداخل والتأثيرات المتبادلة .

لقد كشف البحث عن وجود نظام ادارى ثنائى او مزدوج القمة ناجم عن وجود سلطتين اساسيتين فى الدولة . ذلك ان سلطة الخلافة

كانت هى الاقوى والاعظم من الناحية النظرية غير ان بجانبها كانت قوة السلطنة التى كانت هى النافده من الناحية الواقعية والتطبيق . ومع ان السلطان كان يحكم بتفويض من الخلافة وهو ينوب عن الخليفة فى اختصاصاته فان واقع الحال الذى كشفت عنه الدراسة هو ان السلاطين السلاجقة خلال فترة البحث كانوا يحكمون حكما استبداديا مطلقا دون اى اعتبار للخليفة او المثل والتقاليد الادارية العباسية وان كان وزراؤهم يحاولون ان يوفقوا بين تلك الاعمال وبين الخط العقدى الذى تلتزم به الدولة تحت ستار نظرية التفويض الالهى فلقد كان السلطان - وهذا ماكشفت عنه المصادر السلجوقية وابرزته الرسالة - "يحكم بتوجيه من الله وتوفيق منه وهو ظله على الارض" رغم انه يعترف بمقام الخلافة ويحترم الخليفة ويجله وخصوصا لما يتمتع به من علاقة بالنبى صلى الله عليه وسلم .

ومما يلفت النظر ان بعض المصادر السلجوقية حاولت ربط نسب الاسرة السلجوقية الحاكمة بسلالة ابى الانبياء ابراهيم الخليل عليه السلام .

ان التسلط السلجوقى على الخلافة كان يشبه الى حد بعيد التسلط البويهى عليها مع اختلاف اساسى يتمثل فى طبيعة النظرة الى الخليفة وهو انعكاس للناحية العقدية .

ولقد ابرزت الرسالة الاسباب الحقيقية التى دفعت الخلافة العباسية الى الاتصال بالسلاجقة والذى نجم عنه قدومهم الى عاصمة الخلافة وقيام

الحكم المشترك للدولة بينهم وبين السلاجقة .

ان الخلاف الحاصل بين الخلافة العباسية والبويهيين كان خلافا عقديا وقد ابرزت ذلك الرسالة واوضحت العوامل التى منعت البويهيين من تغيير وجهة الخلافة . كما لعبت الحالة الاقتصادية المتدهورة دورها الفاعل فى وصول الخزينة الى حالة الافلاس والى الصراع العنيف بين اطراف الحكم من اجل الحصول على الاموال . وقد نجم عن ذلك شيوع المصادرات للتجار والاغنياء من اجل الحصول على الاموال مما عجل بتدهور الاوضاع العامة واتساع الفوضى فى عاصمة الخلافة وكان عاملا موثرا فى ظهور التسيب الادارى وشمول الفوضى وظهور العيارين والشطار وتكرار حالات الحروب الداخلية والفتن الطائفية وهذا كله عمل بشكل متداخل فى التأثير على الخلافة ودفعها الى استقدام السلاجقة .

ولقد كشفت الدراسة خلال محاولة استعراض مرحلة دخول السلاجقة العراق والقضاء على البويهيين عن ظاهرة غريبة تمثلت فى الموقف من هذا الحدث . فلقد اظهرت الدراسة ان الخليفة العباسى كان يعارض فكرة القضاء على الملك الرحيم البويهى بل انه كان يأمل فى احلال الوئام والتعاون بينه وبين السلاجقة والبويهيين على حد سواء وربما يفسر ذلك بانه محاولة من الخلافة لاسترجاع كامل قدرتها ومكانتها عن طريق ايجاد قوى متوازنة ،تتمكن عن طريق توجيهها وسياستها من حفظ الاستقرار ومركزية الحكم وفاعليته بيد العباسيين . اما العامة فعلى خلاف المتوقع فقد وقف العامة من اهل السنة موقفا سلبيا حادا

بوجه السلاجقة وصل الى درجة الدخول فى صراع دموى حاد ضدهم خلال الايام الاولى لدخولهم بغداد ويظهر ان هذا الموقف قد تبلور نتيجة لردود الفعل الناجمة عن الاحساس بتسلط العناصر الاجنبية الاعجمية بغض النظر عن الوجهة المذهبية وهو احساس مفهوم فى اطار دراسة تاريخ الصراع البشرى • اما الشيعة العلوية فقد وقفوا فى صف السلاجقة وحفظوهم ودافعوا عنهم ورحبوا بهم وبزوال الحكم البويهى الشيعى • ويمكن فهم هذا الموقف على ضوء عقيدة (التقية) التى هى من اسس المعتقد الشيعى العلوى • كما يمكن تفسير ذلك الموقف على ضوء مواقف الاقليات فى حالات الاجتياح الاجنبى للاقاليم المختلفة •

اما موقف السلاجقة فانه كان منسجما مع المصلحة ومع المثل والتقاليد السلجوقية اذ لم يلتزم السلطان طغرلبك من البداية بتوجيهات الخليفة بشأن البويهيين حيث انه بادر الى القبض على الملك الرحيم ثم نفاه الى الرى كما انه لم يتردد فى توجيه قواته الى مقابلة موقف العامة من اهل السنة باشد اصناف القسوة والارهاب • ومن التعاون مع المتشيعة والتعاطف معهم وحمايتهم ،وهو امر لايبدو متسقا مع طبيعة البنية العقدية للسلاجقة وهو يعكس مدى ضعف الوازع الدينى فى مقابل التأثيرات البنية للمثل والتقاليد البدوية السلجوقية اضافة الى اثر المصلحة الخاصة فى ثنايا الصراع •

وفى اطار دراسة التطورات الادارية التى حصلت فى الدولة العباسية بعد دخول السلاجقة بغداد وتخلص الخلافة من التسلط البويهى

فقد ابرزت الدراسة المحاولات الجاده التى قام بها الخلفاء العباسيون خلال فترة الدراسة من اجل استعادة مكانة الخلافة ودورها الرئيسى فى توجيه الاحداث وقد تمثل ذلك منذ البداية فى تهديد الخليفة للسلطان السلجوقى باستعداده لمغادرة العاصمة مغاضبا بسبب عدم الالتزام بتوجيهاته . وقد كان لتلك المحاولات اثرها الكبير فى ارتفاع مكانة الخلافة مما مكنها من استعادة نفوذها الكبير حيث اعادت الوزارة الى الظهور وقام الخليفة العباسى باختيار وزيره كما تمكن من انفاذ اوامره واعادة تنظيم عدد من الدواوين بعد ان كانت قد بطلت منذ اكثر من قرن من الزمن .

ولقد اوضح البحث مدى الجهود التى بذلها السلاجقة لضمان انتصارهم على اعدائهم وكيف تمكنوا من تأسيس امارة لها كيانها تطورت حتى تحولت الى قوة كبيرة كان لها وزنها فى تاريخ المنطقة . ولما كان السلاجقة بدوا يدركون حدود امكاناتهم ومدى كفايتهم فانهم استعانوا بعدد من المثقفين الكتاب ممن امضوا عمرهم فى خدمة الدولة العباسية والامارات المتغلبة فى الشرق من سامانيين وغزنويين وبويهيين وممن تمرسوا فى الاعمال الادارية واكتسبوا الكثير من الخبرات العملية .

ويعد السلطان رأس الجهاز الادارى فى التنظيمات السلجوقية فهو يشرف على جميع مصالح المملكة ويتمتع بصلاحيات واسعة وهو المسؤول الاول عن السياسة العامة واعلان الحرب وقيادة الجيوش وتعيين الحكام والقواد وفرض الضرائب وجبايتها .

وللسلطان عاصمة يتخذها لادارته ذلك ان سلاطين السلاجقة خلال فترة البحث لم يتخذوا بغداد مركزا لهم وقد توصل البحث الى انتقال عاصمة السلاجقة بين ثلاثة مراكز فقد اتخذ السلطان طغرلبك مدينة (نيسابور) عاصمة له ،وانتقل السلطان الب ارسلان الى مدينة (مرو) اما السلطان ملكشاه فقد نقل عاصمته الى (اصفهان) ٠

وبجانب السلطان فقد كانت هناك اعداد كبيرة من الوظائف الرئيسية التى تمثل الوظائف الادارية الاساسية تمثلت فى وكيلدر السلطان ،والامير الحاجب الكبير ،ونائبه ،والوزير،وامراء الاقاليم والطغراء ،والمستوفى والمشرف ،والعميد ،والشحنة ،والعارض ،والسفهسالار ،والاتابك ،والساقى اضافة الى عدد كبير من الكتاب من مختلف التخصصات الادارية والمالية وغيرها ٠

ولقد توصل البحث الى وجود عدد كبير من الدواوين الخاصة بالادارة السلجوقية والتى كانت تعمل فى معزل عن دواوين الخلافة العباسية ٠ وقدمت الدراسة تفصيلات جديده عن ديوان السلطان وديوان الاستيفاء وديوان الرسائل والانشاء ،وديوان الاشراف ،وديوان عرض الجيوش وديوان الطغراء ٠

وفى مجال ادارة الاقاليم ابرز البحث دور الامارات السلجوقية فى الادارة حيث ارتبطت بالمثل والتقاليد القبلية وانعكست آثار ذلك فى ادارة الاقاليم والحق فان التقسيمات الادارية للسلطنة السلجوقية تعود الى عصر التأسيس فقد كانت ادارتها تعتمد على الصفة العائلية

والاسرية وتخضع للعاصمة المركزية السلجوقية وقداوضح البحث ان اعلان تشكيل الولايات السلجوقية قد تم فى مرحلة التأسيس فى اعقاب القضاء على خطر الغزنويين وان تلك العملية قد شارك فيها جميع امراء الاسرة السلجوقية .

وتجدر الاشارة الى انامراء الاقاليم وجيوشهم كانوا خلال فترة البحث تحت تصرف السلطان فى اى وقت يشاؤون واستمر ذلك حتى نهاية عصر ملكشاه وهو آخر سلاطين السلاجقة العظام ويمثل عصره نهاية فترة البحث .

ان الادارة السلجوقية لم تصل الى درجة من التطور والنضج بحيث تعين الحدود الفاصلة بين الاختصاصات الادارية المختلفة ويرجع السبب فى ذلك الى تأثير التقاليد والمثل القبلية .

ومما يشير الى اثر البداوة فى الادارة السلجوقية الغاء ديوان البريد الذى نجم عنه قطع الصلة المباشرة بين السلاطين وعمالهم فى الاقاليم مما نجم عنه ازدياد اهمية الولايات وارتفاع مكانة امراء الاقاليم تدريجيا . ومع ان ذلك لم يكن له آثار سلبية واضحة خلال فترة البحث الا انه كانت له آثاره المدمرة خلال فترة الضعف والتردى التالية .

اما الاتابكيات فالراجح انها كانت فى مرحلة النشوء والتطور الاولى خلال فترة البحث وكان اشتهارها وبروزها قدحصل فى الفترة التالية المباشرة .

ومن النتائج التى توصل اليها البحث ان نظام الاقطاع الذى طبقه البويهيون قد استمر العمل به خلال المرحلة الاولى من الحكم السلجوقى وان السلاجقة قد واجهوا النتائج السيئة للتطبيقات البويهية .

وقد توصل البحث كذلك الى ان الوزير السلجوقى نظام الملك قد قدم وطبق نظاما مبتكرا فى الاقطاع عرف بالاقطاع الحربى وان هذا النظام لايمس رقبة الارض المقطعة وانما يتعلق بخراجها فقط وهو لايتضمن اى سيطرة للمستفيد من الاقطاع على المشتغلين فى الارض اضافة الى انه محدود الزمن مرتبط بحسن الاستثمار وباستمرار الخدمة فى الدولة وبخلافه فان الاقطاع الممنوح يكون عرضة للاسترجاع . ان هذا النظام على كل حال لايتعارض مع الملكية الفردية ولايمسها كما انه لايعتدى على اراضى الملك العام او الاوقاف وهو يقتصر فى تأثيره على تعلقه بالانتاج دون الارض .

ان تطبيق نظام الاقطاع السلجوقى قد ركز الجهود على استثمار الارض وعمارتها وادى الى تحسين الاوضاع الاقتصادية للدولة وللمجتمع على السواء ولابد من الاشارة الى ان تطبيق هذا النظام على الوجه العام قد حصل فى عصر السلطان ملكشاه اى فى اواخر فترة البحث .

ولقد نجم عن تطبيق النظام الاقطاعى السلجوقى تخفيف كبير فى الاعباء المالية الملقاه على كاهل الحكومة كما انه قد اعطى الفرصة لامراء الاقاليم والمدن الرئيسية الى التفرغ للاشراف على حكم المناطق التى يتولونها . وقد استعاضت الدولة بتطبيق هذا النظام عن دفع

رواتب القواد والجند .

اما الشرطة فقد بين البحث بان السلاجقة قد ورثوا نظما من العهود الاسلامية السابقة . وقد اهتم السلاجقة بالشرطة اهتماما كبيرا وطوروا نظمها ونوعوا فى اختصاصاتها حتى اصبحت مسئولة بجانب حفظ الامن العام عن امور اساسية تتمثل فى تنظيم حماية كاملة للسلطان والوزير والامراء فى مقراتهم الادارية .

ولقد اظهر البحث تداخلا بينا فى الاختصاصات الادارية بين التنظيمات الخلافية العباسية والسلطانية السلجوقية يمكن ملاحظته فى اعلا مراحل السلطة حيث تداخلت اختصاصات الخليفة العباسى والسلطان السلجوقى كما تداخلت اختصاصات الوزير العباسى والوزير السلجوقى غير ان هذا التداخل رغم خطورته يمكن السيطرة على اثره بتغليب احد طرفى النزاع وعند ذلك يحل الانسجام ويزول التداخل . غير ان آثار ذلك التداخل فى علاقة الاقاليم بكل من الخلافة والسلطنة اضافة الى آثاره فى منحى الفتوحات السلجوقية وآثارها كان معقدا الى درجة كبيرة وهو امر له دلالته فى حالة الفوضى التى واجهتها المؤسسات الادارية العباسية والسلجوقية على السواء .

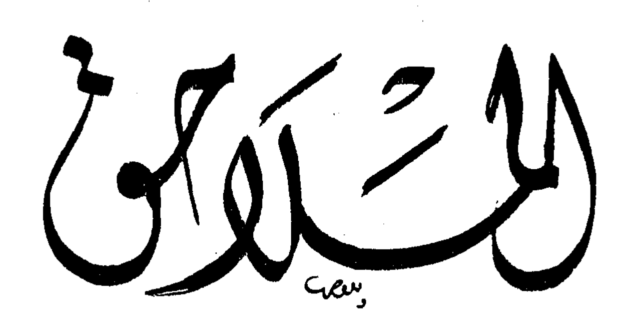
ومن النتائج البارزة التى توصل اليها البحث ان السلاطين الثلاثة العظام الذين شملتهم هذه الدراسة قد تمكنوا من تأسيس امبراطورية كبيرة مترامية الاطراف امتدت بين مدينتى كاشغر وبيت المقدس طولا وبين القسطنطينية والمحيط الهندى عرضا كما انهم تمكنوا من القضاء

على خطر الروم على حدود الدولة الاسلامية حين اضافوا بلاد الاناضول الى جملة ممتلكاتهم فابعدوا اخطار الغدر البيزنطى على الحدود الشمالية للعالم الاسلامى .

ومما هو جدير بالملاحظة نجاح جهود السلاجقة فى نشر الاسلام والدفاع عنه فقد نشروه فى مناطق لم يسبق ان وصلها قبل ذلك الوقت تتمثل فى بلاد الاناضول وآسيا الصغرى ونواحيها .

ومن النتائج التى توصل اليها البحث ايضا ابراز السلاجقة للحضارة الاسلامية ودعمهم ومساندتهم لتطويرها ومدى تأثيراتها ،وقد تمثل ذلك فى تشجيع العلم والعلماء والادب والادباء وتأسيس المدارس ومعاهد العلم وبناء المكتبات وارصاد الاوقاف لها ولاعمال الاصلاح الاخرى وتأسيس القلاع والعواصم فى مناطق التطور وبث الارصاد تحسبا لكل طارىء مما اسهم فى تشجيع وتطور الحضارة الاسلامية وانتشارها .

ان الحروب التى عاشتها السلطنة السلجوقية رغم آثارها الايجابية فى تعزيز مكانة السلاجقة وشيوع سلطانهم ورقى كفاءتهم واعزازهم وترسيخ دولتهم فانها قد ولدت الاحقاد والكراهية بين افراد البيت السلجوقى نفسه ،كما انها عمقت الاحقاد بينهم وبين خصومهم . ورغم ان آثار ذلك لم تظهر خلال فترة البحث فان آثارها المدمرة قد ظهرت فيما بعد حين دخلت هذه الدولة الكبيرة القوية دور الضعف اذ سرعان ماتفككت الروابط وعملت عوامل القوة بشكل فاعل ومؤثر على اضعافها ومهدت للقضاء عليها .



ملحق رقم (١)

خلفاء بنى العباس فى عصر سلاطين السلاجقة العظام

(٤٣٢ – ٤٨٥ هـ / ١٠٤٠ – ١٠٩٢ م)

(١) الخليفة القائم بامر الله

(٤٢٢ – ٤٦٧ هـ / ١٠٣٠ – ١٠٧٤ م)

(٢) الخليفة المقتدى بامر الله

(٤٦٧ – ٤٨٧ هـ / ١٠٧٤ – ١٠٩٤ م)

ملحـــق رقـم (٢)

الســلاطيـــن السلاجقــة العظــام

(٤٣٢ – ٤٨٥ هـ / ١٠٤٠ – ١٠٩٢ م)

(١) السلطان طغر لبــك

(٤٢٩ – ٤٥٥ هـ / ١٠٣٧ – ١٠٦٣م)

(٢) السلطان الب ارســلان

(٤٥٥ – ٤٦٥ هـ / ١٠٦٣ – ١٠٧٢ م)

(٣) السلطان ملكشـــاه

(٤٦٥ – ٤٨٥ هـ / ١٠٧٢ – ١٠٩٢ م)

ملحق رقم (٣)

الوزراء العباسيون فى عصر السلاطين السلاجقة العظام

فى عهد القائم بامر الله (٤٢٢ – ٤٦٧هـ/١٠٣٠ – ١٠٧٤م) :

(١) عميد الرؤساء ابو طالب محمد بن ايوب (٤٢٢هـ/١٠٣٠م)

(٢) على بن الحسن بن احمد بن محمد بن عمر ، ابو القاسم بن المسلم (رئيس الرؤساء) (٤٣٧هـ/١٠٤٥م)

(٣) ابو الفتح محمد بن المنصور بن احمد بن دراست (٤٥٣هـ/١٠٦١م)

(٤) ابو نصر محمد بن محمد فخر الدولة ابن جهير (٤٥٤هـ/١٠٦٢م)

(٥) ابو يعلى الحسين بن محمد بن عبدالله بن ابراهيم الهمدانى (٤٦٠هـ/١٠٦٧م)

(٦) ابو الحسن بن عبدالرحيم (٤٦١هـ/١٠٦٨م)

(٧) ابو نصر محمد بن محمد ، فخر الدولة ابن جهير (ثانيا) (٤٦١هـ/١٠٦٨م)

فى عهد المقتدى بامر الله (٤٦٧ – ٤٨٧هـ/١٠٧٤ – ١٠٩٤م) :

(١) ابو نصر محمد بن محمد ، فخر الدولة ابن جهير (٤٦٧هـ/١٠٧٤م)

(٢) ابو شجاع ظهير الدين ، محمد بن الحسين بن محمد بن عبدالله بن ابراهيم (٤٧١هـ/١٠٧٨م)

(٣) محمد بن محمد بن محمد ،عميد الدولة ،ابن جهير (٤٧١هـ/١٠٧٨م)

(٤) المظفر ابو الفتح ابن رئيس الرؤساء (٤٧٦هـ/١٠٨٣م)

(٥) ابو شجاع ظهير الدين ،محمد بن الحسين بن
محمد بن عبدالله بن ابراهيم الهمذانى
الروذراوى . (٤٧٦هـ/١٠٨٣م)

(٦) محمد بن محمد بن محمد ،عميد الدولة ابن جهير (٤٨٤هـ/١٠٩١م)

ملحـــق رقـــم (٤)

الوزراء السلاجقة في عصر السلاطين العظـــام

في عهد السلطان طغرلبك :

(١) ابو الفتح الرازي (٤٣٤هـ/١٠٤٢م)

(٢) ابو القاسم علي بن عبدالله الجوني (٤٣٦هـ/١٠٤٤م)

(٣) رئيس الرؤساء ابو عبدالله حسين يعلي بن ميكال الغزنوي

(٤) نظام الملك ابو محمد حسن بن محمد الدهستاني

(كانت وزارتهما الواحد بين الآخر فيما بين ٤٣٦ و ٤٤٨هـ/١٠٤٤و ١٠٥٦)

(٥) عميد الملك ابو نصر منصور بن محمد الكندري (٤٤٨هـ/١٠٥٦م)

في عهد السلطان الب ارسلان :

(١) عميد الملك ابو نصر منصور بن محمد الكندري

(٢) قوام الدين ابوعلي حسن بن علي بن الحق الطوسي (نظام الملك) (٤٥٦هـ/١٠٦٤م)

في عهد السلطان ملكشاه :

(١) قوام الدين ابوعلي حسين بن علي بن اسحق الطوسي (نظام الملك)

(٢) تاج الملك ابي الغنائم المرزبان (٤٨٥هـ/١٠٩٢م)

ملحـــق رقــــم (٥)

نسخـــة فرمان اصدره الخليفة العباســـــى القـــائم بامر الله بتقليد فخرالدولة (الوزارة)

" أما بعد فالحمد لله ذى الالاء الصافية الموارد ،والنعمــــاء الصادقة الشواهد ،والطول الجامع شمل اسباب المنح والشوارد ،ذى القدرة المصرفة على حكمها مجارى القدر ،والمشيئة الحالية بالنفاذ فى حالتى الورد والصدر ، المذل بجميل صنعه اعناق المصاعب ، المديم بكريم لطفه من امتداد ذوائب النوائب الذى جل عن ادراك صفاته بعد اوحد ،ودل بباهر آياته على كونه الفرد ، الولى بكل شكر وحمد ،سبحانه وتعالى عما يصفون .

والحمد لله الذى اختص محمدا صلى الله عليه وسلم بالرسالة واجتباه وحباه الكرامة بما اشرق له مطلع الجلال ،واختاره وبعثه لاظهار كلمة الحق بعد ان مد الضلال رواقه ،فلم يزل باعزاز الشرع قائما ولساعات زمانه فى طلب رضا الله قاسما ،ولاينحرف عن مقاصد الصواب ولايميل ،ولايخلى مطايا جده فى تقوية الدين مما يتابع فيه الرسيم والذميل، الى ان زال عن القلوب صدأ الشكوك وجلا ،واجلى مسعاه عن كل ما اودع نفوس احلاف الباطل وجلا،ومضى وقد اضاء للايمان هلال امن سراره وانتضى لابادة الشرك حساما لاينبو قط غراره ،فصلى الله عليه وعلى آله الطاهرين ،واصحابه المنتخبين ،صلاة يتصل الاصيل فيها بالغدو ،وترى قيمتها فى الاجر وافية العلو والغلو .

والحمد لله الذى اصار الى امير المؤمنين منارث النبوة ماهو احق به واولى ،وانار له من مطالع العز ما اسدى به كل نعمة واولى واحله من شرف الامامة بحيث عنت لطاعته اعناق الرقاب الصعاب ،واذعنت له القلوب بالانطواء على الولاء الفسيح الرحاب والشعاب ،وجعل ايامه بالنضارة آهلة المغانى ،متقابلة اسماؤها فى الحسن بالمعانى ،فما يجرى فيها ما الصواب فى فعله كامن ،والحظ بانتهاج سبله كائن ، ابانة عن اقتران الرشد بعزائمه فى حالتى العقد والحل واقتراب مرام كل مايحل من الصلاح فى الدهر افضل المحل .

ثم انه يرى من اقراره الحقوق فى نصابها ،وامرار حبال التوفيق فى جانبها من الاطماع الممتده الى اغتصابها،مايعرب عن الاهتداء الى طرق الرشد والاقتداء بمن وجد ضالة المرادحين نشد،ويقصد من تجديد العوارف عند كل عالم بقدرها فى الزمان عارف ،مايحلو جنى ثمره فى كل اوان ،ويحدد انتشار خبره على اعانة كل فكر فى وصفه عنوان ،فيتشاقل الرواة ذكر ذلك غورا ونجدا ،وتلقى الهمم العلية ادخار الجمال به انفع من كل قنية واجدى ، استمرارا على شاكلة تحلت بالكرم ،وحلت من الجلال فى القلل والقمم،وحلت آثارها فى ايلاء نفيس المنح وجزيل القسم .

ولما غدا منصب الوزارة موقوفا على الذين طالما جزوا بهممهم نواصى الخطوب وحازوا بذممهم المنال فى مقاصد استشهدوا بها على احراز كل فضيلة واستدلوا،وكفوا بكفايتهم اكف الفساد وردوا ،وحازوا الفعال فى كل ماسعوا له وجدوا فخلا الزمان ممن ينهض بعبء هذا الامر الجسيم

وتصبح ابناؤه فيه ذكية الارج والنسيم ـ لم يبق غيرك ممن يستحق
التخييم فى عراصه والتحكيم فى اجتناء الفخر منه واستخلاصه ،وكان
القدر سبق بانفصالك عن الخدمة لالضعف سريره ،ولالقوة جريره ،ولالكدر
سيره ،وكيفوانت المتفرد بالكمال،والمتجرد فىكل مقام سلم حد تقربك
فيه من حادث الكلال ،ولك فى الدولة الحقوق التى اعتدت لك من وقع
الاستزادة مجنا ،والمواقف التى اغتذت من درة الاحماد بما اين الظئر
لها وانا ،والمقاصد التى اعدمت منك البدل ولا انحرف لك منها مسعى
من مناهج الاصابة ولاعدل ،وتمكنت فيها من عنان التوفيق بما لايجارى
سيفك فيه قط،ولايحسن له حال المسرى اليه المحط ،والآثار التى اشارت
من كوامن الرضا افضل مايذخر ويقتنى ،وانارت من دلائل الزلفى ماينتجز
به وعد المنى ويقتضى ،لكن كان ذلك مسطورا فى الكتاب ،وليتبين انه
لاعوض عنك فى الاستحقاق للامر والاستيجاب ،لم يوجد لهذه الرتبة
كفوءا سواك ،ولاينزهها عن العطل غير رائق حلاك ،فرأى امير المؤمنين
تسليم مقاليدها اليك اذ كنت احق بها واهلها ،وممن يجمع بعد الشتات
شملها ،فطوقك من قلائدها ماهو باعطافك العق ،وبتمام اوصافك اليق
لتدرع من عز الوزارة جلبابا لاتخلق له الايام جده ،ولاتزال السعود
بما يئول الى دوام مدته ممتده ،وترتضع من لبان خلالها مايقضى لك
بأن تقف نفسها عليك ،وتقف آمال الامثال دون ما انتهت فيه الغاية اليك
وتعتمد فيها عدقه بك منها وناطه ،ووفاك منه حقوق النظر واشتراطه
بحكم توحدت فى احراز ادواتها التى لايبلغ احد لك منها مدى ،ولايمد

طامع الى مساجلتك فيها يدا - مايرضى الله تعالى ويرضيه ويخص ذكرك بالطيب ويحيطه فتفوز فوزا كبيرا، وتعيد الساعى فى ادراك شأوك ظالعا حسيرا .

ثم انه شفع هذه المنحة التى قمصك مجاسد فخرها بالوجوب، وعوضك فيها الدهر بحادث البشر عن سابق القطوب - بايصالك الى حضرته وادنائك من سدته، ومناجاتك بما يتيح لك امتطاء غارب المجدوصهوته، والاحتواء على خالص السعد وصفوته، وحبائك من صنوف التشريعات التى تروق حلى خلالها وتتوق الآمال الى ادراكها ومنالها، وصفت الكرامات التى وفت المنى بها بعد مطالها، ونفت القذى عن مقل مغضوضة بسوء فعال الايام ومقالها، بما يوطىء عقبك الرجال، ويضيق على من يحاول مجاراتك المسرح والمجال، ولم يقتنع بذلك فى حق النعمى التى اعداك فيها على الغير واغداك منها فى ظل من الامن البادى الاوضاع والغرر، حتى الحق بسماتك "تاج الوزراء" تنويها بذكرك فى الزمان، وتنبيها على اختصاصك لديه بوجاهة الرتبة والمكان، فصار مكروه الامور فى محبوبها سببا، وخبت نار كل من سعى فى تضليل النظام وجيفا وخببا، حتى الآملون ان يجعلوا تحت الخلافة زمنا، وتصبح رباعه بعد النضارة دمنا، ليعقبهم ذاك نيل ماوصلت اليه الامضاء لهذا العزم، وبالجملة فالسآمة واقعة من تتابع هذه الشكاوى، وقد كان الاحب ان لايضمن الكتب النافذة سوى تعهد الانباء لازال عرفها ارجا من سائر الارجاء والنواحى لكن تأتى مجارى الاقدار ودواعى الاضطرار، الى مايرفق ماء الاراده والايثار والآن فقد بلغ الماء

وجلب من عدم الصبر الجفاء ،ولم يبق غير هزة دينية منك تكشف بها هذه المعرة ،وتتحف منها امير المؤمنين بما يتم لديه اكمل المسرة ،فقم في ذلك مقام مثلك ـ وان كان لانظير لك يوجد ـ تحظ بما يمضى لك فيه استحقاق كل الحمد ويوجب ،ان شاء الله تعالى [1] " .

---

(١) القلقشندى ـ صبح الاعشى ١٠/٢٣٤ ـ ٢٣٧ .

جريدة المصادر والمراجع

جريــدة المصـــادر

* القـــرآن الكريـــم

اولا : المخطوطات .

* ابن تغرى برى - ابى المحاسن جمال الدين يوسف بن تغرى بردى بـــن عبدالله الطاهر الحنفى (ت ٨٧٤ هـ/ ١٤٧٠م)
"مورد اللطافة فيمن ولى السلطة والخلافة "
مخطوطة رقم (١١٥٢٧) .

* ابن الجوزى ،عبدالرحمن ابو الفرج
"تحفة الالباء"
مخطوطة مكتبة الاوقاف العامة فى بغداد رقم (٣٤٣٣٣) . المكتبة المركزية

* ابن الشحنة ،محب الدين ابى الوليد محمد بن الشحنة (ت ٩٦٠هـ)
"روضة النواظر فى علم الاوائل والاواخر "
رقم (٤٨٥) المكتبة المركزية - مكة المكرمة .

* ابن دقماق ،غرس الدين ابراهيم بن محمد بن دقماق السراجى
"الجوهر الثمين فى سير ملوك والسلاطين"
رقم (٣١٧٢) مكتبة ايا صوفيا .

* ابن واصل،جمال الدين بن محمد بن سالم بن واصل
"تاريخ الواصليين فى اخبار الخلفاء والملوك والسلاطين"
رقم (٥٣١٩) دار الكتب المصرية .

* الحصكفى، احمد بن محمد بن على بن محمد بن احمد بن علاء الحلبى
"ملخص تاريخ الاسلام الكبير "

مجلد ستة رقم (٥٨٩٠) مكتبة المتحف العراقية ـ بغداد .

* السيوطي

"قدح الدراسة في مناهج السياسة "

رقم (١٥٣٤) المتحفة البريطانية عربي قسم الشرقيات .

* الطبري،عبدالقادر بن محمد الطبري الشافعي

"نشأة السلافة بمنشأة الخلافة "

رقم (١٨١٨) المكتبة المركزية ـ جامعة ام القرى ـ مكة المكرمة .

* العماد الاصفهاني ،محمد بن محمد (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م)

"نصرة الفترة وعصرة الفطرة"

مخطوط المكتبة الوطنية ،باريس رقم (٢١٤٦) عربي .

ثانيا : المصادر المطبوعة .

* ابن الاثير ،محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني

المعروف بابن الاثير الملقب بعز الدين (٥٥٥ ـ ٦٣٠هـ/١١٦٠ ـ ١٢٣٢م)

"الكامل في التاريخ "

١٠ اجزاء عني بمراجعة اصوله والتعليق عليه نخبة من العلماء

منشورات دار الكتاب العربي ـ بيروت ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

"التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية بالموصل"

تحقيق احمد طليمات ،منشورات دار الكتب الحديثة بالقاهرة ،ومكتبة

المثنى ببغداد ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م .

"اللباب في تهذيب الانساب "

٣ اجزاء ،منشورات دار صادر بيروت (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) .

* ابن الازرق ، ابى عبدالله (ت ٨٩٦هـ)

"بدائع السلك فى طبائع الملك "

تحقيق وتعليق الدكتور على سامى النشار - منشورات وزارة الاعلام العراقى ١٩٧٧م .

* ابن تغرى بردى ،جمال الدين ابى المحاسن يوسف بن تغرى بردى

(٨١٣ - ٨٧٤هـ/١٤١٠ - ١٤٦٩م)

"النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة "

طبعة دار الكتب ،منشورات وزارة الثقافة المصرية - المؤسسة العامة للتأليف والترجمة - القاهرة ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م .

* ابن الجوزى ، ابو الفرج عبدالرحمن بن على بن محمد بن على بن الجوزى

(ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م)

"المنتظم فى تاريخ الملوك والامم "

مطبعة دائرة المعارف العثمانية ،حيدر اباد الدكن ١٣٥٨هـ .

"تلبيس ابليس"

دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .

"كتاب القرامطة "

تحقيق محمد الصباغ - منشورات المكتب الاسلامى - الطبعة السادسة دمشق ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

* ابن حسول ، ابو العلاء محمد بن على بن الحسن (ت ٤٥٠هـ)

"تفضيل الترك على سائر الاجناد "

باعتناء عباس العزاوى ، استانبول، ١٩٤٠م ٠

* ابن حوقل، ابو القاسم محمد بن على بن حوقل النصيبى (ت ٣٦٧هـ/٩٧٧م)

"صورة الارض"

منشورات دار مكتبة الحياه ،بيروت ـ لبنان (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) ٠

* ابن خلدون، ابو زيد عبدالرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون المالكى

(ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م)

"كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الاكبر "

٧ اجزاء منشورات مؤسسة جمال للطباعة والنشر ـ بيروت ـ لبنان ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ٠

"المقدمـــة"

منشورات مؤسسة جمال للطباعة والنشر ـ بيروت ـ لبنان (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)

* ابن خلكان ،شمس الدين ابو العباس احمد بن محمد بن ابراهيم بن ابى بكر بن خلكان البرمكى الاربيلى الشافعى الاشعرى (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م)

"وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان"

٨ اجزاء باعتناء احسان عباس ،منشورات دار صادر ـ بيروت ـ لبنان (تاريخ الطبع غير مذكور) ٠

* ابن دحيه ،ابو الخطاب عمر بن ابى على حسن بن على سبط الامام ابى البسام المعروف بذى النسبين

"كتاب النبراس فى تاريخ خلفاء بنى العباس "

باعتناء عباس العزاوى مطبعة المعارف بغداد ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م .

* ابن رسته ، ابو على احمد بن عمر بن رسته

"كتاب الاعلاق النفيسة "

باعتناء دى غويه ، مطبعة بريل ليدن (١٨٩١م) .

* ابن سرابيون ، سهراب

"عجائب الاقاليم السبعة "

نشر باعتناء هانس فون مزيك - مطبعة ادولف هولز هوزن - فيينا (١٣٤٧هـ/١٩٢٩م) .

* ابن طباطبا ، محمد بن على بن طباطبا المعروف بابن الطقطقى

"الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الاسلامية "

منشورات دار بيروت للطباعة - بيروت - لبنان (١٣٨٥هـ/١٩٦٦م) .

* ابن عبد ربه ، احمد بن محمد الاندلسى (٢٤٦ - ٣٢٨هـ/٨٦٠ - ٩٣٩م)

"العقد الفريد "

تحقيق محمد سعيد العريان ، منشورات دار الفكر دمشق (١٣٥٩هـ/١٩٤٠م).

* ابن العبرى ، غريغوريوس الملطى (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م)

"تاريخ مختصر الدول "

المطبعة الكاثوليكية ، بيروت (١٣٧٨هـ/١٩٥٨م) .

* ابن العديم ، كمال الدين ابى القاسم عمر بن العديم (ت ٦٦٠هـ/١٢٦٢م)

"بغية الطلب فى تاريخ حلب "

عنى بنشره وعلق عليه د.على سويم ،مطبعة الجمعية التاريخية التركية ، انقرة (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م) .

* ابن عربى ،محيى الدين (ت ٦٣٨هـ)
"محاضرة الابرار ومسامرة الاخيار"
دار اليقظة العربية (١٣٨٨هـ/١٩٦٨م) .

* ابن العماد الحنبلى ، ابو الفلاح عبدالحى بن العماد الحنبلى (ت ١٠٨٩هـ)
"شذرات الذهب فى اخبارمن ذهب "
٨ اجزاء مطبعة القدس ، القاهرة (١٣٥٠هـ/١٩٣١م) .

* ابن العمرانى ،محمد بن على بن محمد المعروف بابن العمرانى (ت ٥٨٠هـ/١١٨٤م)
"الانباء فى تاريخ الخلفاء"
تحقيق د.قاسم السامرائى ،منشورات دار العلوم ، الرياض (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) .

* ابن العميد ، الشيخ جرجس بن العميد
"تاريخ المسلمين"
ليدن (١٠٣٥هـ/١٦٢٥م) .

* ابن الفقيه الهمذانى ، ابو بكراحمد بن محمد الهمذانى المعروف بابن الفقيه ،توفى فى القرن الثالث الهجرى ــ التاسع الميلادى
"مختصر كتاب البلدان"
باعتناء دى غويه ــ بريل (١٩٠٦م) .

* ابن القلانسى ، ابو يعلى حمزة القلانسى

"ذيل تاريخ دمشق "

مطبعة اليسوعيين ، بيروت ١٩٠٨م .

* ابن قنفذ ، ابو عباس احمد بن حسن بن على بن الخطيب

"كتاب الوفيات"

تحقيق عادل انويهض ، الطبعة الثانية ١٩٧٨م دار الآفاق الجديده بيروت .

* ابن كثير، عماد الدين ابوالفدا اسماعيل بن كثير الدمشقى (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م)

"البداية والنهاية "

١٤ جزء منشورات مكتبة المعارف بيروت - لبنان (١٣٩٧هـ/١٩٧٧م) .

* ابن مسكويه ، ابو على احمد بن محمد المعروف بمسكويه (ت ٤٢١هـ/١٠٣٠م)

"تجارب الامم وتعاقب الهمم"

باعتناء هـ . ف . امدروز ، شركة التمدن الصناعية - مصر (١٣٣٢هـ / ١٩١٤م) .

* ابن منظورابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الافريقى المصرى (ت ٧١١هـ/١٣١١م)

"لسان العرب "

١٥ جزء ، منشورات دار صادر - بيروت - لبنان (١٣٨٨هـ/١٩٦٨م) .

* ابن النديم ، ابو الفرج محمد بن ابى يعقوب اسحاق النديم المعروف بالوراق (ت ٣٨٠هـ/٩٩٠م)

"الفهرســـت"

تحقيق رضا تجدد ـ طهران (١٣٩١هـ/١٩٧١م) .

* ابن النظام الحسينى ،محمد بن محمد بن عدالله (ت ٧٤٣هـ)

"العراضة فى الحكاية السلجوقية".

ترجمة وتحقيق د. عبدالنعيم حسنين ،د. حسين امين ـ مطبعة جامعة بغداد (١٩٧٩م) .

* ابن الوردى ، الشيخ زين الدين عمر بن مظفر بن الوردى (ت ٧٥٠هـ / ١٣٤٩م)

"تاريخ ابن الوردى او تتمة المختصر فى اخبار البشر"

جزءان المطبعة الوهيبة ،مصر (١٢٨٥هـ) .

* ابو شامه ،عبدالرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم بن عثمان شهاب الدين ابو القاسم المقدسى (٥٩٦ ـ ٦٦٥هـ/١١٩٩ ـ ١٢٦٦م)

"الروضتين فى اخبار الدولتين النوريه والصلاحيه "

تحقيق محمد حلمى احمد ـ مصر (١٩٦٢م) .

* ابو الفدا ،عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر المعروف بابى الفدا الملك المؤيد صاحب حماه (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م)

"المختصر فى اخبار البشر"

جزءان ـ منشورات دار المعرفة للطباعة ـ بيروت ـ لبنان (تاريخ الطبع لم يذكر) .

* الاربلى ،المتوكل على الله الازلى عبدالرحمن سنبط قنيتو الاربلى

"خلاصة الذهب المسبوك فى مختصر سير الملوك"

مطبعة جاور جيوس للروم الارثوذكس ـ بيروت (١٨٨٥م) .

* الاصطخرى ، ابو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسى الاصطخرى المعروف بالكرخى (ت ٣٤٠هـ/٩٥١م)

"كتاب المسالك والممالك"

تحقيق د. محمد جابر الحينى مراجعة محمد شفيق غربال ـ منشورات وزارة الثقافة المصرية (١٣٨١هـ/١٩٦١م) .

* العماد الاصفهانى ، ابو عبدالله محمد بن صفى الدين (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م)

"زبدة النصره ونخبة العصره"

تحقيق هوتسما ، ليدن ١٨٨٦م .

"خريده القصر وجريده العصر"

القسم العراقى جا، جـ٢ ، تحقيق محمد بهجت الاثرى ، مطبعة المجمع العلمى العراقى (١٩٥٥ ـ ١٩٦٤م) .

قسم بلاد الشام تحقيق د. شكرى فيصل، المطبعة الهاشمية ، دمشق (١٣٧٩هـ/١٩٥٩م) .

* الاقسرائى ، محمد بن محمد الشهير بالكريم الاقسرائى

"مسامرة الاخيار"

كتب مقدمته وصححه ووضع حواشيه د. عثمان توران ـ مطبعة الجمعية التاريخية التركية ـ انقرة (١٩٤٤م) .

* الباخزرى ، ابو الحسن على بن على الباخرزى (ت ٤٦٧هـ/٠٧٤ ١م)

"دمية القصر وعصرة اهل العصر"

جزءان تحقيق عبدالفتاح محمد الحلو ،دار الفكر العربى (تاريخ الطبع بدون) .

* البطليوسى ،ابن السيد البطليوسى

"الاقتضاب فى شرح ادب الكتاب"

دار الجيل ،بيروت ـ لبنان (١٩٧٣م) .

* البغدادى ،عبدالقاهر بن طاهر بن محمد (ت ٤٢٩هـ/١٠٣٧م)

"الفرق بين الفرق"

تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد،دار المعرفة ،بيروت ـ لبنان .

* البلاذرى ،احمد بن يحيى بن جابر المعروف بالبلاذرى (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م)

"فتوح البلدان"

٣ اجزاء باعتناء صلاح الدين المنجد ،منشورات مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة (تاريخ الطبع بدون) .

* البندارى ،الفتح بن على بن محمد (٤٦٣هـ/١٢٤٥م)

"تاريخ دولة ال سلجوق"

منشورات دار الافاق الجديده ،الطبعة الثانية ،بيروت (١٩٧٨م) .

* البيرونى ،ابو الريحان محمد بن احمد الخوارزمى (ت ٤٤٠هـ/١٠٤٨م)

"الآثار الباقية عن القرون الخالية"

باعتناء ادوارد سخاو ،ليبرزج (١٩٢٣م) .

* البيهقى ،ابو الفضل محمد بن حسين البيهقى (ت ٤٧٠هـ/١٠٧٧م)

"تاريخ البيهقى"

ترجمة يحيى الخشاب ،صادق نشأت ،دار النهضة العربية - بيروت ١٩٨٢م ٠

* التنوخى ،ابو على المحسن التنوخى (ت ٣٨٤هـ/٩٤٤م)

"جامع التواريخ المسمى نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة"

٨ اجزاء تحقيق عبود الشالجى - بيروت (١٣٩١هـ/١٩٧١م) ٠

"الفرج بعد الشده"

٥ اجزاء تحقيق عبود الشالجى ،منشورات دار صادر - بيروت - لبنان (١٣٩٨هـ/١٩٧٨م) ٠

* التوحيدى ،ابو حيان على بن محمد بن العباس التوحيدى(٤٠٠هـ/١٠٠٩م)

"مثالب الوزيرين"

تحقيق ابراهيم الكيلانى ،دمشق (١٣٨١هـ/١٩٦١م) ٠

* الجهشيارى ،ابو عبدالله محمد بن عبدوس الجهشيارى (ت ٣٣١هـ/٩٥٦م)

"الوزراء والكتاب"

تحقيق مصطفى السقا ،وابراهيم الابيارى ،عبدالحفيظ شلبى ،منشورات مطبعة البابى - مصر (١٤٠١هـ/١٩٨١م) ٠

* الجوزجانى

"طبقات ناصرى "

ترجمة راورتى ٠

* حاجى خليفة ،مصطفى بن عبدالله المعروف بكاتب حلبى (ت ١٠٦٧هـ/١٦٥٦م)

"كشف الظنون عن اسامى الكتب والفنون"

منشورات مكتبة المثنى ـ بغداد .

* الحسينى ،صدر الدين ابى الحسن على بن ناصر (توفى فى القـــــرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى)

"اخبار الدولة السلجوقية"

نشر محمد اقبال ،لاهور (١٩٣٣م) .

* الحموى ،شهاب الدين ابى عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموى الرومـــى البغدادى (ت ٦٢٧هـ/١٢٢٩م)

"معجم الادباء"

٢٠ جزء ـ الطبعة الثانية باعتناء احمد فريد الرفاعى (١٩٥٥م) ـ منشورات دار احياء التراث العربى ـ بيروت ـ لبنان .

"معجم البلدان"

٥ اجزاء منشورات دار صادر ـ بيروت ـ لبنان (تاريخ الطبع غيـــــر مذكور) .

* الحميرى ،محمد بن عبدالمنعم الحميرى(ت ٧٢٧هـ/١٣٢٦م)

"الروض المعطار فى خبر الاقطار"

تحقيق د. احسان عباس ،مطبوعات دار العلم ،منشورات مكتبة لبنـــان بيروت ـ لبنان (١٩٧٥م) .

* خسرو ،ابو معين ناصر خسرو (٣٩٣ ـ ٤٨١هـ/١٠٠٢ ـ ١٠٨٨م)

"سفر نامـــه"

ترجمه عن الفارسية الى الفرنسية شيفر ـ باريس (١٩٨١م) ،نقله الى العربية د. يحيى الخشاب ـ القاهرة (١٩٤٥م) .

* الخطيب البغدادى ، الحافظ ابى بكر احمد بن على الخطيب البغدادى (ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م)

"تاريخ بغداد او مدينة السلام منذ تأسيسها وحتى سنة ٤٦٣هـ"

١٤ جزء ،منشورات المكتبة السلفية ـ المدينة المنورة (تاريخ الطبعة غير معروف) .

* الخوارزمى ،محمد بن احمد بن يوسف الخوارزمى الكاتب (٣٨٧هـ/٩٩٧م)

"مفاتيح العلوم"

تصحيح ادارة المطبعة المنيرية ـ القاهرة (١٣٤٢هـ) .

* خواندمير ،غياث الدين بن همام الدين (ت ٩٤٢هـ/١٥٣٥م)

"حبيب السير فى اخبار افراد البشر"

طبع بمباى (١٢٧٣هـ/١٨٥٨م) .

* الدهلوى ،شاه عبدالعزيز

"مختصر التحفة الاثنى عشرية "

ترجمة غلام محمد الاسلمى ـ دار ابن خلدون ـ بيروت (١٩٧٨م) .

* الديار البكرى ،حسين بن محمد بن الحسن الديار البكرى (ت ٨٤٢هـ/١٤٣٨م)

"تاريخ الخميس فى انفس احوال نفيس "

جزءان منشورات مؤسسة سفيان ـ بيروت ـ لبنان .

* الذهبى ،ابو عبدالله شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز الدمشقى الفارقى الشافعى (٦٧٣ - ٧٤٨هـ/١٢٧٤ - ١٣٤٧م)

"دول الاسلام"

جزءان تحقيق فهيم محمد شلتوت ،محمد مصطفى ابراهيم - الهيئة المصرية العامة للكتاب ،القاهرة (١٣٩٤هـ/١٩٧٤م) .

"العبر فى خبر من غبر"

٥ اجزاء تحقيق محمد سعيد بسيونى زغلول ،منشورات دار الكتب العلمية ،بيروت - لبنان (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) .

* الراوندى ،محمد بن على بن سليمان (ت ٦٠٣هـ/١٢٠٦م)

"راحة الصدور راية السرور فى تاريخ الدولة السلجوقية"

ترجمة د. ابراهيم الشواربى ،د. عبدالنعيم حسنين ،د. فؤاد الصياد (١٣٧٩هـ/١٩٦٠م) .

* رشيد الدين ،الخواجه رشيد الدين فضل الله (ت ٧١٨هـ)

"جامع التواريخ"

القسم الخاص بالسلاجقة - م٢ جـ٥ - تحقيق احمد اتش - منشورات الجمعية التاريخية التركية - انقرة (١٩٦٠م) .

* الروذراورى ،ابو شجاع محمد بن حسين الملقب ظهير الدين الروذراورى (٤٨٧هـ/١٠٩٤م)

"ذيل كتاب تجارب الامم"

باعتناء هـ ف. اور روز ،مطبعة التمدن الصناعية ،مصر (١٣٣٤هـ/١٩١٦م)

* الزبيدى ،محب الدين ابوالفيض السيد محمد مرتضى الحسينى الزبيدى (ت ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م)

"تاج العروس من جواهر القاموس"

١٠ اجزاء المطبعة الخيرية ـ القاهرة (١٣٠٦هـ/١٨٨٨م) .

* سبط ابن الجوزى ،شمس الدين ابى المظفر يوسف بن قزاوغلى على بن عبدالله (ت ٦٥٤هـ/١٢٥٦م)

"مرآه الزمان فى تاريخ الاعيان"

حيدر اباد ـ الدكن (١٣٧٠هـ/١٩٥١م) .

* السبكى ،قاضى القضاه تاج الدين ابو نصر عبدالوهاب بن تقى الدين السبكى (ت ٧٧١هـ/١٣٦٩م)

"طبقات الشافعية الكبرى"

٦ اجزاء منشورات دار المعرفة للطباعة والنشر ،بيروت ـ لبنان الطبعة الثانية (تاريخ الطبع غير مذكور) .

* السمعانى ،ابو سعد عبدالكريم بن محمد بن منصور التميمى (ت ٥٦١هـ/١١٦٦م)

"الانساب"

تحقيق عبدالرحمن يحيى المعلمى ،الطبعة الثانية ،بيروت ـ لبنان (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) .

* السيوطى ،الحافظ جلال عبدالرحمن بن ابى بكر السيوطى (٨٤٩ ـ ٩١١هـ/١٤٤٥ ـ ١٥٠٥م)

"تاريخ الخلفاء"

تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ،منشورات دار نهضة مصر للطبع والنشر ،القاهرة (١٣٩٥هـ/١٩٧٥م) .

* الصابى ،ابو الحسين هلال بن المحسن ابراهيم الصابى (٣٥٩ – ٤٤٨ هـ / ٩٦٩ – ١٠٥٦م)

"كتاب الوزراء " او "تحفة الاسراء فى تاريخ الوزراء"

تحقيق عبدالستار احمد فرج ،منشورات دار احياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبى وشركاه – القاهرة (١٩٥٨م) ٠

"رسوم دار الخلافة "

باعتناء ميخائيل عواد ،منشورات المجمع العلمى العراقى ،مطبعة العانى – بغداد (١٣٨٣هـ/١٩٦٤م) ٠

"كتاب التاريخ"

باعتناء هـ ٠ ف ٠ مدروز ومرجليوث ،شركة التمدن الصناعية – القاهرة (١٣٣٧هـ/١٩١٩م) ٠

* الصفدى ،صلاح الدين خليل بن ايبك (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م)

"نكت الهميان فى نكت العميان"

المطبعة الجمالية – مصر (١٣٢٩هـ/١٩١١م) ٠

"الوافى بالوفيات "

١٣ جزء (١) باعتناء هلموت ريتر (٢ – ٦) باعتناء دريد رينغ (٧) باعتناء احسان عباس (٨) باعتناء محمد يوسف نجم (٩) باعتناء يوسف خان (١٠) باعتناء جاكلين سويله وعلى عماره (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) – (١١) باعتناء شكرى فيصل (١٤٠١هـ/١٩٨١م) (١٢) باعتناء رمضان عبد التواب (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) (١٥) باعتناء بيرند راتكه (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) –

منشورات فرانز شتانير فسبادن (١٣٩٨هـ/١٩٧٨م) .

* الصولى ،ابو بكر محمد بن يحيى بن عبدالله بن العباس بن محمد الصولى البغدادى (ت ٣٣٥هـ/٩٤٦م)

"اخبار الراضى والمتقى او تاريخ الدولة العباسية من سنة ٣٢٢- ٣٣٣هـ"

باعتناء ج . هيورث دن ،لندن (١٩٣٥م) .

* الطبرى ،محمد بن جرير الطبرى (٢٢٤ - ٣١٠هـ/٨٣٨ - ٩٢٢م)

"تاريخ الامم والملوك"

١٠ اجزاء تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ،منشورات دار سويدان بيروت-لبنان (تاريخ الطبع غير مذكور) .

* الطوسى ،نظام الملك قوام الدين ابى على الحسن بن على بن اسحاق الطوسى (ت ٤٨٤هـ/١٠٩١م)

"سياسة نامه"

ترجمة وتعليق السيدمحمد العزاوى ،دار الرائدالعربى ،بيروت (تاريخ بدون) .

* العينى ،بدر الدين ابو محمد محمود بن احمد

"السيف المهند فى سيرة الملك المؤيد"

حققه وقدم له د. فهيم محمد شلتوت وراجعه د. محمد مصطفى زياده دار الكاتب العربى للطباعة والنشر (١٣٨٧هـ/١٩٦٧م) .

* الغزالى ،ابو حامد محمد بن محمد الطوسى (ت ٥٠٥هـ/١١١١م)

"احياء علوم الدين"

٥ اجزاء ،دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت ـ لبنان .

* الفارقى ،احمد بن يوسف بن على بن الازرق الفارقى
"تاريخ الفارقى"
حققه وقدم له د.بدوى عبداللطيف عوض ـ الطبعة الثانية ـ دار الكتاب ـ لبنان ـ بيروت (١٩٧٤م) .

* قدامة ،قدامة بن جعفر بن قدامة زياد البغدادى (ت ٣٣٧هـ)
"المنزلة الخامسة لكتاب الخراج وصنعة الكتابة"
تحقيق ودراسة د. طلال الرفاعى ـ مكتبة الطالب الجامعى (١٤٠٧هـ) .

* القرمانى ،ابى العباس احمد بن يوسف بن احمد الدمشقى
"اخبار الدول وآثار الاول"
عالم الكتب ـ بيروت .

* القزوينى ،زكريا بن محمد بن محمود القزوينى
"آثار البلاد واخبار العباد"
دار صادر ـ بيروت

* القلقشندى ،ابى العباس احمد بن على القلقشندى (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م)
"صبح الاعشى فى صناعة الانشاء"
١٤ جزء نسخة مصورة عن الطبعة الاميرية ومذيله ـ القاهرة (١٩٦٣م) .
"مآثر الانافة فى معالم الخلافة"
تحقيق عبدالستار احمد فراج ـ الكويت (١٩٦٤م) .

* الكتبى ،محمد بن شاكر بن احمد (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٣م)

"فوات الوفيات"

تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد ،مطبعة السعاده ، القاهرة ١٩٥١م٠

* الكندى ، ابو عمر محمد بن يوسف الكندى المصرى (ت ٣٥٠هـ)

"كتاب الولاه وكتاب القضاه"

تحقيق رفن كست ــ مطبعة الآباء اليسوعيين ــ بيروت ــ ١٩٠٨م ٠

* الكرديزى ، ابو سعيد عبدالحى بن الضحاك بن محمود كرديزى (٤٤٠هـ)

"كتاب زين الاخبار"

تحقيق محمد كاظم ،مطبعة ايرانشهر برلين (١٣٤٣هـ/١٩٤٨م)٠

* الماوردى ،على بن محمد بن حبيب (ت ٤٥٠هـ/١٠٥٨ م)

"الاحكام السلطانية والولايات الدينية "

مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى واولاده ــ مصر ــ القاهرة (١٣٨٠هـ/١٩٦٠م) ٠

* المستوفى حمد الله ،حمد الله ابى بكر بن احمد بن نصر المستوفى القزوينى

"تاريخ كزيده"

نشر براون طبع ليدن سنة (١٣٢٨هـ/١٩١٠م) ٠

* المسعودى ، ابو الحسن على بن الحسين بن على المسعودى الشافعى (ت ٣٤٦هـ)

"مروج الذهب ومعادن الجوهر"

(٩) اجزاء ــ باريس (١٨٦١ ــ ١٨٧٦م) ٠

* المطهر القديسى ،مطهر بن طاهر

"كتاب البدء والتاريخ"

(١٩١٩) باريس.

* المقدسى ،شمس الدين ابو عبدالله محمد بن احمد بن ابى بكر (ت ٣٨٠هـ)

"احسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم"

باعتناء دى غويه ـ ط٢ بريل ـ ليدن (١٩٠٦م) .

* المقريزى ،تقى الدين ابو العباس احمد بن على بن عبدالقادر بن محمد الحسنى العبدى (ت ٨٤٥هـ)

"المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار"

٤ اجزاء مطبعة دار الكتب المصرية ـ القاهرة (١٩٣٤م) .

"كتاب السلوك"

القاهرة (١٩٥٦م) .

* النهروالى ،قطب الدين محمد بن احمد المكى الحنفى (ت ٩٧٩هـ/١٥٧١م)

"الاعلام باعلام بيت الله الحرام"

طبعة وستنفلد ليبسك (١٢٧٤هـ/١٨٥٧م) .

* الهمدانى ،محمد بن عبدالملك الهمدانى (ت ٥٢٠هـ)

"تكملة تاريخ الطبرى"

تحقيق البرت كنعان ،بيروت ـ الطمبعة الكاثوليكية (١٩٥٩م) .

* اليافعى ،عبدالله بن سعد بن على (ت ٧٦٨هـ/١٣٦٧م)

"مرآة الجنان وعبرة اليقظان"

مطبعة المعارف ،حيدر ابا د الدكن (١٣٣٨هـ) .

* اليعقوبى ، احمد بن ابى يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب العباسى المعروف باليعقوبى
"مشاكلة الناس لزمانهم"
تحقيق وليم لورد ،طبعة دار الكتاب الجديد،الطبعة الثانية بيروت (١٩٨٠م) .

ثالثا : الكتب العربية الحديثة .

* ابو خليل ،شوقى
"هارون الرشيد امير الخلفاء واجل ملوك الدنيا"
دار الفكر ـ الطبعة الاولى (١٣٩٧هـ/١٩٧٧م) .

* احمد ،محمد حلمى محمد
"الخلافة والدولة فى العصر العباسى"
القاهرة ١٩٥٩م .

* اقبال ،عباس اقبال
"الوزارة فى عهد سلاطين السلاجقة العظام"
نشر جامعة طهران رقم ٥٢٠،طهران ١٣٣٨هجرى شمسى (هـ . ش).

* ادى شير ، السد ادشير
"الالفاظ الفارسية "
طبع فى المطبعة الكاثوليكية للاباء اليسوعيين فى بيروت سنة ١٩٥٨م .

* امين ،حسين امين
"تاريخ العراق فى العصر السلجوقى"

من منشورات المكتبة الاهلية ـ مطبعة الارشاد (١٣٨٥هـ/١٩٦٥م) .

* بارتولد (مستشرق روسى)

"تاريخ الترك فى آسيا الصغرى"

ترجمة الدكتور احمد السعيد سليمان ،مطبعة الانجلو المصرية

القاهرة (١٣٧٨هـ/١٩٥٨م) .

* بروكلمان ،كارل

"تاريخ الشعوب الاسلامية"

ترجمة امين فارس ومنير البعلبكى ـ دار العلم للملايين ـ بيروت

(١٩٦٥م) .

* الباشا ،حسن الباشا

"الالقاب الاسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار"

دار النهضة العربية ،القاهرة (١٩٧٨م) .

* البسام ،هيفاء عبدالله

"الوزير السلجوقى نظام الملك"

رسالة ماجستير فى التاريخ الاسلامى ـ جامعة ام القرى ـ اشراف

الدكتور حسام الدين السامرائى ـ ١٤٠٠هـ ـ مكة المكرمة .

* تاماراريس ،تامارا تالبوت رايس

"السلاجقة تاريخهم وحضارتهم"

ترجمة لطفى الخورى وابراهيم الداقوقى ـ مراجعة عبدالحميد

العلوجى ـ مطبعة الارشاد ـ بغداد (١٩٦٨م) .

* توفيق ، احمد بيوك توفيق

"تاريخ عمومى"

نشر باللغة التركية العثمانية ، استانبول (١٩٥٠م) .

* حسن ،حسن ابراهيم

"تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى"

(٤) اجزاء الطبعة التاسعة ـ مكتبة النهضة المصرية (١٩٧٩م) .

* حسن ،حسن وعلى ابراهيم حسن

"النظم الاسلامية "

الناشر مكتبة النهضة المصرية ـ الطبعة الاولى ١٣٥٨هـ/١٩٥٩م .

* حسنين ،عبد النعيم

"سلاجقة ايران والعراق"

ملتزم الطبع والنشر مكتبة النهضة المصرية ـ الطبعة الثانية

(١٣٨٠هـ/١٩٣٠م) مطبعة السعاده .

"دولة السلاجقة "

الناشرمكتبة الانجلو المصرية (١٩٧٥م) .

* حسين ،محمد كامل حسين

"ديوان المؤيد فى الدين"

دار الكاتب المصرى (١٩٤٩م) القاهرة .

"سيرة المؤيد فى الدين"

دار الكاتب المصرى (١٩٤٩م) القاهرة .

* حلمى ، احمد كمال الدين حلمى

"السلاجقة فى التاريخ والحضارة "

دار البحوث العلمية للنشروالتوزيع ، الطبعة الاولى (١٣٩٥هـ/١٩٧٥م) ـ القاهرة .

* الخضرى ، محمد الخضرى بك

"تاريخ الامم الاسلامية ـ الدولة العباسية "

المكتبة العمارية الكبرى (١٩٧٠م) القاهرة .

* خياط ، احمد عبدالله خياط

"الاقطاع فى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين"

رسالة ماجستير فى النظم الاسلامية ، جامعة ام القرى ، اشراف الدكتور حسام الدين السامرائى (١٤٠٠هـ) مكة المكرمة .

"دائرة المعارف الاسلامية "

يصدرها باللغة العربية احمد الشنتاوى ، ابراهيم زكى خورشيد عبدالحميد يونس ـ مراجعها محمد مهدى علام .

* دحلان ، احمد زين دحلان

"الفتوحات الاسلامية "

طبع المطبعة الحسينية المصرية ، القاهرة (بدون) .

* الدورى ، د. عبدالعزيز عبدالكريم

"دراسات فى العصور العباسية المتأخرة "

مطبعة السريان ـ بغداد (١٩٤٥م) .

"مقدمة فى التاريخ الاقتصادى العربى"

بيروت (١٩٦٨م) .

* ديرانية ،د. اكرم رسلان ديرانية

"الحكم والادارة فى الاسلام"

دراسة تحليلية مقارنة ـ دار الشروق ـ جده ـ الطبعة الاولى

(١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) .

* الرفاعى ،د. طلال جميل

"نظام البريد فى الدولة العباسية حتى منتصف القرن الخامس الهجرى"

رسالة دكتوراه فى النظم الاسلامية ـ جامعة ام القرى ـ اشراف الاستاذ

الدكتور حسام الدين السامرائى (١٤٠٧هـ) مكة المكرمة .

* رؤوف ،عماد عبدالسلام

"مدارس بغداد فى العصر السلجوقى"

الطبعة الاولى ،مطبعة دار البصرى ـ بغداد (١٣٨٦هـ/١٩٦٦م) .

* زامباور ،ادوارد فون

"معجم الانساب والاسرات الحاكمة فى التاريخ الاسلامى"

ترجمة د. زكى محمد حسن ،د. حسن احمد محمود ـ القاهرة (١٣٧٠هـ/١٩٥١م)

* الزبيدى ،محمد حسن الزبيدى

"العراق فى العصر البويهى"

ساعدت جامعة بغداد على نشره ـ دار النهضة العربية (١٩٦٩م) .

* الزركلى ،خير الدين بن محمود الدمشقى

"الاعــــــلام"

٨ اجزاء – الطبعة الرابعة – دار العلم للملايين – بيروت (١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م) .

* الزهرانى ، د. محمد مسفر الزهرانى

"نظام الوزارة فى الدولة العباسية "

موسسة الرسالة – الطبعة الاولى (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) .

* زيدان ،جرجى

"تاريخ التمدن الاسلامى"

٥ اجزاء – القاهرة (١٩٥٨م) .

"تاريخ آداب اللغة العربية"

* السامرائى ،د. حسام الدين

"الموسسات الادارية فى الدولة العباسية"

الطبعة الثانية – مكتبة دار الفكر العربى – القاهرة (١٤٠٣هـ) .

"نشأة المدارس فى الاسلام"

بحث قدم للمجمع الملكى لبحوث الحضارة الاسلامية (موسسة آل البيت) عمان (١٩٨٦م) .

* سرور ،محمد جمال الدين

"تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق"

الطبعة الثانية (١٣٨٧هـ/١٩٦٧م) .

"النفوذ الفاطمى فى بلاد الشام والعراق"

الطبعة الثانية (١٩٦٤م) ٠

* سعداوى ،نظير حسان

"نظام البريد فى الدولة الاسلامية"

دار مصر للطباعة ، القاهرة (١٩٥٣م) ٠

* السلومى ،عبدالعزيز عبدالله

"ديوان الجند نشأته وتطوره فى الدولة الاسلامية"

مكتبة الطالب الجامعى ،مكة المكرمة ، الطبعة الاولى (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)٠

* سليمان ،احمد السعيد

"تاريخ الدول الاسلامية ومعجم الاسرات الحاكمة"

نشر دار المعارف بمصر (١٣٨٩هـ/١٩٦٩م) ٠

* السمرقندى ،احمد بن عمر بن على نظامى عروضى

"جها ر مقالـه"

ليدن (١٣٢٧هـ) ٠ نقله الى العربية عبدالوهاب عزام ويحيى الخشاب

القاهرة (١٩٦٢م) ٠

* الشريف ،احمد ابراهيم الشريف و د٠ حسن احمد محمود

"العالم الاسلامى فى العصر العباسى"

دار الفكر العربى ، القاهرة (١٩٦٦م) ٠

* شندب ،د٠ محمد حسين

"الحضارة الاسلامية فى بغداد"

دار النفائس ـ بيروت ـ الطبعة الاولى (١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) ٠

* الشيبانى ،محمد عبدالله

"نظام الحكم والادارة فى الدولة الاسلامية "

طبع دار الثقافة العربية ـ نشر عالم الكتب ـ القاهرة (١٣٥٩هـ) .

* الصالح ،صبحى

"النظم الاسلامية نشأتها وتطورها"

مطبعة دار الملايين ـ الطبعة السادسة (١٩٨٢م) .

"الشروط العمرية "

* طرخان

"النظم الاقطاعية فى الشرق الاوسط فى العصور الوسطى"

دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ـ بيروت (١٣٨٨هـ/١٩٦٨م) .

* عاصم ،نجيب

"اورخون ابده لرى "

باللغة الفارسية (نقلا عن تاماراريس) .

* عبدالجليل ،نصر الدين

"كتاب نقض الرافضة "

* عبدالعال ،محمد جابر

"حركات الشيعة المتطرفين واثرهم فى الحياه الاجتماعية والادبية

لمدن العراق ابان العصر العباسى الاول "

مطبعة السنة المحمدية ،القاهرة (١٣٧٣هـ/١٩٥٤م) .

* العدوى ،د. ابراهيم احمد
"الحمام الزاجل فى العصور الوسطى "
المجلة التاريخية المصرية ،العدد (١) القاهرة (١٩٤٩م) .

* عسيرى ،مريزن
"الحياه العلمية فى العراق فى العصر السلجوقى"
رسالة دكتوراه فى النظم الاسلامية ،جامعة ام القرى،اشراف الاستاذ
الدكتور حسام الدين السامرائى ،مكة المكرمة (١٤٠٥هـ) .

* عفيفى ،د. محمد الصادق
"المجتمع الاسلامى واصول الحكم"
دار الاعتصام للنشر ـ الطبعة الاولى (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) .

* على ،محمد كرد
"خطط الشام"
دار العلم للملايين ،بيروت (١٩٦٩م) .
"الاسلام والحضارة"
مطبعة لجنة التأليف ـ القاهرة ـ الطبعة الثالثة (١٩٦٨م) .

* على ،سيد امير على
"مختصر تاريخ العرب "
نقله الى العربية عفيف البعلبكى ـ دار العلم للملايين ـ الطبعة
الرابعة (١٩٨١م) .

* عواد ،ميخائيل

"صور مشرقة من حضارة بغداد"

منشورات وزارة الثقافة والاعلام العراقية (١٩٨١م) .

"اقسام ضائعة من كتاب تحفة الامراء فى تاريخ الوزراء"

مطبعة المعارف ـ بغداد (١٣٦٧هـ/١٩٤٨م) .

* فامبيرى ،ارمينيوس

"تاريخ بخارى"

ترجمة د. احمد محمد السامرائى ـ القاهرة (١٩٦٥م) .

* الفيروز ابادى ،مجد الدين محمد بن يعقوب

"القاموس المحيط "

(٤) اجزاء ملتزم الطبع والنشر مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى

بمصر ـ الطبعة الثانية (١٣٧١هـ/١٩٥٢م) .

* فهد ،بدوى محمد

"تاريخ العراق فى العصر العباسى الاخير"

مطبعة الارشاد ـ بغداد (١٣٩٣هـ/١٩٧٣م) .

* قزوين ،ميرزا محمد

"جهار مقاله"

* الكتانى ،عبد الحى

"نظام الحكومة الاسلامية المسمى التراتيب الادارية "

دار الكتاب العربى ـ بيروت (بدون) .

* لويس ،برنـــارد

"اصول الاسماعيلية "

ترجمة خليل احمد جلو ـ جاسم محمد الرجب ،قدم له د.عبدالعزيز

الدورى ،طبع بدارالكتاب العربى بمصر .

* ماهر ،د. سعاد

"البحرية فى مصر الاسلامية وآثارها الباقية "

نشر دار المجمع العلمى ،جده ،المملكة العربية السعودية ،الطبعة

الثانية (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) .

* متز ،آدم

"الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى"

(جزءان) ترجمة محمد عبدالهادى ابو زيده ،الطبعة الثالثة ،مطبعة

لجنة التأليف والترجمة والنشر- القاهرة (١٩٥٧م) .

* معروف ،ناجى

"علماء النظاميات ومدارس المشرق الاسلامى"

ساعدت جامعة بغداد على نشره ،مطبعة الارشاد بغداد (١٣٩٣هـ/١٩٧٣م) .

"الموسوعة العربية الميسرة "

اشراف محمد شفيق غربال .

* لسترنج ، كى

"بلدان الخلافة الشرقية "

ترجمة بشير فرنسيس ،كورتيس عواد ، موءسسة الرسالة ـ الطبعة

الثانية (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) .

رابعا : المراجع الانكليزية .

*samarraie, H . ,Agriculture In Iraq
Heidelberg Press, Birut (1972)
*Lambton, Ann. K. S., Landlord and Peasints In Persia, London
(1953)
*W. B. Fisher, The combridge history of Iran. cambridge at the
University, Press (1968).
* Ivanov, The Creed of the Fatimide.

خامسا : الدوريات والمجلات العربية .

المجلة المصرية التاريخية :

* د. احمد ابراهيم العدوى

"الحمام الزاجل فى العصور الوسطى"

المجلة التاريخية المصرية - عدد (١) (١٩٤٩م) .

مجلة سومر العراقية :

* د. حسين امين

"نظام الحكم فى العصر السلجوقى"

مجلة سومر العراقية - م٢١ - ج١، ٢ (١٩٦٤م) .

"العـــراق"

مجلة سومر العراقية - م ٢٠ ، ج١، ٢ (١٩٦٥م) .

* عباس العزاوى

"علماء الرياضيات والفلك فى العراق"

مجلة سومرالعراقية ،م٢٨ ،ج١، ٢ (١٩٧٢م) .

* جواد مصطفى

"المدرسة النظامية"

مقالة ،المجلد التاسع ج٢ بغداد (١٣٧٣هـ/١٩٥٣م) .

مجلة المجمع العلمى العراقى :

* سعيد نفيس

"المدرسة النظامية"

ترجمة د. حسين على محفوظ ج١ مجلد ٣ بغداد (١٣٧٣هـ/١٩٥٤م) .